

بغير عبادي الذين يستخون أتول يبعثون أحب
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الفتح

١٣١٥

بؤني الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و « منارا » كمنار الطريق

(مصر - الثلاثاء - مطبع المهرم ١٣٢٦ - ٣ مارس (آذار) سنة ١٩٠٨)

فاتحة السنة الحادية عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل الكتاب ، تبصرة وذكرى لأولي الألباب ،
والصلاة والسلام على نبي الرحمة ، الذي بعث في الاميين ليعلمهم الكتاب
والحكمة ، محمد النبي الامي ، العربي الحجازي ، وعلى آله واصحابه خير الال
والاصحاب ، ومن تبعهم واهتدى بهديهم الى يوم المآب ، ٢٩ : ١٣ الذين
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجَبَ •
أما بعد فان المنار بحمد الله وعنايته ، وتوفيقه وهدايته ، قد أتم عشر

سنين كاملة ، وتجاوز الأعداد المفردة إلى الأعداد المركبة ، وهو في نحو طبيعي ، وارتقاء تدريجي ، لم تظهر به مساعدة الكبراء ، كما ظهرت بكثير من العاملين ، ولم تظهر به مكيدة الرؤساء ، كما ظهرت ببعض المصلحين ، بل سار لطيفته على استقلاله ، في جميع أحواله وأحواله ، سلاحه تحريمي الحق ، وعدته التزام الصدق ، وجنته الاخلاص لله ، وحصنه تقوى الله باتباع سنن الله ، هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ، جَزَاءُ عَذَابٍ مُّقْتَضٍ لَهُمْ

الْأَبْوَابِ ،

جاهد في سبيل الإصلاح بقدر الامكان ، وما تقتضيه حال الزمان والمكان ، فهاجته السياسة بدساتيسها فالت من قريه وصديقه ، ولكنها لم ترحمه عن طريقه ، ووائبه الخرافات بوساوسها ، فالت دون سرعة انتشاره ، ولكنها لم تقو على صديتاره ، وصادمته التكاليد بهواجسها ، فصدت الكثيرين من متقليها عنه ، ولكنها لم تمل منه ، بل عز هو لا مؤاؤثك في الخطاب ،

١٩ : ٣٨ جَنَّ مَاهُنَاكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ

نم قد انهزم من أمامه الدجالون فلا يجدون قوة ولا حولا ، وانهزم كذلك المقلدون فلا يرجعون اليه قولا ، وأنى للمتوكي على عكاز القال والقليل ، ان ينافح متضي سيف الدليل ، تحت لواء السنة والتزليل ، إلا انهم لا يصدونه بل يصدون عنه ، ولا يقولون له ولكن يقولون فيه ، وكذلك كان يقول المقلدون ، اذ دعوا الى غير ما كانوا يعتقدون ، ٣٨ : ٥ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ - ١٧ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِي

الحق أبلج، لا يخيل سبيله، ولا تخفى على الناظر البصير غرته وحبجوله، فلا يضره ضعف الداعي وغرته، اذا قويت عارضته وعرفت حقيقته، والباطل للبلج، وان كثر قبيله، ودعمت فروعه واصوله، فلا تنفعه قوة الداعي وعصبته، اذا ضعف سريره ودحضت حجته، وانما يثبت المقلدون، حيث لا يوجد المستدلون، ويسود المتواكلون، ما سكت عن معارضتهم المستقلون ٩:٣٩
 قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَلْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَلْمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
 أُولُو الْأَلْبَابِ *

لا خوف على الحق الا من الاستبداد، بمنع حرية العلم والارشاد، فالحق لا يوجد الا حيث توجد الحرية والاستقلال، وتظهر آثار مواهب الناس في الاقوال والاعمال، لهذا لا نخاف على دعوة الاصلاح في هذه البلاد، أو تعود اليها سيطرة الاستبداد، نعم ان سيره قد يسرع وقد يبطن، وان الداعي اليه يصيب في رمية ويخطئ، ولكنه يستفيد من الخطأ كما يستفيد من الاصابة، وقد يزداد مضاء في الرفض والاجابة، حتى يعمل الاستعداد للاصلاح عمله، ويبلغ الكتاب أجله (١٣ : ٢٨ لكل اجل كتاب ٣٩ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ٤٠ وَإِنَّمَا تُرِنُّكَ بِبَعْضِ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَقَّعُكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ *

ان للاسلام ثلاث مظاهر أو مراتب التقليد وعليه أكثر المسلمين المعتقدين، والبصيرة وعليها نفر من العلماء المحققين، والجنسية وهي تشمل حتى المارقين من المتفرجين، وقد هوجم أولاً في تقاليدته لتحويل العامة عنه، وهوجم في كتابه وسنته لزال الخاصة فيه، وهوجم في جنسيته لحل رابطة المتصمين به،

على انه لا يخشى عليه من مهاجمة الاجانب عنه ، وانما يخشى عليه من مهاجمة
الذين يعدون منه ، فالتفريجون منهم يقتون العامة عن تقليدهم باسم
المدنية ، وثب العلم والفنون المصرية ، ويحلون جنسيهم الاسلامية ،
بدعوتهم الى الجنسية الوطنية، وهم لا يهتمون في ذلك بالايقاع بالدين، لانهم
ياتون العامة عن اليقين ، ويدعون الي ما يدعون ، مستقدين انهم مصلحون ،
فتعين على اهل البصيرة والعرفان ، ان يناخروا عن هذا الدين بالبرهان ، واقفين
عند حدود السنة والقرآن ، فان كلام من مسلمي التقليد والجنسية ، يترفون
بان مرتبة البصيرة هي المرتبة العلية ١٣ : ١٨ أفمن يعلم أن ما أنزل إليك
من ربك الحق كذب هو أعشى ؟ إننا نذكر أولو الألباب *

ألا وان من الحال حفظ تقاليد المقلدين ، من غارة اخوانهم المتفريجين ،
فانها من قبيل العادات ، التي يبروها (كما نشاهد) المحو والاثبات ، الأوان
مصارعة الجنسية الوطنية ، للجنسية الاسلامية ، مجهولة العواقب ، الا حيث
يساعدها الحكام مع الاجانب ، فهناك يرجع ان تكون آية الوطنية هي
المرفوعة ، والراية الاسلامية هي الموضوعة ، ويتبع ذلك سرعة تسلل العوام ،
من هذه التقاليد المعزوة الى الاسلام ، ويمود الاسلام في مثل هذه البلاد
غزيبا كابداء ، لان اهل البصيرة هم الاقلون عددا ، والاضغفون ساعدا وعضدا ،
اذا غلبوا بالبرهان ، يعلبون بالسلطان ، فهم اياما مضطهدون جبرا ، واما مهددون
سرا ، على انهم لا يقنطون من رحمة الله ، ولا يأسون من روح الله ٣٩ : ١٠
قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ، إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ *

ها اناذا أقول على رؤوس الاشهاد، ان طالب الاصلاح الديني مهدد حتى في هذه البلاد ، ورب مقاومة خفية، شر من صدمة علنية ، ورب اصطدام أحدث ظهورا ، خير من اهلل أوجب فقورا ، (٢: ٢١٦ وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم ،) فما ظهر حق الا بعد اضطهاد ، ولا خذل باطل الا بعد عناد ، فلا يترك قلب الظالمين في البلاد ، ٣٩ : ٢١ ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به رزقا مختلفا ألوانه ، ثم يهيج فتراه مضفرا ، ثم يجمله حطاما ؟ إن في ذلك لذكرى لأولي الاباب .

فيا أيها الكائدون الظالمون ، انما كيدكم على ملتكم ان كنتم تسقلون ، ويا أيها المقلدون الجامدون ، ان تقاليدكم تتحول عنكم تحول الظل وانتم لا تشعرون ، ويا أيها العابثون بالجنسية انكم لبنائكم تهدمون ، وتبنون لغيركم من حيث لا تعلمون ، ويا أيها المصلحون المستبصرون ، اصبروا واصراروا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، ٣ : ١٠٢ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ١٠٣ واحتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقتوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ١٠٤ ولتكنز منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . لا تفرقكم عوامل المدينة فان دينكم عون لكم عليها ان كنتم تقفون ، ولا تفتنكم ساطة الاسم الاورية فتقلدها فيما لا تعلمون ، فان روح المدينة والسلطة هو الدين والآداب ،

وقد انعم الله عليكم من ذلك باكل مما انعم به على أهل الكتاب ، ٢: ٢٠٠
فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ
٢٠١ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا

عذاب النار ٢٠٢ اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب *
ان الفساد قد طرأ على جسم هذه الامة من زمن بعيد ، فهو يحتاج الى
تكوين جديد ، ومن المبشرات ان ترى المسلمين ، قد تنهوا الى الحاجة الى هذا
التكوين ، ولكن اختلفت فيه الآراء ، وعبثت به الأهواء ، ولا زعيم
يرجع اليه ، ولا امام يقتدى به ، وما على طلاب الاصلاح الآن ، الا اقامة
الحجة والبرهان ، وتريية استعداد الامة ، الى ان ينهض زعيم من الائمة ، ولا
بد من مسألة الفرق والاحزاب ، واحاطة استقلال الرأي بسياج الآداب ،
٣٩ : ٨ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ
الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ * منشي المنار ومحرره
محمد رشيد رضا الحسيني

الدعوة الى انتقاد المنار

انا نكرر الدعوة الى انتقاد المنار في كل عام ونعد بنشر ما ينتقده
على ما نشر من المسائل الدينية والعلمية لمدة امور
(١) انا نتحري في كل ما نكتب الحق والارشاد الى الخير ونستبد
انا عرضة للخطأ مهما بذلنا من الجهد في تحري الاصابة فقرضنا الاول
من دعوة العلماء الى انتقاد ما نكتبه هو تكميل نفسنا ومساعدتنا على ما توخاه
من الارشاد

(٢) حرصنا على تكميل غيرنا من قراء المنار بما نحب ان نكمل به
نفسنا من معرفة الحق والخير والمصلحة وكراهة ان يطق ما هسى ان نعم
فيه من الخطأ بنفس القراء فلا يجدوا عنه مصرفاً

(٣) اقامة فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان كثيراً من
أهل العلم يعتقدون عن تركهم لذلك بأن الناس لا يقبلون أمراً ولا نهياً
بل يعادون من ينصح لهم ويرشدون الى الحق وربما آذوه بالقول او الفعل
فها نحن أولاء نؤمنهم من العداء والايذاء ونعدم بقبول النصح والارشاد

(٤) فتح باب المناظرة التي تعلم كل واحد من المتناظرين ما لم يكن
يعلم وتدفعه الى بذل الجهد والعناية في استكناه الحقائق والاحاطة بأطراف
المسائل وترك الحكم للقراء

(٥) قطع السنة أهل الدعوى ، والمتبعين للهوى ، الذين يقولون هذا
حق وهذا باطل ، وهذا حلال وهذا حرام ، وفلان مخطيء او ضال ، أو
نافع او ضار ، وهم على غير بينة فيما يقولون ، أو على غير اخلاص فيما به
يحكمون ، فالمنار يقول لمن يخوض فيه منهم ان كنتم تقولون الحق
فأبرزوه للقارئ ، وهاتوا برهانكم ان صادقين ، والا فأنتم بأكل لحم
أخيك بالنية ، وبجسدكم الذي زين لكم هذه الوقعة ، تقولون ما لا تعملون ،
أو تلبسون الحق بالباطل وتكتنون الحق وانتم تعملون ،

هذا واننا نشترط على المتقدم الذي نعد بنشر انتقاده أن يوجه انتقاده
الى ما كتبنا من المسائل العلمية دينية أو غير دينية مبينا موضع المسألة من
المنار بأن يقول ذكرتم في صفحة كذا من مجلد كذا ما هو كيت وكيت

وهو خطأ: ويبين ذلك بالدليل. ولا نمد بنشر الانتقاد المبهم «نحو انتم تقولون كذا» مما لعلنا لم نقله ولم يخطر ببالنا وإنما جاءه من وقية بعض الكاذبين او من سوء الفهم - ولا الانتقاد الففل من الدليل - ولا ما كان موجها الى الاعمال الادارية أو الشخصية أو اختيار الباحث والمسائل أو أسلوب الكتابة. فكل هذا مما ترك لنفسنا الخيار فيه، مع الشكر عليه، لان فائدته في الغالب خاصة بنا وعدم العلم بها لا يغزر القراء شيئاً

شروط الاشتراك

- (١) كل من قبل الجزء الأول من مشتركى المنار السابقين يمد مشتركاً فيه الى آخر السنة ويجب عليه دفع ستين قرشاً ان كان من مصر أو السودان وثمانية عشر فرنكاً ان كان من سائر الاقطار وان ردت المجلة في أثناء السنة لان ضياع بعض أجزاء السنة علينا كضياع جميعها
- (٢) يجب على من يطلب الاشتراك ان يرسل القيمة سلفاً وان يكون اشتراكه من أول السنة (الحرم) أو من منتصفها (رجب)
- (٣) اذا لم يصل الى المشترك أحد الاجزاء فان الادارة ترسله اليه بغير ثمن اذا هو طلبه في مدة لا تتجاوز شهراً واحداً من موعد وصوله اليه في بلده . واذا طلبه بعد ذلك كان عليه ان يرسل ثمنه كمن فقد الجزء وطلب بدله وثمان الجزء الواحد ستة قروش مصرية

﴿ تنبيه ﴾

لم تنشر في هذا الجزء شيئاً من التفسير لسبب عارض

القرآن ونجاح دعوة النبي

عليه الصلاة والسلام

وآراء علماء أوربا في ذلك

ألف القسيسون وأعوانهم من المتعصبين للنصرانية كتباً كثيرة في القرون المتوسطة يمثلون بها الإسلام في أقبح صورة ينزعها خيال الكاتب منهم على حسب تمكنه في الكذب والبهتان ولما ارتقت العلوم والفنون في أوربا وضمف التعصب الأعمى على المخالف بقدر ذلك كثر الباحثون من علماء الأفرنج في شؤون الشرق بالانصاف فتغير لذلك اعتقادهم في الإسلام والمسلمين وأنفوا في بيان مزايا هذا الدين التي كانت مجهولة وفضائل أهله التي كانت مبرومة كتباً كثيرة . ومن هؤلاء المؤلفين البرنس كاتاني الإيطالي فإنه ألف كتاباً في تاريخ الإسلام يقال به كتبه بحرية وانصاف بحسب ما وصل إليه علمه . وقد زار مصر في هذا الشتاء فاحتفى به نادي المدارس العليا واكرم مشواه واثنت عليه جرائد المسلمين ثناء حسناً . وقد ترجم المؤيد في أوائل هذا الشهر تقریظ جريدة التيمس لتاريخ البرنس كاتاني ومنه هذه العبارة :

« ومن رأي المؤلف على إعجاب الفائق بصاحب الشريعة الإسلامية ان مزية النبي هي كفاءته العجيبة كسياسي محنك اكثر منه كنبی موحى اليه . ويؤيد قوله بدليل سبق إهماله حتى الآن وهو ان حنكته وحسن

سياسة افاداً في تأييد سلطته أكثر من إفادة القرآن أو أي حجة دينية، اه
نص ترجمة المؤيد لمبارة التيمس
وهذا الذي قاله كاتباتي هو اعتقاد الافرنج المارفين بنشأة الاسلام،
وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام، أي انهم يتقدون ان النبي (ص) قام
بما قام به بحنكته وسياسته، لا بتأييد الله تعالى له بوحيه وعنايته، ولو لا هذا
لما كان لهم مندوحة عن الدخول في الاسلام، ومثل الافرنج في هذا
الرأي كل من لا يدين بالاسلام من علماء المشرق. فدعوى ان مجاح النبي
(ص) كان بسياسته وحنكته أي تجاربه هي أكبر شبههم على الاسلام
ومن الشواهد على ذلك من كلام علماء بلادنا غير المسلمين الاسطر
والآيات الآتية التي كتبها اليّ الدكتور شبلي شميل الفيلسوف المشهور
بعدم التدين . جملة عليها قراءة المنار وهي :

« اليّ عزاليّ عصره السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار
« انت تنظر اليّ محمد كنبّي وتجمله عظيماً وانا أنظر اليّ كرجل واجمله
أعظم ، ونحن وان كنا في الاعتقاد (الدين او المبدأ الديني) على طرفي
نقيض فالجامع بيننا العقل الواسع والإخلاص في القرب وذلك أوثق بيننا
لمرى المودة من صديقك الدكتور شبلي

(الحق اولى أن يقال)

دع من محمد في سدى قرآه ما قد نحاه للهمة الغايات (١)

«١» يريد بالغايات معناها القفوي وهي المقاصد يعني الدينيه ويعني بالامر بتوابعها

تركه البحث فيها أي انه يبحث في القرآن من حيث هو كتاب اجتماعي لا من حيث
هو كتاب ديني كما قال لنا مشافهة

اني وان الك قد كفرت بدينه هل اكفرن بمحكم الآيات
او ما حوت في اصع الالفاظ من حكم روادع للهوى وعظمت
وشرائع لو أنهم عقلوا بها ما قيدوا الممران بالعادات
نعم المدبر والحكيم وانه رب الفصاحة مصطفى الكلمات
رجل الحجار جل السيادة والدها بطل^(٢) حليف النصر في الفارات
ببلاغة القرآن قد خلب النهي وبسيفه أنحى على الهامات
من دونه الابطال في كل الوري من سابق او لاحق او آت



(المنار) كتب الدكتور الي بهذا لا ينشر بل ليقرأ على انه خواطر
جاشت في صدره ثم بعد ان نشر المؤيد ماشره عن التيمس ورددت
عليه في الجريدة اتأذنت الدكتور ينشر ما كتبه فاذن وهو كما يرى
التاريء اكثر من البرنس كاتاني تعظيماً لبي صلى الله عليه وسلم وكذا القرآن
الحكيم الذي لم يدرك البرنس كاتاني تأثيره لانه لا يفهمه كالدكتور شميل .
ومنح - على كوننا نشكر لشميل ما اعترف به من مزايا نبينا وكتابنا
ونسأل الله ان يهديه للباقي منها وهو المهم الاعظم - لا نقول انه اعترف
بنبوته ولا بحقية كون كتابه إلهياً . وننكر عليه اشد الانكار قوله ان النبي
صلى الله عليه وسلم من حيث كونه رجلاً أعظم منه من حيث كونه نبياً على
انهم لا يمتنون بمثل هذا التعبير الذي قاله شميل وكاتاني انه نبي وسياسي
وان نبوته اقوى من سياسته بل يمتنون انه نجح بسياسته لا بنبوته التي
ادعاها ولكن المؤيد غفل عن هذا وادعى ان مقاله كاتاني حق ولو كان
حقاً لكان هو وجميع علماء أوروبا وعلماء اهل الكتاب والوثنيين الطرفين

بتاريخ الاسلام كما هم على الحق واستنزم ذلك كون المسلمين على غير الحق فيما يتعلق بأصل دينهم لانهم يقولون بخلاف هذا القول ١١
 نهت « الجريدة » المؤيد الى هذه الهفوة وقالت ان ما ترجمه عن التيمس من قول كاتباني كفر ما كان لصاحب جريدة تفتخر بأنها اسلامية ان ينقله ويقره . فرد عليها صاحب المؤيد بقوله الآتي نقلا عن عدده الذي صدر في ٣ المحرم والعنوان منا فقط :

رأي المؤيد في القرآن

« أما نحن فنقول للجريدة . اننا نقانا عبارة البرنس كاتباني عن التيمس ونحن نعتقد انها ليست كفرا فلا نلام اذا لم ترد عليها وأما الجريدة فقد نقلها وهي تعتقدها كفرا ولم ترد عليها فهي المقصرة والمألومة
 « ان عرض البرنس كاتباني من عبارته ظاهر وهو الاعجاب باخلاق النبي صلى الله عليه وسلم واعتبارها فوق كل قوة دينية أخرى كانت له . والله تعالى يقول في كتابه الكريم « وانك لعلى خلق عظيم » فلم يرد البرنس كاتباني بقوله هذا حطا من شرف الدين الاسلامي ولا تحقيرا للقرآن الكريم وماذا يفعل القرآن وحده اذا كان الداعي به على اخلاق غير الاخلاق العالية التي اشتهرت عن النبي صلى الله عليه وسلم : بل القرآن نفسه يقول « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » فجعل مناط قوة ارتباط المؤمنين به والتفافهم حوله وانتصارهم له وفدائهم اياه بالنفس والمال سلامة أخلاقه من العيوب المنفرة . فلو كان فظا غليظ القلب ما نفعه قرآن ولا حمية دينية . وهذا كلام يقوله كل مسلم بعقل ويعرف ما هو الاسلام الذي

جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وروحه الاخلاق الشريفة التي أعجب بها
البرنس كابتاني

«وليس المقام مقام مقارنة بين القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم وأيهما
أفضل لان هذا لا يؤخذ من عبارة البرنس كابتاني ولا هو عرض مؤرخ
كبير كذا بل هذه المباحث العقيمة الآن تليق بجريدة مثل «الجريدة»
لا يذوق محررها طمها لكلام مؤلف ولا يعرف وزناً قيمة رأي مؤرخ
«أليس القرآن بيننا الآن كما هو بين المسلمين منذ وفاة النبي صلى الله

عليه وسلم حتى الآن ؟ فهل يستطيع مسلم ان يقول ان قوة الاسلام
الحقيقية كانت في عهد مثلها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وهل لذلك
سبب سوى الاخلاق العالية التي وهبها الله عز وجل للنبي صلى الله عليه
وسلم وهل اخلاقه الفائقة الا موهوبة من عند الله وهي معجزة من
معجزاته فهل يكون كافراً بالله من قال ان قوة هذه المعجزة بخصوصه
كان لها دخل في فتوحات الاسلام على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من
كل معجزة دينية أخرى

ان للقرآن الكريم وظيفة أخرى لا يشاركه فيها مشارك وهي كونه
شريعة الهية جمعت بين مصالح الدين والدنيا ففاق بهذه المزية كل الكتب
الالهية الأخرى كما فاقها في الاسلوب والبيان فهل ينقص من فضل
القرآن ومزنيته ان يقال ان أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم كانت قوة
تأثيراً في فتوحاته وبسطة سلطانه

«هذا ما أردنا بيانه وترك للجريدة المشاغبة واللغظ والوثوب من

خطأ الى غلط» اه كلام المؤيد

(المنار) ان المؤيد جرى في الرد على الجريدة في هذه المسألة على طريقة المراء المعتاد في المناقشات السياسية فحرف كلام كائتاني عن موضعه وجعله من باب الاعجاب بالاخلاق التي أكرم الله بها نبيه وتفضيل تأثيرها على تأثير القرآن وانما كلام كائتاني في غير ذلك اذ زعم ان جل نجاح النبي (ص) أو كنه سياسته وحنكته أي تجاربه - لا اخلاقه الموهوبة من الله - كما قال فيه الدكتور شميل انه رب السياسة والدهاء . وكان للمؤيد مندوحة عن تأييد شبهة كائتاني وتقويتها بأن يقول للجريدة انه سكت عليها لانه لا يطالب غير المسلم بأن يقول في الاسلام أكثر من ذلك مع العلم بأن المسلمين لا يأخذون عميدتهم عن مؤرخ نصراني . ولكنه لم يوفق لذلك فاضطررنا الى كشف الشبهة بالمقالة الآتية في الجريدة

رد شبهة المؤيد على القرآن *

يقول المنكرون لنبوة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام سواء كانوا من الأوربيين أو غيرهم ان ماتم على يديه من جمع كلمة الرب وكذا وكذا مما هو ثابت في التاريخ انما كان بالدهاء والسياسة وسمو الافكار وعلو الاخلاق الذي يكون عادة لكثير من الرجال كالبرنس بهمارك ونابليون الاول . وان ما ادعاه من النبوة وما جاء به من القرآن لا تأثير لهما في نفسها وانما التأثير له هو بنفسه وبهما لانه استخدمهما في تنفيذ

(*) كتبنا هذه المقالة في ادارة الجريدة على عجل ولم يكن في يدينا مصحف نراجع فيه عدد السور والآيات للشواهد التي أوردناها فيها فوضنا الاعداد الآن ولم نزد في اقلية شيئاً سواها بل نقلت عن الجريدة بحروفها

سياسة (٥:١٨) كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) ويعتقد المسلمون ان انبي (صلى الله عليه وسلم) بشر كسائر البشر لا يمتاز على غيره الا بالنبوة وما تستلزمه كما هو نص قوله تعالى (١٨:١١٠) قل انما انا بشر مثلكم يوحى اليّ) الآية. وقوله تعالى (١٢:١٠٩ و ١٦:٤٣) و٧:٢١ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم)

ويستقدون ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى سن الشباب وبلغ الأربعمين ولم يعمل عملا اجتماعياً ولا سياسياً وان ماتم على يديه بمد ذلك انما كان بالنبوة التي اختصه الله بها وبالقرآن الذي أوحاه اليه فكان روحاً أحياء به حياة جديدة وأحياء به من اتبعه فكان اهتداء الجميع بالقرآن لا بتأثير صفات النبي الشخصية كما قال تعالى (٤٢:٥٢) وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا) فالله تعالى هو الذي هدى المؤمنين بكتابه ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي هداهم بصفاته البشرية وكفاءته الشخصية ولذلك أنزل الله عليه قوله (٢٨:٥٦) انك لا تهدي من أحييت ولكن الله يهدي من يشاء) وقوله (٨:٦٣) لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما أنفقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم)

بل يعتقد المسلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتقي في أفكاره وأخلاقه بالقرآن نفسه فكما أنزل الله عليه شيئاً منه ازداد كمالاً به ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن أخلاقه كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وغيرهما ومما هداه الله تعالى اليه بكتابه مشاورة أصحابه في الامر فكان

يستشيرهم ويعمل برأي الجمهور وان خالف رأيه كما فعل في غزوة أحد وكانوا يسألونه اذا أشار بأمر هل هو وحي فيطاع بلا بحث ولا تردد أم هو الرأي ليدكروا ما عندهم فاذا قال هو الرأي ذكروا ما عندهم كما كان يوم بدر وقد ترك صلى الله عليه وسلم رأيه الى رأيهم

فمن هذه المجالة يعلم ان القرآن هو الاصل في هداية الرسول صلى الله عليه وسلم بهداية أصحابه عليهم الرضوان الى كل ماتم على يديه وأيديهم معه وبعده مما أدهش التاريخ اذ لم يجد له نظيراً ولو شئنا لا تبتنا بأكثر مما أتينا به من الشواهد على ذلك من الآيات والأحاديث ووقائع السيرة النبوية وتاريخ الراشدين ولكن ما جئنا به كاف في التذكير بما يؤمن به كل مسلم

هذا هو اعتقادنا نحن المسلمين وذلك الذي ذكرنا في أول المقال هو اعتقاد من ينكر صحة ديننا ونبوة نبينا (صلى الله عليه وسلم) ويزعمون ان الاسلام وما فيه من المزايا وما تم له من النجاح كان منشؤه سياسة النبي صلى الله عليه وسلم وحنكته كما يعهد من الرجال المظام عادة ؟

وقد نقل المؤيد في يوم الاحد الماضي عن جريدة التيمس عبارة للبرنس كياتاني الايطالي مؤلف تاريخ الاسلام في ذلك الاعتقاد الذي يراد به هدم الاسلام وهي « ومن رأي المؤلف على اعجاب الفائق بصاحب الشريعة الاسلامية ان مزية النبي هي في كفاءته المعجبة كسياسي حنك اكثر منه كني موحى اليه . ويؤيد قوله بدليل سبق اهماله حتى الآن وهو ان حنكته وحسن سياسته أفادا في تأييد سلطته أكثر من افادة القرآن وأي حمية دينية ؟ »

نقل المؤيد هذه المباراة وأقرها فانكرت عليه (الجريدة) ان
 ينقل الكفر ويقره على نخره بكون جريدته اسلامية وكونه من أبناء
 الازهر . فبماذا أجاب صاحب المؤيد على هذا الانكار؟ أجاب بأنه
 يمتقد ان تلك المباراة (التي تنيط بنجاح عمل النبي صلى الله عليه وسلم
 بالحكمة والسياسة لا بالنوة) ليست كفراً وبين ذلك بما هو العجب
 العجيب . قال في العدد الذي صدر أمس (يوم الاربعاء ثالث المحرم) مانصه :
 « ان عرض البرنس كياتاني من عبارته ظاهر وهو الاعجاب باخلاق
 النبي صلى الله عليه وسلم واعتبارها فوق كل قوة دينية أخرى كانت له
 والله تعالى يقول في كتابه الكريم « وانك لعلى خلق عظيم » فلم يرد
 البرنس كياتاني بقوله هذا خطأ من شرف الدين الاسلامي ولا تحقيراً
 للقرآن الكريم . وماذا يفعل القرآن وحده اذا كان الداعي به على أخلاق
 غير الاخلاق المالية التي اشتهرت عن النبي صلى الله عليه وسلم . بل
 القرآن نفسه يقول « ولو كنت فظاً غليظ القلب لا تقتضوا من حولك »
 فجعل مناط قوة ارتباط المؤمنين به والتفافهم حوله وانتصارهم له وفدائهم
 اياه بالنفس والمال سلامة أخلاقه من الميوب المنفرة فلو كان فظاً غليظ
 القلب ما تقمه قرآن ولا حمية دينية . وهذا كلام يقوله كل مسلم يعقل
 يعرف ما هو الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وروحه
 الاخلاق الشريفة التي أعجب بها البرنس كياتاني »

ونحن نقول له انه لا يوجد مسلم يعقل ويعرف ما هو الاسلام يقول
 ما يزعم صاحب المؤيد ان كل مسلم يقوله . وانما يقول كل مسلم ان روح

الإسلام هو القرآن الذي به بلغت اخلاق من أنزل عليه. تلك الدرجة العالية كما قالت عائشة وهذه هي العقيدة التي صرح بها القرآن في الآية التي أوردناها آنفا وهي «وكذلك أو عينا إليك روحاً من أمرنا» ولولا القرآن لما اجتمع حوله صلى الله عليه وسلم أحد ولما فعل شيئاً ولما فداه المؤمنون بالنفس المال فقد صرح الله تعالى بأن كل عمل له كان بالقرآن فهل يتبعه أم تتبع كإتاني وأضرابه الذي يقولون ان كل ذلك كان بمزايا الشخصية البشرية

كاد يقع بين الاوس والخزرج المدوان وتصلي نار الحرب لمناظرة وقت فنزل قوله تعالى (٣٠٣) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً) الآيات فرجموا وتابوا وأناجوا وحبل الله هو القرآن ولم يقل ان سياسة النبي وبنكته وأخلاقه هي التي الفت بين قلوبهم . على ان اخلاقه هي القرآن فهو أصل كل شيء

قال صاحب المؤيد بعد ذلك في الاستدلال على عدم كون القرآن هو منبع قوة المسلمين «أليس القرآن بيننا الآن كما هو بين المسلمين منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى الآن؟ فهل يستطيع مسلم ان يقول ان قوة الاسلام كانت في عهد مثلها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهل لذلك سبب سوى الاخلاق المالية التي وهبها الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم» ونقول في دفع هذه الشبهة ان المسلمين كانوا في قوة وعزة ما كانوا عاملين بالقرآن في عهده صلى الله عليه وسلم كانوا اشد استمسا كالحبل المتين وعروته الوثقى لصفات النبي الشخصية البشرية بل لنبوته وما لها من المزايا والقدوة به في تمسكه بالقران التي عاتبه الله تعالى على مخالفتها فيها بمثل

قوله (١:٢٠) طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ثم كانوا في زمن أبي بكر وعمر مقربة من ذلك ثم صاروا يتدلون بترك القرآن . ويعتقد كل مسلم عاقل عارف بحقيقة الاسلام انهم اذا عادوا الى الاعتصام به تعود اليهم قوتهم وعزتهم فهم ليسوا حجة على الاسلام (يا صاحب السعادة) بل القرآن حجة عليك وعليهم

فأدعوك الى التوبة والرجوع عما كتبت في أيدي أقوى الشبهات على الاسلام والقرآن والنبوة وأن تعلن توبتك في جريدتك وتصرح بأنك تؤمن بأن القرآن هو روح الاسلام وبوحيه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأهدائه به عمل بعناية الله ماعمل، وورد قول كائتاني ان حنكته وسياسته أكثر فائدة من القرآن ومن كل حمية دينية جباه الله هو ومن اتبعه اياها»
فان ذلك كفر وهدم للاسلام

محمد رشيد رضا

صاحب المنار

وقد أجاب المؤيد عن هذه المقالة بما يأتي نصه نقلا عن عدد المؤيد الذي صدر في سادس المحرم وهو :

ما عدا ما بدأ

قال اللورد كرومر أمس « ان الجامعة الاسلامية تسلمت السعي في القرن العشرين في اعادة مبادئ وضمت منذ ألف سنة هدى لهيئة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة وهذه المبادئ منها ما يجيز الرق ومنها ما يتضمن سننا وشرائع عن علاقات الرجال والنساء ناقضة لآداب أهل هذا النصر ومنها ما يتضمن أمرا أهم من ذلك كله وهو افتراف

القوانين المدنية والجنائية والمالية في قلب واحد لا يقبل تغييرا ولا
تحويرا وهذا ما وقف تقدم البلدان التي دان أهلها بدين الاسلام «
وقال البرنس كإتاني اليوم وان مزية النبي هي في كفايته السجية
كسياسي محنك أكثر منه كسبي موحى اليه - ان حنكته وحسن
سياسته أفادا في تأييد سلطته أكثر من افادة القرآن أو أية حجة دينية»
فلماذا اتسع صدرنا لمباراة اللورد ورأينا من اللياقة وحسن الادب
تأويلها مع انها كادت تكون مريحة في ان الدين الاسلامي دين وضي-
ولم يتسع صدرنا لما قاله البرنس مع ان عبارته تشير بأنه معترف للنبي صلى
الله عليه وسلم بأنه نبي موحى اليه وان قرآنه مفيد ؟
اذا كانت هناك بواعت حملت الشيخ رشيد على التفرقة بين الاثنين
وتشنيع احدي العبارتين - فان الحق الذي لا تتلاعب به البواعث يشهد
بان عبارة البرنس لا توجب الازم ولا التمييز بله الضليل والتكدير !!
بل الانصاف يتقاضانا الشاء على جناب البرنس والاعجاب بحرية
ضميره لا اعترافه بصدق النبوة كما أشرنا اليه آنفا .
أما كون البرنس جعل التأثير في تأييد سلطة النبي صلى الله عليه
وسلم للمزايا التي انطوت عليها نفسه الشريفة أولا ثم للقرآن ثانيا كما هو
نص عبارته - فهذا لا يقدح في فواه ولا يجمله من باب الكفر . نعم اذا
كان للبرنس رأي خاص في النبي صلى الله عليه وسلم كأراه بمض رجال
أوروبا فيه على ما أشار اليه الشيخ رشيد في مقدمة كلامه فهذا لا يلزمنا
مناقشة فيه ما دام انه مستور في نفسه بل نراه قد صرح بضده في
عبارته حيث قال انه « نبي موحى اليه » فهل لا تكون تلك العبارة قرينة

على ان البرنس ليس على رأي أولئك المنكرين لنبوته صلى الله عليه وسلم
وإذا راجعنا ما قاله المفسرون في تفسير آية «ولو كنت فظا غليظ القلب
لا نفصوا من حولك» رأيناهم يفسرونها بكلام يألف مع ما قاله البرنس
كإيتاني . فلم تكن عبارة البرنس إذن كفراً بل هي الحقيقة الدينية التي علم
بها القرآن الكريم .

«قال الطبري في تفسير هذه الآية احتملت (يا محمد) اذى من نالك
منهم اذاه وعتوت عن ذى الجرم منهم جرءه واغضبت عن كثير ممن لو
جفوته واغلظت عليه لتركك فيفارقك ولم يتبعك . ولا (أي ولم يتبع) ما
بمث به من الرحمة» فقوله الاخير نص في أن مزايا النبي الذاتية كانت
السبب في أن يتبعه العرب ويصدقوا بالقرآن الذي أتى به . وقال الالوسي
«لا نفصوا من حولك أي لتفرقوا عنك وتفرقوا منك ولم يسكنوا اليك
وتردوا في مهاوي الردى ولم ينتظم أمر ما بئس به من هدايتهم وإرشادهم
الى الصراط» فعدم فظاظته وغلاظته اللتين لو كانتا فيه لذهبتا بكفاءته
وحذكته وسياسته هو السبب الاول في انتظام أمر بئس . وقال بعض
المفسرين ما هو أصرح من كل ذلك كله قال «وكرر واحد من الامرين
(أي الفظاظه والغلاظة) لا يليق بمنصب النبوة: لان المقصود من البعثة
ان يبلغ الرسول تكاليف الله الى الخلق وذلك لا يتم الا بميل قلوبهم اليه
وسكون نفوسهم لديه وهذا لا يتم الا اذا كان رحيماً بهم كريماً يتجاوز عن
ذنوبهم ويماملهم بالبر والشفقة» فلولا كفاءته الذاتية التي هي عبارة عن
مجموع مواهبه ومزاياه وخصاله الكريمة لما تم أمر البعثة فلم يلتفتوا حواله
صلى الله عليه وسلم ولم يموا القرآن الكريم الذي أنزل عليه فالكفاءة إذن

هي العامل الاول في تأييده أو تأييد سلطته الذي أراده البرنس
فهل تكون بمد هذا كاه عبارة البرنس كفرا وطننا في الدين الى
حد لا تسعه صدورنا كما وسعت كلام اللورد ويكون المصريون مخطفين
في اقامة الاحتفال له واعلان التناء عليه - أم لا يكون شيء من ذلك
وانما للشيخ رشيد حكمة من وراء صنيعه هذا يعلمها هو والواقفون على
أطواره . وخفي أسراره اه كلام المؤيد
وقد ردنا هذا التمرية والمغالطة بمقالة أخرى نشرناها في عدد الجريدة
التي صدر في اليوم السابع من المحرم وهي :

جواب المؤيد عن شبهته

﴿ على القرآن ﴾

لا يترك المؤيد شئته في الجدل فهو يشاغب ويكابر في أصول
الدين وعقائده كما يفعل في المناقشات السياسية والشخصية فقد انكرنا
عليه ما كتبه في قيام الاسلام وثبات سلطته وعزوه اياه الى المسلمين
وقوله انه اعتقادهم وهو ان السبب الاول والعمدة فيه هو كما يقول
البرنس كائتاني سياسة النبي صلى الله عليه وسلم وحنكته أي ما أفادته اياه
التجارب . انكرنا عليه هذه الدعوى وبيننا له بالآيات البينات أن ذلك
كان بما آتاه الله من النبوة وانزل عليه من القرآن

فرد علينا أمس باتنا أولنا طعن لورد كرومر في الاسلام فلماذا
ننكر على البرنس كائتاني ونشنع عليه ونخطف المصريين الذين قاموا له
بالاحتفال فحصل جواب الشيخ علي يوسف عما انكرناه عليه هو اننا

فعلنا فيما مضى فعلاً كان يجب علينا ان نعيده الآن واننا شنعنا على البرنس كاتباتي وذلك يتضمن تخطئة المصريين الذين احتفلوا به .
 ولقد رأى القراء انه ليس في عبارتنا تشنيع على كاتباتي واكثر ما يفهم من ردنا على صاحب المؤيد ان ما قرره عن البرنس كاتباتي مخالف لعقيدة المسلمين في القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام وليس هذا بتشنيع عليه لانه ليس يعلم فيطالب بأن يكون كلامه مطابقاً لاعتقاد المسلمين . واما احتفال المصريين به فلم يأت له ذكر في كلامنا لاتصريحاً ولا لتلويحاً ولم يحتفلوا به لانه مسلم بل لانه كتب تاريخاً صرح فيه باعتقاده من غير تحامل ولا تعصب . وقد صرح لورد كرومر باتقاده فرأيت كما رأى المؤيد ان كلامه كاد يكون طعناً في أصل الاسلام فكتبت اليه كتابة كان أثرها انه كتب يبرئ القرآن والسنة من الطعن . وقد صرح صاحب المؤيد يومئذ بان ما كتبه لي اللورد هو رجوع عما كتب في تقريره . فانا الآن اطلب من صاحب المؤيد كما طلبت من اللورد تبرئة القرآن مما كتبه فسي ان لا يكون لورد كرومر خيراً منه في الرجوع الى الحق بعد ما تبين له

وغرض صاحب المؤيد مما كتبه ظاهر وسببه بين وهو انه عجز عن رد الججج التي دمغنا به دعواه في القرآن وصعب عليه الاعتراف بالحق الذي طالبناه به فانتقم منا بتحريض من احتفلوا بالبرنس علينا وهم أعلى فيها وآداباً من ان ينخدعوا بمثل ما كتب . ولم يذكر انكارنا عليه حتى لا يدري به من يقرأ المؤيد ولم يكن اطاع على الجريدة يوم الخميس الماضي تلك شفشتته وذلك مبلغه من العلم ولولا انه عاد الى تأييد قوله

الاول - بأن اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فوق كل قوة دينية كانت له أي فوق اصطفاء الله له بالنبوة وتأيدته بالقرآن وان العمدة في نفوذه هي السياسة والحكمة - واحتج بقوله تعالى «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» لما كتبنا اليوم شيئاً في إعادة دعوته الى التوبة مما كتب والرجوع عنه كتابة في المؤيد

أما الدليل في المقالة الاولى علي ما قلنا انه اعتقاد المسلمين وأيدناه بالآيات والاحاديث ومنه ان اخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) العليا وسياسته المثلى مستمدة من القرآن فصرف الشيخ علي نظره عن ذلك وعاد ينقل انما قاله بعض المفسرين في قوله تعالى «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» ولم يذكر الآية بتامها لانها حجة لنا عليه فكان مثله كمثل من استدل على تحريم الصلاة بقوله تعالى «يا أيها الذين امنوا اتقوا الصلاة» وسكت عن قوله «وانتم سكارى» الخ

هذا نص الآية (١٥٩:٣) فبإرحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) فهل تدل هذه الآية على ان تلك الاخلاق العالية والمعاملة الحسنة كانت بتأييد الله اياه وتأديبه له بالقرآن كما نعتقد نحن المسلمين أم كانت بسياسته وحنكته أي تجاربه صلى الله عليه وسلم كما يقول الشيخ علي يوسف تأييداً لكلام البرنس كإتاني ؟

ألم يصرح جهاينة المفسرين بان قوله تعالى «فبإرحمة» يفيد ان هذا كان برحمة الله وتوفيقه اياه وان تأكيد السببية هنا بلنظ «ما»

يدل على الحصر كما في الكشف ومعنى هذا انه لم يكن ذلك بكسبه واجتهاده ولا سياسته وتجاربه وانما هو بتأييد الله وتوفيقه . وذلك من آثار النبوة التي هي غير مكتسبة بالتجارب والسياسة ؟؟ ويؤيد ذلك بقية الآية وبأمثالها هي وامثالها بمعونة تلك الرحمة كان رؤوفاً رحيماً لا فظاً ولا غليظاً. ويدعم ذلك قوله في اخرها « فاذا عزمت فتوكل على الله » ولم يقل توكل على سياستك وتجاربك

ومن أمثلة هذا في القرآن قول تعالى (٨٠:١ عبس وتولى ٢ ان جاءه الا عمى) الآيات وسببها معروف ملخصه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو عظماء قريش الى الاسلام في أول الاسلام فجاءه عبس بن أم مكتوم الا عمى وهو من السابقين الاولين يسأله ان يعلمه فعبس (ص) وأعرض عنه لثلاثين من اقباله عليه أولئك الكبراء وكان من اجتهاده (ص) يومئذ ان الكبراء اذ دخلوا في الاسلام أولاً لا يابث ان يتبهمم الناس فعاتبه الله على ذلك عتاباً شديداً ونهاه عن مثل ما فعل فقال (٨٠:١ عبس وتولى ٢ ان جاءه الا عمى ٣ وما يدريك امله يزكى ٤ او يدكر فننقمه الذكرى ٥ اما من استغنى ٦ فانت له تصدى ٧ وما عليك الا يزكى ٨ واما من جاءك يسعى ٩ وهو يخشى ١٠ فانت عنه تلغى ١١ كلا» فعمل صلى الله عليه وسلم بهذا التأديب والتعليم الالهي من أول الاسلام فكان ذلك عوناً على استمرار دعوته التي كان روحها والمؤثر الاكبر فيها هو القرآن لا السياسة والحنكة كما يدعي الشيخ علي يوسف

اما الدلائل الثقلية على تأثير القرآن في جذب العرب الى الاسلام

فهي كثيرة وأذكر لسعادة صاحب المؤيد منها اسلام عمر رضي الله عنه وهو الذي أعز الله به الاسلام كما ورد . كان عمر في الجاهلية فظاً غليظاً ولما سمع باسلام اخته وختنه (زوجها) عظم عليه الامر فجاءها وضربها حتى أدماها وكانت تقرأ هي وزوجها صحفاً من القرآن الكريم فأخفتها عنه فما زال حتى أخذها وقرأها فجذبه الى الاسلام جذباً وكان بعد ذلك من رحمة أن كان يطوف بالليل يتفقد المحتاجين وقصته في حمل الدقيق ليلا الى موضع تلك المرأة البائسة وطبخه مشهورة

وحسبك من تأثير القرآن ان كان الغالون في العناد والجدود من كفار قريش يهربون من سماعه ثملا يجذبهم الى الاسلام بقوة تأثيره (٢٦:٤١) وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن وانموا فيه لعلكم تغلبون

فأدعو سعادة الشيخ علي يوسف بعد هذا البيان الى الرجوع عما كتبه من قبل والتصريح بان قوة النبي الدينية ، كانت فوق كل قوة له بشرية ، وكل سياسة وحنكة عادية ، وان القرآن الحكيم هو منشأ آدابه واخلاقه وسياسته عليه الصلاة والسلام وان سيادته وبجاحه كنا بذلك قبل كل شيء وفوق كل شيء والسلام على من اتبع الهدى

محمد رشيد رضا

منشئ المنار

وبعد ان نشرنا في الجريدة ما تقدم رأينا كثيرا من اهل العلم والغيرة مرتاحين مسرورين بما كتبناه وقالوا ان هذا الرد من فروض الكفاية تمت به فسقط الحرج عن كل عالم قادر عليه . وكتب الينا عبدالله افندي الانصاري مدرس العلوم العربية في المدرسة التوفيقية ما يأتي :

حضرة العلامة الفضال صديقنا الصادق في الله تعالى السيد محمد

رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله . اما بعد فلقد اطلعت في صحيفة المؤيد
على ما نشرته من رأي البرنس كاتاني في محمد صلى الله عليه وسلم
ومجادتها منه وعلى ما جاء في الجريدة عن ذلك وردكم هو الحق الصراح ،
والنور الوضاح ، والبيان الفصاح ، لدعائس الملحدين ، لنور رب العالمين ،
بجزاكم الله خيرا عن الاسلام واهليه ، والشرع وحامله ، ولما رأيت
مجادلة صاحب المؤيد عن ذلك الرأي ، واصراره على عدم رفق هذا الفتق ،
والانصياع الى سلطان الحق ، محاباة في الرد ، ومداراة للقصد ، اختلست
ساعة من أوقاتي المملوءة بالاشغال المدرسية ، كما لا يخفى لتحرير هذه المقالة
تأييدا لرأيكم الاصيل ، وتسديدا لقولكم النبيل ، فأرجو نشرها ان
استحسنتم في مناركم الرفيع والسلام عليكم اولا وآخرا وباطنا وظاهرا
من أخيك عبد الله الانصاري

وهذه هي مقالة الاستاذ الانصاري المفيدة بنصها

لا هواءة في الدين

لقد جاء انتقاد الجريدة وردودها على ما نشرته صحيفة المؤيد من
رأي البرنس كاتاني في مبلغ الرسالة الاسلامية واعجابها به مطلقا لما اتقه
في صدور ذوي الغيرة على الدين بنفثات الدين يريدون المحاباة في الاسلام
والتساهل الذي قد اتخذته كثير من دعاة المدينة المصرية من المسلمين
وسيلة الى احداث شأن جديد في الدين عند من اكبرتهم نفوسهم ممن

من لا تروج لديهم بضائع اهل الملل والاديان ولا يروق في نظرم ان ينسبوا ما جاء في الشرائع الالهية، وعلم من آداب الاديان السماوية، الا الى مجرد فطنة ودهاء واضمها بصفة كونهم ساسة عقلاء لا رسلا وأنبياء ذلك ما يقرع الاسماع كثيرا من بعض المخالفين في كنه العقيدة الاسلامية وما القصد من ذلك الا ان ينيض اعتقاد المسلمين في قرآنهم القائم بين أيديهم الى الآن وتقصم عراه من قلوبهم فلا يتمسكون به حتى يضموا أيديهم في يد اهل المدينة الفرية، ولو آل الامر الى المجازة في مثل ذلك الرأي ونبد عقيدة ان الدين وضع الهي وان الكتاب وحي سماوي لم يكن للرسل فيه ولا للالتفاف الناس حولهم الا التبليغ والتبيين « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا » هوّن ذلك التساهل على سعادة صاحب المؤيد أن ينشر على ملا المسلمين ذلك الرأي بصورة راقية ويجادل عنه وكله كما لا يخفى على بصير مناسخ مخالفة لصرح القرآن، هادمة لمبنى الايمان، اذ يجمل نجاح الدعوة المحمدية، بما كان له صلى الله عليه وسلم من كمال الاخلاق البشرية والحنكة - التي ربما يقولون بهد «انها كما تكون له تكون لغيره من البشر قبله وبعده من العقلاء والمجربين، والساسة المحنكين» -

اكثر من كونه نبيا رسلا، وصاحب كتاب منزل

هكذا قال آية الحق من العرب ومكابروهم فيه وقد خصهم الله وألزمهم الحجّة واتمى الامر باعتراف المؤمن وغير المؤمن بسمو مكانة القرآن الكريم عند من يدرك معناه ويتصور مبناه من حين نزوله الى اليوم . أما الآن وقد مضى على التنزيل اكثر من ثلاثة عشر قرنا فقد

اصبنا نروج هذه الدعوى ونرضاهما على لسان الميوس كاتاني ليقال انا متساهلون متساهلون، او متورون متمدون

لست اقصد رمي سعادة صاحب المؤيد بما رمت به الجريدة من المروق لنشر هذا المعتقد وترويجه بين المسامين وانما اقول أولا لانصدق ان سعادته لا يصل ذهنه الى اعماق هذا الرأي وما وراءه ولا نسي الظن فيه بكونه يرضاه عقيدة له فلم يكن هناك الا ذلك التساهل الذي ما ساق كثير من الناس اليه الآن إلا اعظام كل ما جاء على السنة متقصينا من موافق ومخالف، والزهد فيما لدينا من تالد وطارف، وإلا فليس ما رضىه الشيخ اليوم عن كاتاني بأهون مسا ولا اخف وخزافي احشاء الاسلام من ذلك الرأي الغابر الذي ارهف له قلمه وجرده يقطر غيرة وحمية، ام هي الاهواء، تقبح وتحسن ما تشاء،

ما أخسرنا واضينا في كل حال لو بذلنا في اغراضنا ومقاصدنا الدينوية اسلامنا وطوحنا بقرآنا في مهاوي التساهل الماحي والتساح المالحق لدرك كلمه تقال فينا أو جذب عاطفة تشهد لنا باننا رقيقنا وادر كناننا شأوا المتقدمين ما تشرّب اليه الأعناق وما نحن ببالفي ذلك منهم ولو صرنا لعبادتهم خاضعين

نشأ محمد صلى الله عليه وسلم أميا بين اميين ليسوا اهل ملك وسياسة حتى بلغ الاربعين ولم يكن له من شؤون دنياه في اكثر حالاته الا الاشتغال بعبادة ربه والاتقطاع عما فيه الناس حينئذ فهو الى ذلك الحين أبعد عن مجاري السياسة، ومواج حيل الرئاسة، حتى صدع بالدعوة بلا هوادة فيها وسار بها من أول امرها وفي جميع اطوارها برعاية ربه وعناية مرسله

سيرا حثيثا كان له فيه القلب من اوله الى آخره بين جدال وجلاد، وبلاء واجتهاد، والقران لا غير مصدره ومورده، ومرشده ومعتده، في كل شيء . ولقد كان يرجي الامر حتى يتلقى فيه قرآنا ونحن نخطب بذلك من يتصورون أطوار الرسالة المحمدية ويتخيّلون حالة الامة العربية حينئذ ويمضون في فهم كتاب الله ويقدرونه قدره وما كان عليه العرب من النزول على حكم البيان الذي بلغ في القرآن مبلغ الاعجاز فكان عليه وحده في الهداية ونجاح الدعوة المعول اكثر من كونه صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم او ذا سياسة وحكمة

(وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وابك لهدى الى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور)

لم يذق أحد من نباء المسلمين اليوم ولا قبل اليوم بقرون فضلا عن المسيو كابتاني حتى سعادة الشيخ علي يوسف ما ذاق أصحاب النبي في هده من القرآن وهم في حجور الوثنية، واحضان الهمجية، فانتشلهم وطهرهم فكان موقع القرآن منهم . وقع الزلال من ذي الغلة ، والدواء من ذي الغلة ، والا فما كان يفعل محمد صلى الله عليه وسلم بدون تأييد الوحي المنزل الذي هو حجته الكبرى وآيته العظمى القائمة عند من له قلب أو ألقى السم وهو شهيد فلا يقال حينئذ « والا فالقرآن بين أيدينا ولم يعمل عمله فينا » (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)

لم يرتض اصحاب رسول الله ما قاله أبو سفيان وقد أقيمت جموع الفتح قبيلة قبيلة وهو قائم بين جمع من الصحابة وفيهم (العباس) أهدأ عمم النبي صلى الله عليه وسلم حتى اقبل مع ابي بكر وعمر في كتيبه الخصراء يقولون الحمد لله وحده، صدق وعده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فقال أبو سفيان (لعثمان) صار لابن اخيك ملك عظيم . فقال له يا ابا سفيان - انما ذلك الوحي والرسالة . فكيف رضي او تقبل ان يكون ما وصل اليه - نبينا من الظفر والقلب في أمر دعوته الى الله بسياسته وحنكته ، أكثر من نبوته ورسالته؟ اللهم انا نبرأ اليك من هذا براءة الحق من الباطل . فليصن سعادة صاحب المؤيد غيرته على الاسلام من ان يفض طرفه على اذى فيه فرب تالمبح انكأ من تصریح ، ومدح آلم من تجرح ، وليحفظ مكاتته في قلوب أهل الله ، من ان يحابي في دينهم ، على مرأى ومسمع منهم ، فانه لاهوادة في الدين عبدالله الانصاري

(المنار) هذا وان الموضوع يتسع لإطالة القول وإيراد الشواهد الكثيرة من الآيات الكريمة والسيرة النبوية وانما اكتفينا بما كتبناه على عجل في إدارة «الجريدة» لاننا نقصده تذكير المسلمين، لا إقامة الحجة على المخالفين ، وقد سكت صاحب المؤيد بعد نشرنا المقالة الثانية ويغلب على ظننا انه ندم على ما فرط منه ولكن كان يجب عليه ان ينشر حقيقة العقيدة الاسلامية في ذلك بالمؤيد ليطلع عليها من قرأوا كتابته الأولى اذا ما كل من يقرأ المؤيد يقرأ الجريدة (وبالعكس) ولو فعل لما نشرنا شيئاً من هذا البحث في المنار .

ماهي اللغة

خطبة احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحفانية
في نادي دار العلوم

الفكر حركة نفسية يحتاج في ظهوره الى معونة الجهاز المخصوص الذي يكون به الكلام . وعليه فالكلام هو حركة ذلك الجهاز المنبثثة عن مجرد الطبع او المدفوعة بالارادة للتمبير عن حركة من حركات النفس . ينتج من هذا ان الكلام يتنوع باختلاف الشارات التي تدل على الافكار وان تلك الشارات تنقسم الى قسمين طبيعية وصناعية

فالاولى هي التي تصدر عن الذات من حيث هي اي بمقتضى وجودها المادي وكل شارات هذا القسم عرضية مثل شارات اليد والرأس والعين وبقية الاعضاء ومثل الاصوات التي ليست الفاظاً والكلام اي النطق والثانية خارجة عن الذات وهي تحدث من تأثير الانسان في المباديات الخارجة عنه وكل شارات هذا القسم جوهرية بمعنى ان لها دواماً طويلاً كان او قصيراً كالاعلام والنقش او الرسم والحفر والكتابة ومما تقدم يتبين ان الكلام الطبيعي عام لكونه مفهوماً بذاته مع جميع الناس ومن الحيوان احياناً كما هو الحال بالنظر لشارات الاعضاء واصوات الغضب او الاستحسان من غير ان يكون هناك اتفاق سابق على مفهوم تلك الشارات

وعلى خلاف ذلك الكلام الصناعي او الاتفاقي لانه عبارة عن مجموع

الالفاظ المخصوصة الموضوعة للمعاني المخصوصة وعن التراكيب والصيغ
الناتجة من تأليف هذه الالفاظ لتوصل الى الذهن بواسطة الاذن او العين
معاني مخصوصة متفق عليها

وقد يتأني ان يكون الكلام الصناعي عاما اي ان كل الناس يدركون
المراد منه كالرسم مثلا وعلى هذا يتضح خطأ تعريفهم اللغة بأنها اصوات
يمر بها كل قوم عن اغراضهم

والصحيح ان اللغة هي مجموعة العادات المخصوصة التي تجري عليها
كل امة في التعبير عن اغراضها بواسطة الكلام او الكتابة وتقدم بيان
معنى الكلام

ولا يصح اطلاق اسم اللغة على ذلك المجموع الا اذا كانت النسبة
تامة بين اللفظ ومدلوله لان قوة اللغة متوقفة على شدة المطابقة بحيث ان
الاذن او العين ترسم في ذهن السامع او القارئ صورة المدلول كما هي
ولا يتم ذلك الا باجتماع شروط ثلاثة

الشرط الاول ان يكون لكل مدلول علامة خاصة به تدل عليه
دائماً ولا تدل على غيره ابداً

الشرط الثاني ان تكون هذه العلامة قابلة للتعبير بتغير المدلول وتبعاً له

الشرط الثالث ان تكون قابلة للاشتقاق لمدلولها فاذا اشتق منه

مدلول اشتق منها علامة دالة عليه بالشروط عينها

وبناء على ما تقدم تكون شروط اللغة الحقيقية بهذا الاسم ثلاثة ايضاً

الاول . ان يكون تعبيرها محكما وذلك عبارة عن تمام المطابقة بين

الدال والمدلول ولا سبيل الي هذا الا اذا سهل استعمال اللفظ قدر المعنى ولم يزد المعنى عن اللفظ المستعمل لاجله وهذا الشرط صعب التوفر فما وقت لفة حتى الآن لنيل هذه المزية اللهم الا لفة علماء الرياضة بل ان اللغات الاخرى لن تنالها ابداً

الثاني الملابسه وهي الخاصة الموجودة في الالفاظ او التراكيب اي الصيغ . تلك الخاصة التي يدرك بها الفاهم نظائر المدلول ونفائضه والملابسه تقتضي تحليل الفكر الانساني وذلك غير ميسور عادة في اللغات الاصلية الا نادراً

الثالث الوضوح التام وهو يرجع للشرطين السابقين ولصناعة ترتيب الالفاظ وتركيب الجمل ترتيباً وتركيباً يتقني معهما الابهام ويرفع الشك والالتباس ومن اللغات ما تميل باهلها الى الاغراب في التعبير " ب في ظلمتها وتسر فهمها وكما كان القول طيميا اي بسيطاً " " طرق الكلام على انها طريقة العلم

النسبة بين تلك المقدمة وهذه النتيجة فاني

احمل لغات امم اوروبا المعروفة بهذا

غيرها فاجدها لغات ممتازة تماما

هولا يعرف كلمة واحدة

تتجية هي لفة

اعن اصاها

نه

على ذلك لا تحصى يعرفها كل من تعلم لغة واحدة اجنبية . ثم يعملون ذلك حتى في العلوم قري الحكيم الفرنسي وهو يقرر مذهبه عند ما يأتي على ما يخالفه من مذاهب الالمان اذا وصل الى معنى خاص باحدهم لم يفكر ان يعبر عنه بغير لفظه الالمانى وهكذا ثم يذكر بهامش كتابه معناه ما كان هذا يفسد لغة من تلك اللغات ولا يثير عاطفة الخناز والاشفاق عليها بل ما ازدادت لغاتهم بهذا الاطلاوة ويسراً بل تكاد هذه الطريقة تجري عند الامم الغربية عامة لتكون الالفاظ الغربية عن لغتهم برهانا عن سعة مداركهم ورحب صدورهم لكل نافع وكل مفيد ولتكون دليلا على مصدر المسمى ومذكرة بجزء من ترجمته

قالوا ان ذلك جائز عند التماثل احرف هجائهم واحاد صورها واشكالها واما نحن فلا قبل لنا على عمل ما يعملون لاختلاف احرف هجائنا وصورها واشكالها ولست أرى في هذا الاعتراض الا انه دليل أحد امرين فاما شعورهم بجزنا عن المجازاة التي تور في همتنا او قصور في معارفنا واما ان احرف هجائنا واشكالها وصورها محتاجة هي أيضاً الى الاصلاح لتمكن من تناول كلمات الغير باشكال وصور تجعلنا نتفق كلماتهم كما ينطقون ونقل عنهم كما هم عن بعضهم ينقلون

نحن اما عرب او مستعربون واما اجانب عن لغة العرب او مولدون فان كنا الاولين فلنا حقنا في التصرف بلغتنا كما تقتضيه مصاحبتنا وان كنا مستعربين فبحكم قيامنا مقام اصحاب هذه اللغة وبكوننا ورثناها عنهم بعد ان بادوا ليس لأحد ان ينازعنا في استعمال ما كان مباحاً لآبائنا من قبلنا وان كنا اجانب او مولدين فن له يسيطر علينا ويحرمنا ثمرة الكد

في حفظ هذه اللغة وتفضيلها على غيرها من سائر اللغات فيلزمنا بالبقاء على القديم ومحكم علينا بالجمود واعتقال اللسان اخذ العرب المعلوم عن اهلها ونقلوها الى لغتهم فلما وجدوا منها استعصاء في بعض المواضع ذللوها واخضعوا الغريب عنها لاجرامها فأيسرت ودرجت بعد الجمود فكانت لهم نعم النصير على ادراك ما طلبوا من نور وعرفان

نسينا نحن ان زماننا غير زمانهم فكانوا اصحاب حول وطول وذوي مجد وسلطان ونحن على ما نعلم من الضعف والازواء على انهم في عزم وهدى فخارهم وتمكنهم من انفسهم لم يعترفوا بلغتهم فينفروا من العجمة لانها عجمة بل استخدموها حيث وجب الاخذ بها تمكينا للغتهم وحنرا من ان يصيبها الوهن اذا تعدوا بها عن مجازاة تيار التقدم وهم اولو الرأي فيه وخوفا من ان يعيقهم الجمود فيها عن حفظ مركزهم العظيم بين الامم التي كانت تعاصرهم . أيجوز لنا أن نتخلف عن السير في طريقهم والاسترشاد بهديهم والعمل بطريقهم بحجة انهم انقرضوا وبادوا فلا حق لنا في متابعة الرقي ولا يجوز ان نمخطوا بدمهم خطوة الى الامام لكن من الذي استأجرنا حراسا من الخرس على هذه الوديعة؟ وبأي قوة اخضعنا على الوقوف هذا الموقف موقف الاستكانة وقطع الرجاء وفقدان الهمة وانحلال المزامم انقص في الافهام ، ام قصر في الاجسام ، ام جهل باننا من البشر لنا كل حقوق الانسان ؟ ؟

ليس لنا ان نتمسك بالقديم لقدمه وان اصبح عديم الجدوى ، والا فاولى بنا ان نكف عن الدرس والمطالعة وان نكتفي من كل شيء بما ورثنا

عن الابهاء لنعيش كما عاش الاولون . غير اني ارجوكم ان تعلموا الصبر فلا تجزعوا اذا اصابتم مصائب التقدم فتركتم آخر القوم ، ولا تحزنوا اذا هصرتم عوامل الرقي فنسيم بن يقف متفرجا عليكم وانتم كالصخور المتحركة الناطقة لكنها تتحرك بحركة هي عبارة عن اهتزاز الشيء مكانه وتنطق اللغة دائرة قد خلت من العلم الذي اصبحت دارجا على السنة المتفرجين جزع خصوم مذهبنا على اللغة العربية وحسبها طعاما سهل التناول والهضم في ممد اللغات الاعجمية فاستجاروا من التعريب وصاحوا انا لا نطبق اسما عجيبا يدخل عليها

اليس هي تلك اللغة الحافظة بالالفاظ والتراكيب العالية والقول النصيح المصونة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهي لن تأربعض كلمات تدخل عليها في كل عام بل ان هذا العمل مما يؤيدها ويشد أزرها ويرفع مقامها بين اللغات فلا يطعم الاعاجم في اعتبارها من اللغات الميتة

قالوا ذلك يفسد علينا لغة القرآن وما أسد ما اجاب به عن هذا الاعتراض حضرة الفاضل السيد رشيد افندي فلاخوف على القرآن مادام في الوجود مسلم . الا ترون ان القرآن محفوظ مصون عند من لم يعرف العربية من المسلمين اليكم الترك والهند والصين والقوقاز والروسيا تلك امم تعد خلقاً كثيراً من المسلمين لا يعرف الواحد منهم غير لغة امته وهو مع ذلك يحرص على القرآن أشد من حرص الجبان على دمه

أيجزم ان تحافظوا على القرآن بيمينكم وتفسحوا المجال في لغتكم للتقدم باليسار لتناولوا السطادتين وتكونوا من الناجحين في الدارين؟

قالوا العلم نافع قالوا كثير منه يخالف للدين قالوا الحضارة تهددنا
فلتقم بها قالوا هي يخالف الدين قالوا حدثت مستحدثات فسموها قالوا
حرام عليكم ان كنتم فاعلين . من جراه هذا قال الفريج عنا انا قوم جامدون
وما جودنا الا من الدين فصحنا مع هذا وقتلنا لهم بل انتم قوم ظالمون .
مالنا وللدين نجره في كل امر وتقيمه حاجزا في وجه كل باحث حتى في
الامور التي يأمر هو بتناولها . يأمرنا الدين بتعلم ما خلق الله وان نسير
على سنة التقدم التي سنها للبشر ونحن كل يوم في احجام بدعوى يعلم الله مقدار
بعدها عن الحق والصواب

عليكم بالتقدم فادخلوا ابوابه المفتحة امامكم ولا تتأخروا فلستم
وحدكم في هذا الوجود ولا تقدم لكم الا بلفتكم فاعتنوا بها وأصلحوها
وهيئوها لتكون آلة صالحة . فيما يتفوز لكن لا تكثروا من الاشتقاق
الخارج عن حد القياس المعقول ولا تشوهوا صورتها الجميلة بتعدد الاشتراك
او التجوز ثم لا تقفوا بها موقف الجمود والمعجمة تهددها على السنة العامة
وهي لا تلبث ان تدخل على لغة الخاصة . اقيموا في وجه هذا السيل
الجارف سدا من الاشتقاق المعقول والترجمة الصحيحة والتعريب عند
الضرورة لتكفوا من الناجحين اه

(المنار) ألقى أحمد فتحي باشا هذه الخطبة في الاجتماع الثالث

لنادي دار العلوم وزاد عليها ما جادت به البديهة ارنجالا من الفوائد
والنصائح . وخطب بعده حفني بك ناصف رئيس النادي خطبة مطولة
في اللغة وفنونها . وافق الجمهور بمدد ذلك على وجوب التماس الالفاظ العربية
للمستحدثات بالترجمة والتجوز والاشتقاق ثم يلجأ الى التعريب ان لم يتيسر ذلك

وقد كتب الينا النادي صورة هذا الاتفاق بالمبارة الآتية وأرسلها الى جميع الصحف المشهورة :

قرار نادي دار العلوم في الترجمة والتعريب

هذه صورة القرار الذي صدر بنادي دار العلوم في الساعة العاشرة من مساء يوم الخميس ٢٠ فبراير سنة ١٩٠٨ بعد سماع ما قاله جميع الخطباء في موضوع تسمية المسميات الحديثة فقرر ان يكون العمل على النحو الآتي: يبحث في اللغة العربية عن أسماء للمسميات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لفة فاذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد يستمار اللفظ الاعجمي بعد صقله ووضع على مناهج اللغة العربية ويستعمل في اللغة الفصحى بعد ان يعتمده المجتمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض رئيس النادي حنفي ناصف

(المئارة) قد تحامى رئيس النادي في عبارته اللفظ الذي اتفق عليه جمهور من حضروا الاجتماع الاخير من اعضاء النادي وغيرهم وهو لفظ (التعريب) فقال «يستمار اللفظ الاعجمي» وهو يرمي بذلك الى عدم تسمية ما يؤخذ من الكلم الاعجمي معربا بحافظة على اصطلاح المتقدمين. ولكنه عبر بلفظ اصطلاحى آخر من الاستعارة وهو لا يقصد به معنى الاستعارة في فن البيان وانما يقصد معناه اللغوي المرافق للاصطلاح الشرعي والمتبادر انه يرمي بذلك الى ان هذا الاخذ يجب ان يكون من قبيل المارية التي تستعمل زمنا ثم ترد ولكن هذا خلاف ماوافق عليه الجمهور كما تقدم ولسله قرار خاص لمجلس ادارة النادي. وعلى هذا يكون الخلاف في المسألة على حاله

الدين الاسلامي والمدنية

رسالة لصاحب التوقيع اقدس بها بعض شهادات علماء الأفرنج للاسلام والعرب
نشرناها ترغيباً لئله في هذا الموضوع وان سبق لنا نشر هذه الافكار في المآرام

(فهرس) حالة العالم قبل وجود الديانة الاسلامية - حقيقة الديانة
الاسلامية - اخلاق محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته - الدين الاسلامي دين
الفضرة - الدين الاسلامي دين المدنية والترقي - سديو ودروي - اثبات
نبوته صلى الله عليه وسلم - قول العمرانيين فيه - حكم المؤرخين عليه - الاسلام
ليس بدين جديد - الدين الاسلامي ليس بالدين الضيق - كل رقي في
العلوم الطبيعية يدعو الى التقرب من الديانة الاسلامية - الدين الاسلامي
هو أنشودة الفلاسفة في المستقبل

اني اكتب ما اكتب عالماً علم اليقين ان الديانة الاسلامية ليست
بالشيء العويص الذي لا يمكن للانسان استكناه مجاهيله، أو استشفاف
مساثيره، بل هي مما يمكن تحققها بالاختبار والتجربة اذا صمد الانسان
بمنطاد بحته الى سماء الحقيقة غير متمصب لفريق دون آخر فهذا يطل
الانسان على كبد حقيقتها ويعرف كنهها من سمو ترتيبها ومثانة قواعدها
واحكام نظامها فيحكم بأنها ليست بالديانة التي اوجدتها قريحة آدمي مهما
حاز الصفات والكمالات ولكنها هي هداية الآهية، يخالف جوهرها جوهر
الافكار البشرية -

ظهر النبي صلى الله عليه وسلم في بلاد العرب وقد كانت قومه في هوة الأخطاط بميدان عن التمدن والرقى الفكري يدلك على ذلك وأدهم لبناتهم وهن على قيد الحياة وعبادة الاوثان وغير ذلك من الاخلاق الذميمة التي تقضي بمتبعتها الى الخسران والهلاك المبين وليست بلاد العرب فقط هي التي كانت في تلك الحالة بل ما جاورها ايضا من بلاد الرومان في الغرب وبلاد المعجم في الشرق فان هاتين الدولتين كانتا يتنازعا الحياة وناهيك بما حصل في شأن ذلك من الفتن والقلاقل التي لم تدع قلباً سليماً في البشرية يتمتع بالراحة الا واستقرت بما هو أمر من الصاب والمطمئن - كل هذه القلاقل المزعجة والكوارث المدممة جاء الاسلام ليحوها من على ظهر الوجود وليؤيد السلام العام والوثام التام وليكون واسطة بين التمدن الحديث وبين التمدن القديم فلم يمض غير قليل بعد وفاته صلى الله عليه وسلم الا ورأينا بلاد العرب في وقت واحد ترسل جيشين أحدهما لمحاربة القياصرة والثاني لمحاربة الاكاسرة ففتحوها وانها لت عليهم خيراتها وظلوا ناهجين في التقدم الى ان بلغوا في ظرف ثمانين سنة ما لم يبلغه الرومان في ظرف ثمانية قرون واستخرجوا كنوز اليونان والاعاجم والهنود في العلوم والمعارف وبلغوا الطبقة الثالثة من الرقي في العلوم الطبيعية وهي طبقة الامتحان والتجربة واليك شهادة عالم من كبار علماء الطبيعة قال: «يجب علينا معاشر الباحثين ان نهمم بالكنوز التي تركها العرب فان فيها حقائق وأفكاراً سامية تدعو الى الاكتشاف والاختراع لان العرب تقدموا في العلوم الطبيعية تقدماً مذهماً للغاية حتى بلغوا الطبقة الثالثة من الرقي فيها الا وهي طبقة الامتحان والتجربة وناهيك ان نظرية الانحراف في

نفس
كتب هير
في الآلات
النظر وانمكا-
والنظر كتاباً في ا-
ومقدار الاشياء الظاه
عند الشروق أو الغروب
وقال أيضاً دروى في
لا يرون الضوء الا من سم ا-
الاسلامية من علوم ادب وفلسف
كانت بغداد والبصرة وسمرقندودم
مراكز عظيمة لدائرة المعارف ومن
أوروبا في القرون المتوسطة مكتشفات
وهذه هي اقوال الفلاسفة وكبار المؤ

دلتية على ان الدين الاسلامي دين الترقى والمدنية . هذه هي آثار الدين
 وآثار امله الذين تمسكوا به واما حقيقة الدين فهي كما قال مسيو مسير
 ورئيس الارشالية المصرية ردا على الفيلسوف ارنست رينان في خطبة له في
 جمعية العلماء « نحن معاصر المحققين من الفلاسفة نقول ان من تأمل كلام
 القرآن رأى ان محور الاسلام الوجدانية وقطبيه المواخاة وتحسين شؤون
 العالم بالتدريج بواسطة العلم وهذه هي حقيقة اسباب نصره الاسلام »
 وقال كاتب آخر من مشاهير كتاب الغرب في مجلة (الكوارتلى ريفو)
 في مقالة عنوانها (الاسباب الحقيقية في ارتقاع وأنحطاط الامم الاسلامية)
 « لما كان الدين الاسلامي جامعا بين الدين والدنيا كان ذلك من ام اسباب
 كثرة الواردين اليه فان الرجل عند ما يسلم يصبح اخا لثلاث مئة مليون
 من النفوس له مالم وعليه ما عليهم ولعمري ان ذلك مما يزيد علائق المحبة
 ويربط الهيئة الاجتماعية ثم استدلت على ذلك بكلام كتبه بوسويرث سميت
 في كتابه المسمى (محمد والديانة المحمدية) لا حاجة لنا بسرده في هذا المقام
 يرى القارئ الكريم من خلال هذه السطور التي كتبناها عن
 الديانة الاسلامية مستندين على أقوال الفلاسفة والحكماء وكبار المؤرخين
 والكتاب ان الديانة الاسلامية تزداد كل يوم في الحجج ويشهد العلماء
 المحققون بروحانيتها حتى أن المسيو ارنست رنان الذي حمل حملته على
 الديانة الاسلامية والعلوم العربية كتب بمدان زجر وواعد، وبارق وارعد،
 « ان في دين الاسلام اكما رفيعة المقام وما دخلت جامعا الا وحصل
 لي أنجذاب لدين الاسلام وتأسفت على عدم كوني مسلما لولا ان هذا
 الدين أخر العقل البشري وحجبه عن التأمل في حقائق الاشياء » ولكن

عبارة مسيو رنان الاخيرة ليس لها ادنى نصيب من الصحة وقد علم من كلامنا الذي اسلفناه الجواب الشافي من علة المسيو رنان. والى هنا تمسك عنان اليراع عن الخوض في هذا الموضوع فان في ذلك القدر الكفاية، لارباب المقول والهداية،
علي سيد يوسف

(المنار) ان حكيمي الاسلام السيد جمال الدين والاستاذ الامام قد ردا في اوربا على رينان، وقطعا ما جاء به من الزور والبهتان، بسيف الحجة والبرهان، حتى اضطر الى الاذعان، فرحبها الله وحبها الروح والريحان



كلمات عن العراق واهلها

(لعالم غيور على الدولة . ومذهب أهل السنة)

العراق ولا ازيدك به علما من افضل الاقطار تربة وطيب هواء وعذوبة ماء وبه أنهار عظيمة كدجلة والفرات ورياله وقارون تنساب فيه انسياب الافنوان، وتخترق منه كل مكان، غير ان اكثره خراب، ينفق فيه اليوم والغراب، لسر المواصلات وفقد الامن وحرمانه من نور المعارف والمدنية . والحكومة فيه كما هي في غيره : عبارة عن شركة سلب ونهب وفساد، تعمل في خراب البلاد وهلاك العباد، وهم في غمرتهم ساهون، وعن الدسائس الاجنبية عمون، حتى أصبح بر العراق كله

أجمع لفنون الفضل وصفات الكمال كشكري أفندي الآكوسي وابن عمه
الحاج علي أفندي فقد رأيت من سعة اطلاعها وقوة دينها وسلامة
عقيدتها السلفية واستنارة عقولها ووقوفها على حكمة الدين وأسراره ،
واطلاعها على أمراض الإسلام ، والتهايبها غيرة وحمية على الدين
ومجاهدتها في سيئه فريقا من الجامدين من المقلدة وعباد القبور ما بهرني
وعشقتني فيهما . ولقد اودوا في هذا السبيل وامتنحوا فما ضفقوا وما استكانوا
ولا يزالان يصدعان بالحق ويهتنان بضرورة الإصلاح مع منازعة اليأس
لها . واعدائهما من عبدة القبور والأوهام وانصار التقليد والخرافات
ينبذونهم باسم الوهاية لينفروا منهم ، ويمرضوا الحكومة على اضطهادهم
غير أن حزبهم من ذوي العقول النيرة وطلاب الإصلاح أخذ ينمو عدده
ويكثر عضده ، وكلهم أو جلهم من الأعيان ، وذوي المكاة ورفعة
الشان ، ولم أر احدا يقدر مؤلفات ابن تيمية وابن القيم قدرها مثلها .
تشرق غريب فيها وقد سميا في طبع الكثير .
تبعها والسعي في ط . الاما .

بالشيخ نعمان افندي الآكوسي رحمه الله لتأليفه كتاب (جلاء العينين في
 محاكمة الاحمدين) وذمه وذم عائلته وذكر انهم أصيبوا بالمحن فلم يعتبروا
 ولا اتفظوا. ويزعم انه من مجددي الدين في هذا العصر. وهكذا بلغ به
 الفرور الى هذا المبلغ والجنون فنون» اهـ ما أردنا نشره من هذه الرسالة
 ويليها كلام حسن في الاستاذ الامام والمنار وصاحبه يتعلق بالاصلاح
 أضربنا عن ذكره مع حمد كاتبه وشكره
 ونقول قد ذكرنا هذه الرسالة بما كنا كتبناه في المجلد الثاني من
 المنار (في رمضان سنة ١٣١٧) من نشر مذهب الشيعة في العراق وهذا نصه :
 قرأنا في بعض الجرائد ان الدولة العلية قد عرّضت على ارسال بعض
 العلماء الى سناجق البصرة والمتفك وكر بلا لارشاد القبائل الرحالة هناك
 وقرأنا في بعضها انه قد صدرت الارادة السنية بذلك فعلا ونحمد الله
 تعالى ان الدولة العلية قد تنبّهت لهذا الامر قبل ان يخرج من يدها بالمرّة
 فقد سبقها الشيعة وبنوا الوعاظ والمرشدين في هذه القبائل وغيرها من
 العربان الضارين على ضفاف الدجلة والفرات فدخلوا معظمهم في مذهب
 الشيعة. يذهب الملائم الشيعي الى القبيلة فيمتزج بشيخها امتزاج الماء بالراح
 بما يسهل عليه من أمر التكليف الشرعية ويحمّله على هواه فيها كإباحة
 التمتع بالعدد الكثير من النساء الذي له الشأن الاكبر عند أولئك الشيوخ
 وغير ذلك حتى يكون وليجته وعيية سره ومستشاره في أمره فيتمكن
 الملائم بذلك من بث مذهبه في القبيلة بأقرب وقت ويكتفي من السياسة
 غالبا بإفهام القوم ان رئيس طائفة الشيعة المحققة شاه المعجم ورئيس
 الطائفة الاخرى المسماة بالسنية السلطان عبد الحميد ولا شك ان هؤلاء

يكونون عوناً لرئيس مذهبهم اذا وقع نزاع (لا قدر الله) بينه وبين
رئيس المذهب الآخر وان كانوا في بلاد الآخر ويمكن للدولة العلية
ان تتدارك الامر بمض التدارك اذا كان الذين تختارهم للارشاد والتعليم
أهل حكمة وغيره حقيقية يهتمهم الاصلاح والارشاد بحيث يقدمونه على
منافسهم الشخصية على ان الذي يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة لا يحرم
من أجر الدنيا بل ربما كان نجاحه أتم وقد استغنى جميع دعاة الشيعة في تلك
القبائل مع حصولهم على غرضهم في نشر المذهب . وليبدأ دعاة الدولة العلية
بمن على الفرات فان فيهم عدداً كبيراً لم يزل على مذهب أهل السنة ، والله
الموفق اه (من ص ٦٨٧ م ٢)

هذا ما كتبناه من نحو تسع سنين . ونقول الآن ان اكثر من اجابوا
دعوة علماء الشيعة هناك لم يكونوا على شيء من مذهب أهل السنة فاذا كان
اولئك الدعاة يثبون فيهم الوعاظ يطمونهم الفرائض واحكام الحلال
والحرام فان ذلك يكون خيراً لهم في دينهم من الحالة التي كانوا عليها ،
فنعن لا نعد الامر من الجهة الدينية بلاء نازلاً كما عده الاستاذ كاتب
الرسالة ولكن الامر منهم من الجهة السياسية فان السياسة هي التي كانت ولا
تزال مثار الخلاف بين أهل السنة والشيعة ولولاها لما كان خلاف وما
أضاع الدين والدنيا علينا الا الخلاف . وقد كان طلاب الاصلاح بالوحدة
الاسلامية منتبطين بما حصل في هذه السنين الاخيرة من التآلف والتعارف
بين الفريقين حتى وقع أخيراً ما وقع من التعدي على الحدود فباتوا يخشون
ان تهدم السياسة السوءى في سنة واحدة ما بناه دعاة الاصلاح في عشرات
من السنين . فنسأل الله ان يقي الاسلام شرها ويكفي المسلمين فتنها وضرها

فتاوى المنار

تدعنا من هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل أن يبين اسمه وتلقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف إن شاء ، وأننا نذكر الأسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لئلا يظن هذا ، وإن عني على سؤاله شهران أو ثلاثة إن يذكر به مرة واحدة فإن لم تذكره كان لنا عذر صحيح لاختلافه

أسئلة من الحجاز

﴿ القطب والابدال والأنجاب والخضر وسند أهل الطريق ﴾

(ص ١-٧)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين
حضرة الاستاذ الحكيم والمصلح العظيم علامة الزمان سيدي الزبير
السيد محمد رشيد رضا منشي المنار حفظه الرب المنان

أحيكم تحية تليق بمقامكم الكريم وأسأل الله تعالى أن يحفظكم بحفظه
السرمدى وأن يهدي الله بكم الضالين . وها أنا ذا مقدم لمقامكم الكريم
أسئلة ذات بال أرجوكم الجواب عنها على صفحات مناركم المنير

ذكر الشيخ يوسف النبهاني في كتابه شواهد الحق (ص ١٠١)
أحاديث استدلت بها على وجود الاقطاب والابدال والأنجاب والاوناد
والنقباء ووجود الخضر عليه السلام وهذا لفظها :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لله تعالى في الارض ثلاثمائة قلبهم على قلب آدم وله أربعين قلوبهم

على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قاب ابراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد أبدل الله سبحانه وتعالى مكانه من الثلاثة . الخ
عن علي رضي الله عنه انه قال البدلاء بالشام والنجباء بمصر والمصاب بالعراق والنجباء بخراسان والاولاد بسائر الارض والخضر عليه السلام سيد القوم الخ

ولم يذكر النهائي سنداً ولا من أي كتاب من كتب الحديث أخرجها فأرجوكم أن تفيدوني هل تصح هذه الاحاديث وهل الخضر عليه السلام حي الى هذا الزمان وما قولكم فيمن يكذب بوجود الخضر وغيره من الاقطاب نرجوكم الجواب الكافي الشافي

وفي كتاب النهائي شواهد الحق ص ١٣٢ يقول ان الشيخ الامير أجازته بثبته وما اشتمل عليه من علوم الشريعة والطريقة ومن معقول ومنقول وذكر سنده من الامير الى الحسن البصري عن سيدنا علي عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ميكائيل عن اسرافيل عن عزرائيل عن اللوح عن القلم عن الرب الجليل جل جلاله وتقدس صفاته وامجأؤه

ارجوكم ان تفيدوني عن هذه الاجازة بهذه الصيغة المذكورة هل هي معتبرة عند المحدثين ويعمل بها ام هي ضرب من الخرافات وما على من من انكرها وهل يصح اجتماع الحسن البصري بسيدنا علي ام لا أفيدوني ولكم الاجر سيدي

في كتاب النهائي صفحته ١٣٠ قال ومن كتب الامام ابن تيمية

كتاب العرش قال في كشف الظنون ذكر فيه ان الله سبحانه وتعالى
يجلس على العرش وقد اخلى مكانا يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما ذكر ذلك ابو حيان في النهر في قوله سبحانه وتعالى « وسع
كرسيه السموات والارض » وقال يعني ابا حيان قرأت في كتاب العرش
لاحمد بن تيمية ماصورته بخطه : انتهت عبارة كشف الظنون ثم نقلها من
طريق آخر عن السبكي وحط على الشيخ ابن تيمية ونسبه الى القول بالتجسيم
وهو براء من ذلك . فلما رأيت هذه العبارة بحثت عن كتاب العرش
ووجدته عند بعض الاصدقاء فقرأته مرارا ونسخته بيدي من النسخة
وما وجدت لهذه العبارة قرائحة والنسخة التي قرأتها ونسختها هي بخط يمني
يدون تقط الظاهر انها كتبت من عهد قديم وكادت ان تمزق من قدمها
ولحقتها الارضة . فما قولكم في هذه العبارة ايجوز نسبتها الى هذا الامام
بعد ان بحثنا عنها فما وجدناها في كتابه؟ افيدوني ولكم الاجر سيدي

محكم بالحجاز

م ح ن

﴿ أجوبة المنار ﴾

نقول قبل كل شيء ان الشيخ يوسف البناني لا يوثق بعلمه ولا بنقله،
ولا ينبغي لكم ان تحفلوا بكتبه، وقد سئلنا غير مرة عن بعض الخرافات
التي يثبتها في كتبه الملفقة فلم نجب السائلين بشيء. اذ كان يتوقف ذلك على
مراجعة الكتب التي يسألون عما ورد فيها وأي عاقل يسمح باضاعة وقته
في مراجعة تلك الكتب. اما وقد ذكرتم في هذا الرقيم ما سألتكم عنه
فاليكم الجواب والله الهادي الى الصواب

أما الجواب عن السؤال الأول فاعلم أنه قد ورد في الأبدال عدة روايات لا يصح منها شيء، وإن أشار في كثير العمال إلى تصحيح حديث علي عند أحمد، إلابدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلاً كلمات رجل أبدال الله مكانه رجلاً يستقي بهم القيث ويتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب» وفي رواية عنه أنهم ستون. وفي رواية عن عبادة عند أحمد وأخرى عن أبي هريرة أنهم ثلاثون أخرجهما عنه ابن حبان في تاريخه. ولم أر أحداً من المحدثين الحفاظ خرج ما ذكره النبهاني عن علي ولكن ذكره ابن حجر الميمني في الفتاوى الحديثية على أنه من كلام علي كرم الله وجهه لا من روايته المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك حديث ابن مسعود لم أر من أخرجه عنه باللفظ الذي ذكره. ولكن ابن حجر أورده في فتاواه بعد أثر علي عازياً إياه إلى الياضي (وذكر في نسخة الفتاوى المطبوعة بمصر الياضي وهو غلط مطبعي) ولم يقل عن ابن مسعود ولا غيره من الصحابة رضي الله عنهم. وكان أبي ابن حجر نقل عن الياضي أن الأبدال سبعة على الأصح ولذلك قال بعد أن أورد حديثه «والحديث الذي ذكره أن صح فيه فوائد خفية (منها) أنه يخالف للعدد السابق قبله. (ومنها) أنه يقضي أن الملائكة أفضل من الأنبياء؟؟ يعني خلافاً لجمهور أهل السنة» إلى آخر ما قاله علي تقدير صحة الحديث وما هو بصحيح فلا حاجة إلى التنب في استنباط الفوائد والمباحث فيه. ثم قال ابن حجر بعد بحثه فيه «واعلم أن هذا الحديث لم أر من أخرجه من حفاظ المحدثين الذين يعتمد عليهم ولكن وردت أحاديث تؤيد كثيراً مما ورد فيه وذكر ما ورد وحاول تقويته بالحديث الصحيح الذي رواه الشيخان

وغيرها من طرق كثيرة وهو « لا تزال طائفة من امتي قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون على الناس » ثم نقل عن الامام احمد ان الابدال هم اهل الحديث وعبارته « ان لم يكونوا اهل الحديث فمن هم » واعتمد ابن حجر ان الخلاف في العدد من قبيل الاصطلاح

ثم ذكر واقعة له مع مشايخه في ذلك تذكرها هنا لما فيها من الدلالة على انهم كانوا يقلدون المتصوفة في هذه المسائل من غير ان يقوم عليها دليل من النقل قال

«واقفد وقع لي في هذا البحث غريبة مع بعض مشايخي هي اني انما ربيت في حجور بعض اهل هذه الطائفة اعنى القوم السالمين من المحذور واللوم فوقر عندي كلامهم لانه صادف قلبا خاليا فتمكن . فلما قرأت في العلوم الظاهرة وسني نحو اربعة عشر سنة (كذا) فقرأت مختصر ابي شجاع على شيخنا ابي عبد الله الامام المجمع على بر كته وتنسكه وعلمه الشيخ محمد الجويني بالجامع الازهر بمصر المحروسة فلازمته مدة وكان عنده حدة فأنجز الكلام في مجلسه يوما الى ذكر القطب والنجباء والقباء والابدال وغيرهم ممن مر فبادر الشيخ الى انكار ذلك بنظرة وقال « هذا كله لا حقيقة له وليس فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم » فقلت له وكنت اصغر الحاضرين معاذ الله بل هذا صادق وحق لا صرية فيه لان اولياء الله اخبروا به وحاشاهم من الكذب ومن نقل ذلك الامام الياضي وهو رجل جمع بين العلوم الظاهرة والباطنة . فزاد انكار الشيخ واغلاظه عليّ فلم يسعني الا السكوت فسكت واضمرت انه لا ينصرتني عليه الا شيخنا

شيخ الاسلام والمسلمين وامام الفقهاء والعارفين ابو يحيى زكريا الانصاري وكان من عادتي ابي اقود الشيخ محمد الجويني لانه كان ضريرا واذهب انا وهو الى شيخنا المذكور اعني شيخ الاسلام زكريا يسلم عليه . فذهبت انا والشيخ محمد الجويني الى شيخ الاسلام فلما قربنا من محله قلت للشيخ الجويني لا بأس ان اذكر لشيخ الاسلام مسألة القطب ومن دونه وتنتظر ما عنده فيها . فلما وصلنا اليه اقبل علي الشيخ الجويني وبالغ في اكرامه وسؤال الدعاء منه ثم دعا لي بدعوات منها « اللهم فقهه في الدين » وكان كثيرا ما يدعو لي بذلك . فلما تم كلام الشيخ واراد الجويني الانصراف قلت لشيخ الاسلام يا سيدي القطب والاولاد والنجباء والابدال وغيرهم ممن يذكره الصوفية هل هم موجودون حقيقة ؟ فقال نعم والله يا ولدي . فقلت له يا سيدي ان الشيخ - واشرت الى الشيخ الجويني - ينكر ذلك ويبالغ في الرد على من ذكره . فقال شيخ الاسلام هكذا تفضل يا شيخ محمد ؟ وكرر ذلك عليه حتى قال له الشيخ محمد يا مولانا شيخ الاسلام امنت بذلك وصدقت به وقد ثبت . فقال هذا هو الظن بك يا شيخ محمد . ثم قنا ولم يعاتبني الشيخ الجويني على ما صدر مني « اه

فيؤخذ من هذه الواقعة أمور (منها) ان ابن حجر الهيثمي تربي في حجر بعض أهل الطريق وصار تقليدهم وجدانا لا يقبل فيه قول مشايخه وان كانوا عنده من أئمة العلم والعمل والتسك كالشيخ الجويني وهذا هو السبب في انكاره الشديد على شيخ الاسلام ابن تيمية الذي كان لا يقبل في الدين شيئا الا اذا ثبت في الكتاب او السنة نصا أو دلالة . ومن اتبع وجدانه وشعوره النفسي في الأمر لا يقبل فيه دليلا وقد قال الاستاذ

الامام « ان غاية التصوف جعل الدين وجدانا للانسان الذي يتربى عليه لا يقبل فيه مناقشة ولا جدالا » وهذا حسن اذا لم يدس في الدين ما ليس منه . (ومنها) بيان انه كان يوجد في علماء الازهر الاعلام الصالحين الى ذلك العصر من ينكر جهرا على من يقول بوجود القطب والابدال واضرابهم (ومنها) ان سؤال شيخ الاسلام زكريا عن المسألة كان مبنيا على ان ما يقوله الصوفية في القطب والابدال صحيح ام لا لا على ان ذلك هل صح في الاحاديث ام لا . وكذلك كان جواب ابن حجر لشيخه الجوزي فقد قال له ان الاولياء اخبروا بذلك وحاشاهم من الكذب ولم يقل ان ذلك قد صح في الحديث . وهذا يوافق قوله الذي اشرنا اليه آنفا في الاختلاف في عدد الأبدال انه من الاصطلاحات ولا مشاحة في الاصطلاح (ومنها) ان شيخ الاسلام لم يحتج على الشيخ الجوزي بحديث في ذلك . ونحن نقول أيضا ان الصوفية اصطلمحوا على وضع هذه الاسماء لمسميات اعتبروا فيها صفات خاصة ولا مشاحة في الاصطلاح كما قال ابن حجر

وجملة القول ان حديث ابن مسعود الذي أورده النبي لم يروه الحفاظ عنه فهو مختلف عليه وان حديث علي لم يرد ايضا باللفظ الذي أورده النبي بل ورد بالفاظ أخرى أقواها ما أخرجه الامام أحمد وقد تقدم . ومن هنا تعلم ان النبي لا علم له بالحديث وانما هو حاطب ليل لا يوثق بنقله كما لا يوثق برأيه ولا يمتد باختياره فانه مقلد للمقلدين الذين يروجون الخرافات وكل ما يحظى صاحبه عند العامة . فهذا هو

الجواب عن السؤال الاول

وأما الجواب عن الثاني وهو هل الخضر في الاحياء الى اليوم ؟ فاعلم

ان العلماء قد اختلفوا فيه فنفاه بعضهم وأثبتته آخرون ولكن لم يقل أحد إنه يجب على الناس الايمان به والنقي هو الاصل وليس عند المتبين دليل من كتاب الله ولا من الاحاديث التي يحتج بها ولا من الاجماع الاصولي (كيف والمسألة خلافية) والقياس لا مدخل له في المسألة فدعوى وجود الخضر في الاحياء لا تقوم لها حجة شرعية وانما تبع القائلون بها الصوفية لغتهم بهم في كل شيء حتى انهم لا ينكرون عليهم ما يخالف الشرع مخالفة صريحة بل يؤولونه ان لم يؤولوا النص الشرعي . على أن بعض الصوفية يقولون ان الخضرية مقام أو مرتبة لبعض الصالحين يطلق لفظ (الخضر) على كل من يصل اليها . فاذا ذكر من اجتماع بعض الصوفية بالخضر يفسر بذلك . ومنهم الشيخ الاكبر صاحب الفتوحات المكية فانه يذكر انه اجتمع بالخضر كثيرا ويذهب بعضهم الى ان مراده بذلك الاجتماع الروحاني كما يقول انه اجتمع بفلان وفلان من الانبياء وغيرهم ممن علم موتهم باليقين كالسبتي ابن هارون الرشيد فاني قرأت له في الفتوحات انه رأى انسانا يطوف بالبيت مع الطائفين فينفذ من بين الرجلين المتلاصقين من غير ان يفصل بينهما ويشعر به فعلم انه روحاني فقبه حتى كلبه وعلم انه السبتي ابن هارون الرشيد . وقد اطلال السيد الآكوسي الكلام في هذه المسألة في تفسيره روح المعاني فكتب فيها عدة أوراق لعله اودعها كل ما قيل فيها وخرج منها على انه لا دليل على وجود الخضر حيا لا من الشرع ولا من العقل

وأما الجواب عن الثالث وهو ما حكم من يكذب بوجود الخضر وغيره من الاقطاب؟ فقد علم مما مر أنه لا يطالب مسلم بأن يؤمن بذلك ولم يقل أحد من أئمة الاصول والكلام إن ذلك من عقائد المسلمين فلا شيء على

من كذب ذلك وقد رأيت ان الشيخ الجويني كان ينكر ذلك وهو معدود من أئمة العلماء الصالحين بالازهر ولولا واقعة ابن حجر معه التي استتبعت مما تابة شيخ الازهر أو شيخ الاسلام زكريا لبقى على انكاره ككثير من العلماء وأما الجواب عن الرابع وهو هل إجازة اهل الطريق التي ذكرها النهائي معتبرة عند المحدثين وعن الخامس وهو هل أخذ الحسن البصري عن علي كرم الله وجهه فجوابها «لا لا» قال الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية: «حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقه على الصورة المتعارفة عند الصوفية باطل لأصل له. قال ابن حجر «لم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقه على الصورة المتعارفة بين الصوفية أحد من أصحابه ولا أمر أحد من أصحابه بفعل ذلك. وكل ما يروى في ذلك صريحا فهو باطل» وقال «من المفترى ان عليا ألبس الخرقه الحسن البصري فان أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا عن ان يلبسه الخرقه» وقد صرح بمثل ما ذكره ابن حجر جماعة من الحفاظ كالدمياطي والنهجي وابن حبان والملائي والعراقي وابن ناصر اه

واما الجواب عن السادس - وهو «ما على من انكرها» اي اجازة الصوفية بخرقتهم عن الحسن عن علي - فقد علم جوابه مما قبله وهو انه ليس على المنكر لذلك الا ما على كل من ينكر الاحاديث الموضوعية المعزوة الى الرسول صلى الله عليه وسلم كذبا واقراء عليه وهل عليهم الا الثناء الحسن؟ واما الجواب عن السابع وهو أي يجوز نسبة تلك العبارة في التجسيم الى شيخ الاسلام ابن تيمية بعد ما وجد كتاب العرش التي قيل انها فيه فتبين انها ليست

فيه فجوابه ان ذلك لا يجوز بل كان من الادب مع هذا الامام الجليل أن يبرأ من مثل هذه العبارة وان وجدت في كتاب معزو اليه، ويحكم بانها مدسوسة في ذلك الكتاب عليه، فقد عهد من المضلين، ان يدسوا في كتب المشهورين، كما وقع للشمراني في حياته وأثبت هو وغيره وقوع ذلك لغيره . كيف لا وان بين ايدينا كتبا كثيرة في التوحيد من مصنفات ابن تيمية وكلها مؤيدة لمذهب أهل السنة الصحيح وسلف الامة الصالحين لا تعدوه قط

باب الاخبار والآراء

الى الاحرار في روسيا وفي البلاد العثمانية وفي سائر البلاد (*)

أيها الاخوان : نخبركم بمزيد الاسف ان الدستور الابراني الجديد صار على شفا السقوط بسعي الحكومة المستبدة . نعم ان حكومتنا الابرانية المستبدة لضيفة امام حزب المجاهدين الابرانيين . ولكن ما الحيلة والحكومات المستبدة تتعاون وتتحد على اضطهاد الفقراء واستئصال المطالبين بالحرية والعدل . كانت الحكومات المستبدة المجاورة لفرنسا تساعد امبراطور فرنسا على محاربة طلاب الحرية كذلك تساعد الحكومة الروسية والحكومة العثمانية حكومة ايران المستبدة على اسقاط الدستور الابراني وتبديد شمل احزاب الاشتراكيين الديموقراطيين في ايران

ايها الاخوان : اذا كانت الحكومة المستبدة تتعاون على محافظة استبدادها ومصالحها فاذا يكون اذا نحن معاشر الاحرار اتحدنا على محاربة الاستبداد والمستبدين فنحن معاشر حزب الاشتراكيين

الديموقراطيين الإيرانيين نرجو من اخواننا الاحرار في روسيا والبلاد
العثمانية وغيرها من البلاد بامم الانسانية والحرية والنصيحة للنوع البشري
ان يساعدونا في هذا السبيل ويظهروا امتعاضهم واستيائهم من الحكومتين
الروسية والعثمانية اللتين لا تألوان جهداً في السعي لاسقاط الدستور الإيراني
بالتدخل في امور ايران الداخلية نحن معاصر المجاهدين نرفع اصواتنا
على عتبة مجلس الشورى الإيراني قائلين :

ليجي جميع الاحرار والناضحين لوجه الانسانية على وجه البسيطة، لتحي
الجمهورية الديموقراطية ولتسقط الحكومة المقلقة وليسقط الانغياء الظالمون
حزب الديموقراطيين الاشتراكيين الإيرانيين ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٥

فقد الصحافة والوطنية

﴿ مصطفى كامل ﴾

مالنا لا تنتهي من نبيّ الا الى نبيّ ، ولا نفرغ من ترجمة مبكي الا ونقباً
بتأين مبكي ، وما بال أم لهم تلهم من المسلمين ، أشهر الكتاب والسياسيين ،
فهاهي ذي قد اغتضرت اليوم أندى الصحافيين المصريين صوتاً ، وأبعدم
في عالم السياسة صيتاً ، وأشدم في ذمء بلده تأثيراً ، وأكثرهم ولماً ونصيراً ،
مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء العربية ، ومدير جريدتي اللواء
الفرنسية والانكليزية ، ورئيس الحزب الوطني الذي تأسس في مرض مماته ،
واختاره رئيساً له مدة حياته ،

قضى رحمه الله تعالى عن أربع وثلاثين ربيعاً قضى نصفها في السياسة ،
ونصف هذا النصف في الصحافة ، باذلاً فيما أخذ فيه جميع أوقاته ، مفرغاً

فيه انتهى وجدانه وشعوره ، وما زال الشعور والوجدان ، أقوى المؤثرات في الانسان ، وقد أعجب بخطته في اللواء جمهور القارئين ، ثم تحزبت له نابتة كبيرة من المعلمين ، بل عشقه بعض طلاب الحقوق عشقا ، وملك قلوبهم ملكا ، فظهر أثر تحزبها في تشييع جنازته بمظهر غريب ، ماروئي مثله من نسيب ولا قريب ، حتى أرت حالهم في جميع المشيعين ، وجذبت قلوب الناظرين ، بل استعبرت المقل الجامدة ، وسمرت الاقنعة الخامدة ، بل كان لهم بعد ذلك ساطان على اكثر الجرائد المصرية ، حتى المخالفة للفقيد في آرائه السياسية ، ومن كان بينه وبين اصحابها مناصبة شخصية ، بل صار لهم ظهور سياسي يرجو الجذع نائله ، ويخشى القارح عقابله ، ومشى في جنازته خالق كثير ، في مشهد لم يهد له نظير ، حمل فيه تلاميذ المدارس رايات للحداد ، يطرها السواد ، وقدر عدد من شهد الجنازة بخمسة عشر ألفا ، ورأى بمضهم أنهم يناهزون ثلاثين ألفا ،

كان رحمه الله تعالى مصداقا بينا لقوله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق له » فقد كان في سن الدراسة ، يحدث نفسه بالسياسة ، ويمتها بالرياسة ، فيجدو به ذلك الى مثافة الكبراء ، ويرجيه الى مناقشة الرؤساء والوزراء ، حتى فتحت له السياسة وهو في مدرسة الحقوق أبوابها ، وزينت له بأن يكون طلابها ، فأثر لهما التناوة ، على المذاكرة بمجد وعناية ، حتى ظهر أثر ذلك في الامتحان ، على ما كان عليه من اللوزعة وجرأة الجنان ، على انه نال بعد ذلك شهادة الحقوق في مدرسة طولوز الفرنسية

وكان كبير النفس ، طموحا الى العالي ، جرى الجنان ، طلق اللسان ، قوي الشعور والوجدان ، متلافا للمال ، اذا اقتضت الحال ، فهذه هي الصفات

الفطرية ، التي أهلتها لتلك الغاية الكسبية ، باقتراض الحوادث ، ومواتاة
الوقائع ، ومساعدة الزمان ، واستعداد البيئة والامكان ،

أما استعداد البيئة فنشؤه انه كان قد سبق لهذا الشعب حركة حيوية ،
ونهبضة اجتماعية اديبه ، تلتها بقظة وطنية ، أتجت ثورة شعبية عسكرية ،

وعقب ذلك احتلال الانكليز للبلاد ، وايقاف حركة ذلك الاستعداد ، فسكنت
الاسنة وسكنت الاقلام ، وغلت الايدي وقيدت الاقدام ، ولكن هذا

الوقوف كان في الظاهر ، دون ما تنطوي عليه السرائر ، من ضغائن
مضطربة ، وحنائظ مضطربة ، وأوهام منزعجة ، وأحلام منزعجة ، مع مجازاة

الامير توفيق للاحتلال ، ومواتاة له في كل حال ،

فبعد ان قضى الامير توفيق وولي الامير عباس دخلت البلاد في عهد

جديد من الحركة الوطنية ، تجت فيه كتجليات الحقيقة الكلية ، فكان تجليها .

الاول هو التجلي العام ، الذي ظهر في الخواص والعوام ، وكان لسانه الناطق

جريدا المؤيد والاهرام ، ثم قتر التجلي في جميع الطبقات ، ثم ظهر في طبقة

الضباط وقتا من الاوقات ، ثم قتر طائفة من الزمان ، ثم ظهر في مظهره الذي

هو عليه الآن ، بأن تفجرت روحه في الناشئين ، فعملت فعلها في غير أصحاب

العمام من المتعلمين ، لان هؤلاء لا يعرفون لهم جنسية الا في الدين ، وقد كان

مصطفى كامل (رحمه الله) هو المجلي ، في ميدان هذا الطور من الحوار التجلي ،

ثم صار داعية النابتة الى هذه الوطنية وهاديها ، أو سائقها وحاديها ، وهي هي

فوق المدعو والهادي ، وامام المسوق والحادي ،

وقد كنت اعجب بما رأيت من تجلي الوطنية اول مقدمي لهذه البلاد فكثرت

فيها مقالة في المؤيد عنوانها (الحياة الوطنية) اعجب بها كثيرون حتى

استظهرها بمض أساتذة المدارس الاميرية، ثم رأيت الدعوة موجهة الى جعل الوطنية جنسية للمسلمين، فانكرتها في المنار بالبرهان المبين، واكثرت من الكتابة فيها حتى في تفسير القرآن، ولا ينبغي لي الخوض في ذلك الان، عرفت مصطفى كامل في السنة الاولى من هجري لهذه البلاد وكنت أراه كثيراً في ادارة المؤيد اذ كنت اطبع المنار في مطبعة الآداب وكان معجبا بالمنار حتى كان يهتفي احيانا ببعض المقالات ويقول لي انك قادر على خدمة الاسلام انفع خدمة واجلها ولكن الكتابة لا تكفي وحدها فاطلب من الشيخ محمد عبده ان يجعل خطيبا في أحد المساجد الكبيرة فان له نفوذا يمكنه من ذلك وهو صاحبك فيما أرى ولو كان لي به صحة لطلبت لك منه ذلك، ومن هذه العبارة يعلم رأيه في تأثير الخطابة

ثم اصدر جريدة اللواء - والمنار يومئذ في اصيل سنته الثانية - فنصحت له في تعريفها بان يتبع ما يكتب في الجرائد الاوربية عن الاسلام ويترجمه لجريدته ليكون لها امتياز عن غيرها من الجرائد الاسلامية وان يترك ما اشترطه من عدم ارسالها الا لمن يدفع قيمة الاشتراك سلفا فساء ذلك ولكنه علم بعد التجربة انه لباب النصيحة . وانتقدت عليه الارجاف بمسألة الخلافة العربية اذ كان كتب ان في مصر من يسعى لها سعيها وبينت له وجه الضرر في ذلك الارجاف . فكبر عليه ذلك وقطع المبادلة الصحافية بيننا وبينه وانحى علينا بعد ذلك كثيراً لما كان عليه عفا الله عنه من الشدة على من خالفه ولو مهضوما، ونصر من وافقه ظلما كان او مظلوما، وكان الاول من اسباب ببطء انتشار اللواء، على ما كان فيه من مواضع اعجاب الدهماء، كالمبالغة في ذم المحتلين، وانتقاد الحكومة، ومدح الامم، وتحمي الانتقاد عليها، والتبويه

بالاستقلال ، والتعجل بطلب نحو الاحتلال ، ولكن اللواء صار في هذه
 المدة الاخيرة من ام الجرائد المصرية واكثرها انتشارا . فرحم الله
 مؤسسه وعفا عنه ولطنا نوفق بعد الى كتابة شيء عن العبرة بسيرته في
 حياته وموته ،

تاريخ العرب والاسلام

(في سلك القصص والروايات)

لاسلوب القصص المعروفة بالروايات تشويق للمطالعة لا يقال منه الملل ، وجذب
 الى القراءة لا يجشى معه السأم ، فاذا هي أودعت من الفوائد النافعة في التاريخ والآداب
 والاخلاق والسياسة وشؤون الاجتماع ما يتفق مع اللذة كانت من أنوى ذرائع
 تهذيب الجمهور ورنم طبقات العامة الى مستوى يتصلون به مع طبقات الخاصة حتى
 تكون الامة كسلسلة اذا تحرك أحد طرفيها انتقلت الحركة الى الطرف الآخر ، وانه
 ليحزنا ان نرى اكثر القصص او الروايات كما يقال خالية من هذه الفوائد ، مشتتة
 على كثير من المناسد ، تعري الفتيان والفتيات بالفرام ، وتجري الحبي على ارتكاب
 الحرام ، وتعلم الاغرار ، حيل الشطار ،

هذا وانما نحن المسلمين قد أصبحنا وامسينا أجهل الامم بتاريخنا ، وكيفية تلك
 النشأة الصالحة لملتنا ، وينايع تلك الآداب ، التي أخضعت أمم المدينة لشرانم من
 الاعراب ، ذلك بأن تاريخ تلك النشأة لم ينظم في السلك العلمي الحديث ، وأما في
 روايات متفرقة كروايات الحديث ، لم يرزق من فلاسفة التاريخ من يستنبط حكمه ،
 كما رزق الحديث من الفقهاء من استنبط احكامه ،

فنحن الان في حاجة الى وضع تاريخ الاسلام في اسلوب علمي لاجل الخواص ،
 والى إيداعه في اسلوب قصصي يسهل تناوله حتى على العوام ، وقد كان الوضع الاول آخر
 عمل توجهت اليه همة الاستاذ الامام ، وفي عزمنا ان نخلفه فيه ان شاء الله وامهنتنا
 الايام ، وأما الثاني فقد شرع فيه صديقنا السيد عبد الحميد الزهراوي ، العالم الاسلامي
 والكاتب الاجياعي ، وقد سمي الرواية الاولى (خديجة ام المومنين) وستنشرها في
 المنار بالتدرج ، وهناك مقدمتها في هذا الجزء

خديجة ام المؤمنين

(مقدمة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قبل ثلاثة عشر قرناً على الحساب القمري حدث في الكون حادث
عظيم جداً لم يحدث بعده مثله الى الآن ، وقد كان له دوي قوي وأثر
كبير في آسيا وأوروبا وأفريقيا وخلفه انقلاب عظيم في ممالك الارض
وتغير جسم في أحوال الأمم والشعوب ، ذلك الحادث هو قيام العرب
بعقيدة جديدة وانضمامهم جميعاً الى كلمة النبي الذي قام فيهم منهم وهو
محمد عليه الصلاة والسلام وشروعهم جميعاً بالمهجوم على الممالك وفوزهم بهذا
المهجوم وانتصارهم وغلبتهم على الامم وانضمام أمم كثيرة الى عقيدتهم
وتكوّن ملكهم العظيم من حدود الهند الى البحر الاطالتيكي شرقاً وغرباً
ومن سواحل البحر الأحمر الى سواحل بحر قزوين شمالاً وجنوباً في
أسرع ما عرف في التاريخ كله من الفتوحات الكبيرة السريّة

هذا الحادث العظيم يتلقاه بعض الناس بنير تفكر كأنه معتاد الحدوث
كثيراً فلا يبحث هؤلاء عن سر حدوثه ولا يريدون أن يستفيدوا من
التدبر والتفكر بسر ذلك النجاح العظيم الذي أوتيه أولئك القوم بسرعة

جديرة أن نشبهها بلح البصر . وبعضهم يتلقاه كما هو أي يفهم انه حادث من أكبر الاحداث التي حدثت في الدنيا ويراها جديرا بالبحث والتأمل وامان النظر ولدى التأمل نجد هناك جزئين تمّ بهما هذا الحادث العظيم الاول النبي محمد عليه الصلاة والسلام والثاني الذين آمنوا به ونصروه من العرب . وبديهي ان أول مؤمن به هو صاحب الفضل الاول بعد النبي في إقامة هذا الصرح العظيم

ومن الامور التي يحق أن يفخر بها جنس النساء ان هذا الفضل الاول أي سبق بالايمان به والموافقة له كان نصيب سيدة من أشرف قومها هي زوجته السيدة خديجة بنت خويلد من قريش . ولما كانت سيرة هذه السيدة الشريفة المساعدة في وضع الاحجار الاولى من هذا الحادث العظيم لا تخلو بالبداية من فوائد جسيمة أزمعت ان أقدم في هذه الاوراق لمحي الفوائد الادبية والاجتماعية والسياسية والتاريخية أعظم هدية مقتطفاً هذه الثمرات من دوحة حياة هذه السيدة الجليلة ولكن رأيت من اللازم جدا قبل دخولي بالقارئ على سيرتها ان أمرّ به مرة على قومها العرب عامة ثم قريش خاصة فان تعرفه بهم يساعد على معرفة هذه السيدة الجليلة



العرب

العرب كسائر الامم أوائلهم مجهولة ، وأحوالهم منذ عرفوا معروفه ،
تقف الآن عند هاتين الكلمتين وتلفت قليلا الى مبحث لطيف مختصر
فيه الكلام ثم تعود الى سياق حديثنا

يزعم كثير من الاقوام انهم يعرفون اصول امتهم الى ابي البشر الاول ومن الاقوام من يزعمون انهم يعرفون سلاسل اصول الامم كلها حتى يصلوا بها الى ذلك الاصل الاول

ومن التزم التحقيق لا يستطيع ان يجزم بشيء مما يذكر عن تلك الاصول والاوائل . ومن تسامح بتصديق ما يروى يتشابه عليه الامر فيحار في تصديق المتناقضات ، والترجيح بين المختلفات ، ومهما جنح الحريص على المعرفة الى الاستثناس بما يمكن قبوله من الحكايات في هذا الباب لا يستغني عن طرح كثير منها مما تقوم الادلة على بطلانه

لماذا حرص كل الشعوب على معرفة اسلافهم الى اول اصل ؟ لاندرى ولكن يلوح لنا انه لذت للا كثيرين دعوى هذه المعرفة فابتدع كل قوم اسطورة في يان اهلهم ينقلها الآباء لابناء ويسطرونها في كتبهم تسطيراً

اما الباحثون عن انساب الشعوب فلما يتسوا من هذه المعرفة قنعوا بأن تكون لهم معرفة ما باصول الشعوب التي وجدوها متقاربة في اللغات وغيرها من المميزات وقد اتسوا من كثرة البحث والاستثناس بالمنقول ان البشر المروفين اليوم هم من ثلاث سلالات (١) السامية و (٢) الارياية و (٣) التورانية

وظاهر من هذا انهم لما ارادوا وضع اسماء للاصول القليلة التي تفرعت منها هذه الشعوب المعروفة تساهلوا بقبول بعض ما تلقى في حكاية البشر مما قبل التاريخ ولكن هذا لا يروي في الحقيقة دليل المحققين ولا غليل الخياليين فيسطل المحققون صابرين على جهل مثل هذا ويبقى

الخبيائون مستمسكين بما قد حكي لهم من قبل وربما تسلي محب الحقيقة عن احتجاجها برؤية تماثلها وما تماثلها الا أساطير الاولين
 اما نحن فنرى انه لا حاجة للتسلي بتلك الاساطير لانا اذا اشتبهنا المعرفة فأمامنا مما قد نستطيع معرفته ما تنفذ مراحل أعمارنا من غير ان نقطع في ميدانه شوطاً بعيداً، وما الوصول الى غاية في هذا الميدان مما يجوز ان نطمح فيه

فاذا أردنا الآن ان نعرف العرب فعلياً قبل كل شيء ان نريح أنفسنا من الطمع بمعرفة سلسلتهم الآدمية الى آدم أو الى نوح بالتفصيل كما فطنا طمعنا من معرفة ذلك في سائر الامم فهذا لا حاجة الى ما يدكره علماء الانساب من كون هذا الجيل من الاجيال السامية اذ يقال اني لهم العلم بسام ابي الشعوب السامية وكيف بيني أهل الفن مبادئ على شيء غير معروف بالطرق التي تفيد العلم اليقيني؟ وما أغنى من يريد ان يعرف جيلاً كالعرب عن الاستعانة بأساطير الاولين

* * *

يقول المؤرخون ان العرب ثلاثة أقسام (١) بائدة و(٢) عاربة و(٣) مستعربة اما البائدة فهم العرب الاول الذين ذهب عنا تفاصيل اخبارهم لتقدم عهدهم وهم عاد، وثمود، وطسم، وجديس، وجرهم الاولى، واما العرب العاربة فهم عرب اليمن من ولد قحطان، والعرب المستعربة هم ولد اسماعيل بن ابراهيم

هذا قولهم وهو لا يجنبني لان البائدة ليست موجودة حتى تعد وان كانوا يعدونها لان منها اشتق غيرها فهذه شهادة بأنها لم تبد. وقد

ذكروا في هذا التقسيم عرب اليمن من ولد قحطان قسماً مستقلاً ولم يذكروا لنا من هو قحطان هذا . وذكروا أولاد اسماعيل بن ابراهيم قسماً مستقلاً ولم يأتوا بدليل قويم على انه يفرع من اسماعيل ذرية مستقلة هم العرب المستعربة . وجل ما ذكروه ان اسماعيل الذي كان غريباً في جوار مكة المكرمة تزوج بامرأة عربية من تلك القبائل التي كانت حولها ، فهل انقطع نسل تلك القبائل حتى أصبح لا يذكر اذا ذكر العرب ثم تبارك نسل اسماعيل الغريب وحده حتى صار قسماً مستقلاً هو ثالث ثلثة أو ثلثي اثنين اذا ذكر العرب ؟ لسنا ندري ولكننا نعرف ان هذا من جملة الاقوال التي تكتسب بكثرة الموافقة في مرور القرون صبغة لا تزول فتمر الاكثرين وهي في الحقيقة لا تصبر على النقد والحك فليت أولي الالباب يكتفون من حك هذه المشهورات

وانما يجني جداً في هذا الباب ما روي من ان النبي العربي عليه السلام كان اذا اتسب يقف عند عدنان ولا يتجاوزه ويقول « كذب للنسبون »^(١) ويعني بذلك الذين يزعمون معرفة الانساب الى آدم أو الى نوح اما الذي لا يفير النقد من سطوع جوهره شيئاً فهو ان العرب يوم ظهر فيهم النبي الذي اُعلى شأنهم كانوا متفرقين في أقطار جزيرة العرب ومنقسمين قبائل كل قبيلة تذكر لنفسها نسباً تقف فيه عند رجل معروف لديها وتمسك بما وراءه . والمشهور ان لقبائل الحجاز أصلاً ، ولقبائل اليمن أصلاً آخر ، وللقبائل بهد ذلك أصول متفرعة من أحد الاصلين .

(١) رواه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس وتمتته : قال الله تعالى

« وقرونا بين ذلك أكبراً »

وعرب العراق والشام ترجع الي أحد هذين الاصلين أيضا، فعدنان هو أبو عرب الحجاز غالبا، وقحطان هو أبو عرب اليمن والعراق والشام غالبا وان قال قائل كيف عرف هذا عن العرب وهم أهل بادية متشتتون متفرقون، متقاتلون متداحجون، لا ملك لهم جامع، ولا شرع فيهم وازع، ولا يد لهم في الاعمال الاجتماعية، ولا نصيب لهم في الشؤون السياسية، وليس لهم قبل الاسلام كتاب معروف تدون فيه أخبارهم، وتذكر فيه ما آثرهم وآثارهم، فمن أجل ذلك لا تجوز الثقة بما ينقل ويحكى عنهم ولسنا نعرفهم الا بالاسلام، فالاسلام قد جمع الاوزاع من أهل هذه اللغة الواحدة على كلمة الغزو، وهذا لا يثبت ان العرب كانوا يعرفون لقبائلهم أصولا وانهم كانوا يتعارفون بأنسابهم ؟ ؟

نقول لصاحب هذا القول ان العرب لم يكونوا مجهولين ولا مجهولة أخبارهم فاذا قلنا انهم لم يكونوا أهل كتابة وتاريخ فأشماهم المحفوظة المنقولة هي ديوان سيرهم، واذا لم تثق بنقل أشعارهم استطعنا ان نعرف العرب من تاريخ الامم المجاورة لهم . فالفرس قد سبروهم لان من العرب ملوكا كانوا لهم خاضعين، وقوادا كانوا بأمرهم عاملين . والروم قد خبروهم لان في مملكتهم ملوكا وقوادا وولاة من العرب، والديانة الجوسية تعرفهم لان منهم من كان على دين ملوك فارس، والكنايس تعرفت بهم لان منهم نصارى بل قيسيين ورهبانا، وبيع اليهود ما جهلتهم، والناسفة ما أنكرتهم، والحضارة قد ألمت بمساكنهم (في اليمن والعراق والشام) ومخالطة الامم أخذوا بقسط منها وأخذت بقسط منهم، فكيف يكون هذا الجليل مجهولا بعد كل هذا ؟

ان العرب كانوا معروفين . ومما عرفوا واشتهروا به الحرص على وحدتهم القومية فكانوا أمام الغريب أمة واحدة لها وحدة باللغة والنسب واتصال الديار والمصيبة عند التناصر فإذا رجعوا إلى ما بينهم كانوا قبائل شتى تنتمي كل قبيلة إلى أب لها ثم يجمع قبائل كثيرة منهم أب واحد وهكذا . ولا يعتمد من أمة محتاجة إلى التناصر وليس لها كسائر الأمم كتاب يجمع أخبارها وسير أبطالها أن يعني كثير من أفرادها بحفظ ذلك في أذهانهم وأية أمة ممن يرى يتناسى أفرادها سيرة أبطالهم . وقد كان الرجل من العرب إذا عظم أمره أو كثرت ماله انفرد بأهله وانتمت إليه الثرية ووضعوا لأنفسهم نسبة جديدة من غير أن يضعوا حظهم من الارتباط بالنسبة الأولى لأن لهم عند التناصر - ظا منها عظيما

يذكر أحد علماء هذا الشأن أن العرب كانت قبائلهم أرحاء وجماع فالأرحاء هي القبائل التي أحرزت دورا ومياها لم يكن للعرب مثلها ولم تبرح من أوطانها ودارت في دورها كالأرحاء على أقطابها إلا أن ينتجع بعضها في البرحاء وعام الجذب . والجماع هي القبائل التي يتفرع من كل واحدة منها قبائل اكتفت باسمائها دون الانتساب إليها فصارت كأنها جسد قائم وكل عضو منها مكثف باسم معروف بموضعه

وكان علم النسب من جملة علوم العرب قد أثره عنهم أهل الرواية أول كل شيء . ونقلوا فيه حكايات كثيرة (منها) ما ذكره عن يزيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة بن عدس وذلك أنه رأى في منى رجلا على راحلة ومعه عشرة شباب بأيديهم المحاجن ينحون الناس عنه ويوسعون له

فدنا منه وقال له: «من الرجل؟ فقال «اني رجل من مهرة ممن يسكن الشجر» قال يزيد فكرته ووليت عنه فناداني من ورائي: مالك؟ قلت «لست من قومي ولست تعرفني ولا أعرفك» قال «ان كنت من كرام العرب فسأعرفك» قال يزيد فكررت عليه راحتي وقلت «اني من كرام العرب» قال فمن أنت؟ قلت «من مصر» قال «فمن القريسان أنت أم من الارحاء؟» فعلمت انه أراد بالقريسان قيسا وبالارحاء خندفا . فقلت «بل من الارحاء» قال «أنت امرؤ من خندف» قلت «نعم» قال «من الارومة أنت أم من الجماجم؟» فعلمت انه أراد بالارومة خزيمه وبالجماجم بني اد بن طابحة . قلت «بل من الجماجم» قال «فانت امرؤ من بني اد بن طابحة» قلت «أجل» قال «فمن الدواني أنت أم من الصميم؟» فعلمت انه أراد بالدواني الرباب ومزينة وبالصميم بني تميم . قلت «من الصميم» قال «فأنت اذا من بني تميم» قلت «أجل» قال «فمن الاكثرين أنت أم من الاقلين أو من اخوانهم الآخرين؟» فعلمت انه أراد بالاكثرين ولد زيد وبالاقلين ولد الحارث وباخوانهم الآخرين بني عمر وبنو تميم . قلت «من الاكثرين» قال «فأنت اذا من ولد زيد» قلت «أجل» قال «فمن البحور أنت أم الذرا أم من الثماد؟» فعلمت انه أراد بالبحور بني سعد وبالذرا بني مالك بن خنظلة وبالثماد امراء القيس ابن زيد . قلت «بل من الذرا» قال «فأنت رجل من بني مالك بن خنظلة» قلت «أجل» قال «فمن السحاب أنت أم من الشهاب أم من اللباب؟» فعلمت انه أراد بالسحاب طهية وبالشهاب نهملا وباللباب بني عبد الله بن دارم . فقلت له «من اللباب» قال «فأنت من بني عبد الله بن دارم» قلت «أجل» قال «فمن البيوت أنت أم من الدوائر؟» فعلمت انه أراد بالبيوت ولد زرارة وبالدوائر

الاحلاف . قلت « من البيوت » قال « فأنت يزيد بن شيان بن علقمة
ابن زرارة بن عدس وقد كان لا يك امرأتان فأيهما أمك ؟

* * *

ولقد غلط من ظنوا ان العرب لم يكن لهم من حضارة ولم يكونوا
على شيء مما عليه الامم من الروابط كلاب كان لهم حضارات وملوكهم
التابعة في اليمن معروف أمرهم عند المشتغين بالتاريخ . وملوك الحيرة
(في العراق) مشهورون من عرف تاريخ الفرس عرفهم . ان جهل تاريخ
العرب أولهم مالك بن فهم بن غم بن دوس بن سلالة الأزدي من ولد
كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ملكه في أيام ملوك
الطوائف الفارسيين وملك بعده أخوه عمرو بن فهم ثم ملك بعده عمرو
ابن أخيه جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم وجذيمة هذا هو صاحب الحديث
المشهور مع الزباء (زوييا) صاحبة تدمر وخلاصة الحديث فيما يروي
مؤرخو العرب ان جذيمة قتل أباهما حثالت عليه الزباء وأطمعته في نفسها حتى
اغتر وقدم اليها فقتله وأخذت بثأر أبيها . وبعد قتله انتقل الملك الى يد
ابن اخته عمرو الاخمي جد الملوك المناذرة الاعميين .

والمملوك الفسائون في الشام مشهورون أيضا بلهم من عرف تاريخ
الرومان اذا جهل تاريخ العرب . وأصل غسان من اليمن من بني الأزدي
ابن الغوث ، تفرقوا من اليمن بسيل العرم ، ونزلوا على ماء بالشام يقال
له غسان فنسبوا اليه وكان قبيلهم بالشام عرب يقال لهم الضجاعة من
سليح فأخرجتهم غسان من ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم .

وأول من ملك من غسان جفنة بن عمرو بن ثعلبة، وكان ابتداء ملكهم قبل الاسلام باربع مئة سنة وقيل أكثر من ذلك، ولما ملك جفنة وقتل ملوك سليج دانه، له قضاة ومن بالشام من الروم، وبني بالشام عدة مصانع ولما مات ملك بعده ابنه عمرو بن جفنة، وبني بالشام عدة ديور منها دير حالي ودير أيوب ودير هند، ثم ملك بعده ابنه ثعلبة بن عمرو وبني صرح القرير في أطراف حوران مما يلي البلقاء. ثم ملك الحارث بن ثعلبة، ثم ملك بعده ابنه جبلة بن الحارث وبني القناطر وأدرح والقسطل، ثم ملك بعده ابنه الحارث بن جبلة وكان مسكنه بالبقاء فبني بها الخفير ومصنعه، ثم ملك بعده المنذر الاكبر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة الاول، ثم ملك بعده أخوه النعمان بن الحارث ثم ملك بعده أخوه جبلة بن الحارث ثم ملك بعدهم أخوهم الايهم بن الحارث وبني دير ضخم ودير النبوة. ثم ملك أخوهم عمرو بن الحارث ثم ملك جفنة الاصغر ابن المنذر الاكبر، وهو الذي أحرق الحيرة، وبذلك سموا ولده آل معرق. ثم ملك بعده أخوه النعمان الاصغر بن المنذر الاكبر ثم ملك النعمان بن عمرو بن المنذر، وبني قصر السويداء ولم يكن عمرو أبو النعمان المذكور ملكا وفي عمرو المذكور يقول النابغة الذبياني

عليّ لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

ثم ملك بعد النعمان المذكور ابنه جبلة بن النعمان، وهو الذي قابل المنذر اللخمي بن ماء السماء. ثم ملك بعده النعمان بن الايهم بن الحارث بن ثعلبة، ثم ملك أخوه الحارث بن الايهم، ثم ملك بعده ابنه النعمان بن الحارث، وهو الذي أصابح صهاريج الرصافة وكان قد خر بها بمض

ملوك الحيرة اللخمين ، ثم ملك بعده المنذر بن النعمان ، ثم ملك بعده أخوه عمرو بن النعمان ، ثم ملك أخوها حجر بن النعمان ، ثم ملك ابنه الحارث بن حجر ، ثم ملك ابنه جبلة بن الحارث ، ثم ملك ابنه الحارث ابن جبلة ، ثم ملك ابنه النعمان بن الحارث ، ثم ملك بعده الإيهم بن جبلة ابن الحارث وهو صاحب تدمر وكان عامله يقال له القين بن خسر وبنى له قصرًا بالبرية عظيمًا ومصانم . ثم ملك بعده أخوه المنذر بن جبلة ثم ملك بعده أخوها شراحيل بن جبلة ثم ملك أخوهم عمرو بن جبلة ثم ملك بعده ابن أخيه جبلة بن الحارث بن جبلة ، ثم ملك بعدهم جبلة بن الإيهم بن جبلة ، وهو آخر ملوك بني غسان ، وهو الذي أسلم في خلافة عمر ثم عاد إلى الروم

* * *

ومن ملوك العرب ملوك كنده الذين من سلالتهم امرؤ القيس الشاعر المشهور أولهم حجر آكل المرار بن عمرو وخلف على الملك ابنه عمرو المقصور سمي بالمقصور لأنه اقتصر على ملك أبيه ثم ملك بعده ابنه الحارث بن عمرو وقوي ملك الحارث المذكور لأنه وافق كسرى قباد بن فيروز على الزدقة والدخول في مذهب مزدك فطرد قباد المنذر ابن ماء السماء اللخمي عن ملك الحيرة وملك الحارث المذكور موضعه فمظم شان الحارث المذكور فلما ملك انوشروان أعاد المنذر وطرد الحارث المذكور فهرب وتبعته تغاب وعدة قبائل فظفروا بأمواله وبأربمن نفساً من ذوي قرباه فقتلهم المنذر في ديار بني سريين وهرب الحارث إلى ديار كلب وبقي بها حتى مات . ومن أولاد الحارث هذا حجر أبو امرؤ

القيس الشاعر وكان حجر قد ملكه ابوه علي بن أسد بن خزيمه فبقي أمره
متأسكا فيهم مدة بعد ذلك ثم تنكروا عليه فقاتلهم وقهرهم وودخلوا في طاعته ثم
هجموا عليه بغته وقتلوه غيلةً وفي ذلك يقول ابنه امرؤ القيس أياتاً منها
بنو أسد قتلوا ربهم ألا كل شيء سواه خلل

وطالب امرؤ القيس بهذا الملك بعد ابيه فاستنجد بيكر وتغاب
علي بن أسد فأجدوه وهربت منهم بنو أسد وتبعهم فلم يظفر بهم ثم تخاذلت
عنه بكر وتلب وتطله المنذر بن السماء فنفرقت جموع امرئ القيس
خوفاً من المنذر ، وخاف امرؤ القيس من أيضاً فصار يدخل على
قبائل العرب ، وينقل من أناس الى أناس حتى قصد السموأل بن عاديا
اليهودي فأكرمه وأزله وأقام عنده ثم سار الى ملك الروم مستنجداً به
وأودع أذراعه عند السموأل وكانت مئة وفي مسيره الى ملك الروم قال
قصيدة تشعربلسان حاله ومنها قوله

تقطع أسباب اللبابة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن ان الاحقاد بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكاً أو نموت فنعدرا

وقدمت في هذا السفر بعد عودته من عند قيصر
فبالله كيف تكون مجهولة الامة التي فيها الملوك والاقبال، وقد وقعت
أمام الامم والاجيال، سنين من الدهر، لا يعرف لها حصر، امرك ان القول
بأن هؤلاء القوم كانوا مجبولين وانهم كانوا متشتتين من غير ملك جامع،
ولا شرع وازع، هو قول يرسله صاحبه من غير ان يكاف نفسه بمحنا وهو
لما يحط بذلك خبراً

ومتي كان العرب معروفين عند غيرهم كما أوضحنا - ولدينا مزيد
 كانوا هم أحق بمعرفة أنفسهم وحفظ مفاخرهم وعصبياتهم . وما نقل الينا عنهم
 من ذلك ليس منه شيء فوق العقل ولا وراء الحس بل القرائن له شاهدة ،
 وأمثاله امام أعيننا مشاهدة ، واذا لم تجز الثقة بما ينقل من هذه الاخبار
 لم يكن غيرها أحق بالثقة لعمر الحق فان تزوير الاساطير لا يستمد وقوعه
 في كل أمة من الامم ذوات الزبر والاسفار وليست الكتب أحق بالصدق
 من القرائن الشاهدة والنظائر الناطقة

فن شاء ان لا يثق بمنقول البتة لا يصرنى رأيه ولا ينس التاريخ والمنقول
 ولا يضر العلماء الذين يحترمون التاريخ كثيرا وانما يضره وحده . يقال
 استفادته من المنقول ، ويكثر وساوسه وغروره ، ثم يصل الى درجة لا يثق
 ممها أحد بمقوله . ومن شاء ان يثق بالمنقول عن الامم دون العرب
 لا أناقسه لانه شهد لي على نفسه شهادة كافية
 ولا أزيدة شيئا على ما أوضحنا به ان العرب تجوز الثقة ببعض ما ينقل
 عنهم كما تجوز الثقة ببعض ما ينقل عن غيرهم

من أجل هذا نؤمن بما نقل الينا من نسب سيدتنا التي تروي هنا
 سيرتها وهي خديجة القرشية فان هذا النقل من النقول التي لا تجد النفس
 حاجة للتردد في قبولها

وقد قلنا آنفا ان لهؤلاء العرب المعروفين أصلين معروفين عندهم
 ومجهول ما وراءهما وهما عدنان وقحطان ، فاما قحطان فقد أخذت خبرته

بمظهرها من الملك لأن كل ملوك العرب المشهورين كانوا من ذريته واما عدنان فان حظ ذريته تأخر قليلا ولكنه كان لهظمه متجاوز النسبة أي انه لا نسبة بين حظ القحطانيين الذين كان يقوم منهم ملوك ثم ينطق به مجدهم وحظ اخوانهم العدنانيين الذين أشرق منهم نور مبین بهر العالمين أجمعين فلذلك نلم هنا بذكر الذرية العدنانية دون الذرية القحطانية لاتنا نريد ان نعرف القاريء يقوم خديجة الخصوصيين . ﴿فعدنان﴾ ولد له ﴿معد﴾ ومعد ولد له ﴿نزار﴾ وأولا نزار أربعة ﴿مضر﴾ وایاد وریعة وأنمار وقد فارق ایاد الحجاز وسار بأهله الى أطراف العراق . ومن ذريته كعب بن مامة الايادي المشهور بالجود وقس بن ساعدة الايادي المشهور بالفصاحة . ومن ذرية ربيعة بن نزار قبائل عنزة وبكر ووائل وتغلب ومن تغلب كليب ملك بني وائل الذي قتله جساس فهاجت لقتله الحرب بين بني وائل وبين بني بكر وبين بني تغلب . ومن بني بكر ابن وائل بنو شيبان ومن مشهور بهم مرة وابنه جساس قاتل كليب وطرفة ابن العبد الشاعر ومن بني بكر بنو حنيفة ومن مشهور بهم سيلمة الكذاب وولد لمضر بن نزار ﴿إلياس﴾ وقيس عيلان وكثرت ذرية قيس هذا من ذريته قبائل هوازن ومن هوازن بنو سعد بن بكر الذين منهم مريضعة النبي (ص) ومن ذريته بنو كلاب وقبائل عقيل وبنو عاصر ومهصمة وخفاجة وبنو هلال وثقيف وبنو نعيم وباهلة ومازن وعظمان وبنو عبس الذين منهم عنزة المشهور وقبائل سليم وبنو ذبيان وبنو فرارة وكان بين بني عبس وبني ذبيان حرب داحس التي ظلت أربعين عاماً . ومن بني ذبيان النابغة الذبياني الشاعر المشهور

وولد لالياس بن مضر ﴿ مدركة ﴾ وطابخة ومن ذرية طابخة
 بنو تميم والرباب وبنو ضبة وبنو مزينة
 وولد لمدركة بن الياس ﴿ خزيمه ﴾ وهذيل والى هذيل هذا تنسب
 جميع قبائل الهذليين ومنهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر المشهور
 وولد لخزيمة بن مدركة ﴿ كنانة ﴾ وأسد والهون وولد لكنانة
 ابن خزيمه ﴿ النضر ﴾ وملكان وعبد مناة وعمرو وعامر ومالك فمن
 ملكان بنو ملكان ومن بني عبد مناة بنو غفار ومن مشهور بهم أبو ذر ، وبنو
 بكر. ومن بني بكر هؤلاء الدئل ومن مشهور بهم أبو الاسود الدئلي وبنو
 ليث وبنو الحارثة وبنو مدلج وبنو ضمرة
 وولد للنضر بن كنانة ﴿ مالك ﴾ ولم يعرف له ولد سواه وولد للمالك
 هذا ﴿ فهر ﴾ وفهر هذا هو الذي سمي قريشاً ولم يولد للمالك غير فهر
 وولد لفهر ﴿ غالب ﴾ ومحارب والحارث فمن محارب بنو محارب ومن
 الحارث بنو الخليج ومن مشهور بهم أبو عبيدة بن الجراح وجميع ذراري
 فهر يقال لهم قرشيون
 وولد لغالب بن فهر ﴿ لؤي ﴾ وتيم الأدرم ومن تيم المذكور بنو
 الأدرم ومعنى الأدرم ناقص الذقن
 وولد للؤي بن غالب ﴿ كعب ﴾ وسعد وخزيمة والحارث وعامر
 وأسامة . ومن ذرية عامر بن كعب عمرو بن ود فارس العرب الذي قتله
 علي بن أبي طالب
 وولد لكعب بن لؤي ﴿ مرة ﴾ وهصيص وعدي فمن هصيص

بنو جمع ومن مشهورهم أمية بن خلف وأخوه أبي بن خلف وكلاهما كانا
عدوين عظيمين للنبي (ص) ومن هصيص أيضاً بنوسهم ومن عدي بنو عدي
ومن مشهورهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد

وولد لمرة بن كعب ﴿ كلاب ﴾ وتيم ويقظة فمن تيم بنو تيم ومن
مشهورهم أبو بكر الصديق وطلحة ومن يقظة بنو مخزوم ومن مشهورهم
خالد بن الوليد وأبو جهل عمرو بن هشام

وولد لكلاب بن مرة « قصي ﴾ وزهرة ومن ذرية زهرة سعد
ابن أبي وقاص وآمنة أم النبي (ص) وعبدالرحمن بن عوف وقد كان قصي هذا
عظيماً في قريش وهو الذي ارتجع مفاتيح الكعبة من بني خزاعة وهو
الذي أنزل مجدهم

وولد لقصي بن كلاب ﴿ عبد مناف ﴾ وعبد الدار وعبد العزى
فمن بني عبد الدار بنو شيبة حجاب الكعبة ومن مشهورهم الضمر
ابن الحارث كان من أشد أعداء النبي ، ومن عبد العزى أيضاً سيدتنا
خديجة بنت خويلد التي زوي سيرتها

وولد لعبد مناف بن قصي ﴿ هاشم ﴾ وعبد شمس والمطلب ونوفل
فمن عبد شمس أمية ومنه بنو أمية ومنهم عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي
سفيان مؤسس الملك الأموي . ومن المطلب ابن عبد مناف المطلبون ومن
ذريتهم الإمام الشافعي ومن نوفل النوفليون

وولد لهاشم ﴿ عبد المطلب ﴾ ولم يعلم له ولد سواه . وولد لعبد
المطلب ﴿ عبد الله ﴾ وحزمة والعباس جد الملوك العباسيين
وولد لعبد الله بن عبد المطلب ﴿ محمد ﴾ النبي عليه الصلاة والسلام

بغير هادي الذين يتخرون القول فينبون أحسن
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

بؤن الحسنة من بيننا ومن يؤت الحسنة فقد رآني
غيراً كبيراً وما يندكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر الاربعاء - ٢٩ صفر ١٣٢٦ - أول ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٨)

كتاب مصر الحديثة للورد كرومر

نظرة إجابة في الكتاب

أقام لورد كرومر في مصر نحو ربع قرن متصرفاً بنفوذ الحاكم المطلق فعرف من أحوال حكومتها وسيرها الاجتماعي ما يفر على غيره من حكام البلاد أو زلائها من الأوربيين ان يعرفوه ثم أودع زبدة ما عرفه في كتاب يدخل في ثلاثة مجلدات طبع اثنان منها وأوصى هو بطبع الثالث عقب موته لانه خاص بحال مصر في عهد الاميرالحال عباس باشا الثاني والظاهر أنه أشد الاجزاء وطأً وأثقل قِيلاً على مصر والمصريين على ان الجزء الثاني لا تستخف وطأته ، بل لا تطاق كلفته ، فهو قد حكم

لكل الشعوب التي تنبوا ارض مصر وعليها ولكنه حكم على المصريين
لا لهم ولم يحكم عليهم بالمساواة بل فضل القبط على المسلمين تفضيلا من
حيث دينهم وما فيه من المرونة التي تساعد على مجارة المدينة ما لا يساعد
الاسلام أهله على زعمه

ولم يكف بالحكم في قضايا الشعوب من حيث هو حاكم سياسي
اجتماعي بل حكم ايضا في قضايا الرجال المشهورين الذين عرفهم من بعض
الوجوه وكان حكمه عليهم من غير الوجه الذي عرفهم به اذ حكم على مطويات
العقائد ومكونات الضمائر وخطرات القلوب

ولم يرضه هذا حتى رفع نفسه الى مستوى الحكم على الاسلام من
حيث هو دين ومن حيث هو شريعة ونظام اجتماعي فحكم من الحيثية الاولى
له وعليه ومن الحيثية الثانية عليه لا له وانتقل من الحكم عليه الى الحكم على
أهله عامة حتى في مستقبل أمرهم فكان حكمه هذا صاخة تصخ المسمع
وقارعة تصدع القلوب بل هو عبرة للمتبرين وموعظة للمصريين
وسائر المسلمين

رأيت حديث الناس في هذا الكتاب يدور على قطبين (أحدهما) الحكم
على شعور الكتاب حينما دون حكمه على المصريين وعلى الاسلام والمسلمين
فأرايت بينهم خلافا في كونه كتب بمداد الحق والحق وقلم الحفيظة والانتقام
من المصريين بما فوقوا اليه من سهامهم ، وصوبوا اليه من اسنة اقلامهم ،
في وقت مفارقتة لديارهم ، وهو وقت ضاق فيه ذلك الصدر الواسع
عن احتمال الانتقاد ، بله الشبهة والازراء ، على انه قد ظهر ضيق صدر
اللورد قبل ذلك في تقريره الاخير ، ثم في خطبته التي خطبها قبيل الرحيل ،

هذا وأما القطب الثاني لحديث الناس في الكتاب فهو غرضه منه وقد رأيت أهل الفهم والذكاء يقولون من غير مواطأة ولا تقليد ان غاية اللورد من هذا الكتاب هي ان يستل من نفوس أحرار قومه فكرة توقيت الاحتلال، والخروج من مصر في يوم من الايام، ويقتسمهم ويقنع أوروبا معهم بأن لا ضمان لحفظ مصالح الاوربيين في مصر بل ولا مصالح المصريين الا بقاء الانكاز في مصر لان المصري شديد التمسك بدينه الذي لا يتفق مع المدنية فان هو تركه واتبع هذه المدنية كما يحب الاوربيون ويبنون كانت مدينته تقليدية لا حقيقية وكان بذلك شرا من المسلم المتدين وأشد عداوة للاوربي والمسيحي ولو غير أوربي و يرون ان تصريحه بعدم استحسان ضم مصر الى املاك انكلترا وما أظهره من الميل الى اعدادهم للاستقلال هو من التمويه وذو الرماد في العيون وإلهاء المصريين بالاماني والاحلام. وأصحاب هذا القول غافلون عن طرق الاستعمار الجديدة ومنها حكم البلاد باسم أهلها والرضى بالسلطة الفعلية بديلا من السلطة القولية وقد سبق لنا بيان لهذه الطرق في السنة الاولى من المار وفي غيرها أيضاً هذه صفة الآراء التي دارت بين الناس في شعور مؤلف كتاب مصر الحديثة وفكره المستولي عليه عند الكتابة وفي غاية منه وذلك ضرب من ضروب انتقاد المصنفات مطروق الأبواب، متهود عند الكتاب، ومما ينتقد على هذا الكتاب وهو من أصول الانتقاد استنباط القواعد لكلية، من شواذ الحوادث الجزئية، ولم يسلم اللورد من ذلك فانه في المقابلة بين عقل الغربي والشرقي اورد الامثلة لعقل الشرقي الضعيف

التنظيم والادراك « لاعتقاده بالقضاء والقدر ورضوخه لكل سلطة تتولى أموره » فانه بعد ان دعم الحكم على عقل الشرقي بهاتين العلتين مثل للحكم الكلي العام بما نص ترجمته
(قال اللورد) « حدث أكثر من مرة ان المتحبي في مصلحة

الحديد المصرية حول الخط والقطار عليه لم يمر الانصفه الى الخط الآخر فادى ذلك الى انقلاب القطار وحدث ايضا ان سائق قطار نسي احياا اي مفتاح يجب ان يحرك لكي يوقف القطار وحدث مرة ان عمال السكة الحديدية قتلوا لانهم ناموا بعد ان وضوا رؤوسهم على الخط الحديدي وانما فعلوا ذلك ليشقوا بأنهم يستيقظون على صوت القطار الآتي »

وتقول ان أمثال هذه الجزئيات تقع في أوروبا وفي جميع البلاد من جميع الشعوب وناهيك بالطبقة الدنيا من العمال فان ذكي الفطرة عالي النفس لا يرضى لنفسه بأن يكون من أحقر عمال سكة الحديد، وناهيك بالمتدين من أهل هذه المهنة بها والغالب ان يكون أصحاب ذلك الشذوذ الذي ذكره منهم . فحال أمثال هؤلاء لا يصح ان يكون مناط المقابلة بين الشعوب في ارتقاء العقل وملكة النظام فيه . وانما ينظر في حالهم من جهة النشاط في العمل والصبر عليه ولعله لو قابل بين فعلة الاوربيين وفعلة المصريين في هذه المزايا لما قدر ان يخس المصريين حقهم، وان ظن ان القضاء والقدر قد فك باستعدادهم لكل عمل ااونسي ان أكثر المستخدمين في سكة الحديد من القبط الذين هم على شاكلته في عدم الايمان بالقضاء والقدر واني أذكر له شيئا من بلاد بعض الاوربيين وغفلتهم هو أبعد عن العقل والنظام مما صدر عن صنار فعلة السكة الحديدية في مصر ناقلا إياه عن

كآاب صفوة الآآبار لصدفة الشفخ محمد ففم الآفة السدل وحه الله آعالى فانه كآب فف الففل الآف عفة لفاء عادات أهل فرنا و صفاهم مانصه :
« ومع ذلك (أف آآشار المعارف) فلا يزال فف فرنا آلق كآفر على السذآة والآهل . ودونك حكاة ظرفة فففس عليها ما فرب منهاه فف سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م كان أأأ أصحاب العمل بالفاء مشآلا آة « بارفس » وكان له ابن مشآل آة « برءو » فلم فوفر الابن من كسبه ما فآآرف به آذاء فأرسل الى أفه فآآكف له القل و فطلب منه شراء آذاء له فاشراه له وحه فف الطرفق وهو مفكر فف كفففة ففصاله الفه فففناهو ماش اذ مر آاذفآ للسك الكهرباءف فقال هذا أفسر طرفق !! فف أآمله الآذاء وهو فوصله لابنف . آآاء الى عود السك وعلق ففه الآذاء وأسر الى العود بقوله « أوصول هذا لابنف فلان فف المكان الفلأنف » وذهب مسرورا باطلاعاه على مسلك سهل بلا مه روف . ثم مر من آء مفآذآ ما فعل السك بالآذاء فوجد فف ذلك المكان آذاء عآفقا أفناه اللبس فمرآ وقال « ان ابنف لعافل آف آرسل لف الففم لاسآفن به على آمن الآفد » فانظر الى هذه البلاءة الفف لو صدرآ من أأأ المشرقفن لشنوا بمآفب الآنس بأنه وحبف فففد عن المعارف و ففذب الآآلاق ، (وقد صدق ظننه صدفة لورء كرومر فانه شنع على الشرقفن كافة بما وقع من بعض ففلة سكة الآفد بمصر)

(ثم قال ففم) « واعلم ان مثل هذا الرجل كآفر سفاف الفرف الصففة والآبال بل وفف أهل المآن كآفر ممن ففآء بالآرافاء الباطلة وففآء الآففر لا آبار و آآادات ، وففآشاءم بالاوقات ، ففآراءف فف كآفر من بلادهم

وبلدان الطليان وكذا الانكليز طاقات في حيطان فيها منارات توعد ليلا
بالزيت أو بالشمع المسلي تقربا الى بعض اوليائهم أو الجن معتقدين حلول
المتقرب اليه بتلك الطاقة . ولا ينورونها بغير ما ذكر من الانواع لان
القسوس يقولون لهم ان شمع الشحم أو الغاز من البدع التي لا يتقرب بها
وكذلك يطلبون البخت وقضاء الحاجات من جمادات أو أما كن اعتقاد
حلول ارواح فيها . وقد ذكر من هذا النوع في كشف الخبايا فنون أوروبا
ما يتعجب منه السامع مما ترى الاورباويين ومن تشكل بشكاهم وتباهى
بتقليد محمولون عبثه على البلاد الاسلامية وحدها ويجعلونها سخرية
ويتزهون أوروبا عن مثلها مع أنها حاوية لشبهها ولا شد منها بل ربما أسند
ذلك الجاهل أو المتجاهل الى ديانتنا الشريفة وحاشا لله ان تؤدي أو ترشد
لمثل ذلك بل أنها هي المهدية والمنقذة من ضياع الجهل الى نور المعارف
الحائنة على العلم وفتح البصائر « اه بحروفه

هذا ما قاله عن اهل فرنسا وهم أسبق الاوربيين الى العلم والمدنية
واذ كام أذهاءه . على أنه قال ان الانكليز كذلك بل قال في كلامه من عادات
الانكليز وصفاتهم مانعه :

« وأما أطوار الطبقة السفلى فهي أشنع مما مر ذكره في هيج
الفرانسييس سواء كان من جهة الاعتقاد أو من جهة السيرة والحركات
فيتطرون من أشياء كادت ان لا تحصى وينقادون الى السحرة والدجالين
بما يخرج عن حد المقول وكاد التعلم ان يكون عندهم مجهول الاسم فضلا
عن المسى سوى ما يرطن لهم القسوس في الكنائس « الخ
أقول اما خرافات القبور والولياء التي قال انهم يعيرون الاسلام

بمثلا وهو منها بريء فقد أخذها المسلمون عنهم وهم أخذوها عن اجدادهم
أو مجاورهم من الوثنيين فالاسلام والنصرانية الحقيقية بريتان منها وقد
قال صلى الله عليه وسلم « لتبين سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع »
قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ - قال « فن ؟ » رواه الشيخان وغيرهما
وان تعجب فحجب مقارنته في هذا المقام بين الاوربي مطلقا والمامي
المصري في الحساب فقد قال بعد ما تقدم ما ترجمته كما في المؤيد :
« وقارن أيضا بين تقدير الاوربي للحساب وبين للمصري المامى
الذي يشكل عليه إشكالا كاملا كل أمر يتعلق بالارقام أو الكمية فان عددا
قليلًا من عامة المصريين يعرفون عمرهم . فاذا سألت المصري عن عمر
رجل متقدم في السن يكون جوابه غالباً « ان عمر الرجل مئة سنة »
ويقول في نفسه ماذا يهم التدقيق في هذا الامر أو أي أمر آخر علمي ،
قلت ان هذا من مواطن العجب لان المقارنة فيه بين الاوربي
المتعلم والمصري المامى ولماذا لم يقارن في الحساب والارقام بين المتعلم من
الفرقيين ؟ لعله لانه يعلم ان المصريين من اقوى الشعوب استعداداً للبراعة
في الحساب وسائر العلوم الرياضية وقد أراد الانكليز منذ بضع سنين ان
يجعلوا ترقية المهندسين منهم على المهندسين من المصريين مبنيا على قاعدة
عادلة لظنهم ان الانكليز اعلم وأبرع فامتحنوا الفرقيين فاسفر الامتحان عن
فوز المصريين وتخلف الانكليز عنهم وسكت الفرقيان على ذلك الامتحان
فلم يلموا به الجرائد . اما الانكليز فلما هو ظاهر واما المصريون فلخوفهم
ان يحق عليهم رؤساؤهم ويتقموا منهم
ومما يتدع عليه في كتابه تقليده لنير واحد من كتاب الاوربيين في

آرائهم في الاسلام وكان أجدر من كثير من أولئك الكاتبين بمعرفة حقيقة الاسلام لو أراد أن يعرفه وينصفه فإنه عاش في مصر عمراً طويلاً وعرف أشهر علماء اهل ابل أشهر علماء الاسلام المعروفين في العالم كله الآن وناهيك بالاستاذ الامام وطول باعه في علوم الدين ورسوخه في فهم القرآن وهو الذي لم يكن يحتاج في مخاطبته إياه وفهمه عنه الى ترجمان كما كان يحتاج في مخاطبة غيره من شيوخ الازهر . ولكنه لم يكن يسأله عن أصول الاسلام وحكامه وأحكامه ولا الاستاذ الامام كان يتدثه بشيء من ذلك وإنما كان يقصد اليه لاجل الكلام في المسائل المصرية لاسباب المحاكم الشرعية . وما ذكر لي عنه انه كان يذاكره مرة في اصلاح هذه المحاكم ومعارضة قاضي مصر وبعض المشايخ ومقلديهم في ذلك كما حصل في مجلس شورى القوانين وذكر اللورد كثره شكوى الاهالي من الظلم وضيق الحقوق في هذه المحاكم ولما بين له الاستاذ الامام انه ليس في اصل الشرع شيء ينافي الاصلاح العدل قال له اللورد هل تصدق بأستاذ انه يخطر في بالي ان شريعة قامت على أساسها مدنية عظيمة تكون غير عادلة ؟ كلا اني أعلم ان كل هذه المفاسد مسائل « اكليركية » اي من تقاليد المشايخ التي تشبه تقاليد رجال « الاكليروس » عند النصارى

أنتقل هذا بالمعنى كما احتفظه عن الاستاذ الامام واستطرد من ذلك الى انتقاد ما كتبه اللورد عنه ثم أخلص كلامه في الاسلام من حيث هو دين ومن حيث هو شريعة وأبين خطأه وخطئه فيه وانتقل من ثم الى المقصد الاعظم وهو مستقبل الاسلام والمسلمين ومراد اللورد وامثاله من أساطين السياسة وامانيهم في ذلك وما يجب علينا من العبرة

والعمل في هذا المقام ، مع تعدد السبل واشتباها الاعلام ،

قول اللورد في الشيخ محمد عبده

لم يسلك اللورد مسلك اصحاب التراجم من المؤرخين فيذكر ما للرجال الذين ترجمهم من الصفات والمزايا وما عليهم من التصير وإنما ألم بذكر بعض كبار الرجال المشهورين المأما ولم ينظر الى أحد من المسلمين بعين الرضى كما نظر الى الشيخ محمد بيرم التونسي على أنه مدحه بشيء يراه هو مدحا ويراه جميع المسلمين ذمًا إذ قال فيه «علمه ذكاً وهنطري ان النظامات التي تعلق بها أسلافه (يعني الشريعة التي جرى عليها المسلمون السابقون) لا بد أن تتلاشى اذا قابلتها المبادئ السامية المرقومة على راية الانكليزي !! رأى كل هذه الامور بعين الناقد البصير » وقال بعد ذلك ان مثله اذا ناقش المسيحي في الامور العامة يكون من النتيجة المحزنة أنه « يكتفي بنذب مصير ذلك الدين الذي يحبه وذلك النظام المؤذي الذي اوجده دينه » ثم ذكر انه لا يوجد عند أمثال بيرم من خيار المسلمين طريقة قادرة على احياء الاسلام الذي هو في حالة الموت السياسي والاجتماعي !! ونحن نعلم فيما رأينا من مؤلفات الشيخ محمد بيرم وما سمعنا عنه ممن لقيه أنه كان متمسكا بهذا الفقه ويراه أحسن نظام ويعتقد انه مستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا كان مع ذلك يفضل عليه المبادئ والقوانين الانكليزية او يرى انه نظام مؤذ فكيف يكون راسخا ذلك الرسوخ في الاسلام ؟ أرى انه على إطراره ليبرم في الدين قد ذمه من

حيث اراد مدحه ولم يعرف حقيقته الدينية كما هي ولا يرضي سر يدي الشيخ محمد عبده ان يكون مثله مرضيا للورد في ذلك وان كانوا يطمون انه لا يعد جميع هذا الفقه ولا اكثره من الدين . وانا نذكر الآراء في الورد في الاستاذ الامام في تقريره لسنة ١٩٠٥ ثم نشفعه برأيه في مصر الحديثة ونبين سبب الاختلاف بينهما

قوله فيه بتقرير سنة ١٩٠٥

اختطفت المنية في السنة الماضية رجلا مشهورا في الهيئة السياسية والاجتماعية بمصر أريد به الشيخ محمد عبده فأجبت أن أسطر هنا رأيي الراسخ في ذهني وهو ان مصر خسرت بموته قبل وقته خسارة عظيمة لما أتت مصر القاهرة سنة ١٨٨٣ كان الشيخ محمد عبده من المنضوب عليهم لانه كان من كبار الزعماء في الحركة العراية . غير أن المنفور له الخديوي السابق صنع عنه طبقا لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق فعين الشيخ بمد ذلك قاضيا في المحاكم الاهلية حيث قام بحق وظيفة القضاء مع الصدق والاستقامة وفي سنة ١٨٩٩ رقي الى منصب الافتاء الخطير الشأن فأصبحت مشورته ومعاونته في هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة لتضلعه من علوم الشرع الاسلامي مع مابه من سعة العقل واستنارة الذهن واذكر مثلا على نفع عمله الفتوى التي أفتاها في ما اذا كان يحل للمسلمين تسيير أموالهم في صناديق التوفير فقد وجد لهم بابا به يحل لهم تسيير أموالهم فيها من غير أن يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء أما الفئة التي يتسمي الشيخ محمد عبده اليها من رجال الاصلاح في الاسلام فعروفة في الهند أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها قام الشيخ

الجليل السيد أحمد الشير الذي أنشأ مدرسة كلية في عليكده بالهند منذ ثلاثين عاماً . والغاية المظنة التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح مادات المسلمين القديمة من غير أن يزعموا أركان الدين الاسلامي أو يتركوا الشعار التي لا تخلو من أساس ديني . فعملهم شاق وقضاؤه عسير لانهم يستهدفون دائماً لسهام نقد الناقدين وطعن الطاعنين من الذين يخاض بعضهم النية في النقد ويقصد آخرون قضاء اغراضهم وحك حزازات في صدورهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانهاك حرمة الدين أما مریدو الشيخ محمد عبده وأتباعه الصادقون فوصوفون بالذكاء والنجابة ولكنهم قليلون وهم بالنظر الى النهضة المليية بمنزلة الجير وندست في الثورة الفرنسية فالمسلمون المتطمعون المحافظون على كل أمر قديم يرمونهم بالاضلال والخروج عن الصراط المستقيم فلا يكاد يؤمل أنهم يستميلون هؤلاء المحافظين اليهم ويسيروا بهم في سبيلهم . والمسلمون الذين تفرنجوا ولم يبق فيهم من الاسلام غير الاسم منقولون عنهم بهوة عظيمة . فهم وسط بين طرفين، وغرض انتقاد الفريقين عن الجانبين، كما هي حال كل حزب سياسي متوسط بين حزين آخرين، غير ان معارضة المحافظين لهم أشد وأهم من معارضة المصريين المتفرنجين اذ هؤلاء لا يكاد يسمع لهم صوت

ولا يدري الا الله ما يكون من أمر هذه الفئة التي كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبيرها فلزمان هو الذي يظهر ما اذا كانت آراؤها تتخلل الهيئة الاجتماعية المصرية أولاً . وعسى الهيئة الاجتماعية أن تقبل آراءها على توالي الايام اذ لرب عندي في أن السبيل القويم الذي أرشد اليه المرحوم الشيخ

محمد عبده هو السبيل. الذي يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير منه لبني
متهم اذا ساروا فيه . فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من
الاوربيين . ولعلمهم يجدون بعض التنشيط من نقلي قول الرجل من اهل دينهم
وصف فيه المعارضة التي لقيتها مدرسة علي كده الكلية المذكورة آنفاً والطريقة
التي تطبوا بها على تلك المعارضة» وههنا ذكر عبارة عن كاتب هندي اسمه
السيد محمود تضاهي عبارته في المقدار

ومما كتب في اواخر الفصل الذي يتكلم فيه عن المحاكم الشرعية ما ترجمته
« هذا واني اوافق السر ملكولم مكاريث على ما قال عن الضربة
الثقيلة التي اصابنا الاصلاح من هذا القبيل بوت المرحوم الشيخ محمد
عبده فقد اشرت الى خدمات ذلك الرجل الجليل في فصل آخر من هذا
التقرير وأعود فباسط الرجاء أيضا ان الذين كانوا يشاركونه في آرائه لا تخور
عزائمهم بفقده بل يظهرون احترامهم له كراه أحسن اظهار بترقية المقاصد
التي كان يري اليها في حياته » اه

اما ما قاله السر ملكولم مكاريث وصرح به اللورد بموافقته عليه فهذا
نص ترجمته

قول المستشار القضائي في الشيخ محمد عبده

« ولا يسفني ختم ملاحظاتي على سير المحاكم الشرعية في العام الماضي
بغير أن أتكلم عن وفاة مفتي الديار المصرية الجليل المرحوم الشيخ محمد
عبده في شهر يولييه الفائت وان أبدي شديد أسفي على الخسارة العظيمة
التي اصابنا هذه النظرة بفقده فقد كان خير مرشد لنا في كل ما يتعلق

بالشريعة الاسلامية والمحاكم الشرعية وكنا نرجع اليه كثيراً للتزود من صائب آرائه والاستعانة بمساعدته الثمينة وكانت آراؤه على الدوام في المسائل الدينية أو الشبيهة بالدينية سديدة صادرة عن سعة في الفكر كثيراً ما كانت خير معوان لهذه النظارة في عملها . وفوق ذلك فقد قام لنا بخدم جزيلة لا تقدر في مجلس شورى القوانين في معظم ما أحدثناه أخيراً من الاصلاحات المتعلقة بالمواد الجنائية وغيرها من الاصلاحات القضائية اذ كان يشرح للمجلس آراء النظارة ونياتها ويناضل عنها ويبحث عن حل يرضي الفريقين كلما اقتضى الحال ذلك وانه ليصعب تعويض ما خسرناه بموته نظراً لسمو مداركه وسعة اطلاعه وميله لكل ضروب الاصلاح والخبرة الخصوصية التي اكتسبها أثناء توظيفه في محكمة الاستئناف وسياحاته الى مدن أوروبا ومعاهد العلم . وكانت النظارة تريد ان تكل اليه امر تنظيم مدرسة القضاة الشرعيين المزمع انشاؤها ومراقبتها مراقبة فطية . اما الآن فانه يتعذر وجود احد غيره حائز للصفات اللازمة للقيام بهذه المهمة ولو بدرجة تقرب من درجته فلكل هذه الاسباب اخشى ان نظارة الحفانية ستظل زمناً طويلاً تشر بخسارتها بفقده « اه كلام المستشار

قول اللورد فيه بكتاب مصر الحديثة

أما الشيخ محمد فكان عالماً من طراز يفضل كثيراً طراز اخوانه الذين أشرت اليهم (كالسادات والبكري) وكان أحد زعماء الفتنة العراية فلما جئت مصر سنة ١٨٨٣ كان منضوباً عليه ولكن الخديوي توفيق عفا عنه بما فطر عليه من مكارم الاخلاق وانقياداً تشبهداً لانكاره عليه في ذلك وعينه قاضياً فاضلاً حسن العمل وأدى الامانة حقها . وكان متوسعاً في آرائه وعلى علم ونباهة فلم

ينكر المساوي الناشئة في الحكومات الشرقية وعرف انه لا بد من الاستعانة بالاوربيين للاصلاح الا انه لم يكن من عداد المصريين المتفرجين وكان يقول انهم لم يحسنوا تقليد ما حاولوا تقليده من الاخلاق الاوربية وكان عدوا للاخديويين والباشاوات وأريد بذلك انه لو عثر على باشاوات صالحين لما أعرض عنهم ولا عارضهم ولكنه لم يوفق الا الى عدد قليل من خيارهم مع اختباره الطويل . وحقبة الامر ان الرجل كان منطورا على الخيال ويرى آراء لا يمكن الجري عليها الا انه كان مع ذلك مصريا وطنيا حقيقيا ومن مصلحة الوطنية المصرية ان يكون أمثاله كثيرا ولكن اذا نظرنا الى نسيج محمد عبده والذين يعلمون تعاليمه من جهة امكان اتخاذهم ساسة للمستقبل نجد ان هناك بعض اوجه الضعف وقد قال المستر ستانلي لاين بول ان المسلم من الطبقة العليا لا بد ان يكون أحد اثنين « اما متعصب او ملحد في سره » فمثل هذه الحيرة على شكل مختلف قد أوجدت عقبات في سبيل المسيحيين الذين يؤمنون بحرفية تعاليم المسيح دون مضاهاتها أنها عقبات أعظم للمسلم الاصيل الذي يبذل عناية كلية بحرفية تعاليم دينه دون مضاهاتها وأخشى ان يكون صديقي محمد عبده في حقيقة امره « لا أدريا » ولو انه يستاء من هذه النسبة لو نسبت اليه . وكان معاشره ومخالطوه يسلمون بمقدرته ولكنهم كانوا يرمقونه شزرا ويقولون انه « فيلسوف » وكل من يدرس الفلسفة اي كل من يدرك الفرق بين القرن السابع والقرن العشرين هو في أعين المتسكين بالقديم سائر الى الهلاك لاعمالة . هذا وان أهمية محمد عبده السياسية هي في أنه اسس مدرسة فكرية في مصر على مثال ما أسس في الهند سيد احمد

منشئ كلية عليكرة وغاية الدين يتمون الى تلك المدرسة هي زكية طرق الاسلام في عين الانساوا بالحري في عين الرجل المسلم ولكن شدة اشتباه المسلم المحافظ فيهم واتهامه ايام بالروق من الدين يمنعاه من المسير معهم طويلا وزاهم من الجهة الاخرى غالبا غير متفرجين الى حد ان يجذبوا اليهم المصري المقلد للطرق الاوربية فهم أدنى من المسلم المحافظ في اسلامهم وادنى من المصري المثالي في تفرجه ولذلك ترى مهمتهم عسيرة جدا ولكنهم جديرون بكل تشجيع ومساعدة يمكن امدادهم بها لانهم حلفاء المصلح الاوربي الطبيعيون وسيري كل مصري محب لوطنه ان في تقدم اتباع محمد عبده خير رجاء له في انقاذ برجرامه الا وهو جعل مصر مستقلة استقلالاً ذاتياً حقيقياً»

وقد علق الورد في ذيل هذه الصحيفة قوله - انني قدمت لمحمد عبده كل تنشيط استطعته مدة سنين كثيرة ولكنه عمل شاق قهضلاً عن العناء الشديد الذي كان يلاقه من المسلمين المحافظين كان لسوء الحظ علي خلاف كبير مع الخديو ولم يتمكن من البقاء في منصب الاقناء لولا ان الانكاز ايدوه بقوة . وقد اثبتت عليه في تقارير السنوية ثناء عظيماً وأنا أعظم الناس أسفاً حقيقياً علي وفاته علي انني في الوقت نفسه لا أرى بدا من الاعتراف بما عراني من الدهشة عند ما طالمت بعض الانباء الجديدة في كتاب المستر ولغرد بلنت فيظهر ان المستر ولغرد بني آراءه في المسائل المصرية علي ما سمعه من محمد عبده فقال عنه في كتابه التاريخ السري انه فيلسوف كبير ووطني عظيم . وقد قرأت بدهشة وأسف ما يبأني بلسان محمد عبده .

« عرض على الشيخ جمال الدين الفتك بإسماعيل يوما عند مروره
 بمرته يوميا علي كوبري قصر النيل فاستحسن رأيها ووافقته ولكن الامر
 اقتصر على الكلام بيننا ولم نوفق الى شخص يتولى تنفيذ هذا العمل »
 فكفاني أن أقول بعد هذا ان العالم المتمدن عموما ينظر شزرا الى الوطنيين
 ويحتقر بالاكثر اوائك الفلاسفة الذين لا يتأخرون عن تعزيز مقاصدهم
 السياسية بمثل ارتكاب القتل » اه من ترجمة المؤيد

المقابلة بين القولين

من قابل بين ما قاله اللورد في تقريره وما كتبه في كتابه مصر الحديثة
 يرى فرقا عظيما بين القولين فان عبارة التقرير لا ذم فيها ولا تعريض وعبارة
 التاريخ فيها ذم صريح ، وتعريض ظاهر بل المدح الذي فيها بمعنى ما في
 التقرير ضئيل مبهم يحتمل صرفه الى الذم في بعض المواضع فانه لما وصفه
 بالعلم فضله على السادات والبكري وهما ليسا من العلماء ولما ذكر انه متهم
 بالفلسفة فسر ذلك بالفرقة بين القرن السابع والقرن العشرين . وقد قال
 المؤيد في هذا التفات ما يأتي

« قضى المرحوم الشيخ محمد عبده من عمره بضع عشرة سنة وهو
 صديق مخلص للورد كرومر وقضى هذا اللورد زهنة الذي صادق فيه
 هذا الشيخ وهو يساعده في الوظائف ويدافع عنه فيها . ويقول الآن
 بصريح العبارة انه لولاه ما بقي في منصب الافتاء طويلا . كان اللورد
 يطريه مدحا في حياته كلما ذكر اسمه في مجلسه وكما جاءت مناسبة لذكره

في تقاريره ويخيل لقارئ كتاب مصر الحديثة الآن ان اللورد يحاول ان يطن عليه أكثر من كل انسان في مصر لولا ما سبق له من المدح فيه . فلم هذا ؟؟

رأى المؤيد في صداقة اللورد الشيخ

« ان جواب هذا السؤال موجود بين سطور اللورد كرومر فيما كتب عن هذا الرجل في كتابه الاخير » .
ثم ذكر المؤيد في بيان ذلك انه كان من زعماء الثورة العراقية وأوضح ذلك وأكد و ذكر قول اللورد ان الخديوي السابق عفا عنه بتشديد الانكياز عليه في ذلك ، وانه كان على خلاف كبير مع الخديوي ثم بين صاحب المؤيد رأيه وأضاف اليه كلمة طالما حاكت في صدره ونوه بها حتى نطقها اليوم فأراحنا وراح الناس قال مانصه:

« من خلال هذا الكلام يظهر الجواب الحقيقي وهو أن اللورد كرومر لم يكن صديقا للمرحوم الشيخ محمد عبده كما كان هذا صديقا مخلصا له ولكنه كان متمسكا بصداقته الظاهرية لانه كان يريد أن يضع في يده رجلا قويا المارضة لدود الخصام عدواً لتوفيق باشا أولا وخلفه ثانيا ولا سماعيل باشا قبل ذلك . ولا سراة في أن المرحوم الشيخ محمد عبده كان يكره طائفة الباشوات كما يقول عنه اللورد من جهة وكان وطنيا صادقا من جهة أخرى . فكان اللورد يحبه من الجهة الاولى ولا يستطيع أن يخلص له الحب من الجهة الثانية . لذلك كانت نظريه وهو ينتقم باطرائه . أما الآن وقد مات الشيخ محمد عبده وفارق اللورد كرومر

مصر فلم تكن ثمت حاجة لان يداري اللورد فيه كل المداراة وانما لاحظ
أن يداري نفسه لما كتب عنه أولا فيما كتب عنه انما فجاءت كتابته هكذا
خليطا من المدح والقدح وثوب الرياء يشف عما تحته

قول المؤيد في الشيخ نفسه

«وعندنا ان المرحوم الشيخ محمد عبده كان رجلا عالما فاضلا ذا خلال
محمودة كثيرة من صفات النجدة والوفاء والمروءة ولا نقول كما قال اللورد
عنه انه كان ملحدًا أو لا أدريا أو ضعيف الايمان لان الايمان من أعمال
القلوب التي يستأثر الله بطمها وأما ظواهره فكانت مجال مقال كثير لا صدقائه
من جهة ولا أعدائه من جهة أخرى ولكنه كان على كل حال عالما مصليا
يحاول ما استطاع اصلاح الفاسد من الشؤون التي طرأت على الدين ويعمل
لذلك بغيره لا تقتر وفي آخر عهده من الدنيا كان يعتقد في نفسه اعتقادا
ملا جوانحه أنه رسول اصلاح من عند الله فكان يجاهد في سبيل ذلك
جهادا حقيقيا وان لم ينل حظ الثقة العامة بذلك . وأضنف الجواب في
أعمال وآراء الشيخ محمد عبده كان الجانب السياسي منه فكان فكره السياسي
خياليا غالبا كما قال اللورد لانه كان في كثير من الظروف يخيل له أن
يقبض بكتا يديه على اللورد كرومر من جهة وعلى الجانب الخديوي من
جهة فيفضل في الامرين معا حتى يقول الجانب الخديوي من جهته ما يقول
فيه وحتى يضحك اللورد من هذا الضنف السياسي فيه

« هذه كلمتا في المرحوم الشيخ محمد عبده قلناها بحرية تامة في هذه
المناسبة لنقول : ان كان اللورد أصاب في بمض ما قاله عن المرحوم الشيخ

محمد عبده فقد أخطأ في حقه مرتين الأولى في حياته لانه لم يكن يعضده ويساعده الا لغرض واحد وهو أن يكون عدواً حقيقياً دائماً للخديو فكان يدفعه دائماً الى الامام في ذلك والثاني أنه تعرض الآن للطعن على عقيدته والمقيدة مسكنها القلب خصوصاً وان الطاعن مسيحي على عالم مسلم فيما هو مسلم به

ولكن اللورد أراد من هذا الطعن شيئاً آخر وهو ان المسلم ان صار مصححاً يوماً ما لم يستطع أن يكون كذلك الا وهو مارق من الدين حتى انه لما مدح الشيخ يريم وذكر من صفاته انه كان يحاول أن يطبق أحكام الاسلام على المعلومات المصرية قال عنه انه كان كمن يحاول أن يربع الدائرة»

قولنا فيما كتب المؤيد

اذا تنازع الكاتب فكران أو شعوران عند الكتابة في موضوع هو أصل في أحدهما والآخر فرع له فيوشك ان يذهله الفرع عن ام أركان الاصل كما وقع للمؤيد فوجب ان نبين ما نلظ به المؤيد هنا حتى خفي عليه به خطأ اللورد الحقيقي لتفي الموضوع حقه فنقول

(١) ان الاساس الذي بنى عليه المؤيد تفرقه بين كلامي اللورد في هذا المقام غير صحيح وهو ان اللورد كان يطري الشيخ في حياته اذ كان ينتفع باطرائه في دفعه لمداة الخديو، ثم ذمه بمد موته وخروجه هو من مصر لزوال هذه الحاجة . فان هذا الشاء العظيم في تقريره الذي ليس عندنا مدح منه سواء قد كتبه بمد موته واذا كان عند صاحب المؤيد رواية لسانية عن اللورد فهي لا تقوم حجة عليه ولا يصح مقابلتها بما كتبه اليوم الا ان يكون على سبيل التبع

(٢) ان كوز الاستاذ الامام كان من زعماء الثورة المرابية لا يصح

سبها ولا جزء سبب لمساعدة اللورد إياه والا لساعد سائر زعمائها

(٣) ان اللورد فسر بنص الشيخ محمد عبده للباشوات بأنه قبا وجد

فيهم صالحا وانه متى وجد الصالح لا يمرض عنه ولا يعارضه لصدق وطنيته

فوافقته صاحب المؤيد على كونه كان يكره الباشوات وعلى كونه كان

صادق الوطنية . ثم مثل بنصه للباشوات بمداوة الخديو الحال وايه وجده

ونحن لا نوافق على هذا التمثيل الذي يوم الحصر . أما كرهه لاسماعيل

فمومعقول مهما كانت سنه ومعارفه السياسية في ذلك العهد وسندين ذلك .

واما توفيق فقد كان هو وأستاذه جمال الدين من حزبه وشيعته على أبيه وقد تقم

منه اخراج استاذه من البلاد ونفيه هو الى بلده وكان راضيا منه أتم الرضى

عند ما ساعد الوزارة الرياضية على الإصلاح في البلاد . ولما حدثت مبادي

الثورة المرابية كان الشيخ مقاوما للعرايين ولما استفحل الامر كان مرشداً

معتدلاً بحسب علمه وقد ظهر له في اثناء ذلك استعانة توفيق باشا بالانكليز

على العرايين فكرهه في اثناء ذلك كراهة شديدة كما يعلم من مذكراته

في شأن تلك الحوادث ومنها ان مذبح الاسكندرية كانت بايعاز من الخديو

ليثبت لا نكلترا وسائر الاوربيين محجز عرابي عن حمايتهم وقد كتب

برودلي المحامي عن العرايين شيئاً من هذا في كتابه نقلا عنه . وأما

العباس أيده الله بتوفيقه وعنايته فقد كان في اكثر مدة ولايته على مودة مع

المرحوم وهو الذي اقترح من نفسه جملة مستشاراً في الاستئناف وهو

هو الذي اختاره بنفسه متنياً للديار المصرية ولم يكن للورد دخل في ترقى

الشيخ محمد عبده في الوظائف الاعدم الممارسة والفضل الايجابي في ذلك

للأمير وحده كما كان يصرح به الشيخ مراراً. ولكن حدث في السنين الأخيرة بينهما شيء من سوء التفاهم بسماية بعض المفسدين الذين يعرفهم صاحب المؤيد أكثر من غيره. إذا كان يقاوم سعايتهم ومفاسدهم إلى أن غضب هو أيضاً. وزاد سوء التفاهم تلك المسألة التي أشار إليها المؤيد في ترجمة حسن باشا عاصم فقال ما معناه أنها مسألة كان يرى نفسه فيها قائماً بواجب تفرضه عليه الذمة وكان يراه مولاه فيها متعتاً. - وله أن يقول مثل ذلك في صديقه وشريكه فيها الشيخ محمد عبده -

فمن هذه الخلاصة الوجيزة يعلم أن إظهار اللورد الصداقة للشيخ بضع عشرة سنة لا يتأتى أن يكون المراد به دفعه في عداوة الخديو كما قال المؤيد. على أنه كان أثبت من أن يدفع بيد اللورد أو غيره فقد كان في الذروة العليا من الاستقلال في فكره وإرادته ونهايك أيضاً بوطينته وديارته. حقا أقول أنني كنت أراه حتى في المدة الأخيرة التي توفيت فيها سوء التفاهم بينه وبين الأمير يمتنى لو يكون الأمير موقفاً مؤيداً في كل شيء يرفع شأن البلاد ويفيدها مصوناً من كل شيء ضار وأنني سمعته غير مرة يقول إننا كنا معلقون برجليه فإذا اهبطه الانكياز درجة هبطنا تحته لأمعه، وأنا كنا مرة نتحدث في استرضائه فأقسم بأنه لو أمره أن يخرج من البلد لا مثل. ولكنه كان ينكر على المعية أموراً كثيرة ويتمنى الوفاق الممكن الذي لا يصحبه ضرر من جهة أخرى. على أن المؤيد استنبط من عبارة اللورد أنه يحاول أن يطمئن على الشيخ أكثر من كل إنسان في مصر لولا ما سبق له من المدح فيه فهل يكفي أن يكون سبب هذا هو الاستغناء عنه بموته وخروجه هو من مصر ??

(٤) توجيه المؤيد قول اللورد في الاستاذ الامام انه كان خيالياً غير وجيه فانه جمل تأويل ذلك بعد التسليم به ان الاستاذ كان يخيل له ان يقبض بكتا يديه على اللورد من جهة وعلى الخديو من جهة فيفشل في الامرين . وهذا الاستنباط من خيال المؤيد ما أظن انه طاف بخيال اللورد اذا البعد بين الخياليين شاسع جداً . وخیال المؤيد وجه ودليل من الخارج فان الشيخ رحمه الله كان يقرب من الامير للاستمارة به قبل كل شيء على خدمة دينه في نحو اصلاح الازهر ثم ابداء النصيحة الواجبة اذا عرض موجبها وكثيراً ما كان يعرض ذلك وقد سمعت من فم الامير في قصره بالقبة انه يستشير الشيخ ويمجبه رأيه ويثق به . وكان أيضاً يختلف الى اللورد للاستمارة به على خدمة وطنه وما كان يطلب منها شيئاً لنفسه . ومن مصلحة البلاد ان يكون فيها رجال يثق أمير البلاد وعميد الاحتلال معا بكفائتهم وصدقهم وذلك من الحقيقة لا من الخيال

(٥) ذكر المؤيد في مواضع ان اللورد طعن في دين الشيخ محمد عبده وجمله لا أدرياً أو ملحداً حتى ان من قرأ عباراته ولم يكن عارفاً بكلمة اللورد يظن انه جزم بهذا الطعن واللورد لم يجزم بذلك وإنما قال « أخشى » كما في ترجمة المؤيد نفسه ، أو « أظن » كما في ترجمة بعض الجرائد فوجب علينا ان نبين ذلك

(٦) قال المؤيد انه لا يظن في ايمان الشيخ لان الايمان محله القلب وان ظواهره كانت مجال مقال كثير لاصدقائه ولاعدائه !! فنقول انا نحن نوافق المؤيد على قوله ان الايمان من أعمال القلوب التي يستأثر الله بعلمها ويؤيد هذا القول الحديث الصحيح « هل شققت عن قلبه » لمن

قال يارسول الله اعط فلانا فانه مؤمن . ولكن المؤيد وقع في الحكم على القلب الذي انكره على اللورد اذ قال « قضي المرحوم الشيخ محمد عبده من عمره بضع عشرة سنة وهو صديق مخلص للورد كروبر » فالخلاص كالايمان محله القلب ولا يمكن ان يطلع عليه الا الله تعالى فكيف أجاز المؤيد الحكم على القلب مرة ومنعه اخري ؟

أما الظواهر التي تدل على قوة ايمانه فهي اقوي من الظواهر التي تدل على اخلاصه في صداقة اللورد مع العلم بانه كان ابدا الناس عن النفاق والرياء فانه لم يعمل للورد عملا خاصا به أو بدولته ولكنه وقف حياته على خدمة مصر والاسلام ابتغاء مرضاة الله . والمؤيد وان كان قد ادخل في مسألة الظواهر كلمة محتملة ككلمة ابي سفيان لم يقل فقال انها كانت مجال مقال كثير - قد قال من نفسه مقالا جازما هذا نصه :

« ولكنه كان على كل حال عالما يحاول ما استطاع اصلاح الفاسد من الشؤون التي طرأت على الدين ويعمل لذلك بغيرة لا تتر . وفي آخر عهده من الدنيا كان يمتد في نفسه اعتقادا ملاً بجوانحه أنه رسول اصلاح من عند الله فكان يجاهد في سبيل ذلك جهادا حقيقيا وان لم ينل حظ الثقة المامة بذلك » فالذي يمتد هذا الاعتقاد لا يمكن ان يكون ملحدا او لا ادريا اي شاكا في وجود الله يقول لا أدري أهو موجود ام لا ؟

صدق المؤيد وان كان في تعبيره بلفظ « رسول اصلاح » غرابة لما لها من المعنى الشرعي الذي ليس بمراد هنا . فان الاستاذ الامام كان يمتد ان دين الاسلام لا بد ان يعود اليه مجده ونوره الذي حال دونه

ظلام البدع والخرافات والتقاليد والمادات وانه هو عالم بحقيقته وبكيفية تسرب البدع اليه وقادر على بيان ذلك وازالته بالحجة وان هذا العمل فرض محتم عليه . وقد نمر هذا الاعتقاد عقله وقلبه وملك جنانه ووجدانه فبذلك كان يرى انه كان ملهم ومسخر من الله تعالى لهذا العمل ليس في استطاعته ان يتوانى فيه . وقد ذكر قاسم بك امين في تأينه ان بعض اصدقائه كانوا يلومونه على تفریطه في صحته وتعبه في بعض الاعمال التي قلما تأتي بما يتوخاه من الفائدة فيها فيهدم بالتخفيف ولاكنه يصبح في الغد اشدهما وعناية مما كان عليه بالامس . وصدق المؤيد في قوله انه لم ينل حظ الثقة العامة باصلاحه اذ لونا لهذا الحظ لما قال لورد كرومر في الاسلام ما قاله اليوم لأن الاصلاح العملي كان يمنعه من ذلك

رأينا في سبب اختلاف قولي اللورد

قال المؤيد ان الجواب عن التفاوت بين كلامي اللورد المذكور في كتابه وقد صدق في هذه ولكن اخطأ اجتهاده فيما بينه به اذ لا اجتهاد في مورد النص . اما هذا النص فهو في موضعين ذكر أحدهما المؤيد فيما ترجمه من كلام اللورد في الشيخ وأهله في الرد وأغفل أحدهما في الموضوعين . اما الذي ذكره وأهمله فهو هامش اللورد^(١) الذي يذكر فيه دهشته من استمداد مستر بلنت اخبار تاريخه السري للاحتلال من محمد عبده وفي هذا الكتاب من التشنيع على اللورد وسياسته ما فيه . واما الذي اغفله المؤيد فدونك ترجمته نقلا عن حاشية ص ٥٢٤ من المجلد الثاني في سياق الكلام عن المعارف : لقد دهشت بل اعترتني خيبة أمل عند ما قرأت في كتاب الله

مسيو جورفيل رسالة للشيخ محمد عبده أعطي فيها ذلك الرجل الشهير رجاحة اسمه «أوقرة اسمه» لتهم أو تعريضات من هذا النوع ولا بد أنه كان على يقين من أنها لا أساس لها . وكنت أرجو منه أفضل من هذا « اه علق هذا على هامش معناه هل نظر الانكيز الى انحطاط المصريين السياسي أو الاجتماعي نظر المتبطل فلم يحاولوا ترفيتهم كما يزعم بعض منة الناقدين ؟ ونحن نقول ان الرجل لم يبط اسمه لترويح التهم أو التعريضات كما ظن اللورد وإنما أراد الموعدة والتبويه الى الصواب الذي يمتدده ولكن صاحب الكتاب استخدم اسمه لترويح كتابه وهو ما كان يقول الا ما يعلم تمام العلم ان أنه صحيح كل الصحة . واذا كان اللورد يرجو منه يوم كتب تلك الرسالة الى جورفيل أمرا أفضل من هذا فهو أيضا ربما كان يرجو من اللورد قبيل ذلك أمرا أفضل مما رأى منه عند الحاجة الى مساعدته في أهم وافضل غرض له من حياته . واناورد الآن ما جاء في رسالة الاستاذ الامام عن المعارف وهو :

ما كتبه الاستاذ الامام لجورفيل عن المعارف

(التعليم العام) لا تنفق الحكومة المصرية على التعليم العام الامبلغ مئتي ألف جنيه مع ان في وسعها اتقاق اكثر منه لان دخلها قد بلغ في الميزانية اثني عشر مليوناً من الجنيهات وهي لا تنفق عن زيادة اجور التعليم التي نتقاضها من الناس على تعليم اولادهم من حين الى حين وقد بلغت من ذلك الى حد ان صارت تربية الاولاد عبأ ثقيلا حتى على أوساط الناس واذا استمر هذا التزايد أمسى التعليم زخرفا لا يتسنى التحلي به الا في بيوت

الاغناء فقط ومن المبادئ التي يجري عليها القابضون على ازمة امورنا ان لاحق لاولاد الفقراء في نوع ما من التعليم فهم يجاهرون به كل المجاهرة ويبدو منهم على الدوام في حديثهم وتقاريرهم وكتبهم .

نم انه من المسلم الي حد محدود ان الوالد الذي يخصص جزءاً من دخله لتربية اولاده يهمل ان يحصل من التربية على مقابل هذا الجزء وانه يراقب ولده في التعلم مراقبة فعلية ليجعله على الاستفادة من تعليم يكافئه كثيراً من النفقات ولكن الذي لا يسلم به أحد ولا دليل عليه من التجربة هو ان يستج من هذا ان كل تعليم مجاني يكون عقيماً فانه مما تنبى ملاحظته ان التعليم في المدارس المصرية من عهد محمد علي (باشا) الى سنة ١٨٨٢ كان مجانياً في كل هذه المدة ولم يمنع هذا ان تنتج تلك المدارس عدداً من الرجال المتعلمين تعلماً حقيقياً وممظهم من الفقراء ولم يضر اوريا ان التعليم مجاني في كثير من البلدان ولكن أي فائدة لنا من الاستشهاد بما غير من الاختبار في مصر وما حضر من الاعتبار باوريا مادام الذين بيدهم مقاليد حكومتنا مصممين على ان لا يقبلوا الا ما يهديهم اليه فكفرهم

يشق على الانسان ان يرى كل سنة مشهد توارد الآباء والامهات على نظارة المعارف يقودون صغارهم اليها سائلين التصديق عليهم يقبولهم مجاناً في مدارسها معتدزين بفقرهم ومدلين بما يكون بعض افراد أهلهم قد أدوه الى الحكومة من الخدم مؤملين على الدوام ان العناية الالهية والرحمة القلبية تلين صلابه ذلك المبدل ولو صرة واحدة ولكنهم يضطرون في آخر الامر الى الرجوع الى بيوتهم أو الى قراهم خائبين خائري العزائم غير راضين لا يدرون ماذا يفعلون بهؤلاء الابناء الاعزاء الذين تمنوا لهم امانى كثيرة

ما حيلتنا؟ يقولون لنا «ان ابن ظهرا نيك من أبناء وطنكم اغنياء في وسعهم إنشاء مدارس مجانية للفقراء»

آه وأسفاه! نعم ان أبناء وطننا في وسعهم القيام بهذا العمل وبأحسن منه ولكن مصر لما يوجد فيها محبوبون للانسانية وأخص من بينهم محبي الانسانية المستعيرين، قد يوجد احيانا بعض منهم يشيدون مساجدا لا حاجة اليها لكثرتها عندنا وبهض آخر يقف جزءا من عقاره على ولي ولكن همة الناس وانباتها الى العمل لم توجه نحو التعليم فأمتنا أقامت زمنا طويلا تعتمد على الجماعة في كل شيء ومن أجل كل شيء

أما اذا نحن نظرنا الى هذا التعليم الذي تقوم به الحكومة المصرية من جهة قيمته فانا نضطر الى القول بأنه قلما يكون رجلا في قدرته ان يمارس حرفة تقوم بمعيشته ويستحيل ان ينشئ عالما أو كاتباً أو فيلسوفاً فكيف بالتواضع في شيء من هذا

وليس للتعليم العالي بمصر سوى مدرسة الحقوق ومدرسة الطب ومدرسة الهندسة الخانة . اما جميع العلوم الاخرى التي تتألف منها معارف الانسان فالمصري قديماً خدمها بمحض معلومات سطحية في المدارس التجهيزية ولكن يكاد يكون من المتعذر عليه ان يدرسها دراسة وافية بل يقضى عليه غالباً ان يجهد في تعلم الاجتماع بفروعه التاريخية والاخلاقية والاقتصادية وعلم الفلاسفة القديمة والحديثة وعلم آداب اللغة العربية واللغات الاوربية وكذلك الفنون الجميلة لا تعلم بالكلية في مدرسة ما من المدارس المصرية فكان فينا القضاة والمحامون، والاطباء والمهندسون، ممن تختلف درجاتهم في العلم ولكننا لا نجد في طبقة منهم ذلك الباحث ولا ذلك المفكر

ولا ذلك الفيلسوف ولا ذلك العالم ولا ذلك الانسان الذي يمتاز بعمق
 الفكر والنظر وبشهادة الفؤاد وكرم السجايا الذي أوقف حياته كلها على
 السعي وراء مطلب من مطالب الكمال
 وصفوة القول ان خطة الحكومة التي رسمتها لنفسها ويظهر انها
 مصصمة على ان لا تجرد عنها تلخص في أمور ثلاثة (أولها) مساعدة
 التعليم الابتدائي في المدارس الصغيرة المسماة بالكتاتيب حيث تعلم الكتابة
 والقراءة وقواعد الحساب الرابع (ثانيا) التقليل من نشر التعليم في الامة
 ما أمكن (ثالثا) حصر التعليم الثانوي والتعليم العالي في اضيق الدوائر
 المصرية موقنون بأن من بيدهم مقاليد أمورهم العمومية لا يعملون
 كل ما في وسعهم لترقية الناشئين اخلاقا وعقولا وهذا الرأي مما يدعو
 الى الاسف والاسى من جميع الوجوه فانه سيحدث في الرأي العام تياراً
 من الاستياء ان لم يكن عاجلاً فآجلاً وليت شعري ماذا يرجح الانكياز
 من التبادي في ترك هذا الاعتقاد راسخا في النفوس ، واذا كان ثمة أمر
 يصح ان يتلاقى فيه الطرفان ويكون قاعدة للاتحاد فانهما هو التعليم العام اذ لا يمكن
 ان يوجد تناقض بين مصلحة الانكياز ومصلحة المصريين في هذا المقصد
 فمن أراد استدرا ما في مصر من المنافع والخيرات فسيبيله في ذلك
 ان يعنى بتعمد كل ما فيها من موارد الثروة وان يبدأ بالانسان بكل ما فيه
 من معاني الانسان فلا بد من امتزاج العنصرين الاوروبي والوطني واخذهما
 على التكاتف في السير نحو هذه الغاية يدا بيد
 ولعمري ان الانكياز ليسيون الى انفسهم اذا اوهنوا الاهلين وارخصوا
 من قيمتهم وصنمروا من شأنهم فائمامصاحتهم في ان يكون ابناء هذا الوطن

اعزاء اغنياء احراراً فان موارد الثروة والخير للانكليز منوطة بما يصيبنا من ثراه ورخاءه

هذا ما جاء في رسالة الشيخ محمد عبده لجورفيل عن المعارف ويلييه كلام عن الحقانية ومعاملة للانكليز للموظفين المصريين ملخصه انهم يلمسون ضعيف الارادة الذي يخضع لهم في كل شيء ولا يناقشهم في عمل ما ويقصون المستقلين في الفكر والارادة . وان كل رئيس منهم يعد نفسه مشترعا فكما خطر له استبدال قانون بقانون وضع قانونا جديدا وأنفذه لان مجلس النظار لا استقلال له فيناش أو يمارض ومجلس شورى القوانين ليس له الا حق بيان الرأي والحكومة غير مكلفة الاخذ بقوله على ان فيه من الضعف ما فيه لان الافراد الذين يصاحون فيه للبحث قليلون

فأي شيء من هذه الرسالة ينكر اللورد لنسبته له ؟ اما انه لا ينكر منها شيئاً ولكنه عز عليه ان يرى في كتاب أوربي كلاما في عيوب ادارة مصر لرجل معروف بالصدق وعلو المكاتبه عند الاوربيين ولذلك قال انه أعطى رجاحة اسمه لجورفيل الخ

ان اللورد نفسه قد اعترف كتابة بأن المعتدلين الذين سماهم حزب أو أتباع محمد عبده لم يشجعوا كما ينبغي وقال في تقرير سنة ١٩٠٥ ان تعيين سعد باشا زغلول في الوزارة وهو أشهرم انما هو تجربة . فهل له ان يقول مع ذلك ان ما كتبه الشيخ لموسيو جورفيل لا أساس له في اعتقاده ؟

لقد كان هو وجميع أهل الرأي في مصر يمتقدون حقية ما كتبه وهذا الاعتقاد لا يزول الا بعمل ينقضه فاذا كانت الحكومة الاحتلالية مخرصة فيما فعلت وتعمل لمصر وكان ما ذكره الشيخ من عيوب ادارتها غير متعمد

منها فلتتداركها بمساعدة المستقلين من المصريين ولا يسر عليها الا هتداء اليهم
 أما ما قاله الشيخ في رسالة عن المعارف فانه ما هو حكاية عن
 اعتقاد المصريين واستيائهم وهو مؤيد بما تذكره جميع الجرائد آناً بعد آناً
 وبما ظهر في مجلس الشورى والجمعية العمومية فكيف يقول اللورد انه
 لا أساس له؟ ألم ينبأ بما جرى في هذا العام - حتى بعد ان قام ناظر المعارف
 بهذه النهضة الجديدة في ترقية التعليم من جهات متعددة - من قيام قيامة
 التلاميذ والعجرائد والناس على مستر دنلوب بما كان قد ازدحم في مراكز
 الفكر والشعور من سوء حال الماضي . ان لم يكن قد ظهر به مصداق قول
 الشيخ انه سيحدث في الرأي العام تيار استياء عام من حال التعليم عاجلاً أو
 آجلاً فان ما ظهر قريب منه ولولا هذا الاصلاح الجديد لظهر اتم الظهور
 اما باقى كلام الشيخ فهو حكاية عن سياسة المحتلين في التعليم وهو
 مؤيد بما كتبه اللورد في تقرير تلك السنة فانه قال (كما في ص ١٣٣ وما بعدها
 من النسخة العربية لتقريره عن سنة ١٩٠٥)

«يراد بهذه السياسة ابطال التعليم المجاني تدريجاً من المدارس الاميرية
 التي هي فوق الكتابات وزيادة الاجور فيها .» ثم احتج على ذلك بكون
 الفرض منها تعليم التلاميذ تعليماً أورياً لكي تعد جمهوراً من الشباب
 المصريين لخدمة الحكومة ولتعاطي بعض الفنون . ثم ذكر ان محمد علي
 انشأ هذه المدارس لفرجة البلاد وان عباساً الاول انماها بعد ان خرج
 منها ما يزيد على عدد الوظائف وأعادها اسماعيل لفرجة البلاد كما كانت
 وانها كانت مجانياً بل كان التلاميذ فيها يأكلون وياخذون مرتبات واطهر
 استعسان ذلك من قبل والاستغناء عنه الآن ثم قال « ويجب على الحكومة

ان تتوخى جعل اجرة التعليم في كل مدارسها المتفرجة مقارنة للنفقات التي تنفقها عليه . والاموال التي تنفقها على هذه المدارس تصير تنفقها على التعليم الاهلي الا لازم لحاجة الامة ، وينبغي بالالزم لحاجات الامة تعليم الكتابيب والصنائع فقط وهذا ما لا يسلم به مصري قط

ثم ذكر ان الانكليز لما احتلوا البلاد وجدوا ان كل ما تنفقه المعارف العمومية « انما تنفقه على تعليم اولاد فئة صغيرة أكثرها من اغنياء السكان ولا تعلمهم الا تعليماً أوريا فأخذوا في تغيير تلك الحال وبذلت الهممة منذ سنة ١٨٨٤ لاخذ الاجور من التلامذة ولا بطل التعليم المجاني تدريجاً ولكن بقي النجاح في هذا السبيل بطيئاً جداً الى عهد قريب » ثم استدل بذلك على « ان ابطال التعليم المجاني وازدياد اجرة التعليم ليسا من دلائل التأخر ولا هما مضران بمصلحة البلاد الحقيقية بل هما بمثابة ابطال امتياز » الخ فكيف يقول اللورد مع هذا ان الشيخ كتب ما يعلم انه لا أساس له ؟ سبحان الله كأن الشيخ كان يكتب سنة ١٩٠٥ لجورفيل في الوقت الذي كان اللورد يكتب فيه لناظر خارجتهم ما يؤيد قوله ألم تر ان الشيخ قد كتب انهم يعني ولاية الامور يقولون لنا ان فيكم اغنيا يجب ان ينشئوا المدارس المجانية للفقراء ، وان اللورد كتب في تقريره (ص ١٣٥ و ١٣٦) « واذا أريد تمهيد السبل للتلامذة الذين تبدو عليهم مخايل النجابة الفائقة لكي يدخلوا المدارس العليا ووسائلهم المالية لا تكفي لذلك وجب ان يقف المحسنون اموالاً لتلك المدارس التي يعلم بها من كان مثل أولئك التلامذة ووقف هذه الاموال لتعليم التلامذة الفقراء الذين يستحقون ان يساعدوا انفع جداً من تكثير المدارس الابتدائية المتفرجة » (للكلام بقية)

وعاسليم افندي سر كيس السوريين بمصر وغيره الى الا كتاب للاحتفال بحافظ افندي ابراهيم الذي ينوه بفضلهم ليكون هذا الاحتفال توددا من شعب الى شعب ما بمنزلة الشقيقين، فلي الدعوة كثيرون وبمدا انتهاء مدة الا كتاب اقيمت الحفلة بفندق شبرد وحضرها مع جمهور المكتبتين كثيرون من وجهاء وادباء المصريين واصحاب الجرائد وكان ترتيبها هكذا افتتح الاحتفال سليم افندي سر كيس ببيان الفرض منه 'خطب سليمان افندي البستاني في الشعر والشعراء' انشد تقول افندي رزق الله قصيدة «مصر وصوريا» خطب سليم بك باخوس في اكرام الرجال للرجال: تليت قصيدة الأ مير شكيب ارسلان' خطب اسما عيل بك عاصم انشد امين افندي البستاني قصيدة له خطب رفيق بك العظم تليت قصيدة لاسعد افندي رسم قرىه كتاب في تحية الصحافة للشعراء المرسل من ادارة جريدة صر آة العرب بنبو يورك انشد الدكتور ابراهيم افندي شدودي قصيدة له وقدم سليم افندي سر كيس لحافظ افندي هدية رواق المرعي في البرازيل وهي قلم من الذهب بشكل الريشة ثم الهدية الاكرامية من مجموع السوريين وهي دواة ومقلمة من الفضة. وختمت الحفلة بقصيدة الشكر من حافظ وهي

لمهر ام لربوع الشام تنسبُ هنا العلى وهناك المجد والحسبُ
 ركنان للشرق لا زالت ربوعهما قلبُ الهلال عليها خافقٌ يجب
 خدران (الضاد) لم تهتك ستورها ولا تحوّل عن معناها الادب
 أم اللغات غداة الفخر أمهما وان سألت عن الآباء فالعرب
 ابرغبات عن الحسنى وبينهما في راثات المعالي ذلك النسب
 ولا يمتان بالقربى وبينهما تلك القرابة لم يقطع لها سبب
 إذا ألت بوادي النيل نازلة بات له راسيات الشام تضطرب
 وان دعا في رى الاهرام ذو ألم اجابه في ذرى لبنان متعجب
 لو أخلص النيل والأردنُ ودّها تصاحفت منهما الأمواه والفُشب
 بالواديين تمشى الفخر مشيته يحنُّ ناحيته الجود والدأب
 فسال هذا سخاء دونه ديمٌ وسال ذلك مضاء دونه القضب
 نسيمَ لبنان كم جاداتك عاطرة من الرياض وكم حياك منسكب

في الشرق والغرب انفاس مسررة
 لو لا طلاب العلا لم يتغو بدلاً
 كم غادة برنوع الشام باكية
 عفي ولا حية إلا عزيمته
 يكره صرف الليالي عنه منقلباً
 بارض (كولب) ابطال غطارفة
 لم يحمم علم فيها ولا عدد
 اسطولهم امل في البحر مرتحل
 لهم بكل خضم مسرب نهج
 لم تبد بارقة في أفق متجع
 ما عيهم انهم في الارض قد ثروا
 ولم يضرهم سراء في مناكبها
 رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا
 أو قيل في الشمس للراجلين متجع
 سمو الى الكسب محموداً وما فتئت
 فأين كان الشأميون كانت لها
 هذي يدي عن نبي مصر تصافحكم
 فالكنانة إلا الشام عاج على
 لولا رجال تفالوا في سياستهم
 ان يكتبوا لي ذنباً في مودتهم

تهفو اليك واكبادها لها
 من طيب ريك اكن العلا تعب
 على أليف لها يرمي به الطلب
 وينثني وحمله المجد والذهب
 وعزمه ليس يدري كيف ينقلب
 اسد جياح اذا ما ووثبوا وثبوا
 سوى مضاه تحامى ورده النوب
 وجيشهم عمل في البر مترب
 وفي ذرى كل طود مسلك عجب
 الأ وكان لها بالشام مرتقب
 فالشهب مشورة مذ كانت الشهب
 فكل حي له في الكون مضطرب
 الى الحجر ركباً صاعداً ركبوا
 مدوا لها سببا في الجوا وتدبوا
 أم اللغات بذاك السعي تكتسب
 عيش جديد وفضل ليس يحتجب
 فصافحوها تصافح نفسها العرب
 ربوعها من بنيا سادة ب
 منا ومنهم لما لنا ولا عتبوا
 فاما الفخر في الذنب الذي كتبوا

إنجيل برنابا - مقدمتنا

قد تم طبع إنجيل برنابا كما قلنا في الجزء الثاني عشر من السنة الماضية وقد كتب له مترجمه الدكتور خليل سعادة مقدمة ذكر فيها ملخص ما قاله علماء الافرنج فيه ورأيه في ذلك فنشرناها وقفينا عليها بمقدمة منا هذا نصها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله ، وعلى عيسى المرشد بروح الله ، وعلى جميع الانبياء والمرسلين ، ومن اهتدى بهديهم الى يوم الدين
أما بعد فاننا نرى مؤرخي النصرانية قد أجمعوا على انه كان في القرون الأولى للمسيح عليه السلام أناجيل كثيرة وان رجال الكنيسة قد اختاروا منها أربعة أناجيل ورفضوا الباقي . فالقدون لهم من أهل ملتهم قبلوا اختيارهم بغير بحث وسبكون ذلك شأن أمثالهم الى ما شاء الله
وأما من يجب العلم ويجتنب التقليد من كل أمة فهو يود اذا اراد الوقوف على أصل هذا الدين وتاريخه لو يطلع على جميع تلك الاناجيل المرفوضة ويقف على كل ما يمكن الوقوف عليه من أمرها وبيني رجب بعضها على بعض بمقابلتها والتظهير على الدلائل المرجحة التي تظهر له هو وان لم تظهر لرجال الكنيسة
لوقية تلك الاناجيل كلها لكانت اغزر بنايم التاريخ في بابها ما قبل منها أصلا للدين وما لم يقبل ولرايت لعلماء هذا العصر من الحكم عليها والاستنباط منها بطرق العلم الحديثة بصوتة بسياج الحرية والاستقلال في الرأي والارادة ما لا يأتي مثله من رجال الكنيسة الذين اختاروا تلك الأربعة ورفضوا ما سواها
إنجيل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واحدهو عبارة عن هديه وبشارته بمن يجيء بعده ليم دين الله الذي شرعه على لسانه وألسنة الانبياء من قبله فكان كل منهم يبين للناس منه ما يتنضيه استعدادهم وإنما كثرت الاناجيل

لان كل من كتب سيرته عليه السلام سبها إنجيلا لاشتمالها على ما بشر وهدى به الناس

من تلك الانجيل « إنجيل برنابا » و برنابا حوارى من أنصار المسيح الذين يلتبهم رجال الكنيسة بالرمل صحبه بولص زمانا بل كان « هو الذي عرف التلاميذ بولص بعد ما اهتدى (بولص) ورجع الى اورشليم » (١) فلعل تلاميذ المسيح ما كانوا ليتقوا بإيمان بولص بعد ما كان من شدة عداوته لدينهم لولا برنابا الذي عرفه أولا وعرفهم به بعد ان وثق به . ومقدمة هذا الانجيل الذي تقدم ترجمته لقراء العربية اليوم ناطقة بأن بولص انفرد بتعليم جديد يخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح . ولكن تعاليمه هي التي غلبت وانتشرت واشهرت وصارت عماد النصرانية . ويذهب بعض علماء الافرنج الى أن انجيل مرقس وانجيل يوحنا من وضعه كما في دائرة المعارف الفرنسية . فلا عرو اذا عدت الكنيسة إنجيل برنابا إنجيلا غير قانوني أو غير صحيح

لم نقف على ذكر لانجيل برنابا في أسفار التاريخ أقدم من المنشور الذي أصدره البابا جلاسيوس الأول في بيان الكتب التي محرم قراءتها فقد جاء في ضمنها إنجيل برنابا . وقد تولى جلاسيوس البابوية في أواخر القرن الخامس للميلاد أي قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم على ان بعض علماء أوروبا يرتابون اليوم في ذلك المنشور كما ذكر الله كتور سعادة في مقدمته والمثبت مقدم على النافي مرت القرون وتماقت الاجيال ولم يسمع أحد ذكراً لهذا الانجيل حتى عثروا في أوروبا على نسخة منه مندمثة سنة فعدوها كنزاً ثميناً ولو وجدها أحد في القرون الوسطى قرون ظلمات التعصب والجهل لما ظهرت وانى يظهر الشيء في الظلمة والنور شرط الظهور ؟

ظهرت هذه النسخة في نور الحرية المتألق في تلك البلاد وكانت موضع اهتمام العلماء وعنايتهم وموضوع بحثهم واجتهادهم وانبرى بعض فضلاء الانكليز في العام الماضي ترجمتها بالانكليزية وتعمم نشرها وقد أهدت اليها نسخة منها

عند نشرها فربما انه يجب ان لا يكون حظ قراء العربية منها أقل من حظ قراء الانكليزية فكشفنا بذلك صدقنا الدكتور خليل سمادة فوافقت وغتته رغبتنا وترجم النسخة بالعربية ترجمة حرفية وبأشرنا طبعا بعد مصادقتها على الاصل لاجل الدقة في تصحيحها

بحث علماء أوربا في هذه النسخة وكتبوا في شأنها فصولاً طويلة لحصنها الدكتور سمادة في مقدمته فن مباحثهم ما هو علمي دقيق ككلامهم في نوع ورقها وتجليدها ولغتها ومنها ما هو من قبيل الطرح والتخمين كأقولهم في الكتاب الأول لها والزمن الذي كتبت فيه وتبهم في مثل هذا البحث أصحاب مجلتي المتعطف والهلل

ويجب ان ننبه في هذا المقام على قاعدة من قواعد البحث الفلسفية ، وأصل من أصوله العقلية ، وهي قاعدة إطلاق البحث أو بناءه على أسسه ولو مفروضاً . فان كثيراً من الباحثين يبنون أبحاثهم على فرض يتخذونه قاعدة مسلمة وربما كان فاسداً فيجبي كل ما بني عليه مثله لأن ما بني على الفاسد فاسد حتماً . مثال هذا ما امتحن به بعض الفلاسفة تلاميذه وهو انه عمد الى جرة كانت في الشمس فقلبها من غير ان يروه ودعاهم فقال اني أرى وجه هذه الجرة المقابل للشمس بارداً ثم قلبها ولمس الجانب الآخر منهم فاذا هو سخن فطالبهم بعله ذلك فظنقوا ينتحلون اللل وهو يرددها ولما سألوه عن رأيه في ذلك قال انه يجب أن يثبت من صحة الشيء أولاً ثم يبحث عن علته . وكون الجانب المقابل للشمس من هذه الجرة بارداً والجانب المقابل الارض سخناً غير صحيح بل قلبها انالاختر فطنتكم وكذلك فعل بعض الباحثين في أنجيل برنابا فرضوا أنه من وضع بعض المسلمين ثم حاروا في حزر تعيين واضمه هل هو غربي أم شرقي عربي أم عجمي قديم ام حادث . وما قال أحد فيه قولاً الا وجد من الباحثين من يفسده حتى رأى الدكتور سمادة بعد الاطلاع على تلك الأقوال ان الاقرب الى التصور أن يكون كاتبه يهودياً أندلسياً من أهل القرون الوسطى تنهر ثم دخل في الاسلام وأتقن

اللغة العربية وعرف القرآن والسنة حق المعرفة بعد الاطاحة بكتب العهد المتبق والجديد . واستدل على هذا الفرض بملءه الواسع بأسفار العهد القديم وموافقة التلمود واحاطته بالعهد الجديد وغفل عن عزوه الى كتب اليهودين ما لا يوجد في نسخها التي عرفت في القرون الوسطى وهي التي بين أيدينا الآن كقصة هوشع ووجهي الى كتاب دانيال ، وعن مخالفته لها احيانا في مسائل أخرى ولو كان من أهل القرون الوسطى وما بعدها لما وقع في هذا القلط الظاهر مع علمه الواسع واستدل أيضا بموافقة بعض مباحثه للقرآن والاحاديث وما كل ما وافق شيئاً في بعض مباحثه يكون مأخوذاً منه والا لزم ان تكون التوراة مأخوذة من شريعة حمورابي لاوحيا من الله لومسي عليه السلام . على أن معظم مباحث هذا الانجيل لم تكن معروفة عند أحد من المسلمين وأصوله في التعبير بعيد جداً من أساليب المسلمين عامة والعرب منهم خاصة كما بين ذلك بعض القسيسين في مجلة دينية وأي مسلم يذكر الله ولا يثني عليه والانبياء ولا يصلي عليهم ويسمي الملائكة بغير الاسماء الواردة في الكتاب والسنة

وقد كانت مسألة اليو بيل أقوى الشبهات عندي على كون كاتبه من أهل القرون المتوسطة لا من قرن المسيح حتى بين الدكتور سعادة ضعفها بدقة نظره فلم يبق للباحثين دليل يعول عليه في هذا المقام فإن موافقة بعض ما فيه لبعض ما ورد في شعر داني يمكن ان يدل بأن داني اطلع عليه وأخذ منه ان لم يكن ذلك من قبيل توارد الخواطر

أما الهوامش العربية التي وجدت على النسخة فيحتمل ان تكون للراهب فرسينو الذي اكتشف هذا الانجيل في مكتبة البابا بأن يكون دخوله في الاسلام حمله على تعلم العربية حتى كان مبلغ علمه فيها ان يترجم بعض الجمل بعبارة متقيمة تطلب عليها المعجمة وما فيه من العبارات الصحيحة على قلتها لا ينافي ذلك فإن كل من يتعلم لغة اجنبية في سن الكبر تكون كتابته فيها لا اول العهد من هذا القبيل؛ صواب قليل، وخطأ كثير، على ان أكثر العبارات الصحيحة في هذه الهوامش منقول من القرآن أو بعض الكتب العربية التي يمكن ان يكون قد اطلع عليها الكاتب . ويحتمل

أن يكون بعض القسوس أو من هم على شاكلتهم قد تعلم العربية لتبين هل فيها مصادر لهذا الأنجيل يمكن الرجوع إليها . و يرجع هذا الاحتمال تسميته الفصول سوراً تشبيهاً له بالقرآن أما عزو هذه الهوامش الى مسلم عربي في الاسلام فخطأ لا يحتمل الصواب اذ لا يوجد مسلم عربي ولا عجمي بطابق لفظ السور على غير سور القرآن أو يقول « الله سبحانه » كما جاء في مواضع منها هاش ص ١٤١ و ١٦ لان كلمة « سبحانه الله » ما يحفظه كل مسلم من اذ كاردينه ، أو يقول ميخائيل بدل ميكايل و يجبل اسم اسرافيل فيسميه اوريل أو رفايل ، أو يقول ان السموات اكثر من سبع وان العدد لا مفهوم له كما قال علماء الاصول . ولذلك أمثلة أخرى أضف إليها عدم اطلاع علماء المسلمين في الاندلس وغيرها على هذا الأنجيل كما حققه الدكتور مرجليوث مؤيداً بحقيقته بخلو كتب المسلمين الذين ردوا على النصارى من ذكره ، وناهيك بابن حزم الاندلسي وابن تيمية المشرقي فقد كانا أوسع علماء المسلمين في الغرب والشرق اطلاعا كما يعلم من كتبها ولم يذرا في ردّها على النصارى هذا الأنجيل بقي أمر يستنكره الباحثون في هذا الأنجيل بحثاً علمياً لا دينياً أشد الاستنكار وهو نصر يجه باسم « النبي محمد » عليه الصلاة والسلام قائلين لا يعقل ان يكون ذلك كتب قبل ظهور الاسلام اذا المهود في البشارات ان تكون بالكنايات والاشارات والهريقون في الدين لا يرون مثل ذلك مستنكراً في خبر الوحي وقد نقل الشيخ محمد يرم عن رحالة انكليزي أنه رأى في دار الكتب البابوية في الفاتيكان نسخة من الأنجيل مكتوبة بالقلم الحيري قبل بعثة النبي (ص) وفيها يقول المسيح « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » وذلك موافق لنص القرآن بالحرف ولكن لم ينقل عن أحد من المسلمين أنه رأى شيئاً من هذه الاناجيل التي فيها البشارات الصريحة فيظهر ان في مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الاناجيل والكتب التي كانت ممنوعة في القرون الأولى ما لو ظهر لأزال كل شبهة عن أنجيل برنابا وغيره .

على أنه لا يبعد ان يكون مترجم برنابا باللغة الايطالية قد ذكر اسم « محمد » ترجمة وأنه في الاصل الذي ترجم هو عنه قد ذكر بلفظ يفيد معناه كاللفظ البار تليط

ومثل هذا الساهل معهود عند المسيحيين في الترجمة كما بينه الشيخ رحمة الله
الشواهد الكثيرة من كتبهم في الأمر السابع من الملوك السادس من الباب
باساس من كتابه اظهر الحق وزاده بعد ذلك بياناً في البشارة الثامنة عشرة
ولا يحسن القارى المسلم ان علماء أوروبا وبعض علماء بلادنا كالدكتور
سماعة وأصحاب المقتطف والمحال يظهرون الرب في هذا الانجيل الموافق في
أصول تعاليمه للاسلام تعصباً لنصرانية فان الزمن الذي كان التعصب فيه يحمل العلماء على
طمس الحقائق التاريخية وغيرها قد مضى . وقد بحث علماء أوروبا مثل هذه المباحث
في الانجيل الأربعة فبينوا انه لا يعرف متى كتبت ولا بأي لغة ألفت وقال بعضهم
ان مؤلفيها غير معروفين وأتهم بعضهم بولص بوضع أكثرها كآري في دائرة المعارف
الفرنسية وغيرها بل منهم من جهل أصول تعاليمها مأخوذة من الاديان الوثنية
أكثر العلماء في هذا العصر أحرار مستقلون في مباحثهم الا من غلب
عليه التقليد الديني أو مصانعة المتدينين الأتري ان الدكتور مرجليوث
الانكليزي هو الذي دحض شبهة من قال ان لهذا الانجيل أصلاً عربياً وأنه من
وضع المسلمين ، وان الدكتور سماعة هو الذي فند رأي المسائل على كونه من
وضع النرون الوسطى بما فيه من ذكر تون اليوبيل كل مئة سنة ، وان أصحاب المقتطف
يجوزون أن يكون له أصل ترجمت عنه النسخة الإيطالية ويحثون على البحث عنها
فأمثال أولئك العلماء يجب احترام رأيهم وان لم يكن دليله واضحاً وتعليقه ظاهراً
ومن لاحظ ان بعض القسيسين يجملون المدة في اثبات الانجيل الأربعة
ما فيها من التعاليم الالاهية العالية ثم قرأ تعاليم أنجيل برنابا يظهر له مكانه العالي في
تعاليمه الالهية والأدبية . فاذا صرفنا النظر عن فائدته التاريخية وعن حكمه لنا
في المسائل الثلاث الخلافية - التوحيد وعدم صلب المسيح ونبوته بمحمد (ص) -
فحسبنا باعثاً على طبعه وراء قيمته التاريخية ما فيه من المواعظ والحكم والآداب
وأحاسن التعاليم ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ،

محمد رشيد رضا الحسيني

القاهرة في ٢١ صفر سنة ١٣٢٦

خطبة حفي بك ناصف

﴿ رئيس نادي دارالعلوم في مسألة التعريب ﴾

أكثر القائلون بتطبيق «سياسة الباب المفتوح» على اللغة العربية من ذكر جهود أمتنا واشتغالها عن الجواهر بالأعراض ووقوفها موقف المستضعفين أمام الأمم الغربية ونعوا علينا تخرجنا قبول الدخيل في لغتنا ورمونا «بالرجوع إلى الوراء والنفور من كل جديد والوقوف عند ماأماه الزمان ومخالفة سنة اللغات الحية صاحبة الحركة الدائمة التي قدر أهلها أن ينتفعوا بكل ما خلقه الله» إلى آخر ما أتوا به من القضايا الخطابية بقصد التأثير في أفكار السامعين حتى تخيلوا أن الكلمة العجمية واجبة الاستعمال في اللغة العربية حرصا على الزمن أن يضيع في انتقاء ألفاظ عربية تسد مسدها وإن قواعد الاقتصاد السياسي تقضي بصرفه في اختراع آلة حريرية أو معمل صناعي أو مصرف مالي ولقد كدت من شدة التأثير أمسك عن الكلام خيفة أن أضيع عليكم سائنة يمكنكم فيها اختراع بدقية جديدة أو آلة للطيران أو علاج للسرطان

مسكينة الأمة المستضعفة لا تدري من أين تأتي ولا تعرف لتأخرها علة

فتذهب مع كل ذاهب وتمشي وراء كل حاطب

ظننا النيل سبب رخاوتنا فمدلنا عنه إلى الآبار فاشتطنا، وقلنا الإزياء

الواسعة مانعتنا عن الحركة فاستبد لناها أزياء ضيقة فما عدونا، وحسبنا اقتعاد السيارات والدراجات يوصلنا الى المدينة فاقعدنا وما استفدنا، وزعمنا ملاهي التمثيل، أقرب سبيل، فأبعدتنا، وعددنا النفاذج (البالو) معارج فاعرجنا، وغيرنا العائم بالقلانس والدور بالقصور وظهور الصافيات يطون العربات فما أخرجنا كل ذلك عما نحن فيه من الاستضعاف ولا سبابتنا الى راقى الالمان، والانكليز واليابان

ان لارتفاع الامم وانحطاطها أسبابا خاض فيها الحكماء وأفاض في بيانها العلماء وليس المقام الآن مقام ذكرها وان المسألة التي نحن بصددنا مسألة نقلية يرجع فيها الى كتب اللغة والادب وليس لاحد ان يأخذ فيها بالهوى أو يسترسل مع الوجدان أو يقتصر فيها على مجرد الاستباحت والاستحسان فكما لا يجوز في التاريخ ان تنكروا غلبة اليابان للروس محتجين بان الصغير لا يظلم الكبير لا يجوز في العربية أن تنصبوا الفاعل وتقدموا خبران على اسمها احتجاجا بأن المعنى لا يتغير ولا ان تقولوا «ما الفرق بيننا وبين العرب الاولى حتى جاز لهم وضع ألقاظ مقتضبة وتعريب كلمات أعجمية والشذوذ عن القياس وامتنع علينا ايسوار جالا ونحن رجال؟» ليس لاحد ان يقول ذلك الا اذا خرج من الرقعة وخلع العذار ورضي بان يكون طليقا لا يتقيد بشيء. المسألة منصوصة في الاسفار فمن شاء ان يخرق الاجماع ولا يقصر شيئا على السماع ويستريح من عناء الدروس فليصنع ماشا فليس عندنا ما يرغمه على اتباع الجماعة ولا فائدة في الجدل معه واذا شاء ان يتبع المنصوص فيها هو يانه.

اتفق العلماء على أن اللغة العربية كانت لسان عاد وثمود وأميم وعييل

وطسم وجديس وعمليق وجرم ووبار من أولاد إرم بن سام
وأول تنقيح دخلها كان بعمل يعرب بن قحطان رأس العرب العاربة
وجرى أولاده على لفته في أنحاء اليمن كلها ثم تفرق جماعة منهم في نجد
والحجاز وتهامة والشام والحيرة

ولما أصهر اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام إلى قبيلة جرم أدخل
تنقيحا ثانيا في اللغة وجرى على أثره القبائل من أولاده كريمة ومضر
وكنانة ونزار وخزاعة وقيس وضبة

والتنقيح الثالث أدخلته قريش بالتدريج اتخذها من لغات قبائل العرب
التي كانت تفد عليهم في كل عام وتمكث بين ظهرانيهم نحو خمسين يوما منها
ثلاثة أيام بسوق ذي المجاز وسبعة بسوق مجنة وثلاثون بسوق عكاظ وعشرة
في مناسك الحج

والتنقيح الرابع هو اختيار علماء المصريين البصرة والكوفة (نقطة
اللغة في عصر الأمويين والعباسيين) فقد قصروا اختيارهم على ست قبائل
من صميم العرب لم تختلط بغيرها وهم قيس عيلان واسد وهذيل وبعض
تميم وبعض كنانة وبعض طي ولم يأخذوا عن لخم وجذام لمخالطتهم القبط أهل
مصر، ولا عن قضاة وغسان وأباد لمخالطتهم أهل الشام والروم وأكثرهم
نصارى يقرءون بالبرانية، ولا عن تغلب لأنهم كانوا بالجزيرة مجاورين
لليونان ولا عن بكر لمجاورتهم النبط والفرس ولا عن عبد القيس وأزد
عماز لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين الهنديين والفرس، ولا عن أهل اليمن
(حمير وهمدان وخولان والأزد) لمخالطتهم الحبشة والزنج والهنديين ولا
عن بني حنيفة وسكان اليمامة وثميف والطائف لمخالطتهم تجار اليمن عندهم

ولا عن حاضرة الحجاز وقت نقل اللغة لفساد لغتها بالاختلاط
 وعدوا لغة قريش أفصح اللغات العربية لأنها غالية عن عنفة تميم
 وهي إبدال الهمزة عينا نحو عنت وعنتك أي أنت وانك ، وعن تلتة يهراء
 وهي كسر أول المضارع نحو تلمب وتلهو ، وعن كسكسة ربيعة ومضر
 وهي إلحاق سين بعد كاف المخاطب وأيتكس ، وعن كشكشة هوازن
 وهي إلحاق شين بعد كاف المخاطبة نحو رأيتكش وعن فعفجة هذيل وهي
 قلب الهمزة عينا نحو عتي أي حتى ، وعن وكم ربيعة وهي كسر كاف الخطاب
 بمد الياء الساكنة أو الكسرة نحو عليكم وبكم ، وعن وههم بني كلب وهي
 كسر هاء التيبة إذا لم يكن قبلها ياء ساكنة ولا كسرة نحو عنهم وبينهم
 وعن جبجة قضاة وهي قلب الياء الأخيرة جيا نحو الساجج يدعج أي
 الساعي يدعي وعن وتم أهل اليمن وهو قلب السين المتطرفة تاء نحو
 التات أي الناس ، وعن الاستنطاء في لغة سعد والأزد وقيس وهو قلب
 السين الساكنة نونا قبل الطاء نحو أنطى أي أعطى ، وعن شنشنة اليمن
 وهي قلب الكاف شينا نحو ليش اللهم ليش ، وعن لخنخانية الشعر
 وعمان وهي حذف الألف في نحو مشاء الله أي ماشاء ، وعن طمطانية حمير وهي
 جعل أل « أم » نحو ، وعن طاب امهواء أي الهواء وعنفة قضاة وهي
 إخفاء الحروف عند الكلام فلا تكاد تظهر

ولم ينظر نقله اللغة إلى لغة كل قبيلة على حدة بل جمروا الألفاظ
 التي يتكلم بها كل القبائل التي عولوا على الأخذ عنها وجملوها لغة واحدة
 مقابل اللغة الأعجمية لا يخطئ التكلم إلا إذا خرج عنها كلها فلفظ المدينة
 لغة دوس (بطن من الأزد) ولفظ السكينة لغة قريش فنقل الأئمة اللغويين

وأباحوا لكل انسان أن يتكلم بأيهما شاء ولو لم يوجد في العرب من
تكلم بهما معا ومن هنا جاء الترادف في اللفظة والاشتراك اللفظي ولو
جمعوا لفة كل حي من العرب على حدثها لتكرر العمل وطال الزمن
ثم نظروا بعد ذلك الى المفردات فما كان منها كثير الدوران على السنة
العرب عدوه غريباً ووحشياً يمدّ استعماله بخلا بالفصاحة ولو كان معروفاً
عند المخاطبين

واستخرجوا من استعمالات العرب قواعد تتعلق بأحوال أو اخر
الكلم وقواعد تتعلق بباقي أحوالها وسموها علم النحو والصرف وجعلوا
لبعض تلك القواعد قيوداً واستثناءات حتى يكون الاستعمال الكثير
مضبوطاً بقوانين تحتذى عند القياس وما شذ عن ذلك جعلوه سماعياً يقبل
من العربي ولا يقبل من المولد

وكانوا شديدي الحرص على بيان السماعي والقياسي فاذا لم يكن اللفظ
(مادة أو هيئه) قد سمع من العرب ممنوعه بتاتا وشنعوا على مستعمله
ولا جل أن يعرف السامع مقدار عنيتهم بالمسموع من العرب ومقدار
الأنحطاط الذي كان يلحق بمن يختلي منهم أروي لك قصة وفود سيديويه
على يحيى بن خالد البرمكي ببغداد فقد عقد يحيى مجلسا جمع فيه بين سيديويه
رئيس نخاعة البصرة وبين علي الكسائي رئيس نخاعة الكوفة فقال له الكسائي:
تسأني أو أسألك؟ فقال سيديويه سل أنت فسأله الكسائي عن قول العرب
« قد كنت أظن ان العقرب أشد لسمة من الزنبور فاذا هو هي » أيجوز
« فاذا هو ايها » فقال سيديويه لا يجوز النصب فقال الكسائي العرب ترفع
ذلك وتنصبه فقال يحيى لقد اختلفت فيهما وإنما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما فقال

له الكسائي هذه العرب يابك قد سمع منهم أهل البلدين فيحضرون
ويُسالون فقال يحيى وجعفر أنصفت وأمرأ باحضار أعرابي من أهل
البادية وسألوه فقال والقول قول الكسائي « فقال سيديويه ليحيى «مره أن
ينطق بذلك فإن لسانه لا يطاوعه» فاكتفى المجلس بحكم الاعرابي وخجل
سيديويه وسافر بعد ذلك الى فارس فأقام بها حتى مات وكانت هذه المسألة
سبب علته وكانت وفاته في سنة ١٨٠ وعمره ٣٢ وهكذا كانت عادة علماء
البلدين متى اختلفوا في أمر تلمسوه عند البدو وتسمّوه منهم

وعرفوا المعرب بأنه الاسم الاعجمي الذي فاهت به العرب الموثوق
بعريبتهم فاذا فاه به غير العربي سمي مولداً وقد تبهم في ذلك كل من
كتب في اللغة كأصحاب الصحاح والقاموس والمحكم والعياب وأجمع
العلماء على أن لا يستشهد في اللغة والصرف والنحو الا بكلام العرب ولا
يجوز الاستشهاد بكلام المولدين الا في علوم البلاغة

واجازوا استعمال الحكم في غير ما وضعت له متى وجدت مناسبة
بين المعنى الاصيل والمعنى المراد وقامت قرينة تمنع ارادة المعنى الاصيل
وحصروا تلك المناسبات بالاستقراء وسموها علاقات وهي

المشابهة نحو فاه الخطيب بالدرر أي الكلمات الحسان

والسببية - نحو رعيننا الفيت أي الكلاء

والمسببية - نحو أمطرت السماء نباتا أي ماء

والكناية - نحو «يجملون أصابعهم في آذانهم

والجزئية - نحو بث الامير العيون أي الجواسيس

والطالية - نحو «ففي رحمة الله هم فيها خالدون» أي الجنة

والحلية - نحو سال الوادي وجري الميزاب أي مأوه
واللازمة - كاطلاق الحرارة على النار
والملزومية نحو دخلت الشمس من الكوة أي ضوءها
والاطلاق - نحو « لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد » أي
لا صلاة كاملة

والتقييد كاطلاق المشفر على شفة الانسان والمشفر البعير كالشفة للانسان
والمعوم - كاطلاق الابيض والاسمر على السيف والرحم والداية
على ذات الاربع

والخصوص - كاطلاق اسم الشخص على القبيلة نحو تميم وقريش وربيعة
والبديلية - نحو في ملك فلان الف دينار أي متاع يساوي الف
والمبدلية - نحو « أكلت دما ان لم أركب بضره » أي أكلت دية
واعتبار ما كان - نحو « وآتوا اليتامى أموالهم » أي الذين كانوا يتامى
واعتبار ما يكون - نحو « أراي أعصر خرا » أي عبا
الدالية - نحو فهمت الكتاب أي معناه

والمدلولة - نحو « قرأت معناه مشفوعا بتقبيل » أي قرأت لفظه
والمجاورة - نحو شربت من الراوية أي الزادة المجاورة للجمل وقد
تكون المجاورة في الذكر فقط كما في المشاكلة نحو: اطبخوا لي جبة وقيصا
والآلية - نحو « واجمل لي لسان صدق » أي ذكراً حسناً صادقاً
والتعلق - كاطلاق لفظ المصدر على الناعل أو المفعول كشاهد

عدل « وهذا خلق الله »

والشرطية - نحو « وما كان الله ليضيع إيمانكم » أي صلاتكم

والمصدرية - نحو «فرجمو الى أنفسهم» أي آرائهم
 والمظهرية - نحو «يد الله فوق أيديهم» أي قدرته
 والتضاد - كاطلاق البصير على الاعمي
 ومتى اشترى اللفظ في معناه المجازي صار حقيقة عرفية له حكم
 الحقيقة الوضعية

وقد صارت اللغة بهذا التقيح الاخير لغة العرب عامة لالغة قبيلة
 بمينها فأى لفظ نطقت به فانت مصيب وأي استعمال جريت عليه فانت
 بمخطيء ما دمت لم تخرج عن المنقول وأية علاقة صادقتك من العلاقات
 السالفة الذكر توصلك الى تسمية مالم تسمه العرب فانت مقيداً بلفظ
 أمجبي ولا بلهجة حي معين وصرت بذلك بميدا عن الخطأ واسع المجال
 في النثر والنظم والتقلب في الاساليب الانشائية تصول وتجول وتهم
 وتوجد حسبما يسمو اليه استمدادك وتصل اليه درجتك من الاطلاع
 وتمكنك منه بضاعتك فلك ان تقول المدينة كما تقول دوس وان تقول
 السكين كما تقول قريش وان تنطق كلمة «حيث» بتسع لغات ولفظ «باربي»
 بست لغات وتركيب (بادئ بدء) بثمانية عشر وجهاً وان ترفع الخبر
 وتنضبه في نحو ما هذا بشراً وان تطلق الاسد على السبع والشجاع والمين
 على الباصرة والذهب والياسوس وتصرح وتعمي حيث تحتاج لذلك
 وتقل الى العربية كل ما فهمته من اللغات الاخرى

وقد وقع جاسوس عربي في يد العدو فحبسوه وألزموه أن يكتب
 كتاباً الى ملكه يحمله فيه على مداهمتهم ويوهمه بقلة عددهم وعددهم
 غشا وتغريراً فكتب الى الملك كتاباً قال فيه:

« أما بعد فقد أحطت علما بالقوم ، وأصبحت مستريحا من
السمي في تصرف احوالهم ، واني قد استضفتهم بالنسبة اليكم وقد
كنت أعهد في أخلاق الملك المهلة بالامور والنظر في المآقبة فقد
تحققت انكم الفئة الغالبة باذن الله ، ولقد رأيت من أحوال القوم
ما يطيب به قلب الملك نصحتُ فدع ربك ودع مهلك والسلام »

وسلم الكتاب الى المدون فأرسلوه الى الملك بعدما اطلعوا عليه فنظن الملك
لما أراد الكاتب وقال لحاشيته ان الجاسوس وقع في الاسر فأصبح مستريحا
من السمي وانه رآهم أضما فئا وانا قليل بالنسبة لهم اذ لمح بآية « كم من فئة
قليلة » ولقنتي الى الاناة اذ جعلها عادة لي وأراد قلب حروف الجملة الاخيرة
فتكون « كاهم عدو كبيرٌ عدٍ فتحصن »

على هذا استقرت اللغة العربية وتم احكامها وحصرت مفرداتها
الاصلية وقوانينها وأبجح استعمال مفرداتها في غير ما وضعت له عند الاحتياج .
بشرط الملاقة والقرينة وانتهت أدوار التنقيح فيها فلم يبق الا استظهارها
والعمل بها . وقد اغتبطت الامة العربية بذلك وعكفت على العمل بها قرونا
قضت فيها لبانة للمسلم والسياسة وתרغت للفتوح والاستعمار وملأت
طبايق الارض بالتصانيف في الشرائع والحكمة وكل ما كان على وجه
الارض من العلوم فأنارت الخافقين ونشرت المدنية في الدنيا . ولما ضعف
أمرهم وزهم الغريون في حكمتهم وأخذوها عنهم وأضافوا اليها ما تجدد
من الصناعات والفنون ولا يزال الافرنج بدأبون في اقتناء الكتب العربية
ويستخرجون منها من الفوائد ما لم يكن في حسابنا ولكل مجتهد نصيب

هذا ما حضرني من النصوص المحتوية عليها كتب العرب، المتضافر
حليها من أئمة الأدب، فمن شاء فليؤمن بها ومن شاء فليكفر بها فقد تبين
الرشد من النفي

ولما تعدت هم الخالفين وانتشر فساد اللغة مادة وقوانين رأى فريق
من الناس أن يكفونا مؤنة التحصيل فهبوا إلى فتح ثغور اللغة العربية
للدخيل من الالتقاط وطفقوا يحسنون صنيعهم بأقيسة خطابية وجدلية
لا نفي من الحق شيئاً

فقالوا أولاً: إن العرب أخذوا ألفاظاً من الأعمام في أطوار تنقيح
العربية واستعملها الفصحاء وورد منها كثير في القرآن والأحاديث فما لنا
لا ننشئ مذهباً خامساً في التنقيح وفاتهم أن ما أخذ العرب قليل جداً
بالنسبة إلى ما نبذوه ونادر بالإضافة إلى مادة لغتهم الأصلية والقليل النادر
لا يقاس عليه فإذا فتحنا اليوم باب القياس في مادة اللغة نفتحه غداً بالآولى
في هيئتها أي في الصرف والنحو فنقيس على ما ورد شذوذاً عن العرب
أذ ليست المادة بأقل خطورة من الهيئة ولا الجوهر بأدنى احتراماً من
العرض فننصب خبر المبتدأ وخبر أن ونشتق من الجوامد كلها ونميل
الألف حيثما وجدت ونستخرج من كل فعل ثلاثي مزيدات ونستعمل
الزيادة لكل المعاني وبالجملة نجعل عالي اللغة العربية سافلها ونحدث فيها
الاحداث الهائلة فتبليبل فيها اللسان وتفقد بمد قليل من الزمن مع أن
« أصحاب اللغات الحية » الذين يريدون أن يتشبهوا بهم لم يرضوا أن
يتركوا عاداتهم من الكلام والكتابة ولو كانت خطأ فلا يزالون يقولون
في ٧٥ ستون وخمسة عشر وفي ٩١ أربع عشريات وثمانية عشر ولا يزالون

يكتبون جملة حروف في الكلمة لا ينطق بشيء منها ويفوهون بحروف لا يكتب منها شيء

وقالوا ثانيا: انه يجب ان يكون لكل مدلول دال خاص به لا يدل على غيره أبدا وتكون دلالة بنفسه لا بعلاقة أخرى وان تسمية المحدثات بلفظ عربي مها كانت علاقته يوقع في الاشتراك ويزيدنا آلاما الى آلامنا: وغرضهم بذلك منع الاشتراك اللفظي بالمرّة أو عدم زيادته وفاتهم ان الاشتراك اللفظي واقع لا محالة في جميع اللغات لان ألفاظ كل لغة محصورة والمعاني غير محصورة فلو وزعت الألفاظ على المعاني وجب المسير الى الاشتراك حتما وانه لا ضرر من استعماله مع القرينة، ففي الهندسة مثلا تستعمل الزاوية والعمود والسطح والمهرم والكرة والضاغ ولا يخطر في البال شيء من معانيها القديمة، وفي الطبيعة والكيمياء تستعمل العدسة والملح والبلورات ولا تحس بأصل معناها، وفي القوانين تستعمل وضع اليد وسحب الورقة وحبس العين والقذف والضبط والربط ولا يجي في الخاطر معناه الاصل والذو يسمع جملة «سيارة الامير سبقت القطار» لا يتوهم القافلة ولا الجمال فأين هي الآلام التي تخشون من زيادتها؟ ومن منكم يمكنه ان يتكلم كلاما خاليا من المشترك والمجاز؟ أنا أراهمكم على كتابة عشرة أسطر بأي لغة شتم في وصف حادثة من الحوادث ذات البال فمن قدر على اخلائها من المجاز والمشارك فله مني عشرة دنائير وأمرتكم شهرا. والحقيقة ان هذه الآلام آلام وهمية توجد عند ما يريد أن يتألم منها

وقالوا ثالثا: ان دلالة الكلام الاعمجية أصرح لانها تدل على صنف

مخصوص بخلاف الكلام العربية فانها في الغالب تكون عامة: وفاتهم ان

الاصطلاح يجعل العام خاصا والمطلق مقيدا فالنسافة والبارجة والدارعة والمنطاد لاعموم فيها بعد الاصطلاح عاينها وغلبة الاسمية على الوصفية معروفة في اللغات قديما وحديثا فيقولون في السيف أبيض ومرهف وهندي وعاني وفي الرمح أسمر ولدن وسمرري وورديني وكلها أوصاف غلبت عليها الاسمية

وقالوا رايما : ان التعريب أسهل من انتقاء اللفظ العربي واستعمال الاعجمي أخف على السمع فاذا قلت للبدال « أعطني قدحا من الجمعة » اشأز منك وسخر السامعون بخلاف « اليرا » : وفاتهم أن هذه الصعوبة تزول بعد الاهتداء الى الكلمة العربية والاصطلاح عليها والالحاح في استعمالها لنظا وكتابة على أن هذه الصعوبة انما تكون على الاشخاص المكلفين باستخراج الكلم بخلاف الذين يتعلمونها جديدا فافهم بجدونها بدون عناء كالذي يلبس الثوب لا يحس ببناء حائكه وخائطه وقارىء الصحيفة لا يحس ببناء محررها وجامع حروفها وطابعها . ولا بد من قوم يمانون الاعمال وآخرون ينتفون بها ونحن لانكاف أفراد الامة بالاشتغال معنا في انتقاء الالفاظ بل يكفي ان يتم منا فريق في هذا الامر مقابل تعب الآخرين في أعمال اخرى على قاعدة التبادل المدني أما استهزاء العامة فلا يموقنا عن العمل لانا لانعمل لهم بل للخاصة والنشء الجديد الذين يتعلمون في المدارس ، وخالي الذهن يحفظ ما يلقى اليه سواء كان اللفظ الذي يحفظه عربيا أو أعجميا ، واني أذكر كم أننا كنا نستعمل كلمة قومسيون وقوميتيه وجرنال وغازيته وأفوكاتو وكوليرا وواور وقنصل جنرال ولما ابتداء الصحافيون يغيرونها بلجنة وصحيفة وحم

وربما وقطار وممتد كنا نتقزها فلما ألحوا في استعمالها زال التقزز شيئا فشيئا حتى عفا الكلمات الأولى فجازاهم الله عن العربية خيرا . فلم لا يعمل المحدثون من الصحافيين مثل ما عمل الاقدمون ؟ ولماذا لا يحدو مترجمو اليوم حدو مترجمي أمس ؟ ولم لا يساعد هؤلاء وهؤلاء على اداء ذلك الواجب ؟

وقالوا خامسا : ليس لنا أن تمسك بتقديم مجرد قدمه : فنقول لهم وليس لنا أن ننبذ القديم لمجرد قدمه فما كل قديم ينبذ ولا كل جديد يؤخذ والواجب على من رأى المصلحة في القديم أن لا يتركه ما لم تقم الادلة على أصلحية الجديد وقد جربنا القديم مئات من السنين فقام بالكفاية ولم نر للآن منفعة في الالفاظ الجديدة بل الضرر محقق لانا لو فتحنا الباب لدخول الجديد لاستعجم على الخالفين فيهم كل المؤلفات منذ الف سنة الى الآن وانقطع الاتصال بين السابق واللاحق وضاع على المتأخرين تراث اسلافهم المتقدمين

ويمد فاني لم أفهم للآن وجه التثبث بحب الاعجمي فاما أن نكون مصابين بمرض الشعوبية وهو تفضيل العجم على العرب واما أن نكون لاستضعافنا مقلدين الغالب كما قال ابن خلدون ، واما ان يكون في طبائنا اخلاذ الى الراحة والسكون فلا نريد أن نماني أعمالا جديدة لم تعودها فتخذعنا هذه الطباع الى تحسين ما نحن عليه ونقول بالتعريب لانا يمكننا أن نمر ب كل يوم الف كلمة ولا نجد في الشهر عشرين كلمة عربية فيقرر كل منا أن ما وصل اليه هو منتهى الكمال وأن ما يزيد عن ذلك يحسب من التقر والتفريق ولا يريد ان يعترف بكمال بعد الحد الذي وقف عنده فيسجل

على نفسه النقص ، ان لم يكن هذا ولا ذلك فما سبب هذا التثبيث يا ترى؟
لقد وعيت كل ماسبق من الادلة فلم أجد فيها برهانا فلعل جمود قريحتي
ضرب بني وبين الحقيقة حجبا مستورا

وقد نشأ من التساهل في حياطة اللسان العربي أن تطرق الفساد الى مادته
وهيئته وتولد عنه لسان آخر لاهو بالعربي ولا هو بالاعجمي وسماه الناس
باللغة العامية أو الدارجة وهو المستعمل لهذا العهد في مصر والشام والعراق
وجزيرة العرب والمغرب والسودان لا يتكلمون بغيره وان كانوا
لا يزالون يكتبون بالعربية الفصحى او ما يقرب منها

وزرى الطفل تعلم العامية في أقل من خمس سنين ولا يتعلم الفصحى في أقل
من عشر والسبب في ذلك ظاهر وهو انه في أول أمره لا يسمع غير
العامية ولا يتكلم بغيرها فهو إنما سار وحيثما ذهب مشتغل بها فترسخ في
ذهنه رسوخ الفرنسية في أذهان أطفال الفرنسيين والانكليزية في
أذهان أطفال الانكليز وليس الحال كذلك في ابا ن تعلم لغة الكتابة
ولو فرضنا صبيا نشأ في بلد يتكلم أهله بالعربية الفصحى بالسليقة وبعد
سن مخصوص يتعلمون العامية ويستعملونها في الكتابة فقط لانعكس
معه الحال وتعلم العامية في أقل من عشر ، فليس من طبيعة اللسان العربي
الصحيح شي من الصعوبة وإنما هي طريقة التلقين وبيئة التعليم

وعلى كل حال فالجمع بين العامية والفصحى يستنفد خمس عشرة سنة
كان يعني عنها خمس لو اقتصر المعلم على احدها ويضيع على كل متعلم
عشر سنين من عمره فاذا تحققت الآمال وصار التعليم اجباريا فكم تخسر
الامة كل سنة من أعمار افرادها؟ فاذا أخذنا المعدل السنوي للموايد وهو

٧٠٠٠٠٠؛ وطرحنا منه معدل وفيات الاطفال الى سن العشرة (ونفرض أنه النصف) ٣٥٠٠٠٠٠ يكون عدد الباقين ٣٥٠٠٠٠٠ نضربه في عشرة أعوام وهي مقدار ما يخسر كل واحد فتكون النتيجة ان الامة تخسر في كل عام عمل شخص واحد في ٢٣٥٠٠٠٠٠ سنة وبمباراة أخرى يفوتها ربح زراعة ٢٧٥٠٠٠٠ ر فدان على فرض ان الفدان يزرعه اثنان وهي خسارة لا يحسن السكوت عليها فياضيمة الاعمار تمثي سهلا *

وقد استنكر الصبر على هذه الخسارة جماعة من الاقتصاديين فاتفقوا على وجوب الاقتصار على تعلم احدي اللغتين واختلفوا في تمييزها فقال فريق منهم يقتصر على العامية ومنهم المهندس الشهير ويلككس والقاضي الكبير ويلمور . وقال الفريق الآخر ومنهم العالم الشهير والمربي الكبير يعقوب أرئين (باشا) بالاقتصار على الفصحى

واورد على الاول (١) ان لكل قطر عامية مخصوصة بل لكل مديرية لهجة معينة فاذا رجحنا لغة اقليم تحكما منا نكون قد ازمنا سكان الاقاليم الاخرى بتعليم لغة ذلك الاقليم وعناؤهم في ذلك لا ينقص عن عناء تعلم العربية الفصحى بل الفصحى اسهل لان كل شيء فيها قد ضبط وتصح ووضعت له كتب متعددة (٢) وان العامية في البلد الواحد تتبدل بتبدل العصور فلذلك زمان الفاظ تدخل مع أصحاب القوة ولذلك ترى في لغة مصر مفردات من الرومية والكردية والتركية والشركية والفرنسية والانكليزية (٣) وان التزام العامية يحدث حجابا كثيفا دون الاستنباط من القرآن والحديث والمأثور من كلام السلف فتذهب أعمال الاولين هباء وتقع الخسارة على المسلمين وغيرهم ممن يستخرجون كنوز العلوم من

بطون الكتب العربية القديمة ولولا كتب العرب ما أشرق على أوربا ذلك النور الساطع وبالجملة تنقطع الصلة بين الأزمنة والامكنة العربية ويحرم ابن هذا الزمان من ثمار أفكار السابقين وقاطن هذا المكان من تبادل آراء المعاصرين من أبناء اللغة الواحدة فلا جرم كان من المتمين ببد الرأي الويلكسي والاختذ بالمدىب الارتيبي

وخلاصة هذا المذهب أن تترك العامة يتكلمون بما يريدون وتدرّب التلاميذ في المدارس على التكلم بالفصحى ويجب اليهم التحدّور بها كلما اجتمع لغير منهم حتى يرسخ فيهم ملكتها وتلك ألسنتهم دربتها ويكون أخذهم بالتمرين تدريجياً يطبقون على ما عرفوه ويكملون محاورتهم بالعامة فيما لم يعرفوه وكلما زادت درجتهم في التعليم زادت قوتهم في التطبيق الى أن تهجر العامة وتحل الفصحى محلها

فاذا ضمّ الى ذلك مطالعة الصحف والمجلات العربية وسماع الخطب العلمية في النوادي العربية والتردد على معاهد اللغات ومشاهد التمثيلات ومواقف المرافعات وتعليم الفتيات واختداء أساليب المنشئين وطبع كتب المبرزين فان اللغة العامة تنقرض في أقل من عشرين عاماً وتخلّفها اللغة الصحيحة ويرجع اللسان العربي الى عصر مجده وأيام سمده

ولقد هم ذلك المربي الكبير منذ عشرين سنة بالزام تلاميذ المدارس بالتكلم بالعربية الفصحى ما داموا تحت نظر معلميهم وأخذ يهد هذا الأمر عدته وعتاده وسأني رأبي في ذلك وكنت معلماً في مدرسة الحقوق فقلت له ان الأمر ميسور والخطب سهل فطلب اليّ تجربة ذلك قبل أن يصدر الأمر فقلت نعم وكرامة ولم يمض شهر حتى دعوته لشهود التجربة مع

من شاء من المفتشين فأسفرت التجربة عن نجاح باهر وارتقاء ظاهر فصم على امضاء عزمته لولا احتجاج فريق من المعلمين، بل نفر من العاجزين، بأن التطبيق متمدر قبل حفظ اللغة وتمام القواعد ولولا التوكؤ على هذه المغالطة لكانت العامية الآن، في خبر كاد ان لم تكن في خبر كان، والذي يسم كلام الباحثين الاصليين والمنتصرين لهما يخال ان بين الفريقين حربا عوانا وخلافا ما يمهده اتفاق . ومنشأ هذا الاقتراق الذي حمي وطيسه واحتدم أوراه ان أدلة الفريق الاول تنتج أكثر من المدعى ويجر التسليم بها الى اذهاب اللغة العربية والاتيان بخلق جديد ولولا ذلك لكان الخلاف نظريا لا يترتب عليه أثر ويتضح ذلك اذا حددنا موضع النزاع وحصرناه في الدائرة التي يجب حصره فيها، واحسن طريق للتحديد سرد مواطن الوفاق حتى تمامها اذا التقي الجمعان واليكم البيان (١) نقسم أولا اللغة العربية الى لغتين لغة عامية ولغة فصحية فالعامية لا يمكن أن تكون محل نزاع لان الباحث الاول يقول بصقل اللفظ الاعجمي ووضعه في القوالب العربية والثاني يقول بعدم الخروج عما ورد فحل النزاع اذا اللغة الفصحى

(٢) ثم نقسم اللغة الفصحى الى اجزائها حرف وفعل واسم فالحرف لا يمكن أن يكون محل النزاع لان ما وجد منه كاف واف بحاجة اللغة فلا ضرورة لزيادة نحو «يس» و«نو» و«آند» لوجود نعم ولا وحرف العطف والفعل كذلك غير محتاج للمزيد فلا باعث لزيادة نحو «جون» و«كم» لوجود ما يماثلها في العربية وقد وقع في كلام الباحث الاول (١) ما يفهم منه

رغبته في زيادة أفعال تشتق من الاسماء الاعجمية كأترم وتبمل وأمبس ولعل ذلك فرط منه أثناء احتدام الجدل والافما وجه تفضيل الاعجمي على العربي ولم يقل أحد بجواز أنفل وأحمر وأفرس والبفل والجمار والفرس أعرق في العربية من الترام اللهم الا أن يكون وجه التفضيل شدة السرعة وعندنا قاعدة مذهبة بنبي عليها وهي أنه لا يصار الى التعريب الا اذا ألجأت الحاجة اليه ولا حاجة الى اترم كما لا حاجة الى أنفل لا مكان التعبير بركب الترام لو سلمنا بقبول كلمة ترام فحمل النزاع اذا الاسم

(٣) ثم نقسم الاسم الى ما ينوب عن الفعل كشتان ووي وصه والى ما لا ينوب عن الفعل والاول كالفعل لا حاجة الى الزيادة فيه فحمل النزاع اذا الثاني

(٤) ثم نقسم ما لا ينوب عن الفعل الى مشتق وجامد فالمشتقات في العربية كافية وهي أصرح من نظائرها في اللغات الاخرى فالنزاع في الجامد (٥) ثم نقسم الجامد الى اسم معنى واسم ذات فاسماء المعاني كثيرة جداً

في العربية حتى عدها الباحث الاول ثروة واسعة فالنزاع في اسم الذات (٦) ثم نقسم اسم الذات الى ما وضع لمعين بلا واسطة وهو العلم والى ما وضع لمعين بواسطة ملازمة وهو الضمير واسم الاشارة والاسم

الموصول والى ما وضع لغير معين وهو اسم الجنس فالعلم يشمل أسامي الاناسي والبلاد والجبال والانهار والبحار والامم والاقاليم وماله شأن خاص من غيرها، والاتفاق على انها لا تخص لغة معينة الا باعتبار معناها الاصلي قبل العلمية وانها تبقى على ما وضع لها واضعها الا لضرورة والضرورة اما أن تكون بوجود حروف أعجمية

لا نظير لها في العربية كالحرف الذي بين الباء والقاف والحرف الذي بين القاف والواو والحرف الذي بين الجيم والقاف والكاف والسين وبعبارة أخرى كجيم القاهرة أوقف الصيد وهي قاف تيم والحرف الذي بين الجيم العربية والياء وبعبارة أخرى كجيم المناربة والحرف الالماني الذي بين الخاء والسين فيبدل الحرف الاعجمي بحرف يقاربه

واما أن تكون بوجود حركات أعجمية لا نظير لها في العربية كالحركة التي بين الفتحة والضمة كما تقول أهل القاهرة خوخ والحركة التي بين الضمة والكسرة عند الفرنسيين فتبدل بحركة عربية تقاربها أما الحركة التي بين الفتحة والكسرة فلها نظير في العربية في لغة نجد وقيس وأسد كما تسمع من القراء فتبقى كما هي أو تبدل بفتحة خالصة والمبدلها بألف خالصة

واما باشتغال العلم على ما لا يميزه أصول العربية كالاتداء بساكن وكالاتهاء بواو ساكنة قبلها ضمة وكالاتهاء بواو أو ياء بعد حرف مد فيحرك الساكن أو يتوصل اليه بهزمة وصل ويحرك احد الساكنين وتقلب الواو الساكنة ياء والضمة قبلها كسرة أو تحذف وتقلب الواو أو الياء المتطرفة بعد مدة همزة وهذا التغيير هو الذي يسمى صقلا أو وضعا في القوالب العربية فالعلم موضع اتفاق بين الباحثين أيضاً

والضمانر واسماء الاشارات والاسماء الموصولة كافية بل فيها زيادة عن نظائرها في اللغات الاخرى فلا حاجة للزيادة فيها وانما النزاع في اسم الجنس كما شرح الباحث الاول مرارا

(٧) ثم تقسم اسم الجنس الى ما استعملت له العرب لفظاً سواء

وضعت له من عندها أو عربته من لغة غيرها وإلى ما لم تستعمل له لفظا
والأول يقبل ولا ينظر إلى أصل اللفظ قبل التعريب لأن التعريب جملة
في حكم العربي فليس موضع نزاع والنزاع فيما لم تستعمل له العرب لفظا
(٨) ثم قسم ما لم تستعمل له العرب لفظا إلى ما اصطاح المولدون
على إطلاق لفظ عربي عليه بأي مناسبة كانت كمنسافة وغواصة ودارعة
وقطار ولا خلاف بين الباحثين في قبوله ، وإلى ما لم يصطاحوا على إطلاق
لفظ عليه الآن ولا خلاف بين الباحثين في أنه يجب البحث والتنقيب في
كتب اللغة عن لفظ عربي يمكن إطلاقه عليه بأي مناسبة من المناسبات
الجانزة في اللغة العربية ويصطلح على دلالة عليه كما اصطاح من قبلنا على
لفظ منسافة وغواصة

ولم يقل أحد منهما بتعطيل حركات الخطابة والكتابة ودواوين الأنشاء
وصحف الأخبار في مدة البحث والتنقيب بل لا بد من ملء الفراغ بلفظ
أعجبي واستعماله موقتا للضرورة كما يفعل الطالب الذي ينتقل بالتعليم تدريجا
من لغة العامة إلى اللغة الفصحى

فاذا أنتفى دور البحث ولم يثر على كلمة عربية يمكن الاصطلاح عليها
وهو ما لا يكون إلا نادرا تصقل الكلمة وتستعمل وحينئذ يراها الباحث
الأول بالمنظار الذي يرى به المعربات التي صفتها العرب ويقول قد احتطت
وما فرطت فرحبا بالدخيل المتيد ، وبعدا للأصيل الشريد ، ومالي أشغل
أمالي بنشد ضالة إن جاءت فلا كرامة ، وإن ذهبت فلا شيمتها غماة ،
وبرأها الباحث الثاني بمنظار آخر غير ما يرى به المعربات فيحسبها كالرقعة

في الثوب والحصاة بين الدر ويقول للضرورة أحكام ، وحبذا لو صحت الاحلام ، ووجدت طلبتي في يوم من الايام ،
 هذا هو الخلاف الطويل العريض ضيق البحث حلقاته رويداً حتى
 تضائل وانتهى الى تقدير النظر الى الكلمة المحتملة واستقبالها اما بالترحيب ،
 واما بالتقطيب ، وهو خلاف غريب ، حفي ناصف



باب المناظرة والمراسلة

السنن والاحاديث النبوية

جاءتنا هذه الرسالة من الشيخ صالح بن علي الياضي أحد العلماء الفيورين في حيدرآباد الذي يرد فيها على الدكتور محمد توفيق افندي صدقي فيما كتبه في النسخ وكون الاحاديث ليست من أصول الدين ولطولها ننشرها بالتدريج مبتدئين بمقدمتها التمهيدية وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل محمداً بالهدى ودين الحق ، وجعل له لسان الصدق ،
 صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ، ومتبعيه وأنصاره واحزابه ،
 أما بعد فاني قد وقفت على رسائل حفزة العالم الباحث الدكتور
 محمد توفيق افندي صدقي كان يرمي فيها أولاً الى أن الاسلام بعد وفاة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القرآن مجرداً عن بيان الرسول (ص)
 وتعاليمه غير معتبر لما زاده الله على ما في القرآن من أحكامه ولازم قوله
 بل صراحتة دالة على نحو صورة الاسلام الموجودة وجواز تشكيله .

شاء بأي صورة شاء وكأنه استشعر شناعة ذلك فأعلن رجوعه عن اطلاق القول في رد جميع السنن وخص منها قبول السنن الفعلية التي فلتها الامة بالاجماع او بالتواتر . ورد جميع السنة القولية زاعما أنها آحاد وما تواتر منها ليس فيه شيء من الاحكام

وقوله هذا - وان كان أهون من قوله السابق ظاهرا - ما له وحقيقته بمد التزامه ثم تطبيقه على ما في نفس الامر الواقع هو حقيقة قوله الاول من رد اكثر السنن الفعلية بل لا يبعد اذا قلنا كلها لانه مامن فعل نقل الينا من تلك الافعال الا وقد اختلفت في هياتها واحكامه المقومة لحقيقته . والمسلمون الناقلون لتلك الاعمال انما كان مستند اختلافهم في ذلك اما السنن القولية واما اجتهاد من يتأني له الاجتهاد منهم فاذا لم يجب أن تكون سنن الرسول (ص) القولية من الدين فلا أن لا تكون مجهودات غيره من الدين أولى وأحرى

واذا كان كل فعل من السنن الفعلية قد اختلفت في صفاته وهياتها الطوائف والمذاهب بحيث يكون حقيقة هذا الفعل عند هؤلاء غير حقيقته عند أولئك - واذا كان المستند السنن القولية أو الاجتهاد وسلمنا أن كلامهما ليس من الدين - لزم أن لا يعلم المتعين أخذه وأن لا يجب عمل مخصوص للزوم انتفاء المدلول بانتفاء دليله والمسبب بانتفاء سببه اذ لا دليل ولا سبب لوجوب أو حرمة أو نذب أو كراهة الا السنن القولية المفسرة للقرآن والاصح على أحكام الاعمال فاذا انتفت اتفق كل ذلك وجاز لمن شاء أن يقول ان الواجب من الاعمال كذا وكذا وان معنى القرآن ومراده ذا او ذا كيف شاء فماد الامر في جميع أمور الدين

الى الاجمال والابهام ولزم الانسلاخ عن دين الاسلام وهذا هو ما يتحاشا عنه كل من يؤمن بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والحقير قد نبه حضرة الدكتور في رسالة ارسلتها الى حضرة سيدنا منشى المنار الاغر ولكنه ارسل الي مكتوب ايد كر فيه ان بعض تلك الرسالة ضاع عنه ويطلب ارسال ذلك اليه لطبع الرسالة ولكني اعتذرت حيث لم يبق لدي منها شيء لاني ارسلت الى حضرة المسودة. ولما كتب حضرة الدكتور رسالته الاخرى التي طبعت في المنار (الجزء التاسع من المجلد العاشر) بعنوان (النسخ في الشرائع الالهية) رأيت صدر رسالته بالكلام على حقيقة النسخ واختار القول بجوازه عقلا وشرعا ووقوعه في الشرائع الالهية والقوانين الوضعية البشرية وهذا شيء لا تنازعه فيه لكنه انكر وقوعه في القرآن فلا وخص ذلك بالسنة النبوية ثم تدرج من مسألة النسخ الى تقسيم السنة الى قسميها فعلية وقولية وكل منهما الى متواتر وآحاد تمهيدا لما خلاصته ان القولية لا سيما الآحاد منها لا يجب العمل به بعد زمن رسول الله (ص) وزعم ان السنن القولية مطلقا انما هي شريعة وقتية تمهيدية لشريعة القرآن الثابتة الباقية وعل ذلك بالنهي عن كتابتها وزعم ان النبي (ص) واصحابه لم يعاملوها بالناية التي عومل بها القرآن قصدا منهم لان تندر وتزول من بين المسلمين فلا يعملون بها هذه خلاصة قوله لكنه يظهر من تناقض كلامه وجوب العمل وقبول ما كان متواترا من ذلك لا ما نقل آحادا سواء كان سنناً أو صحيحاً أو مشهوراً أو مستفيضاً

وحيث كان ذلك مخالفا لدين الاسلام فيما أعتقد به

الآحاد الصحيح بجميع اقسامه مستلزم للطعن في القرآن وتكذيبه ومخالف
لجماهير المسلمين بل لجميعهم بل لجميع الاديان والملل وسائر متبعمها بل
مخالف لما عليه مدار الاجماع البشري كل ذلك على ما أعتقد ولا احسب
ان احدا ممن عرف بالعلم والمقل كحضرة الدكتور يخالفني وينازعني في
ذلك بعد التفكير وبشرط الانصاف - حيث كان الامر كذلك فيما أعتقد
بعثني حب اظهار الحق والتعاون على البر والنصيحة الى مناقشة حضرة الاخ
الدكتور فيما كتبه في رسالته مما رأيت خلاف الصواب لما عرفت من حسن
نيته ورجوعه الى الحق كما هي عادته

والتمس من مولانا المرشد وسيدنا العلامة القدوة داعي الانام ،
لا تباع حقيقة الاسلام ، منشي المنار مولانا حضرة السيد محمد وشيدرضا
وأرجوه أن يدرج هذه البضاعة المزجاة في مناره، وان يسقط ما فيها من
الغلط بصائب أفكاره ، وان يشركنا في صالح دعواته، ولنعلم ما كنا بصدده
من الشروع في المقصود فنقول : (سيأتي المقصد)

﴿ تنبيه للمستفتين ﴾

اذا أراد المستفتي ان لا يتأخر نشر سؤاله والاجابة عنه فليكتبه على ورقة
مستقلة ولا يجعله في غمرة كتاب آخر فيكافنا استخراجه منه اذ ربما تمر الشهور
ولا نجد وقماً لنسخه . ومن سأل في ورقة واحدة عدة أسئلة فليفصل بينها في الكتابة
فيبتدىء كل سؤال بسطر جديد . وليكن الخط واضحاً . ومن علم ان في عبارته
غلطاً فليأذن لنا بتصحيحها ان شاء والا نشرناها على علائها أو أهملناها

الفصل الأول (*)

(مكة وحالة قريش الاجتماعية عند البعثة)

نشأت خديجة في بلد شأنه عجيب ، قصي عن العمران ، في واد غير
زرع ، لا تنساب فيه الأمواه ، ولا تكتشفه الحدائق ، ولا تقوم الصناعات
فيه دولة ، ولا يجد مبتني الزخارف لديه مجالا ، ولكن أبداه الله جمالا
مغزيا ، وكساه جلالا روحانيا ، فالأفدة تهوى اليه ، والاطايا تزجي له من
كل فج عميق ،

هذه البلدة المقصودة هي « مكة » المكرمة الشهيرة التي لا يجزل
اسمها وشهرتها أحد ، هي أم البلاد العربية واقعة في القطعة المسماة الحجاز
من شبه جزيرة العرب ، قائمة بيوتها في سهوح جبال محيطة بها
لم تقف على مقدار عدد نفوسها في تلك الايام التي نشأت فيم اخديجة
والكن عدد مقاتلتها لم يكن يتجاوز الالدين في الغالب فيمكننا ان نحزر
أهلها اذ ذاك بنحو خمسة عشر ألفا كلهم أولاد أب واحد قد ورثوا
باستعدادهم لا بنسبهم هذا المقام الكريم والبلد الشريف ممن كان قبلهم
من القبائل . وذلك أن قصي بن كلاب استطاع ان يجمع جميع ذراري
فهر بن مالك الى مكة ويزاحم بهم من كان فيها من القبائل فلم تلبث ان
صارت لهم خاصة

(*) من رواية خديجة أم المؤمنين

وفي مكة هذه بيت مقدس قديم العهد يكاد يكون أول أمره
مجهولاً عند المشتغلين بالتاريخ اسمه بيت الله أو الكعبة . وكان جميع
عرب الحجاز يعظمون هذا البيت أكثر من كل البيوت التي شرفوها
ويحجون إليه ، ويتعارفون ويتعاطفون لديه

كانت هذه البلدة المشرفة تضم بين تلك الجبال المهيبة أمة صالحة
الاستعداد للرقى متى أريت طريقه كما تضم الصدفة جوهرة لا يظهر بهاؤها
ورواؤها حتى تعالج بمض المعالجة وتزال عنها القشور أما من حيث
الحضارة فلم تكن كما ينتظر ابن حضارة هذا المصر من البلدان وإنما
هي بيوت ساذجة مبنية بالحجارة واللبن ومسقوفة بجذوع النخل خالية
من الزخرف

وهذا البلد الأمين باق إلى يومنا هذا لم يزد على طول القرون
الا تشریفاً وتكريماً ولم يتغير فيه الا أشكال الابنية وازدياد التجارة
والبيت المشرف لم يتغير وضعه ولا وضع الشعائر التي حوله وإنما بني
هناك زيادات ومحسنات اقتضتها الدواعي

ومكة معدودة اليوم من جملة بلاد الدولة العلية العثمانية بيدانها لم تحرم
حتى الآن من أمير عربي يتصل نسبه بسيدتنا خديجة هذه ، وتقوده
فيها وفيما حولها تقود تام يستمد من السلطان العثماني ومن احترام العرب
لهذه السلالة

ومن الآثار المشهورة الباقية في مكة بئر زمزم ويقولون ان قبيلة
جرم كانت دفنتها ثم احفرها عبد المطلب بن هاشم جد النبي (ص)
وكان ذلك من منافع عبد المطلب لأنه لم يكن بمكة من ماء الا في آبار

بعيدة عن البيت المشرف فلما أخرج عبد المطلب زمزم في جوار البيت انصرف الحاج اليها . ولحق زمزم حديث طويل خلاصته تدل على شنف عبد المطلب بتسهيل الماء على الحجاج فاذا تأملنا في حرص القوم على مثل هذه العناية بالفرياء وابناء السبيل نعلم شيئاً من روح تربية المهتم وترقية العواطف في ذلك المجتمع الذي نشأت فيه «خديجة»

وكان من جيداً امر أهلها في مجتمعهم ذلك أنهم اقتسموا النظر في الامور العمومية فيما بينهم فكانهم كانوا حكومة جمهورية من غير رئيس عام وكان أمر هذه الجمهورية الفريية الوضع سائراً على منتهى النظام ولكن لم يكن هذا النظام لسراً في ترتيب هذه الجمهورية فانها لا يؤمل منها في حدوداتها ان تتمر نظاماً بالغاً منتهى الجودة والقوة وانما ذلك أثر من آثار تربيتهم العمومية فلاخبار كلها دالة على ان القوم بالجملة كانوا كأنهم مفطورون على التضامن التام فلذلك كان من مزايا ذلك الاجتماع الذي لا نهده له نظيراً ان كل فرد من أفراد تام الحرية لا يشعر بقهر حاكم ولا يخشى سطوة جبار وكل منهم في أمن من فوات الحقوق واعتداء الحدود . الجنايات قليلة ، وكرامة الناس محفوظة ، والآداب سليمة ، والحدود غير متجاوزة ، والحقوق مصونة ، وذرائع الفساد مسدودة ، وسلامة الفطر غالبية ، والمزايا التي بها كمال الانسانية راجحة .

فاذا أضفنا الى كل ذلك احترام الغريب وتوقيره اياهم وتوقيه أذاهم نجد ان ذلك المجتمع لا يكاد يوجد نظيره ولكن مع كل هذا الجمال والحسن والصلاح في هذا المجتمع كان فيه عيوب فاذا أزيلت يصبح اول مجتمع

راق في الدنيا وخليتها ان يفيض على جيرانه من بركات العقول التي اشربت
بديع جماله، واشرايت، الى عظيم كماله، ثم تانت الى تعريف العالم بما اكنت
تلك البقعة التي لم تكن شيئاً مذكوراً من العقول المنيرة والارواح العالية
وقد وقع ذلك فن الذي منه تنشأ الاسباب واليه ترجع الامور قد
اتاح لهذا البلد الجمهوري من ينظفه من تلك الميوب التي اشرانا اليها فكان
بمدد ذلك كما هو المنتظر منه أي تم ظهوره فصار مشرقاً لنور عظيم بلغ مشارق
الارض ومغاربها فأخذ كل قوم منه بقدر استعدادهم
اما الجمهورية التي اشرنا الى انها كانت في هذا البلد فقد اقاموها على
على أساس يأمنون معه من الزلزال وذلك انهم رأوا الشرف انتهى الى
عشرة رهط من عشرة بلون لاشتهارهم بأعمال مجيدة، ثم اجمعوا امرهم
على ان يكون النظر في الاءور العمومية من خصائص هذه البيوت
المشرة وراضوا على ان يكون لكل بيت من هذه المشرة وظيفة يختص
بها تعد من مناخره فهم بهذا الصنيع قد أخذوا بشيء من أصول حكم
الاشراف وبذلك أعطوا الالمال التي يجذبها الفرد أو الاسرة حقها من
التكريم والتشريف ليزداد نشاط أربابها وحرص غيرهم على التشبه بهم
وأخذوا أيضاً بشيء من أصول الحكم النيابي وهو أعظم الآيات على
وجود التضامن الذي هو أحد الاركان التي تحفظ بها سعادة الامم .
أما الشورى فقد وفروا منهم حظها، وعظموا في أنفسهم حقها، وبها
كانوا يشرعون ما يشرعون من الاحكام والحدود، ويفصلون ما يفصلون
في بعض القضايا والحقوق
وقد ألفوا الرئاسة العامة من بينهم كأنهم عدوها لنوا اذا صدقوا

في تضامنهم وصلحوا في تشاورهم وارانتهم الحق وقليلة الجدوى اذا مرض تضامنهم ووهي نظامهم . أو أنهم خشوا أن يكون حب الرئاسة اذا وجدت مدعاة لكثرة تنازعهم وتنافسهم فلا يأمنون بمد ذلك كثرة الفشل والشقاق وسقوط الهية من نفوس الغرباء ووقوع الفتور في نفوس الأقربين . أو أنهم أنفوا أن يملكوا عليهم أحداً لأنهم كلهم يحملون بين أضالهم نفوس الملوك وجمهوريتهم هذه لم يكن لها رئيس عام ولكن كانوا يقيسون واحداً في وظيفة رئيس عام موقتاً

أهل هذا المجتمع اللطيف لم يكونوا أولي شغف بالمحاربات فعلاقتهم الخارجية مع جيرانهم من القبائل وأهل القرى والبلاد كانت حسنة ولكن هذا لم يقدمهم عن أن يكون استمدادهم تاماً لما ينزل بهم فان نزل بهم ما يطبقونه كسفنوا اللثم عن قوتهم وبرزوا من غير ريب وان نزل بهم ما لا قبل لهم به تريثوا وعمدوا الى الاناة وفتقوا من الحيلة أو ابا يخرجون منها الى السمعة من الضيق ومن فلّ الجيوش بالحسام الى فلها بالبيان وقد أعطوا من هذا حظاً عظيماً . ومن أشهر حوادثهم الخارجية التي ضاقوا بها ذرعا هجوم القائد الحبشي أبرهة الذي كان ثلب على بعض بلاد اليمن فقددهمهم بجيش تنظيم لم يروا لانفسهم طاقة به فقابله تبدي المطالب جد النبي (ص) وكان يومئذ رئيس قريش فأحسن مقابله ولطف بمض الشئ من حديثه التي كان بها مسوقاً لهدم « بيت الله » على زعمه لاسباب فصلها رواة الاخبار ثم أصابته داهية سماوية فتقل بجيشه ثانياً عزمه لانه رأى في أهل هذا البلد ما لم يكن يخطر له في بال

نعم رأى في مقدمه هذا على هؤلاء القوم عجيباً من الأمر وذلك

انه لما اتام أرسل اليهم رجلا حميرياً كان معه اسمه حناطة وأوصاه ان يسأل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها فيبلغه ان الملك لا يريد الحرب وانما جاء لهدم هذا البيت فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قرينش وشريفها فدلوه على عبد المطلب بن هاشم فجاءه وبلغه ما أمره به أبرهة فكان جواب عبد المطلب اننا لا نريد حربه قال حناطة انه أوصائي ان يريد مواجعتك ان لم تريدوا الحرب فانطلق عبد المطلب مع حناطة اليه فلما رآه أبرهة رأى الوسامة والجلال فأعظمه واكرمه وأخذه الى جانبه وقال للترجمان سله أن يقول ما يبدو له فلم يكن من عبد المطلب الا أنه صرف لسانه عن الخوض في عزم القائد على هدم البيت وجداله فيه بل أظهر الاقتناع بضرورة المسألة وعدم ممارسة القائد في أمر هذا المبد وقال له اذا لم يكن لك غير هذا الأرب فرد علينا ابنا قال أبرهة للترجمان قل له قد كنت أعجبتي حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني أتكلمني في الاموال وتترك بيتا هو دينك ودين آباءك فأجابه عبد المطلب اننا نحن أرباب المال وأما البيت فله رب هو سيمنعه فقال له انه ما كان ليمتع مني فأجابه أنت وذلك ورد ابرهة الابل على عبد المطلب وبقى مصراً على عزمه ورجع عبد المطلب على قرينش فأمرهم ان يقتصموا بالجبال، ولا يأتوا أصراً حتى يروا ماذا يكون وقد أتى من لدن العناية الفيينية ما لم يكن في الحساب فان أبرهة لما أصبح وتهباً لدخول مكة برك الفيل الذي كان يركبه وحرز واتوا كل باب من أبواب الحيل ليقوم ويمشي تلقاء مكة فلم يبق ثم رأوا حجارة تسقط عليهم من أرجل صنف من الطير فتشاهم ابرهة وتذكر ما اندره به ذلك الرجل الجليل السني

الطلحة عبد المطلب من حماية هذا البيت بطريقة لا يلينها عقله فمحدث في صدره جذوة الحدة والتهور وخذل أمام هؤلاء القوم الذين حاربوه بالسلم ورموا عقله بسهم نافذ من يان عبد المطلب مع رمي الطير جيشه بحجارة من سجيل

وهذه أكبر حوادثهم الخارجية وأشهرها ، وفي عام هذه الحادثة ولد النبي (ص) وقد سموه عام الفيل لما ذكرنا من قصته ورجال هذه الحملة قد عرفوا بعدها باسم أصحاب الفيل وقد أشير إلى مجمل هذه الحادثة في القرآن المجيد

الفصل الثاني

﴿ بيوتات قريش وخصائصها ﴾

أما بيوت شرفهم العشرة فهي :

هاشم ، وأمية ، ونوفل ، وعبد الدار ، واسد ، وتيم ، ومخزوم ،
وعدي ، وجمع ، وسهم ،

وأما الأمور التي كان توليها من خصائص هؤلاء فهي : السقاية ،
والعمارة ، والمعقاب ، والرفادة ، والحجابة ، والسدانة ، والندوة ، والمشورة ،
والاشناق ، والقبعة ، والاعنة ، والسفارة ، والايثار ، والأموال المحجرة ،
هذه الأسماء أكثرها اصطلاحية يحتاج إلى تفسير يوافق العصر
الذي نحن فيه حتى نفهم شكل ذلك المجتمع الذي سميته جمهورياً على
حسب اصطلاح عصرنا

فأما السقاية فقد تفهم من اللفظ نفسه أي سقاية الحجاج الذين كانوا يأتون « بيت الله » من كل جانب ولا يخفى على أحد ان العناية بهؤلاء الغرباء وتوزيع المياه عليهم من أهم الامور العمومية في ذلك الظرف وكان بنو هاشم هم أهل هذه الوظيفة

وأما العقارة فهي منع من يتكلم في « بيت الله » بكلام سفيه فيصح أو يرفع فيه صوته وكانت هذه الوظيفة أيضاً في بني هاشم الذين منهم العباس صاحبها

وأما العقاب فهي راية قریش كان من شأنهم فيها انهم يحفظونها في بيت من البيوت المشرفة فاذا وقعت حرب أخرجوها فان اتفقوا على أحد منهم اعطوه راية العقاب وان لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه وقد كانت هذه الوظيفة أي حفظ هذه الاية من خصائص بني أمية الذين منهم أبو سفيان صاحبها

واما الرفادة فمعناها الاسعاف وكانوا يجمعون من أنفسهم أموالا لرفد المنقطعين من الحجاج وكانت الرفادة في بني نوفل الذين منهم الحارث بن عاصم صاحبها

واما السدانة والحجابة فمناهما خدمة « بيت الله » وحفظ مفتاحه والظاهر من هذه الوظيفة انها دينية ولكن متولي هذه الوظيفة الدينية مشترك مع عشيرته بتدير الشؤون الاجتماعية وهذا العمل الديني نفسه قد كان عند القوم من أهم الامور العمومية في مدينتهم وجمهوريتهم وقد نستطيع ان نشبهها من بعض الوجوه بوظائف كبار رؤساء الدين في الامم المتقدمة اليوم ولا يخفى ان وظائفهم من مميزات مدينتهم، ولان

يتولونها شأن يذكر عندهم . وقد كانت الحجابة والسدانة في بني عبد الدار الذين منهم عثمان بن طلحة صاحبها
واما الندوة فمناها ظاهر من اللفظ نفسه وكانت دار الندوة في بني عبد الدار ايضاً

واما المشورة فيريدون بها رئاسة الشورى وليس بعيد عن الصواب اذا شبهناها من بعض الوجوه برآسة الوزراء أو رآسة مجلس الاعيان وكانت هذه الوظيفة من خصائص بني أسد وكان يتولاها منهم يزيد بن زمعة ابن الاسود وكان من شأنهم في هذا الوظيفة ان رؤساء قريش كانوا لا يجتمعون على امر حتى يرضوه على صاحب هذه الوظيفة فان أعجبه وافقهم عليه والأتخير وكانوا له أعواناً

واما الاشناق فهي الديات والمغارم فقد كانوا يساعدون من يستحق المساعدة ممن حمل مفرماً اودية وكان النهوض مع صاحب المفرم لجمع المطلوب من خصائص بني تيم الذين منهم أبو بكر الصديق فكان أبو بكر اذا نهض مع أحد صدقه قريش واعانوا من نهض معه وان نهض غيره خذلوه
واما القبة فأشبهه شيء بنظارة الحربية ولكن كانوا يمدون اليها وقت الحرب فقط واعل ذلك لسداجة الحرب اذ ذاك أو لاستعدادهم لها كل وقت اذا تأججت نيرانها وقد كانوا يضربون قبة فيجمعون اليها ما يجزون به الجيش وكان ذلك من خصائص بني مخزوم الذين منهم خالد بن الوليد صاحبها

واما الاعنة فمناها رئاسة الخيالة وكانت هذه الوظيفة للمخزومي ايضاً وخالد صاحب هذه الوظيفة هو ذلك الفاتح العظيم القائد العام في

الاسلام لجيوش أبي بكر خليفة النبي عليه الصلاة والسلام وما أظن تاريخ فنّ التبعة اليوم يخلو من الاستثناس بذكر تلك التداير المخزومية التي كان لها شأن عظيم في الاسلام كما هو شأنها في الجاهلية (أو الجمهورية) وأما السفارة فالمراد بها ظاهر، وقد كانوا يحتاجون الى السفارة في الحروب أي في أوائلها أو بمد شوب نارها وتماظم أوزارها ويحتاجون اليها اذا نافرهم حي للمفاخرة . وقد كانت هذه الوظيفة من خصائص بني عدي الذين منهم عمر بن الخطاب صاحبها وناهيك بذلك الخليفة الثاني الشير بكل منقبة صالحة اذا كان سفير قوم

وأما الايسار فهي الأزلام والقдах كانوا يضربون بها اذا أرادوا أمراً وكان هذا من خرافتهم وعيوبهم ويحق لنا أن نبالغ في استهجان هذه الخرافة التي كآواعليها الا أن يكون لهم شيء من النظر من وراء الخرافة كما هو الحال في كثير من الامور الباطلة التي تروج في الامم بسماح من العقلاء أو بترويج منهم لها وقد كانت هذه الوظيفة لبني جمع الذين منهم صفوان بن أمية صاحبها

واما الاموال المحجرة فهي الاموال التي سموها لآلتهم ويصح أن نسي هذه الاموال أم الاوقاف الخيرية اي ان يندما تشابها . وقد كانت هذه الوظيفة أي تولي النظر في الاموال المحجرة من خصائص بني سهم الذين منهم الحارث بن قيس صاحبها

هذا ما كان من حيث ترتيب التضامن واقتسام الاعمال المهمة .
واما الامور الجزئية التي كان الافراد يختلفون فيها فتفصل فيها كبار اسرهم وعشائرهم في الغالب على طريقة التحكيم ولم يكن للقوم من شريعة مكتوبة

وانما كانوا يتصرفون في الامر كما يبدو لهم الصواب فيه ويتيسرون
الامور باشباهها

وهنا يختر في بال القارئ أن يسأل عن الضيف الذي لا يأوي الى ركن
شديد من رهطه كيف كان حاله اذا أهين أو ظلم في ذلك المجتمع الذي
لا شريعة فيه مكتوبة ولا قوة مهيمنة من شأنها وخصائصها دفع القوي
عن الضيف . وقد بحثنا في هذه المسألة المهمة فوجدنا القوم لم ينسوها
ولم يهملوا شأنها وذلك انهم قرروا في مؤتمر لهم حماية الضيف والذود
عنه وكان من حديث ذلك المؤتمر ان قبائل من قريش اجتمعت في دار
عبد الله بن جدعان الشهير وتماهدوا وتعاقدوا على أن لا يجذوا في
مكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه
وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك حلف
الفضول وكانت الارهاط المتعاقدة بني هاشم وبني المطلب وبني أسد بن
عبد العزي وبني زهرة بن كلاب وبني تيم بن مرة

نم كان من النقص في نظامهم ان لا تكون حماية الضيف من
خصائص الجمهور ولكن يظهر انهم كانوا يكتفون في الضيف بأن يجيره
واحد من بيوت العزة والقوة فانه يصير مثل مجيره في نظر الجمهور فلا
يجسأ حدان يعني عليه

ويمكننا ان نستخلص من كل ما تقدم ان القوم كان لهم شبه قانون اساسي
الا انه غير مكتوب ولم يكن لهم قوانين مدنية أو جنائية قط . والامر
في الامور المدنية سهل في المجتمعات البسيطة الصغيرة فكل انسان يستطيع
فيها ان يحتفظ بحقوقه أو يستعين عليها بالتحكيم وما أشبهه . واما الحوادث

الجنائية فلا يجوز اهلها وتركها من غير ان يتولى الفصل فيها أناس مقيدون بقوة تنفيذية مخافة ان تكثر الجنايات ولكن تكافؤ القوى في العناثر والبطون المتساكنين في بلد واحد قد يكون مانعاً من كثرة الجنايات واذا اضيف الى ذلك صلاح الاخلاق والتربية العمومية كان هذا نم الظير على تقليل المدوان وقد كان القوم يتواصون باجتنااب الظلم ولا سيما في البلد الامين ومن وصاياهم في ذلك قول اخذى نسايم توصي ابناؤها:

أبني لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير

واحفظ محارمها بني ولا يفرنك الفرور

أبني من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور

أبني يضرب وجهه ويلح بخديه السعير

أبني قد جربتها فوجدت ظالمها يبور

الله آمنها وما بنيت بمرصتها قصور

والله آمن طيرها والعصم تأمن في ثبير

وتواصيههم بالنهي عن الظلم يعرفنا بتعرف فلسفة القوم التي كانت

تحتمهم على مثل هذا

الفصل الثالث

ديانة أهل مكة عند البعثة

ويظهر لنا انهم طرقتوا كسائر الامم باب الضالة المنشودة وهي معرفة ما هي نفوسنا ومن أين مبدأها والى أين متنها او ماذا يزكيها وماذا يدرسبها نعم طرقتوا هذا الباب ولكن يفتح لهم عن الطريق الموصل الى

هذه الحقائق المكنونة بل كانت نصيبهم كمنصيب الاكثرين ظنوناً
ورجماً بالغيب

أدرك القوم ان للعالم خاتماً ومدبراً هو الذي خلق السموات والارض
وما فيهن ، وهو الذي خلق السمع والابصار والافئدة ، وقالوا كما يقول
سوام انه تستحب الرغبة اليه والرهبة منه ولكن في هذا السبيل تاهوا
فتركوا ههنا العقل والتفكر وقلدوا الامم واتخذوا من الحجارة أوثاناً
وقالوا ان تعظيم هذه الاوثان يقرب الى الله لان هذه الاوثان تماثيل أو
كتماثيل لأناس صالحين محبوبين عند الله فتعظيمهم الى درجة العبادة
يقرب الى الله

لقد غلطوا في ظنهم ان الله يجب هذه الحجارة . وأخطأوا بزعمهم
ان تنزيل العقول الى تعظيم هذا الجماد (بهذه الصورة) تعظيماً قلبياً يرضي
الله تعالى . وحادوا عن الحق بتخليهم ان هؤلاء يشفعون لهم عند الله تعالى
وقد كان الواجب ان لا يكون في قلوبهم حب وعبودة الا للحي القيوم
ولم يكن جائزاً ان يشركو به الجماد ،

وكان لهم أغلاط أخرى كثيرة في ذات الله سبحانه وصفاته وأفعاله
فقد زعم بعضهم ان الملائكة بناته ، وزعم بعضهم ان الجن شركاؤه في الملك
وظنوا جميعهم ان لن يبعث الله بشراً يعلمهم ويزكيهم ،

غلطوا في كل هذا وتسفت فيه عقولهم ولكن اعتقادهم بأن للعالم
صانماً مدبراً عظيماً هو رب الكل وانه يجب ان يتقرب اليه المييد قدر رق
على ما فيه من الذم والبعث عن الطريق القويم قلوب كثير منهم وكأنه
أعدها لقبول حق سيظهر نوره فيمحق خطيئاتهم الاعتقادية

والمشهور ان القوم لم يكونوا يقولون بالمعاد والجزاء الاخروي ولكن الحقيقة أنهم كانوا في ريب وشك أي لم يكونوا جازمين بشيء في هذا الباب وكان أناس منهم تذهب بهم عقولهم الى وجوب المعاد والجزاء الاخروي ولكن عدم اعتقادهم باجزاء الاخروي لم يكن مانعاً من ان تكون قلوبهم منجذبة الى الاخلاق والاعمال الطيبة التي تحث على مثلها الديانات من البر والإحسان والعدل والصدق والكرم وحماية الضعيف وترك المدوان والابتعاد عن الخيانة والبغي وما أشبه هذه المناقب وعقولهم انما طرأ عليها التسفل الى تعظيم الجماد لان الوثنية هي الغالبة في عصرهم ولا يبعد عن الصواب من يقول ان الوثنية هي الغالبة على طباع البشر كلهم الا قليلاً

فاذا صرفنا نظراً عن تلوث عقولهم بنزغات الوثنية لا نجد من بعدها هذه العقول مظلمة وهي التي اضاءت لهم فمرفوا بها الاخلاق الصالحة والفاصلة ولم يكن يوزم الا ان يقوم فيهم مرشد يهديهم التي هي أقوم من طرائق الاعتقاد بالله وصفاته والتقرب اليه بتوجيه الوجه واسلام القلب اليه ولولا ان للقوم عقولا صافية لما رجي لمحبي المرشد من فائدة لانه لا يظهر نور الارشاد الا في اللوح النقي ولكن الرجاء بالقوم في محله فانه لما جاء المرشد لتي أراضى في منتهى الاستمداد لما أراد أن يلقي البذار والى جانبها أراض أخرى فيها من أعشاب التمسك بالتقديم ما يحتاج الى زمن في معالجة ازالته وقليل من الاراضي كانت سبخة ليس في الامكان أن ينتج فيها البذار

لا يهولئك من القوم سقم عقولهم فيما كانوا يعتقدون فان البشر

كلهم الا قليلاً كانوا ولا يزالون يمتقدون أمثال معتقدات القوم
فوا أسفاه ان هذا العيب عام وراسخ في البشر ومن أصعب الاشياء استئصال
جنوره ولا ندري السر في هذا . ولكن انظر الى هذه الجماعة القليلة
كيف أقامت لها شأناً رفيعاً في العرب كلهم اذ غلبتهم على التوطن في
جوار البيت المشرف وأحسنن المقام في هذا الجوار الشريف فقامت
بمقوق حجاجه من ستايتهم ورفادتهم ، وقامت بمقوق المستضعفين فيه
من حمايتهم وتأمينهم ، وقامت بسنن التضامن والتعاون والتواصي بالعدل
والاحسان حتى رضي العرب بتقديمهم عليهم اذا تقدموا واياهم لأمر
عظيم وشرف جسيم على انهم ليسوا في العرب أكثر عدداً ، ولا أقوى
ناصرآ . لا جرم قد خصهم الله بأفراد كانوا في نقاء القلوب آية ، وبلغوا
في صفاء العقول النفاية ، والأهم والشعوب تحيي بأفراد وعموت بأفراد
واذا سخر الإله سعيدياً لانس فاتهم سعدياء

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد حريرتهم التي كآوا عليها فاتهم
لما خلاصوا من تملك أحد عليهم خلاصوا من شرور كثيرة تتبع التملك
فكانت معاشراتهم ساذجة خالية من عبارات الملق والخنوع وكانت
مكاسبهم لا تقسم لا يشاركون فيها مشارك ولا يعرفون المغارم المرتبة
والاتاوات المنسوبة

وهم في أمن من حيف القضاة لانهم انهم يتحاكمون يوم يشاءون الى
من يرضونه من كبرائهم ولا قانون لهم في المسائل الجزئية ترتعد من
أحكامه فرائضهم وانما يخشون بأس بعضهم فيرتدعون عن الشر الذي
يثار له الصوم أو يثار له من أصابهم خاصة

وكان جائزاً لا حدم ان يتدين كما يريد بشرط ان لا يعيب دينهم
الذي كانوا عليه ولا يدعو الى ابطاله وقد كان لبعضهم فلسفة في النشور
والجزاء الاخرى وبعضهم انصرف عن عبادة الاوثان وبعضهم ميل
الى تقليد أهل الكتاب فلم يكونوا يحاسبون أحداً على مثل هذا
ولم يكن لديهم نوع من المبايعات حراماً بل يبيعون ويشتررون كما
يشاءون وكل منهم عارف بمصلحته ولهم همه في التجارة والرحلة فيها الى
الشام وغيرها في الصيف والشتاء

أما أهل الصنعة فيهم فلم يكن لهم من قيمة والغالب ان يكون
الصناع غرباء

ولهم ازاء حسنة الحرية سيئة كبيرة وهي امتنان الرقيق واحتقاره
وتكليفه الشاق من الامور ولم يكن بعضهم يأنف من إكراه امائه على
البناء ليأخذ ما يعطين في سبيله

أما نساؤهم الحرائر فلم يكن جائزاً لمن الزنا ولا سيجاً اذا كان لمن
بعولة يدياته لم ينقل لنا انهم رتبوا على الزواني عقاباً بل كان عقابهن الى
رأي أهليهن اذا شاءوا

وكان لنسائهم كثير من الحقوق ولهن ان يواجهن الرجال ويبرزن
أمامهم حاسرات ويمكن ان يقال بالاجمال ان حرية الرجال والنساء كانت
تامة ولذلك نجد من قوم هذا شأنهم اذا رأيناهم لم يرثوا لحال الرقيق
ولم يذكروا انه يستحق الرحمة لانه مسلوب أفضل كسائه كساهموه ربهم
الأعلى، الذي خلق فسوى،

بغير مجادى الذين يستمعون القول فينبهون أذنهم
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المجادى

١٣١٥

بوقى الحكمة من يشاء من يؤمن بالحكمة فقد أتى
خيرا كبيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر الجمعة ٣٠ ربيع الاول ١٣٢٦ - أول مايو (أيار) سنة ١٩٠٨

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس في الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(١١٨: ١١٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ

لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْيَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا

تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تُعْقِلُونَ

(١١٩: ١١٥) هَاءُ تُمُّ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ

بِالْكِتَابِ كُلِّهِ، وَإِذْ لَقِيتُمْ قَوْمًا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا فَخَسَرُوا عَلَيْكُمْ أَتَأْمِنُ

مِنَ الْغَيْظِ، قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنْ أَلَّهَ عَلِيمٌ بَدَتِ الصُّدُورِ (١٢٠: ١١٦)

إِنْ تَسَنَّكُمُ حَسَنَةً تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ

تُصِرُّوا وَتَقُولُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا، إِنْ أَلَّهَ بِمَا يَمْلِكُونَ مُحِيطٌ

قال الاستاذ الامام ان الآيات السابقة من اول السورة كانت في الحجاج مع أهل الكتاب وكذا مع المشركين بالتبع والمناسبة وان هذه الآيات وما بعدها الى آخر السورة في بيان احوال المؤمنين ومعاملة بعضهم لبعض وارشادهم في أمرهم يعني ان أكثر الآيات السابقة واللاحقة في ذلك

ثم ذكر لبيان اتصال هذه الآيات بما قبلها ثلاث مقدمات (١) انه كان بين المؤمنين وغيرهم صلوات كانت مدعاة الى الثقة بهم والإيفاء اليهم بالسر واطلاعهم على كل امر منها المحالفة والعهد ومنها النسب والمصاهرة ومنها الرضاة (٢) ان الغرة من طباع المؤمن فانه يني أمره على اليسر والأمانة والصدق ولا يبحث عن العيوب ولذلك يظهر لغيره من العيوب وان كان بليداً مالا يظهر له هو وان كان ذكياً (٣) ان المناصين للمؤمنين من أهل الكتاب والمشركين كان همهم الا كبر اطفاء نور الدعوة وابطال ما جاء به الاسلام وكان همّ المؤمنين الا كبر نشر الدعوة وتأييد الحق . فكان الهمان متباينين ، والقصدان متناقضين ، (ثم قال) فاذا كانت حالة الفريقين على ما ذكره في لاشك مقتضية لان يفضي النسب من المؤمنين الى نسيبه من أهل الكتاب والمشركين وكذا المحالف منهم لمخالفة من غيرهم بشيء مما في نفسه وان كان من أسرار الملة التي هي موضوع التباين والخلاف بينهم وفي ذلك تعريض مصلحة الملة للخبال . لذلك جعل الله تعالى للصلوات بين المؤمنين وغيرهم حداً لا يتعدونه فقال

﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم ﴾

قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴿ الى آخر الآيات
« بطانة » الرجل وليجته وخاصته الذين يستنبطون أمره ويتولون سره مأخوذ من بطانة الثوب وهو الوجه الباطن منه كما يسمى الوجه الظاهر ظهارة . و « من دونكم » معناه من غيركم و « يألونكم » من الألو وهو التقصير والضعف و « الخبال » في الأصل الفساد الذي يلحق الحيوان فيورثه اضطراباً كالأمرض التي تؤثر في المنخ فيختل ادراك المصاب بها أي لا يقصرون ولا ينون في إفساد أمرهم . والأصل في استعمال فعل « لا » ان يقال فيه نحو « لا آلو في نصحتك » وسمع مثل « لا آلوك نصحاً »

على معنى لا أمنك نصحاً وهو ما يسمونه التضمين . و « عثم » من الفت وهو المشقة
الشديدة و « البغضاء » شدة البغض

اما سبب النزول فقد أخرج ابن اسحاق وغيره عن ابن عباس قال « كان رجال من
السلميين يواصلون رجالاً من يهود لما كان بينهم من الجوار والخلف في الجاهلية فأنزل
الله فيهم نيهام عن مباظنتهم خوف الفتنة عليهم هذه الآية » وأخرج عبد بن حميد
انها نزلت في المنافقين . وروى ابن جرير القولين عن ابن عباس . و ذكر الرازي
وجهاً ثالثاً انها في الكافرين والمنافقين عامة قال « واما ما تمسكوا به من أن ما بعد
الآية مختص بالمنافقين فهذا لا يمنع عموم أول الآية فانه ثبت في أصول الفقه ان
أول الآية اذا كان عاماً وآخرها اذا كان خاصاً لم يكن خصوص آخر الآية مانعاً
من عموم أولها » وسيأتي عن ابن جرير ترجيح الأول

واما المعنى فهو نهي المؤمنين ان يتخذوا لأنفسهم بطانة من الكافرين الموصوفين
بتلك الأوصاف على القول بأن قوله « لا يألونكم » الخ نعوت للبطانة هي قيود
للنهي كذا على القول بأنه كلام مستأنف مسوق للتعليل فالمراد واحد وهو ان النهي خاص
بمن كانوا في عداوة المؤمنين على ما ذكر وهو انهم لا يألونهم خيالاً وإفساداً لأمرهم
ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً فهذا هو القيد الأول . والثاني قوله عز وجل « ودواما عثم » أي
تمنوا عثم أي وقوعكم في الضرر الشديد والمشقة . والثالث والرابع قوله « قد بدت
البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر » أي قد ظهرت علامات بغضائهم
لكم من كلامهم . فهي لشدها مما يعوزهم كتمانها ويعز عليهم اخفاؤها على أن
ما تخفي صدورهم منها أكبر مما يفيض على ألسنتهم من الدلائل عليها . وهذا النوع
من البغضاء والعداوة مما يلقاه القائمون بكل دعوة جديدة في الإصلاح ممن يدعونهم
اليه وما كان المسلمون الأولون يعرفون سنة البشر في ذلك اذ لم يكونوا على علم
بطبائع الملل وقوانين الاجتماع وحوادث التاريخ حتى أعلمهم الله بذلك ولذلك قال

﴿ قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ﴾ يعني بالآيات هنا العلامات الفارقة بين
من يصح ان يتخذ بطانة ومن لا يصح ان يتخذ لخياسته وسوء عاقبة مباظنته . أي

ان كنتم تدركون حقائق هذه الآيات والفصول الفارقة بين الاعداء والاولياء فاعتبروا بها ولا تتخذوا أولئك بطانة

وانت ترى ان هذه الصفات التي وصف بها من نهى عن اتخاذهم بطانة لو فرض ان اتصف بها من هو موافق لك في الدين والجنس والنسب لما جاز لك ان تتخذ بطانة لك ان كنت تعقل فما أعدل هذا القرآن الحكيم وما أعلى هديه وأسى إرشاده؟ لقد خفي على بعض الناس هذه التعليقات والقيود فظنوا أن النهي عن المخالف في الدين مطلقاً ولو جاء هذا النهي مطلقاً لما كان أمراً غريباً ونحن نعلم ان الكافرين كانوا إلباً على المؤمنين في أول ظهور الاسلام إذ نزلت هذه الآيات لاسيما اليهود الذين نزلت فيهم على رأي المحققين . ولكن الآيات جاءت مقيدة بتلك القيود لان الله تعالى - وهو منزلها - يعلم ما يعتري الأمم وأهل الملل من التغير في الموالاة والمعاداة كما وقع من هؤلاء اليهود فاتهم بعد ان كانوا أشد الناس عداوة للذين آمنوا في أول ظهور الاسلام قد انقلبوا فصاروا عوناً للمسلمين في بعض فتوحاتهم (كفتح الاندلس) وكذلك كان القبط عوناً للمسلمين على الروم في مصر فكيف يجعل عالم الغيب والشهادة الحكم على هؤلاء واحداً في كل زمان ومكان أبد الأبد؟ ألا إن هذا مما تنبذه الدراية ولا تروي غلته الرواية. فأن أرجح التفسير المأثور يؤيد ما قلنا .

قال ابن جرير يرد على قتادة القائل بأن الآية في المناقنين ويؤيد رأيه الموافق لما اخترناه مانصه: «ان الله تعالى ذكره إيمانهم المؤمنين ان يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه بالنفس للاسلام وأهله والبغضاء إما بأدلة ظاهرة دالة على ان ذلك من صفتهم . وإما باظهار الموصوفين بتلك العداوة والشأن والمناسبة لهم فأما من لم يتأسوه معرفة انه الذي نهاهم الله عز وجل عن مخالته ومباطته فغير جائز ان يكونوا نهوا عن مخالته ومصادقته الا بعد تعريفهم إياهم إما باعيانهم وأسمائهم وإما بصفات قد عرفوهم بها . واذا كان ذلك كذلك وكان إبد المناقنين بألسنتهم مافي قلوبهم من بغضاء المؤمنين الى إخوانهم الكفار (أي كما قال قتادة) غير مدرك به المؤمنون معرفة ما هم عليه لهم مع إظهارهم الايمان بألسنتهم لهم والتودد اليهم كان بينا ان الذين نهى الله عن

اتخاذهم لأنفسهم بطانة دونهم هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بالسنتهم على ما وصفهم الله عز وجل به فعرفهم المؤمنون بالصفة التي نعمهم الله بها وأنهم هم الذين وصفهم الله تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون ممن كان له ذمة وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أهل الكتاب لأنهم لو كانوا المناقين لكان الأمر منهم على ما بينا ولو كانوا الكفار ممن ناصب المسلمين الحرب لم يكن المؤمنون متخذينهم لأنفسهم بطانة من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم واقتراق أمصارهم ولكنهم الذين كانوا بين أظهر المؤمنين من أهل الكتاب أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان له من رسول الله (ص) عهد وعقد من يهود بني إسرائيل « اهـ

فهذا شيخ المفسرين وأشهرهم يجعل هذا النهي فيمن ظهرت عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين معه ممن كان لهم عهد فخانوا فيه كجني النضير الذين حاولوا قتل النبي (ص) في أثناء اتيانه لهم لمكان الصهد والمخالفة ويمنع ان يكون مراداً به جميع الكافرين أو المناقين

فهذا حكم من احكام الاسلام في المخالفين أيام كان جميع الناس حرباً للمسلمين فهل ينكر أحد له مسكة من الانصاف انه في هذه القيود التي قيد بها يعد متهمي التساهل والتسامح مع المخالفين ، إذ لم يمنع اتخاذ البطانة الايمن ظهرت عداوتهم و بغضاؤهم للمسلمين ، فهم لا يقصرون في إفساد أمرهم ويتمنون لهم من الشر فوق ذلك . لو كانت هذه القيود للنهي عن استعمال المخالفين في كل شيء ومشاركتهم في كل عمل لكان وجه العدل فيها ازهر ، وطريق العذر فيها أظهر ، فكيف وهي قيود لاتخاذهم بطانة يستودعون الاسرار ويستعان برأيهم وعملهم على شؤون الدفاع عن الملة وصون حقوقها ومقاومة أعدائها ؟ ؟

ما أشبه هذا النهي في قيوده بالنهي عن اتخاذ الكفار انصاراً وأولياء إذ قيد بقوله عز وجل (٦٥ : ٨) لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديارهم ان تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم

ومن يتوهم فأولئك هم الظالمون) وقد شرحنا هذا البحث في تفسير قوله تعالى
 (٣ : ٢٨ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون الله) (١)
 هذا التساهل الذي جاء به القرآن هو الذي أرشد عمر بن الخطاب الى جعل
 رجال دواوينه من الروم وجرى الخليفةتان الآخران وملوك بني أمية من بعده على ذلك
 الى ان نقل الدواوين عبد الملك بن مروان من الرومية الى العربية . وبهذه السيرة
 وذلك الارشاد عمل العباسيون وغيرهم من ملوك المسلمين في إناطة أعمال الدولة
 باليهود والنصارى والصابئين ومن ذلك جعل الدولة العثمانية أكثر سفرائها ووكلائها في
 بلاد الاجانب من النصارى . ومع هذا كله يقول متعصبو أوربا ان الاسلام لا تساهل
 فيه !! « رميتي بدائها وانسلت » ألا ان التساهل قد خرج عند المسلمين عن
 حده حتى كتب الاستاذ الامام في ذلك مقالة في العروة الوثقى صدرها بالآية التي
 نفسرها نوردناها هنا برمتها لانها تدخل في باب تفسير الآية والاعتبار بها على أكمل
 وجه وهذا نصها (قلا من الجزء الثاني من تاريخه) :

« قالوا تصان البلاد ويحرس الملك بالبروج المشيدة والقلاع المنيعة والجيش
 العاملة والاهب الوافرة والاسلحة الجيدة . قلنا نعم هي أحرار وآلات لا بد منها
 للعمل فيما بقي البلاد ولكنها لا تعمل بنفسها ولا تحرس بذاتها فلا صيانة بها ولا
 حراسة الا أن يتناول أعمالها رجال ذوو خبرة وأولورأي وحكمة يتعهدونها بالأصلاح
 زمن السلم ويستعملونها فيما قصدت له زمن الحرب وليس بكاف حتى يكون رجال
 من ذوي التدبير والحزم وأصحاب الحدق والدراية يقومون على سائر شؤون المملكة
 يوظفون طرق الامن ويسطون بساط الراحة ويرفعون بناء الملك على قواعد العدل
 ويوقفون الرعية عند حدود الشريعة ثم يراقبون روابط المملكة مع سائر الممالك
 الأجنبية ليحفظوا لها المنزلة التي تليق بها بينها بل يحملوها على أجحة السياسة القويمة
 الى أسمى مكانة تمكن لها . ولن يكونوا أهلاً للقيام على هذه الشؤون الرفيعة حتى
 تكون قلوبهم فائضة بحجة البلاد طافحة بالمرحمة والشفقة على سكانها وحتى تكون

الحمية ضاربة في نفوسهم آخذة بطباعهم يجدون في أنفسهم منها على ما يجب عليهم
وزاجرا عمالا يلقى بهم وعضاضة وألما موجهاً عند ما يمس مصلحة المملكة ضرر
ويوجس عليها من خطر ليتيسر لهم بهذا الاحساس وتلك الصفات أن يؤدوا
أعمال ووظائفهم كما ينبغي ويصونوها من الخلل الذي ربما يفضي قليله الى فساد كبير
في الملك . فهؤلاء الرجال بهذه الخلال هم المنعمة الواقية والقوة الغالبة .

«يسهل على أي حاكم في أي قبيل أن يكتب الكتاب ويجمع الجنود ويوفر
العدد من كل نوع بتقد النفود وبذل النفقات ولكن من أين يصيب بطانة من
أولئك الذين أشرنا اليهم : عقلاء رحماء أباة أصفياء تهمهم حاجات الملك كما تهمهم
ضرورات حياتهم . لا بدان يتبع في هذا الأمر الخطير قانون الفطرة ويراعي ناموس
الطبيعة فان متابعة هذا الناموس تحفظ الفكر من الخطأ وتكشف له خفيات الدقائق
وقلما يخطئ في رأيه أو يتأود في عمله من أخذ به دليلاً وجعل له من هديه مرشداً
وإذا نظر العاقل في أنواع الخطأ التي وقعت في العالم الانساني من كلية وجزئية وطب
أسبابها لا يجد لها من علة سوى الميل عن قانون الفطرة والانحراف عن سنة الله في خلقه .

«من أحكام هذا الناموس الثابت ان الشفقة والمرحمة والحمية والنصرة على الملك
والرعية انما تكون لمن له في الأمة أصل راسخ ووشيخ يشد صلته بها . هذه فطرة
فطر الله الناس عليها . ان الملتحم مع الأمة بعلاقة الجنس والمشرع يزاعي نسبه اليها
ونسبتها اليه ويراه لا تخرج عن سائر نسبه الخاصة به فيدافع الضيم عن الداخلين
معه في تلك النسبة دفاعه عن حوزته وحرمة (راجع رأيك فيما تشهده كثيراً حتى
بين العامة عند ما يرمي أحدهم أهل البلد الآخر أو دينه بسوء على وجه عام كسوري
ينتقد المصريين أو مصري ينتقد السوريين) هذا الى ما يعلمه كل واحد من الأمة
أن ما تناله أمة من الفوائد يلحقه حظ منها وما يصيبها من الأرزاء يصيبه سهم منه
خصوصاً ان كان يبيده هامات أمورها وفي قبضته زمام التصرف فيها فان حظه
(حينئذ) من المنفعة أوفر ومصيبته بالمضرة أعظم وسهمه من العار الذي يلحق الأمة
أكبر فيكون اهتمامه بشؤون الأمة التي هو منها وحرصه على سلامتها بمقدار ما يؤمنه
من المنفعة أو يخشاه من المضرة

فعل ولي الأمر في مملكة أن لا يكل شيئاً من عمله الا الى أحد رجلين إما رجل يتصل به في جنسية سالمة من الضعف والتزيق موقرة في نفوس المتظمين فيها محترمة في قلوبهم يحملهم توقيرها واحترامها على التالي في وقايتها من كل شين يدنو منها ولم توهن روابطها اختلافات المشارب والاديان وإما رجل يجتمع معه في دين قامت جامعته مقام الجنسية بل فاقت منزلته من القلوب منزلتها كالدین الاسلامي الذي حل عند المسلمين وان اختلفت شعوبهم محل كل رابطة نسبية فان كلاً من الجامعتين (الجنسية على النحو السابق والدينية) مبدآن للحمية على الملك ومنشآن لفيرة عليه .

أما الأجانب الذين لا يتصلون بصاحب الملك في جنس ولا في دين تقوم رابطة مقام الجنس فثلمهم في المملكة كمثل الأجير في بناء بيت لا يهيمه الاستيفاء أجرته ثم لا يبالي أسلم البيت أو جرفه السيل أو دكته الزلازل. هذا اذا صدقوا في أعمالهم يؤدون منها بمقدار ما يأخذون من الأجر واقفين فيها عند الرسم الظاهر فان الواحد منهم لا يشرف بشرف الأمة الذي هو خادم فيها ولا يمسه شيء مما يمسا من الضعة لانه منفصل عنها اذا فقد العيش فيها فارقتها وارتد الى منبته الذي ينتسب اليه بل هو في حال عمله وخدمته لغير جنسه لاصق بمنبته في جميع شؤونه ما عدا الأجر الذي يأخذه وهذا معلوم بدهاهة العقل فلا يجد في طبيعته ولا في خواطر قلبه ما يبعثه على الخذر الشديد مما يفسد الملك أو الحرص الزائد على ما يعلي شأنه بل لا يجد باعثاً على الفكر فيما يقوم مصلحته من أي وجه . هذه حالم هي لهم بمقتضى الطبيعة لو فرضنا صدقهم وبراءتهم من أغراض آخر فما ظنك بالأجانب لو كانوا نازحين من بلادهم فراراً من القتر والفاقة وضربوا في أرض غيرهم طلباً للعيش من أي طريق وسواء عليهم في تحصيله صدقوا أو كذبوا وسواء وفوا أو قصروا وسواء راعوا الذمة أو خانوا أو لو كانوا مع هذا كله يخدمون مقاصد لأهمهم يهدون لها طرق الولاية والسيادة على الاقطار التي يتولون الوظائف فيها (كما هو حال الأجانب في الممالك الاسلامية لا يجدون في أنفسهم حاملاً على الصدق والأمانة ولكن يجدون منها الباعث على النفس والحياة) ومن تبع التوارخ التي

تمثل لنا أحوال الأمم الماضية وتحكي لنا عن سنة الله في خليقته وتصريفه لشؤون عباده رأى أن الدول في نموها وبسطها ما كانت مصونة إلا برجال منها يعرفون لها حقها كما تعرف لهم حقهم وما كان شيء من أعمالها يبد أجني عنها وان تلك الدول ما انخفض مكانها ولا سقطت في هوة الانحطاط إلا عند دخول الضمر الأجنبي فيها، وارتقاء الغرباء الى الوظائف السامية في أعمالها، فان ذلك كان في كل دولة آية الخراب والدمار خصوصاً اذا كان بين الغرباء وبين الدولة التي يتناولون أعمالها منافسات وأحقاد مزجت بها دماؤهم وعجنت بها طينتهم من أزمان طويلة « نعم كما يحصل الفساد في بعض الاخلاق والسجايا الطبيعية بسبب العوارض الخارجية كذلك يحصل الضعف والفتور في حمية أبناء الدين أو الأمة ويطراً النقص على شفقتهم ومرحمهم فينقص بذلك اهتمام العظماء منهم بمصالح الملك اذا كان ولي الأمر لا يقدر أعمالهم حق قدرها وفي هذه الحالة يقدمون منافصهم الخاصة على فرائضهم العامة فيقع الخلل في نظام الأمة ويضرب فيها الفساد ولكن ما يكون من ضره أخف وأقرب الى التلافي من الضرر الذي يكون سببه استلام الأجناب لهامات الأمور في البلاد لان صاحب اللحمة في الأمة وان مرضت أخلاقه واعتت صفاته الا ان ما أودعته الفطرة وثبت في الجبلة لا يمكن محوه بالكلية فاذا أساء في عمله مرة أزعجه من نفسه صائح الوشيحة الدينية أو الجنسية فيرجع الى الاجسان مرة أخرى وان ماشد بالقلب من علائق الدين أو الجنس لا يزال يجذبه آونة بعد آونة لمراعاتها والاتفات اليها ويميله الى المتصلين معه بتلك العلائق وان بعدوا .

« لهذا يحق لنا أن نأسف غاية الاسف على أمراء الشرق وأخص من بينهم أمر المسلمين حيث سلموا أمورهم ووكلوا أعمالهم من كتابة وادارة وحماية للاجانب عنهم بل زادوا في موالة الغرباء والثقة بهم حتى ولوهم خدمتهم الخاصة بهم في بطون بيوتهم بل كادوا يتنازلون لهم عن ملكتهم في ممالكهم بهدماراً وكثرة المطامع فيها لهذا الزمان وأحسوا بالضعف والاحقاد الموروثة من اجيال بعيدة بعد ما علمتهم التجارب انهم اذا ائتمنوا خانوا ، واذا عززوا أهانوا ، يقابلون الاحسان بالاساءة ، والتوقير

بالتحقير، والنفمة بالكفران، ويجازون على اللقمة باللطمة، والركون اليهم بالجفوة،
والصلة بالقطيعة، والثقة فيهم بالخدعة.

« اما آن لامراء الشرق ان يدينوا لاحكام الله التي لاتنقض؟ ألم يأن لهم ان
يرجعوا الى حسمهم ووجدانهم؟ ألم يأت وقت يعملون فيه بما أرشدتهم
الحوادث وددتهم عليه الرزايا والمصائب؟ ألم يحزن لهم ان يكفوا عن تخريب
بيوتهم بايديهم وايدي اعدائهم، ألا أيها الامراء العظام مالكم وللأجانب
عنكم؟ «هاأتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم» قد علمتم شأنهم، ولم تبق ريبة في أمرهم،
«ان تمسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها» سارعوا الى ابناء أوطانكم
واخوان دينكم ومثلكم وأقبلوا عليهم ببعض ما تقبلون به على غيرهم تجدوا فيهم خير
عون وأفضل نصير، اتبعوا سنة الله فيما أهلككم وفطركم عليه كما فطر الناس اجمعين،
وراعوا حكمته البالغة فيما أمركم وما نهاكم كيلا تضلوا ويهوي بكم الخطل الى أسفل
سافلين، ألم تروا ألم تعلموا ألم تحسوا ألم تجربوا؟؟ الى متى الى متى إن الله وإنا اليه راجعون» اه

هذا بيان يريك بالحجج الاجتماعية الناهضة ان الغريب عن الملة لا يتخذ بطانة
للقائمين بأمر الملة، والغريب عن الدولة لا يتخذ بطانة لرجال الدولة، وان لم يكن هؤلاء
الغرائب متصفين بما ذكر في الآية من العدوان والبغضاء فكيف اذا كانوا كذلك
بينت لنا الآية التي فسرناها بعض حال اولئك الذين نهى المؤمنون عن اتخاذ
البطانة منهم مع المؤمنين فدونك هذه الآية التي تبين حال المؤمنين معهم :
﴿ هاأتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ﴾ فالقرآن ينطق بأفصح عبارة وأصرحها واصفا
المسلمين بهذا الوصف الذي هو من آثار الاسلام وهو انهم يحبون اشد الناس عداوة لهم
الذين لا يقصرون في افساد أمرهم وقتي عنهم على ان بغضاءهم لهم ظاهرة وما خفي
منها اكبر مما ظهر . اولئك المبغضون هم الذين قال الله فيهم اوفي طائفة منهم (٥ : ٨٢)
لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود (الخ يعني اولئك اليهود المجاورين لهم في
الحجاز . أليس حب المؤمنين لا اولئك اليهود الفادرين الكائدين وقرار القرآن
اياهم على ذلك لانه اثر من آثار الاسلام في نفوسهم هو أقوى البراهين على ان هذا

الدين دين حب ورحمة وتساهل وتسامح لا يمكن ان يصوب العقل نظره الى اعلى منه في ذلك؟ بلى ولكن وجد في الناس من ينكر عليه ذلك ويصفه بضده زورا وبهتانا، بل تعصبا خروا عليه صما وعميانا،

من هم الذين يرمون الاسلام بانه دين بغض وعدوان؟ لا اقول انهم النصارى الذين كانوا أجدر بحبنا وودنا من اليهود لقوله تعالى في تمة الآية التي استشهدنا بها آنفا (ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) بل هم قسوس اوربا المتعصبون على الاسلام من حيث هو دين، وساستها المتعصبون على الاسلام من حيث هو شرع ونظام قامت به دول وممالك . فاوروبا التي تهم الاسلام - والشرق الأدنى كله لاجل الاسلام - بالتعصب والبغضاء للمخالف هي التي ابادت من بلادها كل مخالف لدينها الا الترك فانها لم تقو على ابادتهم حتى الآن ولولا ما بين دولها من التنازع السياسي لقصت عليهم . فنصارى الشرق ومسلموه وكذا وثنيوه إنما اغترفوا غرفة من بحر تعصب أوروبا وولكنهم لا قوة لهم على الدفاع عن انفسهم أمام اولئك المعتدين أما قوله تعالى ﴿ وتؤمنون بالكتاب كله ﴾ فمعناه أنكم تؤمنون بجميع ما نزل الله من كتاب سواء منه ما نزل عليكم وما نزل عليهم فليس في نفوسكم من الكفر ببعض الكتب الالهية او النبيين الذين جاؤا بها ما يحملكم على بغض اهل الكتاب فأنتم تحبونهم بمقتضى إيمانكم هذا . وذكر بعضهم ان جملة « وتؤمنون » حالية من قوله « ولا يحبونكم » والمعنى انهم لا يحبونكم مع انكم تؤمنون بكتابهم وكتابكم فكيف لو كنتم لا تؤمنون بكتابهم كما أنهم لا يؤمنون بكتابكم؟ فأنتم أحق بغضهم أي ومع ذلك تحبونهم ولا يحبونكم

قال ابن جرير: « في هذه الآية إبانة من الله عز وجل عن حال الفريقين أعني المؤمنين والكافرين ورحمة أهل الايمان وراقتهم بأهل الخلاف لهم، وقساوة قلوب أولئك وغلظتهم على أهل الايمان، كما حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة: قوله « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله » فوالله ان المؤمن ليحب المنافق ويأوي اليه ويرحمه ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المنافق منه لأباد خضراءه. » حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني

حجاج عن ابن جريج قال « المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن برحمته ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر عليه المؤمن منه لأباد خضراءه » اهـ
فهؤلاء أئمة التفسير من سلف الأمة يقولون إن المسلم خير للكافر وللمنافق منها له حياً ورحمة ومعاملة . وكذلك قالوا في السني مع المبتدع كما بين ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية قالوا ان من علامة أهل السنة ان يرحموا المخالف لهم ولا يقطعوا أخوته في الدين . ولذلك يذكرون في كتب العقائد « لا تكفر أحداً من أهل القبلة » بل كان رواية الحديث من أئمة أهل السنة كالإمام أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن يروون عن الشيعة والمعزلة لا يلتفتون الى مذهب الراوي بل الى عدالته في نفسه .

وتيجة هذا كله ان الانسان يكون في التساهل والمحبة والرحمة لاخوانه البشر على قدر تمسكه بالايان الصحيح وقربه من الحق والصواب فيه . وكيف لا يكون كذلك والله يقول لخيار المؤمنين « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » فهنا نحتج على من يزعم أن ديننا يفرينا بغض المخالف لنا كما نحتج على بعض الجاهلين منا بدينهم الذين يطعنون ببعض علمائهم وفضلائهم ، لمخالفتهم إياهم في مذاهبهم وآرائهم ، أو في ظنونهم وأهوائهم ، والذين سرت اليهم عدوى المتعصين ، فاستحلوا هضم حقوق المخالفين لهم في الدين .

ثم قال تعالى شأنه ميثا الشأن طائفة منهم اسندها اليهم في الجملة على قاعدة تكافل الامة وكونها كشخص واحد ﴿واذا لقوكم قالوا آمنا وادخلوا اعضاءكم الا نامل من الفيظ﴾ كان بعض اليهود يظهرون الايمان للنبي (ص) والمؤمنين نفاقاً وخداعاً ومنهم من كان يظهره ثم يرجع عنه ليشتك المسلمين كما تقدم في آية (٧٢) من هذه السورة (*)
واذا خلا بعضهم الى بعض اظهروا ما في نفوسهم من الفيظ والحقد الذي لا يستطيعون معه الى التشفي سبيلاً . وعض الا نامل كناية عن شدة الفيظ ويكنى به ايضا عن الندم ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ فان الاسلام الذي هو سبب غيظكم لا يزداد باعتصام أهله به الاعزة وقوة وانتشاره وقال ابن جرير «موتوا بغيظكم الذي على المؤمنين لاجتماع كلمتهم واتلاف

جماعتهم » فليعتبر المسلمون اليوم بهذا لعلمهم يتذكرون انه ما حل بهم ما حل من الأرزاء
الابزوال هذا الاجتماع والاتلاف وبالفرق بعد الاعتصام ﴿ ان الله عليم بذات الصدور ﴾
فهو يعلم ما تضم صدوركم من شعور الغيظ والبغضاء وموجدة الحقد والحسد فكيف
يخفى عليه ما تقولون في خلواتكم وما يديه بعضكم لبعض من ذلك: ويعلم كذلك
ما تنطوي عليه صدورنا معشر المؤمنين من حب الخير والنصح لكم

ثم قال مينا حسدكم وسوء طويتهم ﴿ ان تمسككم حسنة تسوؤهم وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها ﴾ المس في الاصل كالمس والمراد بتمسككم هنا تصبكم ولعل اختيار لفظ المس
في جانب الحسنة والاصابة في جانب السيئة للاشعار بان اولئك الكافرين يسوؤهم
ما يصيب المسلمين من خير وان قل بان كان لا يزيد على ما لمس باليد وانما يفرحون
بالسيئة اذا اصابت المسلمين اصابة يشق احتمالها . هذا ما كان يتبادر الى فهمي ولكن
رايت صاحب الكشاف يجعلها هنا بمعنى واحد ويستدل باستعمال القرآن لكل
منها في موضع الآخر ويقول ان المس مستعار للاصابة . ثم خطر لي ان اراجع
تفسير أبي السعود فاذا هو يقول « وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة
للايدان بان مدار مساتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة
السيئة . وإما لأن اليأس مستعار لعنى الاصابة » والاول هو الوجه وهو من دقائق
البلاغة العليا . والحسنة المنفعة سواء كانت حسية او معنوية وأعظمها انتشار الاسلام
ودخول الناس فيه وانتصار المسلمين على المعتدين عليهم المقاومين لدعوتهم . قال
قتادة في بيان ذلك كما رواه عنه ابن جرير « فاذا رأوا من اهل الاسلام الفة
وحماية وظهورا على عدوهم غاظم ذلك وساءم واذا رأوا من اهل الاسلام فرقة
واختلافا واصيب طرف من اطراف المسلمين سرهم ذلك وأعجبوا به وابتهجوا به »
فهم كلما خرج منهم قرن أكذب الله أحدهم وأوطأ محلته وأبطل حجته وأظهر
عورته » فذلك قضاء الله فيمن مضى منهم وفيمن بقي إلى يوم القيامة »

ثم أرشد الله المسلمين الى ما إن تمسكوا به سلموا من كيدهم الذي

يدفهم اليه الحسد والبغضاء فقال ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ﴾

ذهب بعضهم الى ان المراد وان تصبروا على عدواتهم وتفقوا اتخاذهم بطانة ومواليتهم من دون المؤمنين لا يضركم كيدهم لكم وهم بمنزل عنكم . وذهب آخرون الى أن المراد وان تصبروا على مشاق التكاليف وامثال الأوامر عامة وتفقوا ما نهيتهم عنه وحظر عليكم - ومنه اتخاذ البطانة منهم - لا يضركم كيدهم . و « يضركم » بتشديد الراء من الضرر وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب « يضركم » بكسر الضاد وسكون الراء المخففة من ضاره يضيره والضير بمعنى المضرة . وقال الأستاذ الإمام ان الصبر يذكر في القرآن في مقام ما يشق على النفس ، وحبس الإنسان سره عن وديده وعشيرته ومعامله وقريبه مما يشق عليه فان من لذات النفوس ان تفضي بما في الضمير الى من تسكن اليه وتأنس به فلما نهوا عن اتخاذ بطانة ممن دونهم من خلطائهم وعشرائهم وحلفائهم وعلل بما علل به من بيان بفضائهم وكيدهم حسن ان يذكر بالبر على هذا التكليف الشاق عليهم وبقاء ما يجب اتقاؤه لأجل السلامة من عاقبة كيدهم . ويصح ان يراد بالتقوى الأخذ بوصاياه وامثال أمره تعالى في البطانة وغيرها .

أقول ومن الاعتبار في الآية انه تعالى أمر المؤمنين بالصبر على عداوة أولئك المبغضين الكائدين وبقاء شرهم ولم يأمرهم بمقاولة كيدهم وشرهم بمثله وهكذا شأن القرآن لا يأمر إلا بالمحبة والخير والإحسان ودفع السيئة بالحسنة ان أمكن كما قال (٤١ : ٣٤) ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فان لم يمكن تحويل العدو إلى محب بدفع سيئاته بما هو أحسن منها فانه يجوز دفع السيئة بمثلها من غير بغى ولا اعتداء كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة بني النضير الذين نزلت الآية فيهم أولاً بالذات فإنه حالفهم ووادهم فكشوا وخانوا غير مرة أعانوا عليه قريشاً يوم بدر وادعوا انهم نسوا العهد ثم اعانوا الاحزاب الذين تحزبوا للإبادة المسلمين ثم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم فتعذرت موادتهم واستمالتهم بالمحبة وحسن المعاملة فكان اللجأ الى قتالهم وإجلائهم ضربة لازب

ثم قال ﴿ ان الله بما يعملون محيط ﴾ قال الاستاذ الامام مأمثاله: المحيط بالعمل هو الواقف على دقائقه فهو اذا دل على طريق النجاة لعامل من كيد الكائدين والوسيلة

للخلاص من ضررهم فأنما يدل على الطريق الموصل للنجاة حتماً ، والوسيلة المؤدية الى النجاح قطعاً ، قال كلام كالتعليل لكون الاستعانة بالصبر والتمسك بالقوى شرطين للنجاح . وهناك وجه آخر وهو أن الخطاب بتعلمون عام للمؤمنين والكافرين جميعاً - يعني على قراءة الحسن وابي حاتم «تعملون» بالمشاة الفوقية او على الالتفات - ومن كان عالماً بعمل فريقين متحادين محيطاً بأسباب ما يصدر عن كل منهما ومقدماته ، ونتائج وغاياته ، فهو الذي يعتمد على ارشاده في معاملة احدهما للآخر ولا يمكن أن يعرف أحدهما من نفسه في حاضرها وآتيها ما يعرفه ذلك المحيط بعمله وعمل من يناهضه ويناصبه فهداية الله تعالى للمؤمنين خير ما يلفون به المآرب ، وينتهون به إلى أحسن العواقب

وأقول ان الإحاطة إحاطتان إحاطة علم وإحاطة قدرة ومنع وهذا التفسير مبني على ان الإحاطة هنا إحاطة علم لتعلقها بالعمل وذلك من المجاز الذي ورد في التنزيل كقوله تعالى (١٢: ٦٥) احاط بكل شيء علماً) وقوله (١٠: ٣٩) بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) واما الإحاطة بالشخص أو بالشيء قدرة فهي تأتي بمعنى منعه مما يراد به وهذا ليس بمراد هنا وبمعنى منعه مما يريد به وبمعنى التمكن منه ومنه الإحاطة بالعدو اي اخذه من جميع جوانبه بالفعل او التمكن من ذلك ومنه قوله تعالى (٢: ٨١) واحاطت به خطيئته) وقوله (١١: ٩٢) إن ربي بما تعملون محيط) وقوله (١٠: ٢٢) وظنوا أنهم احيط بهم) كل هذا من باب واحد وان فسر كل قول بما يليق به . فيصح ان يكون منه ما نحن فيه والمعنى حينئذ ان الله قد دلكم يامعشر المؤمنين على ما ينجيكم من كيد عدوكم فعليكم بعد الامتثال ان تعلموا انه محيط بأعمالهم إحاطة قدرة تمنعهم مما يريدون منكم معونة منه لكم كقوله (٤٨: ٢١) واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها) فعليكم بعد القيام بما يجب عليكم ان تثقوا به وتوكلوا عليه

ومن مباحث اللفظ في الآيات قوله «ها أتم أولاً» أصله انتم هو أولاً - قدمت أداة التنبيه التي تلحق اسم الإشارة «أولاً» على الضمير . ويقال في المفرد «ها أنا ذا» وعلى ذلك فقس . واعرابه: ها للتنبيه وأتم مبتدأ وأولاً خبره وتجويزهم في موضع النصب على الحال أو خبر بعد خبر . وجوز بعضهم ان تكون أولاً اسم موصول وتجويزهم صلتها

اليمن

سبب فتنتها وامام الزيدية فيها

إن العرب في اليمن وحضرموت ونجد وسائر جزيرة العرب يحبون الدولة العثمانية محبة صادقة وزادهم حباً فيها وحرصاً على بقائها في هذا الزمن اعتقادهم أن دول أوربا تتربص بها الدوائر وتحاول إزالة سلطتها لإزالة سلطة الإسلام من الوجود وهم على بقاء مميزاتهم الجنسية والوطنية على نحو ما كانوا في القرون الماضية والأجيال الفائرة لم يطرأ عليهم من التغير ما طرأ على أهل الأستانة ومصر والشام والأناطول وغيرها من الأقطار الإسلامية : لانزال الرابطة الدينية عندهم فوق رابطة الجنس واللغة والوطن لم تعلمهم المدنية الأوربية التعصب للجنس كما علمت الأتراك ولا للقبعة كما علمت المصريين فهم يتمنون لو يجدون من الترك حكماً يقيمون العدل ويحكمون بالشرع لا يجدون في صدورهم حرجاً من ذلك

ولكن الذي لا يطيقون احتماله ولا يصبرون عليه هو الظلم والجور والخيانة والفدر لأنهم ورثوا الاستقلال الشخصي والقومي وعزة النفس وإباء الضيم منذ آلاف من السنين

وقد بينت في المنار من قبل ان فئة قليلة من العمال (الحكام) المسلمين العدول العارفين بالشرع المهتمين به يكفون الدولة في اليمن امر هذه الحروب التي طالت عليها السنين فخرت البلاد واضاعت على الدولة من الأموال والرجال ما هي في أشد الحاجة اليه لصيانة استقلالها من عبث أوربا التي تواتبها المرة بعد المرة ، وأضرت بها أنواعاً أخرى من المضرات لا حاجة إلى شرحها الآن

الزيدية طائفة من عرب اليمن تدين بوجود إقامة إمام لها من العترة النبوية فهم بذلك أجدر العرب بعدم الخضوع للدولة العثمانية ولكنهم مع ذلك يتمنون لو تقيم الدولة في بلادهم العدل وتحكم بالشرع ويكون لها منهم ما يريدون فما بالك بغيرهم حاولت الدولة غير مرة ان تقيم المحجة الشرعية على هؤلاء بوجود طاعة

السلطان ، وتحريم الخروج والعصيان ، فأرسلت من خاطب إمامهم بذلك غير مرة فكانت حجة الإمام أنهض ، وحجة رسول السلطان أدحض ، لأن الظلم والبغي بغير الحق حجج عملية ، لا تبطلها الحجج القولية ، ولا تفيد معها شيئاً وقد عثرنا في هذه الأيام على نص ما أجاب به إمام الزيدية عما وجهه اليه الشيخ محمد الحريري مقي حماه المندوب الذي أرسله اليه السلطان منذ سنين ومنه يعلم صحة رأينا في هؤلاء القوم وهذا نصه :

حجج المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين

(عصمتي بالله وما توفيتي إلا بالله)

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم أيد دينك القويم بالعلماء العاملين ، واكشف بركهم جهل الجاهلين ، وارفع بحميد سعيهم غفله الغافلين ، فهم بحور العلم الزاهرة ، وبجوامع الهدى الزاهرة ، وزينة الدنيا والدين والآخرة ، وأهل الفضائل المتكاثرة ، منهم ذو المجد الشامخ المنيف ، والحسب الباذخ الشريف ، والأدب المشر روضه الوريث ، السيد محمد الحريري الرفاعي الحسني الحموي ، ألبسه الله جلباب التقوى ، وقاده إلى التمسك بالحبل الأقوى ، واعداد على محياه السلام الأسنى ، والإكرام الأهنى ، وصلى الله على محمد خاتم أنبياء ، وعلى آله سفينة النجاة ، وتراجمة الكتاب وقرناه ، وعلى صحابه الذين اتبعوه بدمماته وفي محياه ،

أما بعد فإننا محمد الله الذي لا يرجى ويخشى سواه ، ولا نعبد إلا إياه ، وانهوا فانا منك أيها السيد كتاب كريم ، ومسطور رائق نفيم ، افاد معرفة بحق العترة النبوية ، والسبالة العلووية ، بماورد فيهم من الآيات القرآنية ، والاحاديث الصحيحة المروية ، ودوان دواعي المحبة اقتضت المراسلة ، وبواعث المودة جذبت الى المكاتبة والمواصلة ، وان من لوازم المحبة والايمان ، بذل النصيحة للإخوان ، لا سيما ولاية الأمور ، الذين ناط الله

بهم صلاح الجمهور ، وافاد اسعده الله انه مستنكر لما جرى بيننا وبين الولاة المرسلين من حضرة الدولة العثمانية ، والسدة الخاقانية ، من الحرب والاختلاف ، وعدم التوافق والاثلاف ، وانه يرى الخير في إصلاح ذات الين ، ورفع الفتنة التي تؤدي إلى التهلكة والحين ، وانه ورد الحث عليه في السنة والكتاب ، وانه مناط الرضارب الأرباب ، وان السلطان الاعظم ممن أقام الله به الدين ، وانتظمت به أحوال المسلمين ، وتشرف بخدمة الحرمين الشريفين ، وأقام بجهاد الكفار ، ومناذرة الاشرار ، وان رغبته في صلاح الدنيا والدين ، وقع الفجار المعتدين ، وان القطر اليماني المحروس بالله محل الايمان ، كما ورد عن سيد ولد عدنان ، وان سعيه في ذلك نصيحة دينية ، ومحبة ايمانية

فقول نعم الامر كما ذكرتم مما وقع بيننا وبين من تعلق بالسلطة القاهرة اعز الله بها الاسلام ، وقع بها ذوي الاتحاد الطغام ، ولم يكن لنا من الرياسة الدنيوية طلب ، ولا في الراحة البدنية أرب ، ولا نعول على جمع المال ووفرة المكسب ، ولا مزيد على ما نحن فيه من الحسب والنسب ، لكننا رأينا المأمورين لم يؤدوا حقوق الله ، ولا رعوا حرمة ما حرمه الله ، ولا غضبوا يوما على معاصي الله ، ولم يعملوا بشيء من كتاب الله ، ولا سنة رسول الله ، و« شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » ، وارتكبوا المعاصي ، ورموا اليها الناس باطراف النواصي ، وجأهروا الله بشرب الخمر ، وارتكاب الفجور ، وظلموا كل ضعيف ، واهانوا كل شريف ، حتى فسدت الذرية ، وارتفعت كلمة اليهودية والنصرانية ، وصارت الأكراد والمجوس تحكم في البرية . « لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة » . ولا تأخذهم في المسلمين رافة ولا رحمة ، ولما لم نجد عن أمر الله بدا ، استعنا وتوكلنا عليه وبدلنا في الجهاد جهدا ، امتثالا لقول الله عز وجل « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » وقوله عز وجل « وتكن منكم يدعون الى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » وقوله « كنتم خيرا ما أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وخوفنا الله به من نحو قوله تعالى « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »

كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » ونحو قوله صلى الله عليه وسلم « لتأمرن بالمعروف وتنهين عن المنكر او ليلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » حتى اذا بلغ الكتاب أجله كان هو الله المتصرف لنفسه ولم نزل تتوخى ان السلطة القاهرة أعز الله بها الاسلام ، اذا رفعت اليها تلك القبائح التي لا يختلف في وقوعها اثنان ، أن تأخذها حمية الدين والايمان ، على تلافي ما فرط من الاضاعة ، وتستدرك ما فات من حق عترة رسول الله الذين لا تستحق بدون اتباعهم الشفاعة ، فلم يزدادوا مع طول المدة الا انسلاخا من الدين ، وتوسعا من تأمر الفجرة المعتدين ،

فان قلت ايها السيد ان تلك القبائح مباحة في الاسلام ، وان فعلها مستحل من أتباع شريعة سيد الانام ، فبات الدليل ، ولا يقول بذلك الا ضليل ، وان انكرت ايها السيد أن ذرية الرسول ، هم الحججة في الفروع والاصول ، صاح بك قوله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالتكثيرات باذن ذلك هو الفضل الكبير » وقوله تعالى « قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى » ونحو قوله صلى الله عليه وسلم « اني تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا من بعدي ابدًا كتاب الله وعتري اهل بيتي ان اللطيف الخبير نبأني انهما لن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن عند كل بدعة تكون من بعدي وليا من ذريتي » وقوله صلى الله عليه وسلم « اهل بيتي امان لاهل الارض » وقوله صلى الله عليه وسلم « اهل بيتي كسفينة نوح » وغير ذلك مما لا يتحمله المقام فالظهور أئين للحجة ، واوضح للمحجة ، لا ما خوفتنا به من القتل والنكال ، فاننا اهل بيت لا تزغنا كواذب الآمال ، ولا نعد بذل نفوسنا في سبيل الله إلا من اشرف الخصال ، ولا نفرع الى غير ذي الجلال ، ولا ندعو سواه في البكور والآصال

على ان قومي تحسب الموت مغنما وان فرار الزحف عار ومغرم « آمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون الا في غرور » ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فن ذا الذي ينصركم

من بعده « ان تصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » ونريد ان نمنّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمةً ونجعلهم الوارثين « الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور » فنحن من وعد ربنا على يقين « والعاقة للمتقين » وانك لا تجدي في خطتنا المنصورة إلا قائماً لعبادة ربه اذا اسدل الليل جناحه « او تاليا كتاب الله وذا كرا اذا أطلع الفجر صباحه « ومساجدنا معمورة بالعلم والعمل « وقلوبنا ضالة عن الجبن والنشل « ولا نفتخر كثيرنا بالآلات الحرب الفاخرة « ولا بالسيوف المتكاثرة « التي تحت امرنا عائرة « بل تبرأ من الحول والقوة « وتمسك باذيال سيرة الامامة والنبوة
 ممارس طابت في ربا الفضل فالتقت على انبياء الله والخلفاء
 اذا حمل الناس اللواء علامة ككفاهم مشار التقع كل لواء
 فقد اوضحنا لك ايها السيد طريقتنا « وأبلغنا اليك أفعال أعادينا « فاي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون « ولو يعلم السلطان الاعظم حقيقة الحال « لسارع الى اعانتنا في الحال والمآل « ورفع جميع المأمورين من الخطة اليمانية « وأمرهم بحرب الفرقة الكفرية « ولننهم عن محاربة العترة النبوية « التي هي بضعة من الذات الشريفة المحمدية « ولأوفي جدنا الاعظم اجر تبليغ الانباء المشار اليه « بقل لا اسألكم عليه « الآية .
 ولتباعده عن مشابهة من قال فيهم خاتم النبيين « من قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال « وعن الدعوة النبوية في قوله لأهل بيته « انا حارب لمن حاربتم سلم لمن سلمت « وقد امر الله تعالى بالكون مع الصادقين بقوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » وثبتهم بقوله « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله واولئك هم الصادقون » قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين «
 يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب اليم « ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء « ويا قوم مالي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار « فاذا وجدت ايها السيد خلاصا من اوامر

الله افدنا من كتاب الله ومن سنة رسول الله ودع عنك التخويف بالملحوقين كما قد قيل
جاء شقيق عارضا رعه ان بني عمك فيهم رماح
واما اجتماع الكلمة على الحق فمن أين لنا ذلك ، والأفوه عندنا من اعظم
المسالك ، حقا للدماء ، ورفما للدهماء ، ونسأل الله ان يرفع عن الامة المحمدية السوء والمحن ،
ويجعلها على اتباع الكتاب وقرنائه اهل بيت النبي المؤمن ، وان يعيدنا من نزغات
الشیطان الرجيم ، ومضلات الفتن وحسبنا الله ونعم الوكيل .
وكان اللائق بحال اركان السلطان الاعظم ان يجعل القطعة اليمانية من جملة الممالك
التي بأيدي الكفار وقد اضر بها عنها صفحا ، وطوا عنها كشحا ، وما سارعوا لغير
مملكة اليمين التي بأيدي اولاد رسول الله ، يحكمون فيها بما انزل الله ، ويمنعون محارم
الله ، ففلا جعلوا آل الرسول كالكفار الذين تركوا لهم ممالكهم ، اللهم اشهد وكفى
بك شهيدا » اه

(المنار) تسمع الدولة هذه الاخبار وتقرأ مثل هذا الجواب ثم هي توالي ارسال
الجيش الى اليمن فاذا توالي انكسارهم ارسلت من الرسل السلميين من يقيم الحججة
على امام الزيدية ! الم نعتبر باخفاق محمد الحريري وحسن خالد الصيادي فارسلت في
العام الماضي وفدا من علماء مكة فكانت حجتهم كحجة من سبقهم . ولو سمعت
كلامنا نحن الناصحين المخلصين لأرسلت واليا عادلا حكيما وعمالا من اهل الدين
والاستقامة فبذلك لا بسواه تنطفئ نار الفتنة ، وتخضع اليمين للدولة ، فاذا اعوز
الدولة هذا العلاج ، فلتعلم ان جميع بلاد العرب ستبغ اليمين في الخروج عليها ، او
الخروج من سلطتها ،

المؤتمر الاسلامي

سبق لنا قول في المؤتمر الاسلامي الذي اقترحه اسماعيل بك غصبرنسكي
القريني وتقول الآن ان اللجنة التي تألفت للبحث في ذلك وسمت نفسها اللجنة
التأسيسية قد وضعت لهذا المؤتمر قانوناً طبعته وأرسلته مع دعوة عامة مطبوعة بالعربية

والتركية والفارسية الى الجرائد الإسلامية في القطر المصري وغيره من الأقطار الإسلامية والى من عرفت من أهل الفضل والرأي من المسلمين. وقد جمعت الباب الثاني من القانون خاصاً ببيان موضوع المؤتمر وفيه ثلاث «مواد» نذكرها بنصها وهي:

﴿ المادة الرابعة عشرة ﴾ وظيفة المؤتمر هي البحث في الأسباب التي أوجبت تأخر المسلمين من الوجهة الاجتماعية ومما دخل الدين من البدع والنظر في إزالة تلك الأسباب وفيما يؤدي الى رقيهم

﴿ المادة الخامسة عشرة ﴾ لا تقبل الآراء التي تعرض من الوجهة الدينية إلا إذا كان لها سند من الكتاب أو السنة أو الاجماع أو القياس

﴿ المادة السادسة عشرة ﴾ لا يجوز التعرض في مناقشات المؤتمر وأبحاثه للمسائل السياسية أيا كان نوعها اهـ

وقد سرنا موافقة الشيخ سليم البشري رئيس اللجنة على المادة الخامسة عشرة سروراً عظيماً وعددناها من بشارت الإصلاح، وأمارات النجاح، ذلك بأن الإصلاح الإسلامي مع التزام المذاهب المعروفة والجمود على كتب متبناها محال ولذلك جرينا في المنار على اتباع الدليل في المسائل الدينية وترك التقليد وإقامة الحجج على المقلدين، لان المنار كالمؤتمر علم لجميع المسلمين .

وقد قلنا في مقالة طويلة عنوانها (بحث في المؤتمر الإسلامي) نشرناها في الجزء التاسع من السنة الماضية ما نصه (ص ٦٨٠ م ١٠)

« ثم انه ينبغي ان تكون القاعدة الأساسية الاولى للإصلاح الديني في المؤتمر هي المحافظة على المجمع عليه عند المسلمين لا سيما ما كان منه معلوماً من الدين بالضرورة وذلك هو القرآن المجيد وما استفيد منه بالنص القطعي وبعض السنن المتبعة — ونفي بالسنة معناها اللغوي الذي كان يفهمه الصحابة ومنه ما هو فرض أو واجب ككون الصلوات المفروضة خمساً، ركعات كل صلاة منها كذا يقرأ فيها كذا ويركع في ركعة مرة ويسجد مرتين ومنها ما هو مندوب في اصطلاح الفقهاء كما هو معروف

« ذلك ان المؤتمر الإسلامي عام لجميع المسلمين وفيهم السني الشافعي وغيره

السلفي والشيخي والأباضي . ومن السنة الحنفي والمالكي الخ ومن الشيعة الجعفري والزيدي ، فالذي يجمع بين هؤلاء ويوحد كلمتهم هو كتاب الله والسنن العملية المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتلقي عن آله وأصحابه رضي الله عنهم . وبذلك يكون المؤتمر غير مقيد بالتقاليد الاجتهادية التي تثير النزاع وتفرق الكلمة فلا يمنع أعضائه مانع من الاعتصام بحبل الله ودعوة سائر المسلمين الى الاعتصام به . كتبنا هذا لتنيه لجنة المؤتمر قبل الابتداء بعملها الى هذا الاساس الذي لا يفيد المؤتمر بدونه شيئاً وكنا نخاف أن يحاول من دخل في اللجنة من علماء الأزهر تقيد المباحث الدينية في المؤتمر بنصوص كتب المذاهب وكان أخوف من نخاف في ذلك رئيس اللجنة الشيخ سليم البشري لأنه كان يلقنا عنه انه ممن ينكرون على المنار الإنحاء على التقليد والاعتماد في مباحثه على الأدلة الشرعية فلما رأيناه الآن ، وافق على قانون المؤتمر الذي جعل أساس مباحثه الدينية الاجتهاد دون التقليد حل الرجاء محل الخوف ووجب علينا ان نثني على الأستاذ الكبير الشيخ سليم البشري أجل الثناء فحياء الله تحية مباركة طيبة ،

انما قصرنا الثناء على الشيخ سليم من دون سائر أعضاء اللجنة الواضحة لهذا القانون لان معارضة مثل الشيخ سليم من كبار العلماء أصحاب الشهرة والصفة الرسمية في مسألة اجازة الاجتهاد ومنع التقليد تعد عقبة في سبيل الاصلاح وموافقته عليها تعد تمهيدا عظيما لهذه السبيل التي هي سبيل الله وعونا كبيرا للسالكين فيها ، ولا نبخس احدا من أعضاء اللجنة حقه ، ولا نعلمه شيئاً من فضله ، بل نرجو ان يكثر فينا من أمثالهم الجاهرون بهذه الدعوة كما كثر المعتقدون لها وان لم يصرحوا بها ان في علماء الأزهر كثيرين يمتقدون بطلان التقليد ووجوب اتباع الدليل ولكن يقل فيهم من يجهر بذلك قولاً ويندر من يتجرأ منهم على كتابة ذلك في الصحف المنشرة والدعوة اليه على رعوس الاشهاد . ذلك بان كبار الشيوخ ذوي المكانة عند الامراء والشهرة عند العامة ينكرون ذلك على قائله ويضطهدونه ان استطاعوا ويبالغون في ذلك مبالغة هي عندي من مثرات العجب ، افلا يحق لنا اذاً أن نكبر اجازة الشيخ سليم البشري جعل قبول ما يقدم للمؤتمر من الآراء والمباحث

الدينية مشروطاً بأن تكون مؤيدة بدليل من الكتاب او السنة او الاجماع او القياس ونحن نعلم أنه من أولئك الشيوخ الكبراء بل هو في ناصيتهم وذروتهم اذ هو شيخ المالكية وكبيرهم الآن وكان بالامس شيخ الازهر؟ وقد اشتهر بأنه اعلم اهل الازهر الآن بالحديث ولعل الخير جاء من هذه الناحية فأهل الحديث ما زالوا أبعداً الناس عن التقليد. ونعود الى مباحث المؤتمر فنقول ان المباحث الدينية قد اشترط فيها هذا الشرط الذي سررنا به على اجماله واما المباحث الاجتماعية فلم يشترط فيها شيء واذا يسر الله واجتمع المؤتمر فاننا سنحتاج الى تحديد ماهو اجتماعي غير ديني وفي ذلك من العسر ما فيه لا سيما في المسائل العائلية والمالية بل أقول ان المسألة الجنسية لها علاقة عند المسلمين بالدين وقد كان السيد جمال والشيخ محمد عبده يقولان ان المسلمين لا جنسية لهم في غير دينهم ولكن كثيراً من الاتراك والمصريين يقولون اليوم بجنسية النسب وجنسية الوطن ولا يعدون هذا مما يتعلق بالدين وهذه المسئلة من اكبر المسائل التي نتظر من المؤتمر - ان اجتمع - حل عقدها

ذكر اسماعيل بك غصبرنسكي في احد اعداد جريدته « ترجمان احوال زمان » ان أحداً ذكياً الترك يريد ان يلقي في المؤتمر خطاباً يبين فيه أن ارتقاء امة الترك يتوقف على انفصالها من العربية لغة ودينا وسياسة !! وربما يسمع المصري وغير المصري ممن لا يعرفون الغاية التي وصلت اليها نابتة الترك من التفرنج هذا القول فيروونه عجباً غريباً ولكن لا يجب منه من يعلم ان كبار كتاب الترك قد دارت بينهم منافسات طويلة في هذه المباحث استمرت عدة سنين وكان فيهم من كتب مثل هذا الرأي حتى غلا بعضهم فقال انه يجب تطهير التركية مما فيها من مفردات اللغة العربية نحن نمد هذا شذوذاً وغلوياً ويوافقنا على رأينا كثير من فضلاء الترك لا سيما المتدينين منهم . واذا انعقد المؤتمر فان جمهور المسلمين من جميع الشعوب سيستمعون من اخبار امراض المسلمين الاجتماعية والدينية مالا يخطر لهم الآن في بال ، ونسأل الله ان يحسن العاقبة والمآل

الرد على اللورد كرومر

(تمة الكلام في مسألة المعارف)

ان اللورد يعلم انه استعمل المغالطة في هذا الفصل فعمل محمد علي وعباس واسماعيل ليس حجة على ما يجب اتباعه الآن من حصر تعليم الحكومة في فرجة عدد معين للوظائف . والاتفاق في وقت كانت الحكومة فيه على شفا الافلاس لا يجعل مقياس الوقت يزيد فيه دخلها على خرجها زيادة عظيمة . ولو كان عمل محمد علي وعباس واسماعيل مما يصح ان يتبع في هذا العصر لكان الواجب على الناس ان يرجعوا القهقري دائماً ولما ساع لانكرا ان تدعي ان هذه البلاد محتاجة اليها في تقدمها وارتقائها فانها تقدر بنفسها ان تكون على احسن من زمن اسماعيل فما بال اللورد يمثل ظلمات الماضي الخالك كشر تمثيل فهو يجعلها أساساً يني عليه سياسته في التعليم؟ اللورد قد ذم المترجمين في كتابه ذمًا بليغاً وبين انهم لا قيمة لهم في نظر الشيخ محمد عبده فكيف لا يذمهم اذا طلب لبلاده تعليماً أُنفع من هذا التعليم الذي لا يقصد منه الا تكوين المترجمين؟

ومن المغالطة في تقرير اللورد قوله ان ابطال التعليم المجاني كان إلغاء لامتياز جائر لان الذين كانوا يعلّمون مجاناً هم في الغالب اولاد الاغنياء، فان العدل في ازالة هذا الامتياز بما يوافق المصلحة انما يكون بتحويل الامتياز عن الاغنياء وتخصيصه بالفقراء وما أسهل ذلك على الحكومة لو أرادها القابضون على أزمتهما

او كانت الطريقة التي ازيل بها امتياز اولاد الاغنياء على اولاد الفقراء في التعليم المجاني عادة لكاتب من العدل ان يمنع الماء عن الاراضي التي كان الاغنياء يميزون فيها على الفقراء في الري حتى لا تزرع منها ارض فقير ولا غني فان العلم حياة النفوس كما ان الماء حياة الارض. لم يكن الشيخ محمد عبده راضيا عن سياسة التعليم بمصر في وقت من الاوقات . ففي زمن توفيق باشا حمل على نظارة المعارف حملة قلمية منكرة في جريدة الحكومة الرسمية ومقالاته في ذلك مثبتة في الجزء الثاني من التاريخ الذي وضعناه له . وقد حمل ذلك الحكومة على الشروع في اصلاح التعليم والتربية ولكن جاءت الثورة المرابية فأوقفت كل عمل وتلاها الاحتلال ونفي الشيخ من البلاد . وبمدهودته رأى سياسة التعليم غير سديدة فقدم لمسيد الدولة المحتلة - واياك اعني ايها اللورد - لائحة^(١) فيما يجب اتباعه في التربية والتعليم فوضعت في زوايا الاهمال ،

لعل اللورد لم ينس ان الشيخ كتب في هذه اللائحة ما نصه «المدارس الاميرية ليس فيها شيء من المعارف الحقيقية ولا التربية الصحيحة»^(٢) ثم ذكر غرض محمد علي باشا من انشائه لها وما كان حظها من خلفه الى عهد اسماعيل باشا . ولكن الشيخ ذكر ذلك حجة على فقد التربية والمعارف الحقيقية منها فجاء اللورد يذكره من بدهه في تقرير ١٩٠٥ ويجمله حجة على بقاء ما كان على ما كان الا المجانية فانه يري ابطالها بعد انتظام مالية الحكومة وامتلاء خزائنها مرت الايام على موت هذه اللائحة والشيخ محمد عبده قاض في المحاكم ليس له طريق رسمي الى دعوة الحكومة الى اصلاح التربية والتعليم وقد

جرب طريق النصيحة فلم يجده موصلا الى المطلوب فلما صار مفتيا وعضوا
في مجلس الشورى حاول ان يجعل مجلس الشورى وسيلة الى غرضه
وبرأيه طلب بعض اعضاء الجمعية العمومية سنة ١٩٠٢ ان تعرض قوانين
ولوئح التعليم في نظارة المعارف (بروجراماتها ومنشوراتها) علي المجلس
ولم ينس اللورد تلك المناقشة التي دارت في ذلك بين الشيخ محمد عبده
وفخري باشا ناظر المعارف في الجمعية العمومية (وقد بينا ضيف اقوال
الناظر يومئذ في المنار ص ١١٠ و ١٤٩ م ٥)

ثم ان الشيخ محمد عبده اقترح باسم المجلس في سنة ١٩٠٤ ان يعلم
تاريخ الاسلام باللغة العربية في المدارس التجريبية . وقد ذكر في آخر
تقرير له بشأن امتحان مدرسة دار المعلمين الناصرية (دار العلوم) ضيف
تعليم التوحيد والتفسير والحديث فيها فاذا كان تعلم المعلمين للدين ضعيفا
فكيف يكون تعليم هؤلاء المعلمين له ؟

نكتفي بهذه المذكرات في بيان غلط اللورد في قوله ان ما كتب
الشيخ محمد عبده لمسيو جرفيل كان يعلم انه لا أصل له فهي تذكره ان
كان ناسيا - ان لها أصلا أصيلا مؤيدا بالبرهان والدليل ، ومن المعجائب
ان يكابر اللورد في هذا مع ما يعلمه من مؤيداته الرسمية وغير الرسمية:
فن ذكبت ما يعلم انه لا أصل له ؟ الشيخ ام اللورد؟ اللورد يعرف ذلك
اذا لم يكن السخط قد انساه تلك اللائحة التي قدمت اليه وتلك الحجج
المدونة في المحاضر والدواوين الرسمية وكأها ناطقة بأن الشيخ محمد عبده
لم يكن راضيا من التعليم والتربية في مدارس الحكومة . فهذا ما نقول
في السبب الاول لسخط اللورد علي الاستاذ الامام وتغيير كلامه فيه

افضاء الاستاذ الامام مستر بلنت بسبب الاحتلال

اما السبب الثاني لسخط اللورد على الشيخ وهو ما ظهر له من انه هو الذي لقم مستر بلنت جل ما في كتابه (التاريخ السري للاحتلال) من عيوب ادارة المحتلين بمصر^(١) فهو مما يندر فيه فان هذا مما يفيض السياسي والحاكم المطلق حقيقة . واي شيء يؤلم الانسان اكثر من بيان عيوبه واظهار سيئاته ؟ ولكن يجب على المؤرخ ان يعذر حافظي الوقائع التاريخية ورواياتها ومدونيهاء واللورد في كتابه « مصر الحديثة » مؤرخ لاحاكم فكان يجب ان يتذكر ذلك . ثم اذا كان هو في تدوينه لتاريخ مصر لم يتعام القدح في امرائها وعلماؤها وعمالها وجميع اهلها بناء على انه مؤرخ يجب عليه اظهار الحقائق - اذا فرضنا ان كل ما كتبه حقائق - فكيف يسخط على من سلك طريقته ومن اعانه على ذلك ؟ اليس من العدل العام ، ان يدين المرء كما يدين ؟ هذا ما يقال من الجهة العامة . ويقال من الجهة الخاصة ان مستر بلنت كان صديقا للشيخ محمد عبده وكان كل منهما يثق بأمانة الآخر وإخلاصه فبأي حق يحجر اللورد على صديقين متجاورين ان يفضي كل منهما الى الآخر بما في نفسه من المسائل العامة او الخاصة ويكاشفه بشعوره لا سيما اذا كان مؤملا له والشاعر الحكيم يقول

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع
الآن متى الاستبداد ، واحتقار حرية الافراد ، أن يؤاخذ الناس
بما يتناجون به في زوايا بيوتهم ، وما يسرونه لاصدقاتهم ومحبيهم ،
فإن اللورد يعلم كما يعلم كل عاقل انه لا يخطر في بال الانسان عند

ما يحدث صديقه ان كل ما يقوله سيحفظ ويدون وينشر بين الناس ولذلك
ينتقد بعض أهل الرأي على مستر بلنت ذكر مسائل وخواطر حدثه بها
الشيخ محمد عبده فنشرها وهي مما لا ينبغي نشره كتمني جمال الدين لو يقتل
ابا عيل باشا واستحسان محمد عبده لرأيه . على ان هذه المسألة اصغر من
القالب الذي وضعها لورد كرومرفيه كإسنينه
بقي علينا وقد بينا اختلاف قولي اللورد في الاستاذ الامام وسبب
هذا الاختلاف ان نين الحق فيما لمزه به فنقول انه ينحصر بحسب
ما اطلعنا عليه من ترجمة الجرائد في ثلاث مسائل

الاولى وصفه أنه خيالي

قول اللورد في الشيخ انه كان منطورا على الخيال^(١) لا يتفق مع قوله فيه من
الجهة العملية في الحكومة وغيرها انه كان مصلحا . ومن الجهة السياسية
والاجتماعية انه أنشأ في مصر مدرسة فكرية وان اتباعه اذا نجحوا وسعدوا
على ما اختطه لهم من المبادئ المعتدلة فيهم تصل البلاد الى الاستقلال وانهم
كالجير ونديين في أحزاب الثورة الفرنسية أي في الاعتدال والعقل ، كما
لا يتفق مع قول المستشار القضائي الذي وافقه هو عليه . ومن الجهة العلمية
والشرعية انه كان متضلعا من علوم الشرع مع ما به من سعة العقل
واستنارة الذهن

ما هي الآراء الخيالية التي كان يبديها اللورد فيتمدر عليها تنفيذها لانها
خيالية لاعملية لعله يعني بها تلك الالامحة^(٢) التي اقترح بها عليه جعل الترية
الدينية أساس التعليم في المدارس والكتاتيب وبين له فيها انه لا يصلح حال

(١) راجع ص ٩٤ من الجزء الماضي (٢) تقدمت الاشارة الي هذه الالامحة

البلاد المصرية وتكون بأمن حتى من التعصب وقتنه الا بالتربية الدينية الصحيحة لان الدين الاسلامي رائد الالفه ورسول المحبة . ان كان يعني اللورد باتباع الاستاذ الامام للخيال هذا الرأي الذي أوضحه أتم الايضاح في تلك اللائحة وكان يظهر على لسانه شيء منه في كل فرصة (كاقتراحه في مجلس شوري القوانين لتعليم تاريخ الاسلام في المدارس التجريبية) فلماذا يبني الظن بدينه وهل تكون هذه العبرة على الدين لضاف الايمان اولاد ادرين؟ اللورد ان يعد طلب التربية الدينية والتعليم الاسلامي امرا خياليا لان سياسته في ذلك مناقضة لاعتقاد الاستاذ الامام فان أحدهما يرى ان الاسلام الحقيقي هو منتهى الكمال البشري كما عرف ذلك عنه القريب والبعيد وصرحت به المجلة الفرنسية^(١) ، والآخر يمثل الاسلام بأنه آفة المدينة ومقيد البشر بالقيود التي لا يرتقون مالم يتركوها ويتركوه مصرا . ويمكن ان يقال ان تقديمه تلك اللائحة لمفيدا كثيرا وأمله بأن يقنعه بما فيها هو الامر الخيالي فانه قد بالغ في تحسين الظن بهذا العميد وبدولته حتى أراد ان يستعين بهم على اصلاح شأن الاسلام ، وتخيّل انه ربما يصل الى ذلك بالبرهان ، على اننا نحن نعرف السبب في محاولته ذلك وهو انه لما كان منتهى غرضه من حياته اصلاح الدين بالتربية والتعميم كان يتوسل الى ذلك بكل ما يخطر في البال انه ممكن قائلا « اذالم ينفع لا يضر »

اذا كانت تلك اللائحة هي دليل اللورد على ان الرجل كان خياليا فلا يبعد ان يكون تقريره في اصلاح المحاكم الشرعية خياليا أيضا في نظر اللورد

« ١ » جاء ذلك في بعض اعداد سنة ١٩٠٥ منها - راجع ص ٢٢٨ من مجلد

فان لم يكن التقرير نفسه خياليا فالجاح كاتبه على اللورد بالسماح بالمال من خزينة الحكومة لتنفيذه هو الخيالي فانه انما سكت عن هذه المطالبة حين قال له اللورد « اني لا أعطي قرشا واحدا للمحاكم الآن » كما اخبرني بذلك الاستاذ الامام في وقته وقال « انه هكذا قال لا أعطي بضير المتكلم وهكذا يقول » فليقل لنا اللورد أي شيء في ذلك التقرير يعد من الخياليات أو من الاماني والاحلام التي هي غير ممكنة في ذاتها؟ ولكن يمكن لمن أساء الظن باللورد وحكومته ان يقول انهم لا ينفذون تقريرا فيه اصلاح للمحاكم شرعية وراء اصلاحها لاصلاح كبير للبيوت الاسلامية لان من سياسة انكزرا موت الشرع في مصر وإبطال ثقة المسلمين به حتى ان لورد كرومر الذي يعد من خيارهم يرى مطالبته باصلاح المحاكم الشرعية من الخيالات والاهام، أو من الاماني والاحلام،؟ اذا قال من يسيئون الظن باللورد وحكومته مثل هذا القول أفلا يكون رمي الشيخ محمد عبده بأنه خيالي رميا للورد وحكومته بما هو شر من ذلك؟ نعم انه كان للاستاذ الامام، آمال في حسن مستقبل الاسلام، قد قد يعدها حتى بعض المسلمين من الاماني والاحلام، فان منها أنه سينتشر في اوروبانفسها في يوم من الايام، ولكن هذه الآمال مما لا أظن ان لورد كرومر قد علمها اذ لو علم بها لما ظن او خشي ان يكون الشيخ « لا أدريا » فانها امال مبنية على الايمان بصدق وعود القرآن اولا، وعلى فلسفة دقيقة في طبيعة الأديان وطبائع البشر نانيا، فهو قد كان يقول على رموس الاشهاد في قوله تعالى « ٥٥: ٢٤ » وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى

لهم ، الآية « ان هذه الآية لم يأت تأويلها بعد ولا بدان يأتي ولو بمدحين وان كان بعيدا » فهل تكون هذه الثقة بوعده في القرآن كهذا (قيل انه قد حصل) من رجل لا أدري ؟؟

نحن اعرف بالاستاذ الامام من لو رد كروم صرفا نتعرف منه كل شيء واللورد لا يعرف منه الا اشياء محدودة منها بمض الآراء في مصلحة مصر وكان صاحب هذه المجلة من بطائمه ومواضع سره ولا أعرف عنه شيئا يمكن اللورد ان يستدل به على كونه كان مفطورا على الخيال غير ما ذكرت من مطالبة اللورد بالمساعدة على التربية الاسلامية واصلاح المحاكم الشرعية الا ان يكون ذلك توجه همهته الى اصلاح الازهر ولكن كل ما ثبت به من الاصلاح كان عمليا وقد نفذ شيء كثير منه كما هو مبدون بالتفصيل في كتاب (أعمال مجلس ادارة الازهر في عشر سنين) وما لم يتم منه لم يكن المانع من تمامه كونه خياليا وانما كان له مانع آخر يعرفه اللورد وكثير من الناس وليس هذا المقام بمحل لتذكره

نعم انه كان للاستاذ الامام آمال في الازهر هي أعلى وأسمى مما ثبت به من مبادئ الاصلاح التدريجية - آمال لها ارتباط قوي بآماله في الاسلام وهي تربية رجال يعرفون حقيقة الاسلام ويقدرون على بيانها والدفاع عنها بالكتابة والخطابة ليكون منهم دعاة يدعون جميع الامم اليه ، وهداة يهدون جميع طبقات أهله الى ما جهلوا منه ، ولكن العوائق التي اعترضته في طريق الاصلاح حالت دون الدعوة الى هذا المقصد أو الى مقدماته الاولية ، وما أظن ان اللورد كان مطلما على هذا وإلا لما خطر في باله ان يكون الرجل « لا أدريا »

أما المسائل المنطقه بالقضاء أو الادارة فهدي ان آراء الاستاذ الامام فيها كانت تجب اللورد سواء عمل بها كمدوله عن إلقاء النيابة العمومية عملاً برأيه أو لم يعمل بها كمشروع الجنایات الاخير الذي طالت فيه المناقشة بينهما ولكن بعد ان كان اللورد قد أشرب المشروع في قلبه وان أكثر النابئين من رجال القضاء كانوا على رأي الاستاذ الامام في معارضة المشروع

وما ذهب اليه المؤيد في تأويل كلمة اللورد من أن الشيخ كان يحاول القبض على السلطين فيجعل الامير وعميد الاحتلال مما في يديه فهذا من آراء صاحب المؤيد التي لم تخطر للورد على بال فيما يطلب على ظني

الثانية ظن اللورد انه لا ادري

نزالورد الاستاذ الامام بلقب « اللأدري » (*) وهو قد أخذ من ستانلي على أنه لم يجزم به فقد ترجم المؤيد عبارته فيه بكلمة « واخشي » ان يكون كذا وترجمها بعض الجرائد « وأظن » ان يكون كذا . وهذا من الظن الذي قال الله فيه « إن بعض الظن اثم » وقد قال بعض العلماء النابئين من صريدي الاستاذ الامام ان اللورد قال هذه الكلمة لينفرنا من طريقة المرحوم الدينية ولكتنا لا تترك ما عندنا من اليقين فيه لاجل ظن لورد كرومر

اما أنا فأقول ان قاعدة ستانلي التي استنبط منها اللورد كلمته هي من المسلمات عندهم فينا وهي « ان المسلم من الطبقة العليا لا بد ان يكون احد

(*) راجع صفحة ٩٤ من الجزء الماضي

١٩٤٤ اتهام الفلاح بالاحاد. ورأى فاضل انكليزي في الاسلام (المخرج ٣ م ١١)

اثنين متصبا او ملحدا في سره « وعندنا قاعدة مثلها كنت اسمها واتا
تلميذ مبتدي هو هي « ان النصراني المتعلم ملحدا لا دين له فان تعصب لقومه
وأهل دينه فانما يتعصب لهم تعصبا جنسيا » وما كنا نسمعه من آبائنا
وبعض مشايخنا : « ان مما يمتاز به الاسلام على النصرانية المعروفة ان المسلم
يزداد قوة في الاسلام كلما ازداد سعة في العلم وان النصراني اذا تعلم
العلوم سرق من الدين ولذلك كانت مدينة المسلمين وعلومهم في حياة
ونمو أيام كان الاسلام حيا في قوسهم في أول نشأتهم ولم يصر للنصارى
علم ولا مدينة الا بعد ضعف الدين وزعزعة عهدهم ، فالامم والملل تشابه
في حكم بعضها على بعض

قد ذكرنا دليل المسلمين على قاعدتهم من الجهة النظرية ويؤيدونه
من الجهة الحسية بحال من يعرفون من النصارى المجاهرين بالاحاد وكثير ما هم .
ولما كان النصراني يعتمد بطلان الاسلام اعتقادا تقليديا ان كان متدينا
واعقادا نظريا ان كان ملحدا كان للملحد منهم ان يظن بهذا الدليل النظري
ان المسلم العاقل المطلع على العلوم والفلسفة لا بد ان يكون ملحدا
ولا يعدمون من المسلمين المنفرنجين من مجاهرون امامهم بالكفر ويسكرون
معهم في نهار رمضان فيؤيدون دليلهم بالحس ولا يملكون ان هؤلاء الذين يظنون
انهم قد اُخذوا بعد اسلام لم يعرفوا يوما ما من الاسلام شيئا

قد عرفت رجلا من فضلاء الانكايزدوي التربية العالية فيهم وجرى
بيني وبينه مناظرات كثيرة في المسائل الدينية فكان كلما سمع مني جوابا
عن شبهة من الشبه التي يوردها على الدين مطلقا أو على الاسلام خاصة
يقول « ان ما تقول معقول ولكنه فلسفة لا دين وما أظن ان علماء الازهر

يقولون به لو سئلا هذا السؤال . وقال لي مرة « ان كنت الاسلام ما تقره فانا مسلم » . وقال لي مرة بعد كلام قلته في الاسلام « انني انا اعتقد هذا فلما ان اكون مسلما واما ان تكون كافرا » وقال لي مرة « ما اظن ان احدا يوافقك على هذا الاعتقاد في الدين الا الشيخ محمد عبده » ولا يبعد ان يكون ظنه فينا كظن اللورد في الاستاذ الامام . وقد ذكرت في المنار سؤاله اياي في رمضان : هل تصوم ؟ وعن جوابي له وما ذكرته له من حكمة الصيام واعجابه به

وقد دعاني غير واحد من فضلاء النصارى للفداء في رمضان وعرضوا علي القهوة سرايا كثيرة فكنت أقول متعجبا أو نسيما اتسا في رمضان؟ فيقولون او أنت تصوم أيضا؟ فاقول : أي شيء يبيع لي الفطر ولست صريضا ولا على سفر ؟

ولكن اذا كان الملحد من النصارى هو الذي يظن ان المسلم المائل لا بد ان يكون اسلامه ظاهريا وهو يسر الإلحاد في قلبه فهل اللورد ملحد ام هو مقلد لستانلي في قاعدته من غير دليل ولا فكر ؟ وكيف يتفق هذا مع شهادته للشيخ محمد يريم بالايمان والمقل جميعا ؟

قال اللورد بعدما ذكر أنه يخشى ان يكون الشيخ محمد عبده لا أدريا « وان كان يستاء من هذه النسبة » فقوله هذا يشعر بأنه ذكر امامه ما يدل على انه يظن فيه هذا الظن تصریحا او تلويحا فاستاء وامتنع وتبرأ من ذلك وأنكره وكيف لا ينكره على اللورد مستاء وقد كان دينه اعز شيء عليه وهو الذي جعله لا يخاف في الحق لومة لائم وهو الذي جعل السياسة مأیوسا منها عنده فكان جل قصده من معرفة رجالها ومداراتهم الاستمانة بهم على خدمة العلم والدين

من جهة وخدمة مصر من جهة أخرى فكان يتردد على الأمير ليستين به على اصلاح الأزهر ويختلف الى اللورد ليستين به على اصلاح الحاكم والمعارف وغير ذلك من المصالح التي شهد له اللورد بالوطنية الصادقة لسميه لديه فيها . كان يستجديهما معا لمصر وللإسلام وقد اعطى كل منهما قليلا وأكدى . فلا عجب اذا جاءت كلمة اللورد في دين الاستاذ الامام غثة باردة تضاهل في طبر بال فانها عبارة عن ظن لم يستيقنه ، في موضوع لم يعرفه ،

الثالثة استنحان قتل اسماعيل باشا

نقل اللورد عن كتاب التاريخ السري للاحتلال ان السيد جمال الدين كاشف الشيخ محمد عبده بفكرة خطرت له وهي قتل اسماعيل باشا هند سرروه على « الكبري » اذا كان يمر كل يوم عليه وان الشيخ محمدا استحسن ذلك ولكن الامر لم يتجاوز الكلام بينهما^(١) اي لم يكشفا به أحدا لا اعتقادها انهما لا يجدان من يتجرأ على ذلك

كبر اللورد هذه المسألة وعظما ووجه قوة عقله المنطقي الاوربي الانكليزي للاستنتاج منها فكانت نتيجته « ان العالم المتعدن كله ينظر بعد هذا الى الوطنيين شررا ١١١ ويحتقر بالاكتر أولئك الفلاسفة الذين لا يتأخرون عن تعزيز مقاصدهم السياسية بمثل ارتكاب القتل »

ربما يسهل على اضعف الشرقيين الذين يقول اللورد عنهم ان عقولهم غير منطقية فهي ضئيفة الاستنتاج والاستنباط بل على اضعف المصريين الذين يمدهم من اضعف الشرقيين عقولا واستنتاجا ان يفندوا أمثال هذه النتائج التي استخرجها ذلك العقل الغربي المنطقي الكبير . فلو سألتنا أحد

لابسي الجلايب الزرقاء من فلاحى مصر والفيلسوف سبنسر والفيلسوف
أرسطو: هل تقولون ان تفكر رجل غريب كاسيد جمال الدين الاقناني في قتل
أمير ظالم كاسماعيل باشا واستحسان تلميذه كحميد عبده المصري لفكرته
وهو شاب في سن الطلب والتحصيل يتبع وجوب احتقار العالم المتمدن لها
وللوطينين المصريين داتها لان تلميذاتهم استحسن من زهاء ثلاثين سنة قتل
أمير خرب بلاده ومهد للاجانب احتلالها؟؟ - لو سئل الثلاثة هذا السؤال
لاجاب الفلاح المصري واشهر الفلاسفة المتقدمين وهو أرسطو مؤسس
علم المنطق واشهر الفلاسفة المتأخرين وهو سبنسر بجواب واحد وهو
ان الوطنيين لا يلحقهم ذنب ولا لوم من تلك الفكرة ان فرضنا انها فكرة
تنافي المدنية، وان المنطق يتبرأ ممن يقول بمثل هذه النتيجة

وفد السيد جمال الدين علي مصر في سنة ١٢٨٦ وكان الشيخ محمد
عبده في سن العشرين (لانه ولد سنة ١٢٦٦) وكان همه من حياته ايجاد
حكومة اسلامية عزيزة قوية فاستمال الناس اليه بالعلم والفلسفة حتى اذا
ما اجتمعوا حوله بث فيهم افكاره السياسية بطريق تعليم الكتابة والخطابة
حتى كون لنفسه حزبا له ارتباط بولي عهد الخديوية (توفيق باشا) وكان
اسماعيل باشا هو العقبة الكؤود في طريق الاصلاح المطلوب له فهل يعد
من الغريب عند الامم الممدنة ان يتنى ازالها او يفكر فيها فينظر العالم
المدن الى جميع الوطنيين المصريين الآن النظر الشرير لان من علمهم
السياسة وطلب الاصلاح فكر في ذلك منذ ثلاثين سنة؟؟

يا لله من هذا العالم المدني الذي لم يفكر في مثل هذا قط؟ ما هو
واين هو؟ أليس هو العالم الاوربي الذي قتل من الملوك والرؤساء في بلاده

واحدًا وعشرين ملكًا ورئيسًا في مدة لا تتجاوز قرنان من الزمان (٥) ونفي بالروساء رؤساء الجمهوريات الذين تبصمهم أقل من تبعة الملوك إن خطور الذنب بالبال ومكاشفة بعض البطالة به قد يكون تنبها لا يصل إلى درجة العزم، وقد يعزم الإنسان على الشيء حتى إذا ما تم مباشرة راجع نفسه وثني عزيمته فرجع عنه نادما، فليت شعري ماذا كان يكون حكم لورد كرومر على جمال الدين ومحمد عبده وجميع الوطنيين المصريين الذين يودون استقلال بلادهم لو وفق السيد جمال الدين يومئذ إلى تنفيذ ذلك الخاطر؟^{١١} أما كون السيد جمال الدين كان يعمل في مصر عملا سياسيا فهذا مما لا يجمله لورد كرومر ولا أحد من ساسة انكلترا وفرنسا الواقفين على احوال مصر الاخيرة، وهم يعلمون انه اذا ترك السعي لقتل اسماعيل باشا فإنه قد سعى لعزله

قال الاستاذ الامام في كتاب تاريخ الثورة العربية الذي عهد اليه بتأليفه الابر عباس حلمي الثاني في سياق الكلام على السعي في عزل اسماعيل باشا وذكر إرسال فرنسا موسيو تريكو مأمورا فوق العادة ليتحد مع وكيل انكلترا بمصر على ذلك ما نصه

«ولكن كان الناس كافة في شوق الى رؤيته (اي اسماعيل) بيدياً عن كرسي الخديوية، وطلاب الحرية من الاهالي كانوا يترددون على رئيس الوزارة المصرية يظهرون له الميل الى جناب الخديو السابق توفيق باشا رحمه الله وكانت بينه وبين السيد جمال الدين مكالمات ومخاطبات في هذا الامر فسعى هو والكثير من الاعيان عند شريف باشا حتى يقنع الخديو

(٥) ذكر ذلك في ص ٢٥٥ من جزءه المتكثف الرابع الصادر في ابريل الماضي

الاسبق بوجوب التنازل (عن الخديوية) وقد فعل فأشار عليه بأن رفض الطلب لا يفيد وان الدولتين لا بد ان تتلانا ما تطلبان ماجلا او آجلا والفكر في الحرب رأي طائش فان الناس عموما في انحراف عنه فاذا حصل حرب خذاه الجيش في اول واقعة وكانت عاقبة ذلك أشنع ، وان أمس شيء بالصواب ان يحول الامر على السلطان

« ثم ذهب وفد من المصريين ومعهم السيد جمال الدين الى وكيل دولة فرنسا وأبناوا له ان في مصر حزبا وطنيا يطلب الاصلاح ويسمى اليه وان الاصلاح المطلوب لمصر لا يتم الا على يد ولي العهد توفيق باشا وانتشر ذلك في القاهرة وغيرها وتناقلته الجرائد وهي اول مرة عرف فيها اسم الحزب الوطني الحر ، اه المراد منه

ان لورد كرومر يعلم هذا ويعلم ان اسمايل باشا لم يكن امثل من اولئك الملوك الذين قتلهم العالم المتمدن وآخروهم ملك البرتنال بل ولا من اولئك الذين ناروا عليهم وقتلهم ، حاكمة او بنير محاكمة ومنهم شاول الاول ملك الانكيز الذي قامت في وجهه الثورة الاهلية المشهورة وانتهت بقتله . وان اغتيال ملك او أمير مخرب للبلاد ، ظالم للبلاد ، مضيق للملك ، مهلك للحرف والنسل ، أهون في نظر الفيلسوف من القيام بثورة عليه تسفك فيها دماء الالوف الكثيرة من الشعب ، ثم يقتل الملك بعد ذلك بمحاكمة صورية او حقيقية ان لم يقتل اغتيالا

ان ما شرحه لورد كرومر في تاريخ « مصر الحديثة » من فظائع اسمايل باشا كاف في بيان كونه أسوأ حالا من الملوك الاوربيين الذين تارت عليهم رعيتهم بتدبير فلاسفتهم وعقلائهم فأين من اسمايل باشا لويس السادس عشر وشاول الاول

قد مثل الاستاذ الامام في تاريخ الثورة العرابية حالة مصر التي زكها عليها اسماعيل باشا تمثيلا لتطف فيه واستعمل الرأفة التامة في الحكم لانه كتب ذلك لحفيده الامير الحال كتابه حاول فيها الاعلام مع توقي الايلام فقال:

﴿ شؤون البلاد المصرية في شهر رجب سنة ١٢٩٦ ﴾

« تولى الجناب الخديو السابق توفيق باشا بعد ان تداخل دوكتا فرنسا وانجلترا في شؤون البلاد المالية وارتبطت الحكومة بمهما بمقود ووعود عدت قوانين وأصولا يجب احترامها

— وبعد أن كان قد أفضى الامر الى تعيين وزيرين أحدهما انكليزي للمالية والآخر فرنساوي للاشغال العمومية في أواخر عهد اسماعيل باشا — وبعد ان كادت أحكام الحاكم المختلطة تؤدي بتنفيذها الى اشهار افلاس الحكومة، وأدت بالنقل الى انتزاع املاك كثير من ذوي الثروة من الاهلين

— وبعد أن كان موظفو الحكومة من أية طبقة كانوا في اضطراب من حالتهم المعاشية لتعود الحكومة على تأخير دفع المرتبات لاربابها اشهرا — وبعد ان صار رجال الحكومة في درجة من الغفلة عن مصالح البلاد الى حد أنهم كانوا لا يفهمون للوظائف معنى الا انها وسيلة لتحصيل النقود من الاهالي بأية طريقة يُدس منها شيء في جيوب المباشرين للتحصيل ويرسل الباقي الى خزائن الخديو او الى صناديق بعض المحتفين به والمقربين اليه

وبعد ان صارت الجندية في البلاد صورة لا يقدرها دفاع ولا حماية

وانما يراد بها الظهور بمظمة الملك فلم يكن فيها تربية عسكرية ولا تدريب
حربي وكثيرا ما كانت تستعمل في حفر الترع وإقامة الجسور للمنافع العامة
او الخاصة وكان المرجع في بعض الحروب الى ضباط من الاجانب كانوا
أركان حربها، وعليهم المعول في أغلب شؤونها

ـ وبعد ان فتح على الاهالي أنفسهم باب الاسراف والرفه في الميشة
تقليداً للمقرين من مسند الخديوية ومن يليهم وذلك قبل ان يعرفوا
لنفتاتهم ميزانا صحيحا يبادلون به بين ما بأيديهم من الاموال وما يفتقون
في الذوات

ـ وبعد أن نشأ عن هذا وعن شره الحكام في التحصيل وعدم رعيتهم
لما عليه الاهالي من غنى ووفر واستعمالهم اشد العقوبات في سلب ما
بأيديهم أن اضطر الاهالي الى التداين بالربا الفاحش حتى كان صاحب
الارض يأخذ من المرابي المئة بمئة في ثلاثة أشهر ولم يكن يرى في ذلك عيبا
ولا يخشى عاقبة فان أمامه القدوة العظمى وهي الحكومة تستلف النقود بمبالغ
من الفائدة لا يمكن لعقل عاقل تصديقها لو نسبت الى حكومة ما لو لم
يرها بعينه

ـ وبعد ان صار للربويين بذلك سلطة على الاهلين وطمع في اموالهم
يفوقان سلطة الحكام وطمعهم

وبعد ان تعود كثير من الذين يسمونهم اكابر البلاد وأعيانها، أو
ذوات الحكومة وأمرائها، على أن ينالوا من الحكومة ما يشتهون في
الوقت الذي يريدون متى صادفوا مكانا من رضى الخديو او بعض

المقرين اليه فكانوا يسخرون الاهالي في أعمالهم الخاصة ويتصرفون فيهم كما يتصرف الراعي في ماشيته بدون ان يراعي أحد منهم في ذلك نظاما ولا عدلا ولا استبقاء منفعة من يوم الى آخر وتعود الاهالي على الشكوى الى الله وحده من ضيق الحال وخمود الزرائم وانطفاء مصابيح الرشده في جميع الطبقات

- وبعد ان صار كل واحد من الناس في خوف دائم واضطراب لا يهدأ على نفسه وما بيده ، اذا تكلم تتمتع في كلامه ، واذا تصد امرأ خطأ اليه على غير هدى ، تلفت وراءه خوف مفاجأة بما يكره

- وبعد ان كانت النفاقة قد شملت جميع الطبقات الدنيا والوسطى حتى خيف التخط العام لو استمرت الحكومة على سيرها الماضي سنة أخرى من الزمان

- وبعد ان صارت عيون الناس بأمرهم شاخصة الى ما عساه ينزل من السماء ليهدم بالموتة على الخروج مما هم فيه

- هذه كانت حالة البلاد عند ما تولى المرحوم توفيق باشا مسند الخديوية فيها . هذه كانت شدائد مهلكة ، وظلمات حالكة ، يضل فيها الرشيد ، ويتعثر فيها المزم الشديد ، اه المراد مما كتبه هناك

وقد استطرد منه الى بيان اعتقاد أهل مصر في حكاهم الى ذلك العهد ثم الى بيان ما أحدثه السيد جمال الدين من الانقلاب في الافكار وقد سبقت الاشارة اليه - وكان كل ذلك من مبادئ الحوادث العرابية ومقدماتها ، وان شئت قلت من طلبها وأسبابها ، فكل ما كتبه عن سوء حال البلاد في حكم اسماعيل لم يكتب على سبيل التصدد ولم يرد منه الاستقصاء في بيان الحال ، فضلا

عن المبالغة في التقييح والتنفير، فهل يلام من له عقل يفكر، وقلب يشعر، اذا
مقت ذلك الامر، وتعنى لو يمثاله احد من اولئك المظلومين المهورين او
استعسني تني من تني ذلك؟

الشيخ محمد عبده وموقف حزبه بمصر

وهناك مسألة أخرى عدما بعض الناس قدحا من اللورد في الشيخ
محمد عبده وحزبه وهي قوله فيهم أنهم «أدنى من المسلم المحافظ في اسلامهم
وأدنى من المصري المنالي في تفرنجهم»^(١) والحق ان هذه العبارة لا
يقتد منها الا لفظها فهي مدح كتب في حال استيائه وامتعاض فجاء شيئا
بالدم اذ توهم انهم دون الفريقين في علم او فضل ومنناها الحقيقي ان هؤلاء
القوم وسط بين طرفين مذمومين طرف المتشددين في المحافظة على الرسوم
والتقاليد القديمة باسم الدين وطرف المتغالبين في تقليد الافرنج الذين اضعوا
دينهم وروثهم في ذلك وقد بانغ اللورد في ذمهم . ولم يرد اللورد بهذه
العبارة الا ما اوضحه في تقرير سنة ١٩٠٥ من ان حزب الشيخ محمد عبده
هو الحزب المتدل في مصر الذي يناط بنجاحه استقلال هذه البلاد
الاستقلال الحقيقي فلا فرق بين عبارته في التقرير وعبارته في التاريخ
في بيان المراد الا ان احدهما كتبت في حال رضى فثلت المعنى مضيئا
واضحا والثانية كتبت في حال السخط فنشي المعنى فيها غاشية من
ظلمة الايام

وقد زل قلم اللورد بسوء تأثير وجدان السخط زلة اشنع من هذه لعله
لذا ذكرها يبرق من الخجل وهي انه ذكر في التقرير ان توفيق باشا صنع

عن الشيخ محمد عبده « طبقاً لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق »^(١) وقال في كتاب مصر الحديثة انه عفا عنه « بما فطر عليه من مكارم الاخلاق واتقياداً لتشديد الانكياز عليه في ذلك »^(٢) فزيادة اتقياده لتشديد الانكياز تقضت ما قبلها الموافق لما ذكر في التقرير فان العفو اذا كان عن اتقياد لتشديد الانكياز لا يكون عن حلم وكرم خلق والا فلا أثر لتشديد الانكياز بل لم يكن هناك حاجة اليه

فاللورد جدير بأن ينجل من هذه العبارة اذا قابلها بعبارة تقريره في المسألة لانها جطت كلامه متناقضا او متعارضا وأبانت ان يجابي في المدح عند الرضى فانه جعل عفو توفيق باشا عن الشيخ محمد عبده عند رضاه عنهما مما كرمنا وحلمنا وكرم خلق فلما سخط من الثاني جعل ذلك العفو ناشئا عن تشديد من الانكياز في طلبه لاعن مجرد الطلب فيقال إنه طلب وافق حلم توفيق وكرم خلقه وانما أراد اللورد بذلك أن يظهر فضله عليه ، ليثبت أنه أساء الى من أحسن اليه ، بما أظهر عن عيوب سياسة الاحتلال وادارته لمستر بلنت . والمؤرخ المحابي متهم لا يوثق بمدحه لمن يرضى عنه ، ولا بذمه لمن يسخط عليه ، وبناء على هذه القاعدة نقول ان ثناء اللورد على الشيخ محمد عبده في كتاب مصر الحديثة يعد بما فيه من الشوائب منتهى الفضل وشهادة اللورد به شهادة جديرة بالاعتبار والا يثار وهو يلخص في هذه الكلمات

(١) انه احسن العمل في القضاء وأدى الامانة حقها

(٢) كان واسع الرأي

- (٣) كان على علم ونباهة
 - (٤) كان عدوا للخدويين والباشوات غير الصالحين
 - (٥) كان وطنيا حقيقيا ومن مصلحة الوطنية المصرية ان يكثر امثاله
 - (٦) انه أسس في مصر مدرسة فكرية
 - (٧) ان له في مصر حزبا متديلا يجمع بين أصول الاسلام والمدنية
 - (٨) ان أتباعه هم حلفاء المصلح الاوربي الطبيعيون الجديرون بمساعدته
 - (٩) ان له برجراما جعل مصر مستقلة استقلالاً ذاتيا حقيقيا
 - (١٠) ان تقدم اتباعه خير رجاء له في تنفيذ برجرامه هذا
- فحسبنا من اللورد الشهادة بهذه العشر ولا يضرنا مما ظنه انه كان لا أدريا، ولا جزمه بأنه كان خياليا، ولا إيهام عبارته أن حزبه الوسط دون كل من الطرفين الذي هو وسط بينهما
- نم كان حزب الشيخ محمد عبده معه ولا يزال من بعده وسطا بين المحافظين الجامدين، والمتفرنجين المقلدين، ومنهم من هو أقرب الى هؤلاء ومن هو أقرب الى أولئك، اما الشيخ نفسه فقد كان من آياته أن أذكياه كل فريق من المتفرنجين والجامدين يجلونه مع احتقار كل منهما للآخر. وقد عرف أصحاب المقطم والمقطف من كنه هذه المزية ما لم يعرفه اللورد او صرحوا به لم يصرح هو به اذ قالوا في تأييده بالمقطم (ع ٤٩٥٢) مانصه^(١):
- « فأول صفة امتاز بها الفقيه انه كان في مقدمة كل فريق من الفريقين اللذين انقسم اليهما المصريون في هذا العصر : فقد كان علما هندي بنور علمه فريق المحافظين الذين لا يروقههم غير ما جرى عليه

٢٠٦ بيان إمامة الشيخ محمد عبده لاهل الدين والدنيا (الخارج ٣ م ١١)

المتقدمون كالمياه والائمة وطلبة العلوم الدينية والنوعية ومن جرى مجراهم ، وكان قائدا للآراء ومديراً للأفكار عند الفريق الذي جعل شعاره التقدم والارتقاء من أبناء هذا العصر الذين يرون ان التقدم لا يبنى عن الحديث وان من لا يتقدم يتأخر والسكون المطلق محال ، ونقول ولا نحشى في الحق لومة لائم ان التقيد فاق الاقران كلهم في هذه المنزلة حتى اقرده فيها او كاده الخ

وكتبوا في الجزء الثامن من المجلد الثلاثين لمجلة المقتطف ما نصه (١) :

« وكان ذكي الفؤاد بالطبع قوي الحجة حسن المحاضرة لا يخاف في الحق لومة لائم ولا يهيب الكبراء والعظماء لجرد مام فيه او ما أدركوه من رفة المقام فاستطاع ان يكون علما يهتدي بنور علمه المحافظون الذين لا يروهم الا ما جرى عليه المتقدمون كما كثرت العلماء وطلبة العلوم الدينية والنوعية ومن جرى مجراهم لانه كان ثقة فيهم - وعضدا قويا لآبناء هذا العصر الذين استناروا بالعلوم الحديثة والآراء الجديدة ، ومرشداً صادقاً للذين يطلبون الاستنارة بها والسير في سبيلها » الخ

هذا رأي أصحاب المقطم والمقتطف سقناه الى اللورد لان مثبته غير متهمين عند اللورد بقلة المعرفة ولا بالتشيع للشيخ محمد عبده واذا أراد اللورد ان يعرف مكان الاستاذ الامام من نفوس أرقى الطائفتين (المحافظين والتمرنجين) فليقرأ ما أنبه به الشيخ احمد ابو خطوة أرقى الازهرين علما وفهما وقاسم بك أمين أرقى المتعلمين في أوروبا واللورد يشهد ببذوقه وقد اثني عليه في خطبته التي ودع بها مصر ذلك الوداع المشهور

قال القاضي الشرعي الشيخ أبو خطوة في ابتداء كلامه «اجتمعنا اليوم هنا حوالى هذا القبر الجمال الموقر الذي انتهى اليه أمر الامام الكبير الاستاذ الشيخ محمد عبده» الخ ثم فصل اصلاحه للازهر والمعالم الشرعية تفصيلا وقال القاضي الاهلي قاسم بك في ابتداء كلامه «مهاقلنا النظر ودققنا في البحث والتفتيش فلا نجد في امتنا من يروض علينا ما خسرناه بفقد استاذنا الشيخ محمد عبده» وقال انه «وصل الى أسى مقام يمكن ان يناله انسان في هذه الحياة مقام الامامة بأوسع معناها تركه الشيخ محمد عبده ولا يوجد في مصر واحد يجزأ على ان يدعي فيه استحقاقا بعده» ثم قال: «سادتي: ان كل نفس بشرية لها نصيب من الجمال والقيح، والجمال المطلق لا يوجد في هذا العالم ولكن بعض النفوس الممتازة تقرب من الكمال أكثر من غيرها فتتوزع زهرة الجمال فيها نموا عجيبا وتتكاثر فروعها وتمتد طولاً وعرضاً ولا تترك محلاً لسواها فيضعف ويذبل كل نبات خبيث بجانبها. ومن هذا القسم الممتاز كانت نفس امامنا العزيز. نفس خلقت على أحسن شكل، زيناها صاحبها بالفضائل حتى صارت مثلاً في الجمال يجب ان نضمه دائماً امامنا لتعلم منه «كنا وكنا وذكروا بعض من ايا الامام ثم قال «وتعلم منها أيضاً مبالغ ارتقاء الخلق في إنسان اجهد نفسه ورباه حتى أرسلها الى أقصى ما اتصل اليه نفس بشرية من الجمال والكمال»

وبهذا نكتفي في هذه المسألة التي يعرف منها طريق اللورد في الكلام عن رجالنا وننقل منها الى المقصد الام وهو كلام في الاسلام والمسلمين فنقول

القرآن والعلم

﴿ تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب ﴾

في رد الشبهات التي بوردها الافرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

اشتهر بعض علماء الافرنج من المستشرقين وغيرهم الباحثين في الإسلام في آيات كثيرة من القرآن الشريف لم يفهموا معناها الصحيح بسبب ما وجدوه في بعض كتبنا من التفاسير السخيفة والآراء السقيمة . وقد اتبهم في ذلك دعاة المسيحيين متخذين بعض آراء هؤلاء المستشرقين ذريعة للظعن في الكتاب العزيز ناسين إليه الجهل والخطأ لتشكيك عوام المسلمين في دينهم القويم . وقد سبق لي ان تكلمت على كثير من هذه الشبهات في (مقالات الدين في نظر العقل الصحيح) بما يشفي العلة ، ويروي الغلة ، ولكن فاتني ان استقصيها جميعاً إذ ذاك . فلذا رأيت الآن أن أستدرك ما فاتني خدمة للإسلام وتذكيراً للعلماء كي ينظروا في هذا الدين ويقدروه قدره . فانه ما نظريه عالم محقق من اي وجهة كانت الا وجد الحق والصواب عماداً لجميع مبانيه ، والعلم والعقل أساساً لكافة عقائده وأوامره ونواحيه ، وقد رايت أن أذكر الآية أولاً ، ثم أعلق عليها بما يفتح الله به علي حتى يتضح الدليل ، وتستبين السبيل ، فأقول وبالله أستعين :

﴿ المسألة الاولى ﴾

﴿ الحجر ﴾

قال الله تعالى (١٥ : ٨٠) ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ٨١ وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين ٨٢ وكانوا يخفون من الجبال يوتاً آمنين) . اعلم

انه يوجد بين العقبة والبحر الميت مدينة شهيرة عند السائحين تدعى باللغة اليونانية (بترا) أي الصخرة وهي المسماة في العهد القديم بمدينة «سالع» كما في سفر الملوك الثاني (٧: ١٤) وفي كتاب اشعيا (١٦ : ١) وكلا الاسمين «بترا» و«سالع» بمعنى واحد لكنهما بلغتين مختلفتين . يحيط بهذه المدينة جبال وعرة أعلاها جبل هور المذكور في سفر العدد (٣٣ : ٣٨) ولذلك كان اليهود يسمون أهلها الأولين بالمهوريين ومعناه سكان الكهوف لأن بيوتهم منحوتة في الصخور ومنظر هذه المدينة من اعجب المناظر

فلما رأى بعض سياح الافرنج هذه المدينة وسمع ذكر «الحجر» في القرآن الشريف ظن ان هذه الكلمة ترجمة لفظ «بترا» اليوناني لئولهم انها بفتح الحاء والجيم «الحجر» ونبي على ذلك ان «الحجر» في القرآن هو «سالع» في العهد القديم . ولما كانت مدينة سالع هذه معروف عنها ما ينافي ان أهلها اهلكهم الله بالصيحة وما يدل على انها كانت عامرة بالسكان الى ما بعد الميلاد بقليل اخذوا يطعنون على القرآن الشريف وينسبون اليه الخطأ والجهل بالتاريخ والله يعلم انهم لا كاذبون . اذ لولا تسرع هؤلاء الحمقى وجهلهم لعلوا ان الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم غير بترا او سالع وان احداها تبعد عن الاخرى بعدا عظيما فان الحجر قرية صغيرة على خط سكة الحديد الحجازية الآن الى جنوب دومة الجندل وتنزل بها حجاج الشام وتسمى بمدينة صالح وهو النبي الذي ارسله الله الى أهلها «ثمود» ولا تزال الى الآن آثار مساكنهم التي كانوا ينحتونها في جبالها المسماة «أثالب» كما قال في دائرة المعارف العربية ويمكن لكل احد ان يذهب اليها والى سالع ليرى بعيني راسه انهما مدينتان متباعدتان في موضعين مختلفين وان المسافة بينهما تقارب ما بين الاسكندرية والعقبة وان الحجر في الجنوب الشرقي لسالع . ومعنى الحجر المكان الذي حوله حجارة وهو غير معنى «سالع» أي الصخرة . وما يزعمه بعضهم ان جميع ما تراه فيها من البيوت كانت قبورا لا مساكن لم يقد دليل على صحته كذلك لا يبعد ان بعضها كان كذلك والقرآن لم يقل ان جميعها كانت مساكن ولا ان جميع مساكنهم كانت منحوتة

(المنارج ٣) (٢٧) (المجلد الحادي عشر)

في الجبال بل قال ان بعض المساكن كانت تبنى على الارض والبعض الآخر
 ينحت في الجبل كما في سورة الاعراف (٧ : ٧٤) وبوأكم في الارض تتخذون من
 سهولها قصورا وتتحنون الجبال بيوتا - الى قوله - ٧٨ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في
 دارهم جاثمين) فكانت لهم قبورا بعد اهلاكهم وان لم تكن جميعها كذلك في اول
 أمرهم ومن ذلك تعلم خطأ مقاله المستشرق الشهير مرجليوث في كتابه المسي
 (محمد) في هذه المسألة

المسألة الثانية

(الإسراء وتاريخ بيت المقدس)

قال الله تعالى (١٧ : ١) سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام
 إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ليريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)
 المسجد الحرام هو الحرم المكي والمسجد الأقصى هو بيت المقدس . وهذا البيت
 كان خر به تيطس الروماني سنة سبعين للميلاد وأحرقه بالنار فلم يكن له وجود في
 زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا آثاراً وأطلالاً فكيف يقول القرآن الشريف
 إن النبي أسرى به إليه ؟ الجواب (١) المسجد في اللغة مكان السجود والعبادة ولا
 يشترط فيه ان يكون محاطاً بالبناء ولا ان تكون سقفه مرفوعة على أعمدة او نحو ذلك
 مما اعتاده الناس الآن وما كانت مساجد العرب في مبدأ الإسلام إلا أمكنة
 بسيطة خالية من الأبنية الضخمة والزخرف والزينة وكل مكان يعبدون الله فيه
 يسمونه مسجداً لم يل سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الأرض مسجداً
 لصحة العبادة في أي جزء منها فقال « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » فلا
 يلزم من قول القرآن إن النبي أسرى به إلى المسجد الأقصى انه كان إذ ذاك مبنياً
 مشيداً كما كان قبل تخريب الرومان له . ولذلك كان العرب يذهبون إلى اورشليم
 وغيرها من بلاد الشام ويعرفون ما كان عليه المسجد الأقصى من الخراب ومع
 ذلك لم يسمع من أحد منهم انتقاد على عبارة القرآن الشريف هذه أو تردد في

فمهما أو تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم فيها وغاية ما سمع منهم تكذيبه في ذهابه إلى هذا المسجد بهذه السرعة العجيبة لا في وجود ما يسمى عندهم بالمسجد الأقصى وإن كان خراباً على أن الظاهر أن القرآن الشريف يريد بالمسجد الأقصى بلدة (أورشليم) وبالمسجد الحرام بلدة (مكة) أي إن النبي سار ليلاً من مكة إلى أورشليم لأن المسجد الحرام ما كان بيتاً للنبي صلى الله عليه وسلم ينام فيه بل كان نائماً في بيت أم هانئ أحد بيوت مكة كما جاء في الروايات الواردة في هذه المسألة. فالقرآن أطلق هنا المسجد الحرام على مكة وأطلق المسجد الأقصى على أورشليم من باب تسمية الكل بالجزء الذي هو أعظم وأشهر شيء فيه ومثل هذا الاطلاق شائع في العربية وغيرها وكثير في القرآن الشريف ولذلك ورد فيه تسمية الحرم كله بالبيت العتيق كما في قوله تعالى في الذبائح (٢٢: ٢٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق) مع أن الذبح لا يعمل في نفس البيت وإنما يعمل في « منى » بالقرب منه

أما ما ورد في بعض الروايات من أن النبي صلى الله عليه وسلم ربط زمام البراق في إحدى حلقات بيت المقدس فالأقرب عندي أن هذه الروايات وأمثالها هي مما وضعه الواضعون بعد تدمير بلاد المسلمين لهذا البيت أي بعد فتح عمر لبلاد الشام وإقامة مسجد مكان الهيكل (بيت المقدس) وقد غاب عن هؤلاء الواضعين هذه الحقائق كما هو شأن الكذابين فلم يعرفوا أن ما شاهدونه في زمنهم لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم (١)

واعلم أن القرآن الشريف قد ذكر تاريخ بيت المقدس وما لحقه من التخريب فلا يقال أننا فيما قلنا ملفقون أو أننا لأجل دفاعنا عن القرآن ننسب إليه ما لم يعرفه ولم يخطر على بال مؤلفه كما يقولون. بل ورد فيه في نفس هذه السورة (الاسراء) بعد الآية السابقة قوله تعالى (١٧: ٤) وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ٥ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا) هم بختصر وقومه الكلدانيون (أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار) اليهودية أي

جالوا وترددوا فيها للنهب والقتل والسلب والسبي والتدمير (وكان وعداً مفعولاً ٦ ثم رددنا لكم الكرة عليهم) بأن أرسلنا عليهم كورش ملك فارس فدمر مملكتهم وفتح بابل واتخذ اليهود من أسرهم وأكرم مشاهيرهم وأحسن اليهم ورددهم إلى بلادهم فصاروا فيها أعزاء وسادوا على أعدائهم الذين تركهم الكلدانيون فيها تحت رعايتهم فعاد إلى اليهود شيء كبير من مجدهم السابق ثم عمروا بيت المقدس الذي كان خربه بمختصر وأحرقه وصاروا يقيمون شعائر دينهم فيه كما كانوا يفعلون من قبل (وآمدناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً) فرجعوا من الأسر بأشياء كثيرة من الذهب والفضة وبأمتعة وبهائم وتحف وغيرها كما في سفر عزرا (١ : ٤ - ١١) (٧ إن أحستم أحستم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة) العقوبة الثانية (بئسنا عليكم عباد لنا ليسوعوا وجوهكم وليدخلوا المسجد) أي بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تديراً) فدخله تيطس الروماني بجيشه ونهبه وأحرق الهيكل ودمره تديراً كما فعل الكلدانيون من قبل وتشتت اليهود بعد ذلك في العالم ولم تعد إليهم الدولة إلى الآن .

وإنما قال القرآن « كما دخلوه أول مرة » مع أن الداخلين المدمرين للمسجد في المرة الثانية غير الذين دمروه في المرة الأولى لأن الجامع بينهم شيء واحد وهو كونهم جميعاً عباداً لله فإنه قال في أول القصة « بئسنا عليكم عباداً لنا » بدون ذكر جنسهم . وهذا على حد قولك « دخل الأوريون الجامع الأزهر مرة ثم دخلوه مرة أخرى » مع أن الداخلين في المرة الثانية قد يكونون إنكليزاً وفي الأولى فرنسأويين ولاشترأكم في الوصف (وهو كونهم أوريين) كان هذا التعبير صحيحاً ومثل ذلك قوله تعالى مخاطباً لليهود العرب (٥٥:٢) وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جمرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) مع أن ذلك لم يحصل لهم وإنما حصل لبني إسرائيل في زمن موسى ولاشترأكم يهود العرب معهم في الدين جاز هذا التعبير وهو شائع في جميع اللغات فيما تقدم تعلم أن القرآن الشريف ذكر أن المسجد الأقصى خرب مرتين وذكر لليهود عقوبتين الأولى ما أوقعه الكلدانيون بهم والثانية ما فعله الرومانيون أما الواقعة الأولى فقد تمت في سنة ٥٨٧ قبل الميلاد وبها زال استقلال اليهود

وصاروا خاضعين للكلدانيين ثم الفرس ثم اليونان ثم الرومان
وأما الثانية فقد تمت في سنة سبعين بعد الميلاد وبها نشئت اليهود في أنحاء
العالم وقضي عليهم قضاءً أبدياً

ومن ذلك تعلم ان هاتين الواقعتين يدور حولهما تاريخ الأمة اليهودية وعليها
يقام هيكله فلولا وحي الله لما أمكن لذلك العربي الأبي العالمي الناشئ بين الوثنيين
أن يستخلصها من تاريخ الأمة اليهودية الطويل العريض وليس في بلاده
كتب يرجع اليها بل لا يتيسر له اذا أراد ولم يغم على تربته معلم وليس له مدارس
ومع ذلك قد نلخص هذا التاريخ الكبير في كلمة صغيرة هي نهاية الاعجاز وعبرة
العبر وحكمة الحكم مع ما فيها من الاشارات الدقيقة إلى الحقائق التاريخية التي
يفهمها الراسخون في العلم

هذا وقد كان أسر اليهود الى بابل من اكبر ما حل بهم من المصائب حتي
كانوا كل يوم ينتظرون الفرج والخلوص العاجل وقد كان كورش ملك فارس
المخلص الاكبر لهم من ذلك وكانوا يسمونه مسيح الرب (اشعيا ٤٥ : ١) فلذا
كبر الثناء عليه في كتب العهد القديم لا تقاذه ايامهم من الحن والبلايا والرزايا التي
حلت بهم في بابل التي اطبت كتبهم في وصفها وتعديدها وانذرهم الانبياء بها قبل
وقوعها ثم صاروا يبشرونهم بالخلاص منها . وهذا هو سبب ورود لفظ الخلاص
ونحوه كثيرا في كتب العهد القديم ككتاب اشعيا وغيره مما صار النصراني يزعمون
انه رموز إلى المسيح عيسى عليه السلام والحقيقة انه لا علاقة لأكثره به ولكنهم
ولعوا وولع مؤلفو العهد الجديد بذلك من قبل حتي انهم كانوا ينسبون للمسيح
عليه السلام من الحوادث ما ينسبون ثم يستشهدون عليها بعبارات في العهد القديم
كاستشهاد متي (٢ : ١٥) بكلام هوشع عن خروج بني اسرائيل من مصر
(اصحاح ١١ : ١) وزعمه ان ذلك نبوة عن المسيح عليه السلام وكاستشهاده في الاصحاح
٩ : ٢٧ بكلام يزعم ان ارميا النبي قاله مع انه لا وجود له في كتابه وإنما يوجد في كتاب
زكريا بمض ألفاظ تشبهه (اصحاح ١١ : ١٣) ولا مناسبة بينها وبين ما يقوله
متي في انجيله . وإنما ذكرنا ذلك إبطالاً لدعاويهم العريضة ورداً لكيدهم وتحاملهم

على القرآن الشريف مع الجهل والتعصب كما بيناه ونبينه
ولما أصيب اليهود للمرة الثانية بما أصيبوا به من الرومانيين صاروا يترقبون مجيء
مخلص لهم ككورثس وهم إلى الآن ينتظرون ذلك !
هذا شيء من تاريخ اليهود ذكرناه هنا تفصيلاً لتفسير ما جاء في أول سورة
الاسراء ومنه تعلم أن القرآن الشريف ذكر تخريب المسجد الأقصى في المرتين
فلا يقال إنه أخطأ وجهل التاريخ كما يدعي جهلة المسيحيين افتياتاً عليه ورغبة منهم
في تكذيب حادثة الاسراء وهي كما ترى ليس فيها شيء ينافي العلم أو يناقض حكم
العقل الصحيح . وما نشاهده من حركات الأجرام الكونية وما اخترعه البشر من
آلات البخار والكهرباء يقرب إلى العقل تصور تلك الحركة السريعة التي حصل
بها الاسراء إن كان ذلك جسمانياً كما عليه جمهور المسلمين وأما إن كان روحانياً أو
روياً منامية كما عليه بعضهم فلا شبهة عليه والله أعلم (لها بقية)

باب المناظرة والمراسلة

السنن والاحاديث النبوية

٢

بمبحث النسخ

قال حضرة الدكتور «النسخ هو ابطال حكم لبديل او لغير بدل» واقول ما ذكره
من تعريف النسخ غير كاف ولا واف فانه غير جامع ولا مانع ولا نطيل بالمناقشة
فيما يتعلق بالعبارة اذ مراده بذلك الكلام على النسخ المعروف عند المسلمين وهو
صريح في اختياره النسخ بمعناه عند المتأخرين - اما هو في عرف السلف فهو
زيادة على ما ذكره يعم رفع دلالة العام والمطلق والظاهر إما بتخصيص او تقييد او

حمل على مقيد وتفسيره وتبينه قال شيخ الاسلام ابن القيم رحمه الله حتى انهم ليسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخا لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد فالنسخ عندهم وفي لسانهم هو بيان المراد بغير ذلك اللفظ بل بأمر خارج عنه وبذلك نزول اشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر انتهى ملخصا - وهل الإنشاء والنسخ شيء واحد أم هما شيئان؟ ذهب بعض السلف الى الاول والظاهر انه اعم من النسخ اما على قول من قال ان معناه التأخير والإرجاء فهو قبل نزوله واوان ظهوره للتكليف لا يوصف بنسخ ولا عدمه

واعلم ايها القاري انه يتفرع على النسخ بمعناه عند الخلف خلاف بينهم هل يجوز نسخه بالأحاديث الصحيحة ام ببعضها دون البعض؟ اما السلف فلا نعلم عنهم خلافا في جوازه

قال حضرة الدكتور فالنسخ عندنا لا يقع الا في الاحكام (الواو امر والنواهي) ولا يقع في القصص او في القضايا العقلية اذ لا معنى لوقوعه في ذلك واقول اذا سلمنا ان معنى النسخ هو ما ذكره المتأخرون حيث قالوا في تعريفه «هو ان يدل على خلاف حكم شرعي دليل شرعي متراخ» فلا شك ان المنسوخ لا يجوز ان يكون من الاخبار عن الامور الماضية او الواقعة في الحال او المستقبل مما يؤدي نسخه الى كذب او جهل - بخلاف الاخبار عن حل الشيء او حرمة ونحوها فانه يجوز النسخ في هذا الاخير وكذلك القضايا العقلية لا يجوز النسخ فيها لإفشاء ذلك الى الجهل وكذلك اذا قيد نصا بتأييد او توقيت فلا يجوز نسخه لاستحالة البعث والجهالة اما اذا فسر النسخ بمعناه عند السلف فلا مانع من وقوعه في كل ما ذكرناه لانهم لم يشترطوا في التاسخ منافية المنسوخ . ودونك ما ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره عنهم بمذوقه تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها او مثلها » الآية قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه ما ننسخ من آية قال ابن جريج عن مجاهد ما نمحو من آية وقال ابن ابي نعيم عن مجاهد « ما ننسخ من آية » قال ثبت خطها ونؤيد حكمها . حدث به عن اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه . وقال ابن ابي حاتم وروى عن ابي العالية ومحمد بن كعب القرظي

نحو ذلك وقال الضحاك ما ننسخ من آية ما ننسك وقال عطاء اما ما ننسخ فما
تترك من القرآن وقال ابن ابي حاتم يعني ترك فلم ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم
وقال السدي ما ننسخ من آية نسخها قبضها قل ابن ابي حاتم يعني قبضها رفعها مثل
قوله « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة » وقوله « لو كان لابن آدم واديان
من ذهب لا بطنى لهما ثالثا » وذكر عن ابن جرير ما مؤداه اختيار مذهب المتأخرين
في تفسير معنى النسخ وانت ترى بعدا بين ما فهموه وما فهمه المتأخرون الا ما نقل
عن اصحاب عبد الله بن مسعود لكنه محمول على ما هو معروف عن السلف من
انهم كثيرا ما يفسرون الشيء ببعض معانيه نظرا لحال السامع تارة ولما يقتضيه المقام
تارة ولظهوره في باقي معانيه الاخرى ولم يكونوا يحددوا الأشياء بالحدود والتعاريف
التي اصطلح عليها المتأخرون فاذا كان النسخ عندهم مفسرا بالرفع والتبض الذي
هو اعم منه عند المتأخرين فالله جل شأنه ينزل على رسوله صلى الله عليه وسلم الاحكام
في جميع انواع الموضوعات والقصص والايثار للاذعان والاعتبار وردا على
المعاندين الكفار فاذا قامت الحججة وحصل لرسوله صلى الله عليه وسلم الفلج وعليهم
الغلبة فالعقل لا يوجب إبقاء الحججة مسطورة مكتوبة كما انه لا يجب ولا يلزم حبس
وابقاء الجيش العظيم على البلد بعد فتحها وكما ان الاحكام تختلف باختلاف حال
المكلفين كذلك التعاليم الاخلاقية ونحوها تختلف باختلاف أحوالهم أيضا - فاذا
أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ما شاء من اخبار أو غيرها لتقتض ولصالحه
ثم رفعها على ما لها من الاجلال فائزة بالنص وقره الاعداء غير متقوضة بريب أو تكذيب
لا سيما اذا أحل محلها وأنزل بدلها ما هو أنسب وخير منها لنا فياترى أيّ جهل
وعبث يلزم فسبحان ربك رب العزة عما يصفون

ثم قال حضرة الدكتور: فلننا من يسلم القول بنسخ لفظ بلفظ كما يتوهمون أو
بنسخ لفظ وابقاء حكمه كما يزعمون. واستدل على ذلك باستلزامه الجهل أو العتب
وأقول هذا الاستبعاد من حضرة الدكتور منشؤه عدم الامعان في معاني القرآن لأن الله
جل شأنه وعظم سلطانه ذوالكمال وخالق الكمال النسبي وكلتا يديه يمين فهو يهب لرسوله
صلى الله عليه وسلم عن شؤونه بما شاء مما هو كاف في اعجاز مخلوقه القاصر والمعاند

الكافر ولا محذور في ان يرفع عبارة قدا اعتبر وابدلوا ثم يكررها ثانياً لمتقضى في قلب
عبارة وألفاظ أكل من الأولى أو أنسب بالحال منها فانه ما من كمال نراه الا وعند الله
أكل منه والكل بالنسبة اليها معجز وكما قال تعالى « نأت بخير منها »

ومما يوضح ذلك ويقر به ماهو واقع في المحكم بين دققي المصحف من ذكر القصة
الواحدة في مواضع متعددة بألفاظ وعبارات متغايرة لفظاً متحدة معنى وقد تراها بزيادة
وقص وما ذلك الا لاختلاف ما يقتضيه الحال لسوقها في الاستشهاد بها ولاختلاف
أحوال المتقين عن رسوله صلى الله عليه وسلم لان منهم من يميل الى التطويل وحفظه
ومنهم من يميل الى الاقتصار على الاختصار اما لعدم الفرص أو غير ذلك — فاذ
حسن ذكر القصة الواحدة بعبارات وألفاظ متغايرة لفظاً مع بقاء الكل فجوازه
كذلك بعد رفع الاول ونسخه أولى واحرى وهذا ظاهر لا غبار عليه — على انه
قد يقال لم لا تسلم وتحمل ذلك على ما نزل قبل التحدي بالاعجاز؟

واذا رفع بالنسخ أو الإساء ما هو كذا فقد قدمنا الحكمة فيه وسببه واذا بقي
محفوظاً لأفراد لا يصح ان يثبت بروايتهم آيات قرآنية فما ذلك الا ليتحقق صدق
قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » الآية ويعرف ان البديل خير من المبدل فيشكروا
الله على ما أعطاهم وانظر الى ما روي في الصحيح « لو كان لابن آدم واديان من
ذهب لمتى لها ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » .
فانه كان قرآناً يتلى أي ثم رفع وانسي لفظه وإنما بقي محفوظاً لدى من لا يثبت
بروايته آيات قرآنية والعلة التي أدركناها في ذلك ما ذكرناه فاذا تبصنا المصحف
وجدنا ماهو أولى وأظهر مثل قوله تعالى « وتحبون المال حباً جماً » الآية — اما ما يذكر
في آية « الشيخ والشيخة » الى آخره كما في الصحيح وان ذلك كان قرآناً يتلى ثم نسخ
لفظه كذا قالوا فلا يبعد ان يقال ان هذا مما نسخ لفظه وحكه لان الرجم أول ما نزل
في أول الإسلام ثم نسخ بنزول حد الزاني وحينئذ قال صلى الله عليه وسلم —
في حديث عبادة رضي الله عنه « خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً اللثيب اللثيب
جلد مائة والرجم منسوخ — ثم شرع الرجم مرة أخرى لأنه رجم ما عزا والغامدية

بعد ان قال ذلك . انظر ذلك في زاد المعاد لشيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله
ولنعدي ما كنا بصدده فنقول: اذا لم يشترط في النسخ المنافاة والمناقضة بين الناسخ
والمسوخ وهو ما يدل عليه كلام عامة السلف وهو ظاهر القرآن حيث جعل متعلق
النسخ والإساءة — الآية — ولم يخص بذلك حكمها واذا جاز الإساءة فالنسخ كذلك
قال تعالى « سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله »

فلا عيب ولا نقص في نسخ ما شاء كيف شاء وسواء في ذلك رفع لفظ بلفظ
ورفع لفظ وإبقاء حكمه لما تقدم ولأنه اذا تفضل بالبدل فهو لا شك يبدله بما هو
خير منه لانه اذا وعد بإعطاء احد خيرين فكرمه وكرامته لرسوله صلى الله عليه
وسلم تقتضي ان يمتن عليه صلى الله عليه وسلم بأفضلها واكملها « ولسوف يعطيك
ربك قرصى » او يقال نأت بخير منها او مثلها أي المنسية والله اعلم بمراده

فان قيل ما الحكمة في رفع الفاظ وابدالها بالفاظ او رفع لفظ بعد نزوله؟ قلت قد
بيننا ذلك فيما تقدم ولكن نحن مها جهدنا فلا نستطيع ان نعلل ذلك باصح واحكم
مما اجاب الله به منكري النسخ بقوله تعالى « نأت بخير منها او مثلها » اي لما كان
المسوخ قبل نسخه مناسباً للمصلحة ومطابقاً للحكمة فاذا نسخناه لمقتض فاما هو لئني
بخير منه اي اكثر مناسبة واشد مطابقة للحكمة

اما ما استدل به حضرة الدكتور وعلل به جواز وقوع النسخ حيث قال والسبب
في وقوعه اختلاف حال المكلفين باختلاف الزمان والمكان فما يلائم البشر في
زمن طفوليتهم قد لا يلائمهم في زمن كهولتهم او شيخوختهم ومثل ذلك باختلاف
حالة الانسان بالصحة والمرض — فهذا التعليل للنسخ انما اخذه حضرة عن
المتكلمين الذين ادعوا لانفسهم الكمال فوق كل احد حتى انهم قد يدعون لانفسهم
انهم يعرفون من الدين ما لم يعرفه السلف وانهم قد يصلحون منه ما يزعم بعضهم انه
ناقص منه وما درى المساكين ان النقص وصفهم اللازم الذاتي والله در الشاعر

وكم من عائب قولاً صحيحاً واقته من الفهم السقيم
ولو كان لا يكون النسخ في الشرائع الا اذا صار المسوخ بمنزلة ما لا يلائم حالة
البشر بحيث يكون نسبه اليهم كنسبة ما لا يناسب حالة المريض لكان ذلك اي النسخ

لا يكون الا بعد احراجهم غاية الاحراج بحيث يكونون قدعاناوا ما قرب ان يكون خرج عن حد استطاعتهم وهذا لا يجوز من واسع الرحمة فكيف يستقيم قول حضرة الدكتور؟ قدما ذلك تعلم ان النسخ ليقض او لحكمة لا عيب فيه عند العقل الخ لانه يفهم منه ان ابقاء التكليف وعدم النسخ والحالة هذه جائز عقلا وشرعا والذي يقال ان تأخير النسخ الى تلك الحالة ممتنع عقلا وشرعا لقوله تعالى « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » والنسخ شرعا هو الذي دل القرآن دلالة الكريمة عليه وهو تبديل ذي الخير مما اوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم بما هو اكثر خيرا منه — وهو من باب التوسيع فيما كثرت فوائده وسمت عوائده وفيه تنبيه هذه الامة لفتح ابواب المعارف والرفي الى مدارج الكمال والاستعداد لكل ما عسى ان ينجم من خير يقدم او يبلأ يهجم

فما ذكره حضرة الدكتور من الحكمة في النسخ ليس هو حكمته نعم هو يقرب ويضارع ما نصبه الشارع مسوغا لترخص في المحكم لانه ألزم عباده بامثال ما شرعه محكما بشروط واسباب مالم تعارض ذلك موانع ودرخصات فاذا عرض مانع او مرخص فقد رفع عن العباد الاثم وجاز لهم فعل او ترك ما اقتضاه الحال وبذلك قد يتقلب الواجب محرما والمحرّم واجبا او جائزا في حق من قام به مانع والحكم يختلف باختلاف المكاف وتارة يعتبر مع ذلك المكان وتارة الزمان وقد يختلف الحكم بالنسبة الى شخص أو أشخاص باختلاف حال ما خفف به من البشر، وبجأله من صغر وكبر، واقامة وسفر، وضعف وقوة، وامن وخوف، وقد يختلف بالمواسم تبعالضرورات، او توقعها ولو ظنا في بعض الحالات، وللضرورات احكام تخصها ولهذا صح المثل « عندالضرورات تباح المحظورات » قال تعالى « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » وألحق بذلك ما صح عنه عليه الصلاة والسلام انه قال « رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »

فاختلاف الحكم باختلاف حال المكاف او المكلفين — بحيث لا يبقى ملائما لطبائعهم بان تكون نسبتة اليهم كنسبة مالا يلائم حالة المريض — لا يصلح ان يكون علة النسخ وحكمته كما عرفت بل هو باق ومعتبر لترخص في الشريعة المحكمة

الثابتة الباقية فكيف يجعل مناطا وسببا للنسخ وقت التشريع لاسيا وقد نص الله في كتابه على سبب النسخ كما قد قدمنا ذلك
ومن تأمل وأمعن النظر فيما ذكرناه اتضح له الحق وعرف منشأ الغلط الذي ارتكبه كثير من جهابذة التقاد والنظار في استبعاد جواز النسخ والتردد فيه وعرف ان منشأ ما أصلوه واصطلحوا عليه مما اوجب لهم الخيرة «وعلى نفسها جنت براقش» وماضيقوه مما وسعه الله فعليهم «لأعلينا»
وبما ذكرناه من التيسير والتوسعة في هذا الدين تظهر بعض حكمة بقاء هذا الدين الى آخر الأبد ولزوم انه دين عامة البشر وانه وحي يوحى ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه شرع على لسان من لا ينطق عن الهوى. اللهم احينا عليه وبه وامتنا متسكين به يا راحم الراحمين
(الكلام بقية)

الجامعة المصرية

﴿ هبة حسن بك زايد ﴾

نام مشروع هذه المدرسة زمناً طويلاً وشغل الناس عنها ما أصيبت به البلاد من العسرة المالية. ثم اختير للجنة التأسيس الامير أحمد فؤاد باشا رئيساً عاملاً فجد واجتهد مع اللجنة فهب المشروع من نومه حتى تقرر ان تفتح أبواب الجامعة في أواخر هذا العام لتدريس آداب اللغات العربية والانكليزية والفرنسية وتاريخ مدينة الإسلام

وكان احياء هذا العمل بأمرين لولاها ما تيسر المشروع فيه (أحدهما) أمر الأمير بأن يخصص للجامعة خمسة آلاف جنيه ككل سنة من الأوقاف الخيرية (ثانيهما) تبرع حسن بك زايد من أهل الثراء في مديرية المنوفية بوقف خمسين فداناً وكسور من أطيانه الجيدة على الجامعة

وقد احتفل في السادس عشر من هذا الشهر بتلاوة الوقفية في داره ببلده فأجاب الدعوة إلى هذا الاحتفال كثير من الوجهاء وأصحاب الصحف العربية والأجنبية يتقدمهم الأمير أحمد فؤاد وأعضاء لجنة الجامعة وبعد أن افتتحت الحفلة بتلاوة آيات من القرآن الكريم تلا حسين رشدي باشا مدير الأوقاف خطبة للأمير فؤاد باشا رئيس لجنة الجامعة بالنيابة عنه وهي تتضمن الثناء على حسن بك زايد ويان ان الجامعة صارت قادرة بعد هبته هذه على الظهور في عالم الوجود .

ثم تلا حفي بك ناصف ناموس لجنة الجامعة (سكرتيرها) الوقفية . وقام بعده الدكتور علوي باشا فألقى خطبة في تقدم الأمم بالعلم والحث على التبوع للجامعة . ولا غرو فقد كان الدكتور ممن اكتب لها بألف جنيه فهو ما قال الا وقد فعل . ثم قام من بعده قاسم بك أمين نائب رئيس اللجنة العامل وألقى خطبة نفيسة أودعها من الفوائد الاجتماعية ما يقتضيه المقام ، وما يناسب الحال العامة بمصر في هذه الأيام ، ولعلها آخر ما دونه بقلمه من المنشآت الجميلة فقد واقته منيته بمدى أيام معدودات ، وانا ننشرها لما فيها من الفائدة وهذا نصها :

أيها السادة

في هذه الايام (١) التي كثرت فيها الا كتابات للجمعية الخيرية والمكاتب والمستشفيات وغير ذلك ولا يمديديه لمساعدتها وتحمل جزء من مزارها الاعدد قليل من سكان العاصمة أرى ان عمد البلاد وأعيان الاقاليم هؤلاء الذين يصح أن أسميهم منكوبي المشروعات الخيرية هم أحسن أبناء وطننا ويستحقون ثناء الامة واعجابها .

وفي الحقيقة ان كل مشروع قام به الافراد في بلادنا كان الفضل في نجاحه راجعا على الاكثر الى سكان الارياف فانهم وهبوا من الحياء الطبيعي ما يجعلهم ينجلون من رفض أي مساعدة تطلب منهم وعندهم من كرم الاخلاق ما يدفعهم

(١) الظرف متعلق بقوله « أرى ان عمد البلاد » الخ وقوله ولا يمد يديه الخ

اعتراض ويوشك ان يكون في الكلام تحريف

الى بذل المال حتى اذا لم يكن في حيازتهم لتعظيم الاعمال النافعة
 طبيعة شريفة وكرم جميل وسهولة أخلاق محبوبة ولكن أستسمحكم اذا قلت
 ان هذه الصفات كانت تفيد أكثر مما أفادت لو كانت الادارة التي تدبرها أكثر
 اعتدالا في حركتها وأكثر تميزاً في تأدية وظيفتها واذا أردت التوسع أقول ان
 أهل البر في بلادنا على العموم لا يعرفون كيف يصرفون أموالهم
 أيها السادة . ان عمل الخير حسن على كل حال ولكن أحسن منه وضع الخير
 في محله .

لو كان المحسنون يوجهون ارادتهم الى احياء أمتهم وتعظيم وطنهم أكثر من
 اهتمامهم بشراء الزهور وتشييد القبور واضاءة الاضرحه — لو كانوا يجودون للاعمال
 بنسبة الخير المنتظر منها لكانت الجامعة المصرية اليوم كأمثالها في البلاد الاخرى
 أغنى جمعياً في هذا القطر . ولكنها أقفرها جمعياً

من التبرعات الجسيمة التي تحصل سنوياً في هذا القطر على شكل هبة أو وقف
 من كل هذا المال الذي يصرف في وجوه قليلة النفع او غير نافعة كان نصيب
 الجامعة شيئاً قليلاً لا يذكر

ولولا أن عناية الجناب الخديوي أدركتها ومنحتها مرتباً سنوياً قدره خمسة

آلاف جنيه لرأينا في هذا العصر الذي تعده الجرائد والخطباء والشعراء مبدأ النهضة

الوطنية وتتغني فيه بمدح الشعور الوطني على نعمة تطرب السامعين وتفتح قلوبهم

وجيوبهم أيضاً — في هذا العصر الذي نريد ان نجعله حداً فاصلاً بين ماضينا ومستقبلنا

ونطلب أن تتحقق فيه أمانينا العزيزة — في هذا العصر لولا ان أدركتها هذه العناية

العظيمة لرأينا شيئاً محزناً مخجلاً وهو ان أنفع مشروع ظهر في مصر ولد فيها ميتاً .

ولكي يكون الاعتراف بالحق تاماً لا يستطيع ان امنع نفسي من التصريح

بشيء يجتهد دائماً دولة الامير الذي يرأس هذه الخفلة أن يخفيه لشدة تواضعه وهو

انه من اليوم الذي قبل فيه أن يشرف لجنة ادارة الجامعة برئاسته لها وصار في مقدمة

العاملين فيها تحققنا ان النجاح صار مضموناً .

أيها السادة : إن الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيراً ولا تعلن عن نفسها
عاش آباؤنا وعملوا على قدر طاقتهم وخدموا بلادهم وحاربوا الأمم وفتحوا
البلاد ولم نسمع أنهم كانوا يفتخرون بحب وطنهم فيحسن بنا أن نقندي بهم ونهجر
القول ونعتمد على العمل

إذا أردنا أن نرفع بلادنا ينبغي علينا قبل كل شيء أن ننظر إلى أنفسنا ونعرف
قيمتنا ووزن قوتنا وندرس أسباب تأخرنا ثم نسعى ونعمل لتحسين حالنا
يجب علينا أن نفهم أن مسألتنا الاجتماعية ليست شيئاً وجد بالصدفة أو يتغير
بمعجزة بل إنها كسائر القضايا العلمية مسألة تحليل وتركيب وان تكوين ونمو الجماعات
الإنسانية أسباباً عديدة ترتبط بالدين والشرائع والأخلاق والاقليم والجنس واللغة
وطرق التربية فتغير الحال الاجتماعية إنما يكون بتغير الأسباب التي اشتركت
في تكوينها

فكل ما يكتب ويعمل ويقال في هذا الموضوع هو خير مبارك منتج وما عداه
فهو تعب ضائع

أيها السادة : إن من أهم أسباب انحطاط الأمم وارتقائها طرق التعليم والتربية
وإذا نظرنا إلى ما يجري عندنا وجدنا أن التعليم الموجود الآن لا يصلح إلا لإعداد
موظفين أو اصحاب فنٍّ يحترفون به للقيام بحاجات الحياة التي لا يستغنى عنها كالطب
والهندسة والمحاماة وهذا التعليم يوزع في مدارسنا على الطلبة بمقدار معلوم لا يزيد
عن الغاية التي وضع لاجلها

تلك هي خطة الحكومة في التعليم وقد حذا حذوها اصحاب المدارس الخصوصية
والحكومة تعترف بأن هذا القدر من التعليم غير كاف ولكنها اضطرت إلى عدم
التوسع فيه للأسباب التي شرحتها في تقاريرها العديدة وأهمها كما تعلمون هي مسألة المال
وفي الحقيقة انه لا توجد حكومة في العالم تستطيع أن تتولى بنفسها أمر التعليم
العام بجميع فروع ودرجاته وإذا نظرنا إلى ما يجري في البلاد المتقدمة نجد أن القسم
الأعظم من التعليم في يدي جمعيات علمية هي المؤسسة والمديرة لنظامه وان عمل الحكومة
فيها محصور في تعضيدها ومساعدتها على قدر الامكان

هذا هو الذي حمل الحكومة المصرية على استنهاض همة الاهالي لنشر التعليم الابتدائي وهذا ما دعانا أيضا الى ان نطلب من أبناء وطننا ان يفكروا في نشر التعليم العالي وان يبذلوا ما في وسعهم في سبيله ليكمل نظام التعليم في بلادنا ويصبح وافياً بجميع حاجات الأمة

أيها السادة : نحن لا يمكننا ان نكتفي الآن بان يكون طلب العلم في مصر وسيلة لمزاولة صناعة أو للاتحاق بوظيفة بل نطمح ان نرى بين أبناء وطننا طائفة تطلب العلم حباً للحقيقة وشوقاً الى اكتشاف المجهول . فته يكون مبدؤها التعلم للتعليم . نود ان نرى من أبناء مصر كما نرى في البلاد الأخرى عالماً يحيط بكل العلم الانساني واختصاصياً أتقن فرعاً مخصوصاً من العلم ووقف نفسه على الامام بجميع ما يتعلق به . وقليل سوف اكتسب شهرة عامة . وكاتباً ذاع صيته في العالم . وعالماً يرجع اليه في حل المشكلات ويحتج برأيه . أمثال هؤلاء هم قادة الرأي العام عند الأمم الأخرى والمرشدون الى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها فاذا عدتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون

أيها السادة : اذا نظرنا الى طائفة المتعلمين في مصر وهم متخرجو المدارس العالية نجد انهم يعملون على مبدأ « اكسب كثيراً واتعب قليلاً » ولا نجد فيهم العامل المحب لعلمه أو فنه والعاشق الذي تحتل شهوة العمل في قلبه وتمدد فيه وتملؤه برمته ولا تقبل منافساً أو منازعاً أو شريكاً أو ضيفاً بجانبها . وانما نجد افراداً قليلين جداً يصرفون وقتاً قصيراً من حين إلى حين لتكميل معارفهم ولكنهم مجردون عن تلك الحمية تلك النار التي تشعل القلب والشعور والتي بدونها لا تبحث النفس عن تجديد العمل ولا تطلب الارتقاء إلى المراتب السامية

ألا يظهر لكم مثلي ان الارتقاء في الانسان تابع على الخصوص لإحساسه وان أكثر الناس استعداداً للكمال هم أصحاب الإحساس الذين تهتز أعصابهم المتوترة بعلامسة الحوادث وتبلغ منهم الانفعالات النفسية مبلغاً عظيماً فيظهر أثرها فيهم بكثرة وشدة . أولئك هم السعداء الأشقياء الذين يتمتعون ويتألمون . أولئك هم السابقون في ميدان الحياة تراهم في الصف الأول مخاطرين بأنفسهم يتنافسون في

مصادمة كل صعوبة . من بينهم تنتخب القدرة الحكيمه خيرهم وتوحي إليه أسرارها
فيصير شاعراً بديناً أو عالماً حكماً أو ولياً طاهراً أو نبياً كريماً

أيها السادة : ان عدم استعداد طلبة العلم لحب العلم لذاته هو عيب عظيم فينا
يجب ان نفكر في إزالته وهو نتيجة من نتائج التربية المنزلية التي غفلت عن تربية
إحساننا وأهملت تربية قلوبنا وشمورنا فأصبحنا ماديين لانهتم إلا بالتأخر في جميع
أمورنا حتى في الأشياء التي بطبيعتها يجب ان تكون بعيدة عن الفوائد كعلاقات
الأقارب والأصحاب . وليس من المتظر أن تتغير أخلاقنا من هذه الجهة تغييراً
محسوساً إلا إذا تم اصلاح العائلة المصرية

هل يجوز أن يؤخذ من اعترافنا هذا اننا نخشى أن الجامعة المصرية إذا فتحت
أبوابها لا تجد طلاباً للعلم ؟ سمعت هذا الاعتراض واعتقادي التام انه وهم باطل .
نحن اذا كنا نأسف لعدم بلوغ حب التعلم الدرجة التي تمنها له فليس معنى ذلك
أنه مفقود في بلادنا . حب التعليم موجود ووجد في بلادنا من قديم الزمان ولا
يزول عن أرضنا أبداً ! وتاريخ مصر الحديث يثبت بأقوى البراهين أن حب
التعليم كان ولا يزال ينمو في نفوس أمتنا من عهد المرحوم محمد علي باشا إلى الآن
ولي أمل عظيم أن انشاء الجامعة المصرية يكون سبباً في ظهور شبيهة هذا الجيل
وما يليه على أحسن مثال . وما حالة القلق والاضطراب التي نلاحظها فيها الآن الا
انذار مطمئن يدلنا على أنها مملوءة بقوة عظيمة تطلب ميداناً تتصرف فيه لتستمتع
بالتوازن الملازم لصحتها

هذا هو البناء الفخيم الذي نحب أن الأمة المصرية تشيده بيدها ليبقى أثراً
خالداً في هذا القطر وشاهداً على حسن استعدادها للنمو العقلي والرقى الأدبي
فكل من وضع حجراً في هذا البناء يخدم أمته أجل خدمة . فشكراً للسابقين
وشكراً للأحقين في هذا العمل الصالح . واني أرى في الصف الأول من صفوف
المحسنين المتبصرين الذين يعرفون كيف يصرفون أموالهم في سبيل الخير رجلين
قاما بما يجب عليهما وهما حضرة أحمد بك الشريف وصاحب هذه الدار الكريمة اه

باب الحكمة والأدب

مصائب مصر بقاسم بك أمين

يموت كل يوم خلق كثير فيخلفهم مثلهم فتسي الأمة وتصبح وكأنها لم تتقد أحداً . ولكن في الناس أفراداً امتازوا بالمزايا النادرة في قومهم فأولئك اذا مات الواحد منهم يشعر أهل البصيرة من أمتهم بأنهم فقدوا من لا يقوم مقامه غيره ولا يعمل عمله سواه . ومن هؤلاء الأفراد من فقدته مصر اليوم ألا وهو قاسم بك أمين القاضي بمحكمة الاستئناف الأهلية ونائب رئيس إنشاء الجامعة المصرية ومؤلف كتابي « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » — اغتالته المنية فجأة (في ٢٩ من هذا الشهر) فلم تندره بمرض ولا سقم بل لم تنذر عقلاء البلاد ليعدوا لهذا الخطب عدته ، ويأخذوا للمصائب أهبتها ، بتوطئ النفس على الصبر ، وتوجيه قواها الى الجلد أو التجلد ، امتاز قاسم بك أمين بمعظم المزايا التي تعوز المصريين في سبيل الحياة الاستقلالية التي ولوا وجوههم شطرها

امتاز باستقلال الفكر وجودة الرأي وصفاء الذهن وسعة الخيال وقوة الإرادة والعدل في الحكم والوفاء في الصداقة والإخلاص للبلاد وكان مع هذا من علماء الحقوق والأخلاق والاجتماع والفلسفة العقلية وقد وجه همه في السنين الاخيرة الى فرع من فروع هذه العلوم وهو ترقية البيوت (العائلات) بتعليم النساء وتثقيبهن فلم يكتب بكتابه فيه بل جملته هم الأكبر الى أن وافته منيته ولسانه رطب بذكر تهذيب النساء وتثقيبهن وتعني مشاركة الفتيات المصريات للفتيان في محافل العلم والأدب. قال ذلك في خطبة فرنسية ألقاها في نادي المدارس العليا قبل وفاته بساعة أو ساعتين

كان قاسم بك أمين يعد في استقلاله وفي الحرص على ترقية بلاده من طبقة يعد رجالها على الأنازل وهم أصدقاء بعضهم لبعض ، مات إمامهم وكبيرهم ففكر

أكرم على أثره : مات الأستاذ الإمام ففلاه صديقه على بك فخري أهدار كان
التهضة الوطنية العالمين في رقية القضاء والمحاكم الأهلية فحسن باشا عاصم المصلح في
القضاء وفي المية ، وقطب إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية ، فحسن باشا عبد الرازق
الذي كان في مجلس الشورى هو الثنيان ، بعد البدء الذي هو الأستاذ الإمام ،
وهذا قاسم بك أمين خامسهم فلا غرو اذا تقام بالزينة به الخطب ، وعظم على
البلاد به الكرب ، فانه كاد يتحقق به قول الأستاذ الإمام ، ان الأمة مصابة
بالمم وقحط الرجال ، فللأمة ان تمثل اليوم بقول ابن النيه :
والموت قواد على كفه جواهر يختار منها الجياد

فقد كنا نقول ان هذا البيت من الشعر يات ، وصرنا نقول اليوم انه من المشاهدات ،
ولا ننسى ان مصر فقدت أيضاً في هذه المدة القليلة الشيخ أحمد أباً خطوة نابغة
الأزهر وابراهيم بك اللقاني الذي كاد يكون في آخر عمره منسياً لحيولة المرض بينه
وبين العمل وهو في مقدمة كتاب مصر وخطبتها ومن أركان التهضة الجمالية الأولى
فيها وكان كلا الرجلين من أصدقاء الأستاذ الإمام أيضاً فيا لله ما كان أشام فقده
على هذه البلاد فقد ذكرني بما تتابع بعده من فقد خيار الرجال قتل عمر بن الخطاب
إذ فتح على المسلمين باب الفتنة في السلطة فقتل بمده عثمان وعلي (رضي الله
عنهم أجمعين)

كامل للأستاذ الامام قوة الفكر والنظر ، مع القدرة والمرانة على القول والعمل ، وكان
حسن عاصم أقوى في العمل ، منه (اي من نفسه) في القول والنظر ، وأما قاسم أمين فكان
نظرياً ، أكثر مما كان عملياً ، فكان يسبح في بحر لحي من الفكر ، ويطير في جو
واسع من الخيال ، فيؤلف بين الحكم العقلية ، وبين التخيلات الشرعية ، فلماذا كان
لكتوبه من التأثير وقوة الجاذبية ، ما جعله في مقدمة كتاب العربية ، على قلة اشتغاله
بنيونها ، ونخصيله لها ، وما ذاك إلا ان كلامه يشبهه في كون روحه أكبر من جسمه ،
ومعناه يفيض الجمال على صورته ، حتى كاد يكون فكراً مجرداً ، أو خيلاً متوهماً ،
كان قاسم من الهائمين في رياض الجمال المعنوي فكان ذلك يرفعه أحياناً عن
عالم المادة وما فيه النصب واللغوب والمصائب في المال والولد والصديق فيهنون عليه

ما أصابه من ذلك ويفيض عليه الجلد والصبر ، ويخيل لي ان لو طال عمره ، وقل عمله ، واستراخ به ، لانتهى أمره بفلسفة عالية تظهر على لسانه ، وتفيض من قلبه ، فتروي أرض مصر بالحكم الجليلة ، في غلائل من الثمرات الجميلة ، وناهيك بما في اجتماع الحكمة والشعر ، من تربية الشعور والفكر ،

على ان مافي هذه الطريقة من الخطأ في الحكم قد يسرا تنازعه ممن تمكن فيه فإن الفكر يتحد فيه مع الوجدان ، اتحاداً يقل أن يفيد معه البرهان ، لذلك كان لقاسم آراء في فلسفة الأديان ، ومستقبل الانسان ، تمد عند المنطقي من الخياليات ، وهو يراها من الحدسيات أو الوجدانيات ،

كان قعيد مصر اليوم من أعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية الأولى ولكن خدمته لها كانت بالرأي لا بالعمل ، أما العمل الذي كان يتوق اليه ، ويتمنى لو يتيسر له ، فهو ان يؤسس ولو بماله — ان وجد المال — مدرسة لتربية البنات المصريات على ما يجب ويرى انه يرقى هذه البلاد ،

كان قاسم كذا مخفياً لا يعرفه الا اصدقاؤه وكان اول شيء عرف به في عالم الادب رده على الدوق دركور فيما كتبه من الانتقاد على البيوت بمصر لا سيما مسألة الحجاب وسوء حال النساء المسلمات . كتب الدوق في ذلك كتاباً باللغة الفرنسية فرد عليه قاسم باللغة الفرنسية وقد ذكر لنا غير واحد ان عبارته في رده كانت كعبارة كتاب فرنسا اللطاف . وكان قلبه في ذلك الرد يتدفق غيرة وحاسة وقد بين فيه ماله حجاب من الفائدة وشنع على مافي اوروبا من التبذل والتهتك ونجاسة الاعراض واخبرني قاسم انه كان يوم اطلع على ما كتبه الدوق دركور غافلاً عن حال النساء بمصر قاله ذلك التقدير والتشجيع فاندفع الى الرد بوجدان الغيرة وهدأ ن شفى غيظه وارضى غيرته بذلك عادالى نفسه وفكر في الامر قرأى ان كثيراً من العيوب التي عاب الدوق بها البيوت المصرية صحيح في نفسه فبعثه ذلك الى درس هذه المسألة قائلًا في نفسه انه لا ينبغي ان اذا كان العيب فينا ان نرد على من يعينا ونبحث عن عيوب قومه وانما يجب علينا ان نبحث عن عيوبنا فنعرفه ونسعى في ازالته . وطفق يبحث ويسأل ويفكر في حال البيوت بمصر ويقرأ ما كتب الافرنج في شأن النساء

واتمى به البحث والتنقيب الى تصنيف (كتاب تحرير المرأة) الذي هز مصر هزة شديدة وشغل جرائدها في تهريطه وقده زمتا طويلا وبث همة غير واحد من حملة العمام والطرايش جميعا الى التصنيف في الرد عليه وبذلك طار صوت قاسم بك أمين في الآفاق وعرف اسمه في الشرق والغرب وعند من المصلحين الاجتماعيين ثم ألف كتابه (المرأة الجديدة) لتعزيز رأيه وتقنين آراء خصومه فكان دون كتاب تحرير المرأة مادة وفائدة ونحريراً وتأثيراً على انه فوه صراحة في المقصد وحرية في القول المخالف لرأي الجمهور وميله

وقد تولى في السنتين الأخيرتين من عمره الاشتغال بتأسيس «الجامعة المصرية» فلم يدخر وسماً ولم يأل جهداً ، وكان مناط الأمل ، في إنجاح هذا العمل ، وأي مصاب ترواً به البلاد أشد من فقد رجالها عند ما يتم استعدادهم ، ويكمل رشادهم ، وتعرف الناس قيمتهم ، ويشرعون في الاعمال الكيرة ، التي يرجى نهوضهم بها ، وينتظر نجاحهم فيها ؟ ؛ فهذا ما ضاعف الحزن على قيدهم اليوم حزن العقلاء على قاسم لذاته وما تحلت به ذاته من المزايا العالية ، وضاعف حزنهم عليه أن كان مصاب البلاد به قريب العهد بمصاها بأصدقائه من رجال الاستقلال ، وما يرقى الامة من الأعمال ، وضاعفه مرة أخرى أن كان في الوقت الذي بدأ فيه بعمل عظيم ، وأنشأت النابتة تعرف من فضله ما يعرف الكهول والشيوخ من أهل المعرفة والفضل

يموت الرجل فيكيه الأهل ويندبه النساء ولكن قاسماً أبكى عطاء الرجال ، وأقدرهم على التجلد والاحتمال ، وندبه مثل سعد باشا زغلول وقتحي باشا زغلول وإنما ارادا ان يؤثناه فكان تأييدهما ندبا وتعدادا ، وبكاء ونشيجا ، أبكى معهما جميع من بلغ القبر من المشيعين ، وذلك ما لم يهد لسواه من الميتين

وجملة القول فيه انه يصدق عليه ما قاله هو في تأيين الأستاذ الأمام من أنه لا يوجد في الامة من يملأ الفراغ الذي كان يشغله ، فرحه الله تعالى رحمة واسعة وأحسن عزاء أهله وأصدقائه ووطنه فيه ،

مصافحة اسوريين للمصريين

يوجد في مصر الأوربي من انكليزي وفرنسي الح والامريكي والهندي
والفارسي والارمني والمغربي من تونسي وجزائري ومراكشي والعثماني من تركي
وكردية وعربي ومن العرب الحضرمي واليميني والحجازي والعراقي والسوري . ولم
نر صفاً ممن ذكرنا ومن لم نذكر من الأصناف أقرب إلى المصري من السوري
فهو جاز له في بلاده ويوافق له في لغته وأكثر عاداته مع كونه عثمانياً مثله ولكننا
على هذا كله لم نر المصري في مناظرة أو منافسة مع صنف من أصناف البشر الذين
تضمهم بلاد مصر إلا مع السوري فما هو سبب ذلك ؟

يرى من دقق النظر أن السبب في هذا هو ذلك القرب نفسه فإن السوري
لما كان صنواً للمصري امتزج به امتزاج الماء بالراح وشاركه في عامة شؤونه من مأ
كله ومشربه وهنوه وجدده وهزله فما من سوري في هذا القطر إلا وله من الأصدقاء
المصريين مثل ماله من السوريين أو أكثر ومن طبيعة المنافسة أن تكون بين الخلطاء
مما لا تكون بين البعداء فالأفراد ينافسون اخوتهم وأقاربهم وجيرانهم ، وأهل البلد
ينافسون أقرب البلاد اليهم وكذلك أهل المديرية فأهل الأقطار فأهل الممالك
قد كانت المنافسة الأولى بين المصريين والسوريين في أعمال الحكومة ثم
ضعفت أو تلاشت وخلقها المنافسة في الصحافة أو السياسة . وكانت بين المقطم
والمؤيد ثم بين المقطم واللواء . وحقبة هذه المنافسة أنها منافسة أفراد لا أصناف إذ
رأي المقطم في السياسة ليس هو رأي السوريين وإنما هو رأي أصحابه وأول من
قارعهم فيه صاحب جريدة الاهرام من السوريين . ولكن اللواء كان يرد عليهم
من حيث أنهم سوريون ودخلاء فكان ذلك من قبيل تعليق الحكم بالمشق وهو
كما قال علماء الاصول يؤذن بعلة مأمنة الاشتقاق . أعني ان رد اللواء على
أصحاب المقطم من حيث هم منسوبون إلى سوريا ودخلاء في مصر يفيد أن علة

ما يرميهم به من خيانة مصر هو كونهم سوريين . فلو كان الأمر كما يدعي
— وهو ليس كذلك — لكان كل سوري خائناً لمصر ولو كان مجموع السوريين
كذلك . وهذا باطل لأنه مبني على أصل باطل ولكنه سرى في أوهام كثير
من الناس لا سيما الأغرار . وهذا ما عناه حافظ بقوله

لولا اناس تفالوا في سياستهم منا ومنهم لما لنا ولا عتبوا

ونحمد الله ان كلا من المقطم واللواء اللذين يعنيهما حافظ قد رجح — مع اصراره على أنه
كان حسن النية — عن الخطة التي كانت تدغلوا وكادت تجعل المنافسة بين جريدتين
سبباً للتعادي بين شميين كل منهما صنواً للآخر وشريكاً له في كل مقومات الحياة حتى
أوشك ان يصدق في ذلك ما قيل من ان سوء التفاهم كثيراً ما يكون اضر من سوء التصيد
لقد حسن في هذه الفرصة ما قام به سليم افندي سر كيس من تأليف جمعية من
خيار السوريين علماء وأدباء وجمع طائفة من القواد منهم ومن غيرهم من السوريين
بالاكتساب لاجل دعوة جماعة من خيار المصريين علماء وأدباء الى الاحتفال باسم
السوريين لا كرام حافظ افندي ابراهيم الشاعر المصري الشهير

ولما كان الغرض من هذه الخطة موادة السوريين للمصريين كانت الخطب
واقصائد التي اشرفنا اليها في الجزء الماضي ممثلة لذلك احسن تمثيل وقد وقع ذلك موقعه
الذي يستحقه فأننت الصحافة المصرية كلها كالصحف السورية على سليم افندي
سر كيس وأيدت الغرض من الاحتفال بالكلم الطيب في التأليف بين المصريين
الذين هما بمنزلة الأخوين

(تصحیح غلط) في السطر ١٦ من ص ١٢٤ « وعن » محله قبل كلمة « غمضة »
بينها وبين الواو قصير « وعن غمضة » قضاة الخ وفي السطر الخامس من ص
١٢٥ من الجزء الماضي « عدوه غريباً » وقد سقط من قبلها هذه الجملة « عدوه فصيحاً
وما كان قليل النوران على أستمهم » . وفي هذا الجزء أعلناط مطبعة أخرى مدركة
ككلمة « محمد » في ص ١٧ من ٩٣ وصوابه « محمد عبده » ومنها كلمة « اذا »
في ص ٣ من ١٠١ وصوابها « إذ »

الفصل الرابع (*)

(مقام النساء في قوم خديجة)

تلك كانت أحوال قوم خديجة في نظام اجتماعهم ذلك ولم يكن مقام المرأة فيهم مقاما مينا بل كان لها لديهم مقام كريم وجل ما عرف عنهم من انحطاط مقام المرأة أنهم كانوا يكرهون البنات وأنهم كانوا يدفونهن أي يدفنونهن في التراب ومن على الحياة (٥٨:١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٩ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ، أَيُسِيكُهُ عَلَىٰ هُوٍ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ الْآسَاءِ مَا يَحْكُمُوهُ) هذا ما عرف عنهم ومن أخذ هذا الأمر على ظاهره واطلاقه يستخف بهؤلاء القوم لأن انحطاط قيمة المرأة ومقامها عندهم دليل على انحطاطهم ولكن أخذ الأمر على ظاهره واطلاقه ليس من شأن الذين يجوزون معرفة الحقائق

ان كل بلد فيها الفقراء وذوو اليسار ، وفيها الحق وأولو الألباب ، وفيها النساء وأهل الرحمة. فليس من العقل ولا العدل ان يجعل عمل بعض الحقى او القساء او الفقراء في بلد مثلا ومراة لأعمال مجموع أهل البلد كان في مكة فقراء وحقى وقساء كما هو الحال في سائر البلاد وكان

أأس قليلون من هذه الاصناف يأتون هذا العمل الفظيع لعني الواد
(دفن البنات في الحياة في سن الطفولية) فلا ينبغي أن يقال بدون
تقييد إن القوم الذين نشأت منهم سيدتنا هذه كانوا يمدون البنات . إن
قوما نبذت فيهم مثل هذه السيدة لا يعقل أن يكونوا قتلوا بنات كلا
انهم لم يكونوا يقتلون الاجساد ، ولم يكونوا يقتلون منهن العقول
والارادات ، واما الذي نقل عنهم فهو محل تهربكادون لا يذكر
من فقرائهم او حقايم او قسائم

ولم يكن الذين يمدون بناتهم يأتون هذا العمل الفظيع تعيظاً من
هذه النساء البريئة او احتقاراً لجنس المرأة كما يلوح لاول وهلة بل
كان يسوقهم الى ذلك فساد في الخيال وضعف عظيم في الطبيعة . وان
الخيال الفاسد ليزين المنكر حتى يظنه صاحبه من المعروف كما يشاهد
كل واحد منا كثيراً

كان منهم فقراء يزين لهم خيالهم الفاسد ان قائلهم اذا ظلت في
ميدان الحياة ربما نالها ضيم من فقرهم وربما عجزوا عن ان يكر منهن بثقة
تساوين بأزواجهن ، من ذوي قرباهن او جوارهن ، فيرون موارثهن في
التراب ، خيراً لمن من بقائهن دون الارباب ،

لا نكران للحق ان هذا خيال باطل ولا سيما عند المؤمنين ولكن
هذا الخيال الباطل لم يوح الى صاحبه ان الفتاة شجرة خبيثة يجب اجتنابها
قبل النمو ويستحسن حرمان الوجود من ثمراتها وانما زين له سوء عمله
هنا من طريق اخرى هي كرامة فثاته

يُجِبُّ ذَلِكَ الْمَسْكِينُ أَنْ فَاتَهُ أَنْ عَاشَتْ تَمِيشُ مِثْلَهُ فِي غَضَبِ تَذِيبِ
 الْفَوَادِئِ لَوْ قَدَّ مِنَ الْجِلْمُودِ، وَكَرَبِ تَسْوَدِ الْوُجُوهِ الْبَيْضِ وَتَبْيُضِ الشُّعُورِ
 السُّودِ، فَيُزِينُ لَهُ خِيَالَهُ أَنْ يَحْمِي كَرِيمَتَهُ فَلَذَّةُ كِبْدِهِ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الَّتِي
 بَلَاهَا قَلِيلًا وَأَنْ يَبْقَى بِالْمِ سَاعَةً عِنْدَ تَوْدِيمِهَا وَتَسْلِيمِهَا إِلَى الْإِبْدَاءِ
 صَنِينَ يَرَاهَا فِيهَا كَثِيرَةٌ النَّصِيبِ قَلِيلَةٌ النَّصِيبِ كَمَا يَبْقَى أَحَدُهُمْ بِالْمِ السُّكِيِّ
 الْآلَمِ سَقَمَ مَزْمِنَ

وَكَانَ مِنْهُمْ حَتَّى تَوْسُوسَ لَمْ شَيْطَانِ الْخَوَاطِرِ بِأَنْ التَّقَاتُ رُبَّمَا
 وَقَعَتْ فِي يَدَمِنَ لَا يَرَعَى لَهُ وَلَهَا حَرَمَةٌ. وَلَوْ قَضَى عَلَى كُلِّ الْبَشَرِ بِمِثْلِ هَذِهِ
 الْوَسَاوِسِ لَا ذَنْتِ الدُّنْيَا بِالْإِقْتِضَاءِ وَلَكِنْ الْمَوْجِدُ لَمْ يَشَأْ إِلَّا أَنْ تَكُونَ
 الدُّنْيَا عَلَى هَذَا النَّمْطِ مِنَ الْإِسْتِمْرَارِ فَلَذَلِكَ لَمْ يَوْجِدْ لِهَذِهِ الْوَسَاوِسِ سُلْطَانًا
 عَلَى قُلُوبِ الْبَشَرِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ بَلْفَنَاشِيهِ عَنْهُمْ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ

سَاءَ مَا يَزِينُ لِهَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءِ وَالْحَقِيقِيِّ الَّذِينَ كَبُرَ نَصِيبُهُمْ مِنَ التَّسْوِيعِ
 نَصِيبُهُمْ مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَقِيقِيِّ فَلَوْ عِلِمَ الْمَعْدِمُ أَنَّ الْبَسَارِ لَيْسَ بِمُخْتَكِرِ آفِي يَبُوتِ مَعِينَةٍ
 وَأَشْخَاصٍ مُخْتَصَةٍ وَأَنَّمَا يَتَّحُ لِلْعَامِلِينَ الْمُحْسِنِينَ مَعَ الظُّرُوفِ الْمُنَاسِبَةِ، وَأَنْ
 قِيمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يَحْسُنُهُ، وَأَنْ لَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَمْتَلِ بِالْمَعْرُوفِ عِنْدَ
 قَوْمِهِ وَيَصْبِرَ قَلِيلًا حَتَّى يَتَّحُ لَهُ مَا يَقُومُ بِهِ شَأْنُهُ، لِمَا سَهَّلَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْصِفَ
 يَدِيهِ غَضَبًا مِنْهُ أَنْبَتَهُ اللَّهُ وَلَا لَذَّةً أَكْبَرَ مِنْ تَرْبِيَتِهِ وَتَمِيشِهِ

وَلَوْ عِلِمَ الْآخِيقُ أَنَّ الْفِرَارَ مِنْ تَوْجُمِ الْعُدُوِّ نَهَايَةُ الْجُبْنِ وَغَايَةُ الْخَذْلَانِ
 وَيُشِيرُ أَقْصَى دَرَجَاتِ الْخُسْرَانِ لِأَيِّ أَنَّهُ جَدِيرٌ بِالْبُكَاءِ عَلَى حِظِّهِ مِنْ
 ضَيْفِ النَّفْسِ

وَهِيَاتُ أَنْ يَكُونَ قَوْمٌ «خَدِيجَةٌ» عَلَى هَذَا النَّمْطِ مِنْ ضَيْفِ النَّفْسِ

وم المعروفون بالشجاعة والاقدام . وأي قوم تطيب لهم الحياة اذا كانوا لا يرون سلامة حرمهم الا بافانئها؟ وانى يجد الشخص الطمأنينة اذا كان دأبه الهرب، من غير ما طلب؟

أما انهم كانوا يكرهون البئات اذا بشر أحدهم بها فلا يستطيع أحد انكاره لأن القرآن المجيد هو الذي سجل هذه الحقيقة التاريخية وقد سرى هذا الى نفوسهم من شدة احتياجهم الى البنين الذين سيكونون المدافعين في ذلك المجتمع القائم بنفسه قيام المجتمعات الكبيرة . وليس معناه ان البت تظل طول دهرها مكرهة وان النساء لا قيمة لهن ولا قدر عند أولئك القوم . ما ذنب القوم اذا كان نفر من فقرائهم وحقاقم قد ضمنت نفوسهم فاستسلموا الى الاستراحة مما يلذ للكرام الثعب فيه؟ وما إجرامهم الى الانسانية من بعد ان يقوم أمجادهم باقتداء كثير من الفتيات اللاتي تصدى أبوهن لوأدهن من الفقر؟

ان العرب كافة وقريشا خاصة كانوا يعزّون المرأة ولا يهينونها وقد أعطوا النساء كل ما هن من الحقوق في نظر العدل ولم ينسوا ان المرأة كالرجل هي انسان يحمل دماغا فيه إدراك وأن لهذا الانسان المؤنث نفسا كنفس ذلك الانسان الذكر تفضب وترضى وتتم وتشتق فأعطوا دماغها ونفسها حقيهما

وقد رووا لنا ان هند بنت عتبة وهي من قوم سيدتنا «خديجة» جاءها أبوها يشاورها في رجلين من قومها رغبا الزواج بها فقالت صفتها لي فقال « اما أحدهما ففي روة وسعة من العيش ان تابتيه تابلك، وان ملت عنه حظّ اليك، تحكين عليه في أهله وماله، واما الآخر فوسع عليه،

منظور اليه، في الحسب الحبيب ، والرأي الارب ، مدبره أرومته ، وهن عديرته ، شديد الذيرة ، لا ينام على ضفة ، ولا يرفع عصاه عن أهله ، (*)
 فقالت يا أبت الاول سيد مضياح للحررة فاعنت ان تلين بعد إبانها ،
 وتضع تحت جناحه اذا تابها بلها فأنبرت ، وخافها أهلها فأمنت ، فساه
 عند ذلك حالها ، وقبح عند ذلك دلالها ، فان جاءت بولد أحقت ، وان
 أنجبت فن خطأ ما أنجبت ، فاطو ذكر هذا عني ولا تسمه علي بعد .
 وأما الآخر فعمل الفتاة الخريدة ، الحرة العفيفة ، وأي لا اخلاق مثل هذا
 لمواقفة ، فزوجنيه ، فزوجها الثاني وكان هو أبا سفيان بن حرب فولدت
 منه معاوية مؤسس دولة بني امية الشهيرة وأحد نجباء العرب ودواهمهم
 فهكذا كان مقام المرأة في قوم سيدتنا « خديجة » لا يفتات أهلها

عليها في حقها وهكذا كان رأي ذوات الحجب والزكاة منهن

ولقد كان كثير من نساء العرب يشاركن في السياسة والامور
 العمومية . وناهيك أن الحرب التي ظلت مستمرة نحواً من اربعين سنة
 بين بني ذبيان وبني عبس لم يتفكر في اطفاء نارها الا امرأة ولم تمكن
 من اطفائها الا بلها من المكاة وحسن الرأي وذلك ان يهمة بنت أوس
 ابن حارثة بن لام الطائي لما زوجها ابوها من الحارث بن عوف المرّي
 وأراد ان يدخل عليها قات اتفرغ للنساء والعرب يقتل بعضها بعضا تني بني
 عبس وبني ذبيان فقال لها ماذا تقولين قالت « اخرج الى هؤلاء القوم
 فأصلح بينهم ثم ارجع الي » فخرج وعرض الامر لخارجة بن سنان فاستحسن
 ذلك وقاما كلاهما بهذا الامر فشيأ بالصلح ودفا الديات من أموالهم

وحبك من اشهر من العربيات في السياسة منهن اللاتي كن من شيعة
الامام علي ايام مناصبة معاوية له كسودة بنت عمارة بن الاشر الهمدانية،
وبكارة الهلالية ، والزرقاء بنت عدي بن قيس الهمدانية ، وام سنان
بنت جشم بن خرشة المذحجية، وعكرشة بنت الاطرش بن رباحة، ودارمية
الحجونية ، وام الخير بنت الحريش بنت سراقه البارقى . وأروى بنت
الحارث بن عبد المطلب الهاشمية .

وفدت سودة علي معاوية بدموت علي فاستأذنت عليه فأذن لها فلما
دخلت عليه سلمت سودة فقال لها كيف انت يا ابنة الاشر؟ قالت بخير
يا امير المؤمنين . قال لها انت القاتلة لاخيك :

شر كفعل أبيك يا ابن عمارة يوم الطمان وملتي الاقران
وانصر علياً والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام أنا النبي محمد (*) علم الهدى ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه قدما بابيض صارم وسنان

قالت يا امير المؤمنين « مات الرأس، وبتر الذنب، فدمع عنك تذكار
ما قد نسي » فقال « هيبات ليس مثل مقام أخيك ينسى » قالت « صدقت
والله يا امير المؤمنين ما كان أخي خني المقام ، ذليل المكان ، ولكن
كما قالت النساء :

وان صخرآ لتاتم الهداة به كانه علم في رأسه نار
وبالله اسألك يا امير المؤمنين اتفائي مما استغفنيه » قال : قد فعلت
فقولي حاجتك : فقالت يا امير المؤمنين « انك للناس سيّد ، ولأمرهم

مقلد، والله سائلك عما اقترض منك من حقنا، ولا تزال تقدم علينا من
 زهف بزك، ويسط بساطانك، فيحصنا حصاد السبل، ويدوسنا
 ديس البقر، ويسومنا انسيمة، ويسأنا الجليفة، هذا ابن اوطاة قدم
 بلادي، وقتل رجالي، وأخذ مالي، ولولا الطاعة لكان فينا عزومعة،
 فاما عزك فشكرناك، واما لا فرناك، فقال معاوية « اياي تهددين
 بقومك والله لقد همت ان اردك اليه على ثوب اشرس فينقحكه فيك،
 فسكت ثم قالت :

صلى الاله على روح تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
 قد حالف الحق لا يعني به ثنا فصار بالحق والايمان مقرونا

قال : ومن ذلك : قالت : علي بن ابي طالب رحمه الله تعالى : قال
 ما أرى عليك منه أرا قالت : بلى أئنه يوما في رجل ولا صدقاتنا فكان
 بيننا وبينه ما بين الثم والسهين فوجدته قائما فاقتل من الصلاة ثم قال
 برأفة وتعطف ألك حاجة فأخبرته خبر الرجل فبكي ثم رفع يديه الى السماء
 فقال « اللهم اني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا ترك حقك، ثم أخرج
 من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه « بسم الله الرحمن الرحيم
 قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ، فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا
 النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ، بَقِيَهُ اللهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
 كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ » اذا أتاك كتابي هذا فاحفظ
 بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام، قال معاوية اكتبوا لها
 بالانصاف لها والعدل عليها فقالت « ألي خاصة ام لقومي عامة » فقال « ما

انت وغيرك» قالت «هي والله الفحشاء واللؤم ان كان عدلاً شاملاً
والأيسفي ما يسم قومي» قال اكتبوا لها بحاجتها
ووفدت بكاره الهلالية ايضاً علي معاوية بمدموت علي فدخلت عليه
وكان محضره عمر وبن العاصي وسروان وسعيد بن العاصي فجلوا يذكرونه
بأقوالها التي قالتها في مشايخه علي ومعاوية معاوية فقالت «أنا والله قاتلة
ما قالوا وما خفي عنك مني أكثر» فضحك وقال ليس بمننا ذلك من برك
وكتب معاوية الي عامله بالكوفة ان يوفد اليه الزرقاء ابنة عدي بن
قيس الهمدانية مع ثقة من ذوي محارمها وعدة من فرسان قومها وان
يوسع لها في النفقة نهباً وفدت علي معاوية قال «مرحبا قدمت خير مقدم
قدمه وافد كيف حالك؟ فقالت بخير يا أمير المؤمنين ثم قال لها «أأنت
الراكبة الجبل الأحمر والواقفة بين الصنين تحضين علي القتال وتوقدين
الحرب فما حملك علي ذلك؟ قالت يا أمير المؤمنين «مات الرأس وبثر الذنب،
ولا يهود ما ذهب، والدمر ذو غير، ومن تفكر أبصر، والامر يحدث
بمده الامر» قال لها تحفظين كلامك يومئذ؟ قالت «لا والله لا احفظه» قال
لكني احفظه ونلا عليها خطبة من خطبها التي هي في منتهى البلاغة ثم قال لها
والله يا زرقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكه» قالت «احسن الله شارتك
وأدام سلامتك، فثلك يبشر بخير ويدرج لبيسه» قال «أو يسرك ذلك؟»
قالت «نعم والله» فقال «والله لو فأؤكم له بعد موته، أعجب من جبكم له في
حياته، اذكري حاجتك» فقالت يا أمير المؤمنين آيت علي تسي ان لا
أحال أميراً أعتت عليه أبداً. ومثلك من أعطى من خير مسألة. وجاد عن
غير طلبه» قال صدقت وامر لها وللذين جاؤا معها بجوائز.

ووفدت عليه ايضاً ام سنان بنت جشمه، وعكرشة بنت الاطرش،
ولما حج سأل عن دارمية الحجرية فجيء بها اليه فقال لها « بعث اليك
لاسالك علام أحببت عليا وابنفتني، وواليتي وعاديتني؟ » فاستمته فلم
يفعل فقالت له « أحببت عليا على عدله في الرعية، وقسمه بالسوية،
وابنفتك على قتال من هو أولى منك بالامر، وطلبتك ما ليس لك بالحق،
وواليت عليا على حبه المساكين، وإعظامه لاهل الدين، وعاديتك على سفكك
الدماء، وجورك في القضاء، وحكمك بالهوى » ثم قال لها: يا هذه هل رأيت علياً؟
قالت « أي والله » قال فكيف رأيت؟ قالت « رأيت والله لم يفتنه الملك الذي فتنتك
ولم تشغله النعمة التي شغلتك » قال فهل سمعت كلامه قالت « نعم والله فكان
يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صبدأ الطست » قال صدقت فهل لك
من حاجة قالت « نعم تمطيني مئة أقة حمراء » قال ماذا تصنعين بها قالت
« أعذو بالباب الصغار، وأستحيي بها الكبار، واكتسب بها المكارم، وأصالح
بها بين المشائر » قال « فإن أعطيتك ذلك فهل أحلّ عندك محل علي بن ابي
طالب؟ قالت « سبحان الله أو دونه » فقال « اما والله لو كان علي -يا ما
أعطاك منها شيئاً » قالت « لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين »
وكذلك وفدت عليه أم الخير بنت حريش من الكوفة ووفدت

عليه أروى بنت الحارث وجرى لهما منه حديث من مثل ما تقدم
فهكذا كان مقام المرأة العربية من أخوات سيدتنا القرشية، وهكذا
كان حظهن من النصيحة والحصافة، ومبلغهن من المشاركة في الأمور
العمومية والاختصاص بالاسباب، والمشايبة لبعض الاحزاب، وما أتينا الا
باليسير نوطاً لمعرفة مقام السيدة خديجة في قومها

فيهم مبادئ التي يستعملون القول فينبوروا حسنة
أولئك التي منها هم ائمة واولئك هم اولو الابواب

المعجزة
١٣١٥

فيها الحكمة من فيها من في منها الحكمة قد ارتقى
بها كبريا وكبريا لا الا

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى ر « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر السبت ٢٩ ربيع الآخر ١٣٢٦ — ٣٠ مايو (أيار) سنة ١٩٠٨ ﴾

بَشَائِرُ الْمُبَشِّرِينَ

قد هنا هذا الباب لا جاباً مسألة المتزكّين خاصة ، إذ لا يسع الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ونقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالترجم قالباورما قدمنا متاخرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وورما أجبنا غير مشترك لئلا هذا . ولأن يفتي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا طرر صريح لا نقاله

حجرت ترجمة القرآن

(س) من الشيخ حسن شاه افندي احمد (بروسيا)

حضرة الأستاذ السيد محمد رشيد رضا

ترجوا ان تعيروا جانب الالتفات لهذه المسألة المهمة :

ذكر الفاضل أحمد مدحت افندي من علماء الترك العثمانيين في كتابه « بشائر

صدق نبوت » ما ترجمته :

ان ترجمة القرآن مسألة مهمة عند المسلمين وجميع الباحثات التي دارت بشأن ترجمة هذا الكتاب المجيد لم ترس على نتيجة وذلك لوجوه (الاول) ان ترجمته بالتمام غير ممكنة لإعجازه من جهة البلاغة (والوجه الثاني) ان فيه كثيراً من الكلمات لا يوجد لها مقابل في اللغة التي يترجم اليها فيضطر المترجم الى الاتيان بما يدل عليها مع شيء من التغيير ثم اذا نقلت هذه الترجمة الى لغة أخرى يحدث فيها شيء من التغيير أيضاً وهلم جراً فيخشى من هذا ان يفتح طريق لتحريف القرآن وتغييره (الوجه الثالث) أن كلمات الكتب السماوية يستخرج منها بعض إشارات وأحكام بطريق الحساب فإبدالها بالترجمة يسد هذا الطريق . مثال ذلك أن سمدي جلبي كتب في حاشيته على البيضاوي عند تفسير سورة الفاتحة انه اذا اخرجت الحروف المكررة من سورة الفاتحة التي هي اول القرآن وسورة الناس التي هي آخر سورة تكون الحروف الباقية ثلاثة وعشرين . قال في ذلك إشارة الى مدة سني النبوة

المحمدية » فاذا ترجم القرآن لا يبقى في الترجمة مثل هذه الفوائد التي هي من جملة معجزاته انتهى « من بشر صدق نبوت »

أما أدباؤنا معشر الترك الروسيين فانهم مصرون على ترجمته ويقولون لا معنى للقول بأنه لا يجوز ترجمة القرآن الا ايجاب بقائه غير مفهوم فلذا يذهبون الى وجوب ترجمته وهو الآن يترجم في مدينة قزاق وتطبع ترجمته تدريجا وكذلك تثبت ترجمته الى اللسان التركي زين العابدين حاجي الباكوي أحد فدائية القفقاز فرجو من حضرة الاستاذ التدبر في هذه المسألة حرره الامام الحقيرا حسن شاه أحد الكاتب الديني السماري

(ج) ان من قصير المسلمين في نشر دينهم ان لا يبينوا معاني القرآن لاهل كل لغة بلقتهم ولو بترجمة بعضه لهم لاجل دعوة من ليس من اهله اليه وارشاد من يدخل فيه عند الحاجة بقدر الحاجة . وان من زلزال المسلمين في دينهم أن يتفرقوا الى امم تكون رابطة كل امة منها جنسية نسبية او لغوية او قانونية ويهجروا القرآن المنزل من الله تعالى على خاتم رسله المعجز بأسلوبه و بلاغته وهدايته المتعبد بتلاوته اكتفاء بأفراد من كل جنس يترجمونه لهم بلقتهم بحسب ما يفهم المترجم هذا الزلزال أثر من آثار جهاد أوروبا السياسي والمدني للمسلمين . زين لنا ان نتفرق وننقسم الى اجناس ظانا كل جنس منا ان في ذلك حياته وما ذلك الا موت للجميع . ولا نطيل في هذه المسألة هنا ولسكننا نذكر شيئا مما يخطر في البال اسدهجر المسلمين القرآن المنزل « بلسان عربي مبين » استغناء عنه بترجمة أعجمية يفهم عنها تفسيره بلقتهم مع المحافظة على نصه المتواتر المحفوظ من التحريف والتبديل مع مراعاة الاختصار فنقول

(١) إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الاصل متعذرة كما يعلم من المسائل الآتية والترجمة المنوية عبارة عن فهم المترجم للقرآن أو فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين وحينئذ لا تكون هذه الترجمة هي القرآن وإنما هي فهم رجل للقرآن يخطئ في فهمه ويصيب ولا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمة بالمعنى الذي تنكره

(٢) إن القرآن هو أساس الدين الاسلامي بل هو الدين كله اذ السنة ليست

دينا الا من حيث انها مينة له . فالذين يأخذون بترجمته يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم لانفس القرآن المنزل من الله على رسوله محمد (ص) . والاجتهاد بالقياس إنما هو فرغ عن النص والترجمة ليست نصاً من الشارع ، والاجماع عند الجمهور لا بد أن يكون له مستند والترجمة ليست مستندا . فعلى هذا لا يسلم لمن يجادلون ترجمة القرآن قرآناً شياً من اصول الإسلام

(٣) ان القرآن منع التقليد في الدين وشنع على المقلدين فأخذ الدين من ترجمة القرآن هو تقليد ترجمته فهو إذاً خروج عن هداية القرآن لا اتباع لها

(٤) ويلزم من هذا حرمان المقتصرين على هذه الترجمة بما وصف الله به المؤمنين في قوله (١٢ : ١٠٨) قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني) وانما لها من الآيات التي تجعل من مرايا المسلم استعمال عقله وفهمه فيما انزل الله (٥) وكما يلزم حرمانهم من هذه الصفات العالية يلزم منع الاجتهاد والاستنباط من عبارة المترجم لأن الاجتهاد فيها مما لا يقول به مسلم

(٦) ان من يعرف لغة القرآن وما يحتاج اليه في فهمه كالسنة النبوية وتاريخ الجليل الاول الذي ظهر فيه الاسلام يكون مأجورا بالعمل بما يفهمه من القرآن وإن أخطأ في فهمه لأنه بذل جهده في الاهتداء بما أنزله الله هداية له . كما يعلم ذلك من معاملة النبي (ص) لاصحابه فيما فهموه من كيفية التيمم اذ عذر المختلفين في فهمها والعمل بها ومثله معاملته لهم فيما فهموه من نهيهِ عن صلاة العصر الا في قريظة ولذلك شواهد أخرى . ولا إخلال مسلماً يجعل لعبارة مترجم القرآن هذه المزية

(٧) ان القرآن ينبوع للهداية والمعارف الإلهية لا يحتاج جدته ، ولا قنناً تتجدد هدايته ، وتفيض للقارئ على حسب استعداده حكمته ، فربما ظهر للمتأخر من حكمه وأسراره ما لم يظهر لمن قبله تصديقاً لعموم حديث « قرب مبلغ أوعى من سامع » وترجمته تبطل هذه المزية اذ تقيد القارئ بالمعنى الذي صوره المترجم بحسب فهمه . مثال ذلك ان المترجم قد يجعل قوله تعالى (١٥ : ٢٢) وأرسلنا الرياح لواقح) من الجواز بالاستعارة أي ان اتصال الريح بالسحاب وحدوث المطر عقب ذلك يشبه تلقح الذكر للأنثى وحدوث الولد بعد ذلك كما فهم بعض المفسرين ، فإذا هو

جرى على ذلك بان فرضا أنه لا يوجد في اللغة التي يترجم بها لفظ يقوم مقام « لواقع » العربي في احتمال حقيقته ومجازه اذا اطلق فان القارئ يتقيدون بهذا الفهم ويمتنع عليهم ان يفهموا من العبارة ما هي حقيقة فيه وهو كون الرياح لواقع بالفعل اذ هي تحمل مادة اللقاح من ذكور الشجر الى اناته . فان لم ينطبق هذا المثال على القاعدة لتيسر ترجمة الآية حرفية فان هناك أمثلة أخرى وحسب ان يكون هذا موضحاً . والترجمة تفت بنا عند حد من الفهم يعوزنا معه الترقى المطلوب (٨) ذكر الغزالي في كتاب « إلبام العوام عن علم الكلام » ان ترجمة آيات الصفات الإلهية غير جائزة واستدل على ذلك بما هو واضح جداً وقد ذكرنا عبارته في تفسير (٣ : ٦) هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهاً (١) وبين ان الخطأ في ذلك مدرجة الكفر (١)

(٩) ذكر الغزالي في الاستدلال على ما تقدم ان من الالفاظ العربية ما لا يوجد لها فارسية تطابقها — أي ومثل الفارسية التركية وغيرها — فما الذي ينطه المترجم في مثل هذه الالفاظ وهو ان شرحها بحسب فهمه ربما يوقع قارئاً ترجمته في اعتقاد مالم يردده القرآن

(١٠) وذكر في ذلك أيضاً ان من الالفاظ العربية ما لها فارسية تطابقها « لكن ماجرت عادة الفرس باستعابها للمعاني التي جرت عادة العرب باستعابها منها » فاذا اطلق المترجم اللفظ الفارسي يكون هنا مؤدياً المعنى الحقيقي للفظ العربي وربما كان مراد الله هو المعنى المجازي ومثل الفرس غيرهم من الاعاجم . وهذا المقام من مرزلات الاقدام اذا كان الكلام عن الله عز وجل وصفاته وأفعاله

(١١) وذكر أيضاً في هذا المقام ان من هذه الالفاظ ما يكون مشتركاً في العربية ولا يكون في العجمية كذلك . فقد يختار المترجم غير المراد لله من معني المشترك ولا يخفى ما فيه وقد مرّ نظيره آنفاً

(١٢) من المقرر عند العلماء انه اذا ظهر دليل قطعي على امتناع ظاهر آية من آيات القرآن فانه يجب تأويلها حتى تتفق مع ذلك الدليل . والفرق بين تأويل

ألفاظ القرآن وتأويل ألفاظ ترجمته لا يخفى على عاقل لا سيما في الآيات المتشابهات والألفاظ المشتركة

(١٣) ان لنظم القرآن وأسلوبه تأثيراً خاصاً في نفس السامع لا يمكن أن ينقل بالترجمة واذافات يفوت بفوته خير كثير فياطالما كان جاذباً إلى الإسلام حتى قال أحد فلاسفة أوروبا (وهو فرنسي نسيت اسمه) ان محمداً كان يقرأ القرآن بحال مؤثرة تجذب السامع إلى الإيمان به فكان تأثيره اشد من تأثير ما ينقل عن غيره من الانبياء من المعجزات . وحضر الدكتور فارس افندي نمرمة الاحتفال السنوي لمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية بالقاهرة فافتتح الاحتفال بتليذ بقراءة آيات من القرآن فقال لي الدكتور فارس افندي ان لهذه القراءة تأثيراً عميقاً في النفس ثم لما كتب خبر الاحتفال في جريدته (المقطم) كتب ذلك . فاذا كان لتلاوة القرآن هذا التأثير حتى في نفس غير المؤمن به فكيف نحم منها المسلمين بترجمة القرآن لهم

(١٤) اذا ترجم القرآن التركي والفارسي والهندي والصيني الخ فلا بد ان يكون بين هذه التراجم من الخلاف مثل ما بين تراجم كتب العهد العتيق والعهد الجديد عند النصارى وقد رأينا ما استخرجه لهم صاحب إظهار الحق من اختلافات التي كنا نقرأها ومحمد الله تعالى ان حفظ كتابنا من مثلها فكيف نختارها بعد ذلك لأنفسنا

(١٥) ان القرآن هو الآية الكبرى على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بل هو الآية الباقية من آيات النبيين وانما يظهر كونه آية باقية محفوظة من التغيير والتبديل والتحريف والتصحيف بالنص الذي نقلناه عن جاء به من عند الله والترجمة ليست كذلك هذا ما تراءى لنا من الوجوه المانعة من ترجمته للمسلمين ليكون لهم قرآن أعجمي بدل القرآن العربي واذا كان بعض هذه الوجوه مما يمكن ادخاله في البعض وانما ذكر هكذا لزيادة الايضاح فان هناك وجوهاً أخرى يمكن استنباطها لمن تأمل وفكر في وقت صفاء الذهن وصحة البدن بل منها ما تركناه مع تذكره كاستعمال المشترك في معنيه واللفظ في حقيقته ومجازه كما حقيقته بعض أهل الاصول كالشافعية

اما دعوى القائلين بوجوب ترجمته أن عدم جواز الترجمة يستلزم ايجاب فائه غير مفهوم فهي ممنوعة فإنا نقول ان فهمه سهل ولكن ليس لأحد أن يجعل فهمه

(المارج ٤ ١١م) انتشار العربية مع الاسلام ثم عود الاعاجم الى الجنسية ٢٧٣

حجة على غيره فكيف يجعله ديناً لشعب برمه . وإن لاهتداء المسلم الأعجمي بالقرآن درجتين - درجة دنيا خاصة بالعوام الذين لا يتيسر لهم طلب العلم فيحفظون الفاتحة وبعض السور القصيرة لأجل قراءتها في الصلاة ويترجم لهم تفسيرها ، وقرأ امامهم في مجالس الوعظ بعض الآيات ويذكر لهم تفسيرها بلغتهم كما جرى عليه كثير من الاعاجم حتى بلاد الصين - ودرجة عليا للمشتغلين بالعلم وهؤلاء يجب ان يتقنوا لغته ويستقلوا بفهمه مستعينين بكلام المفسرين غير مقلدين لأحد منهم

ان الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام على أيدي الصحابة الكرام قد فهموا ان للاسلام لغة خاصة به لا بد ان تكون عامة بين أهله ليفهموا كتابه الذي يدينون به ويهتدون بهديه ويعبدون الله بتلاوته ولتحقق بينهم الوحدة المشار إليها بقوله فيه (٩٢:٢١) ان هذه امتكم امة واحدة) ويكونوا جديرين بأن يعتصموا به وهو جل الله فلا يفرقوا وتكمل فيهم اخوة الاسلام التي حتمها عليهم بقوله (١٠:٤٩) انما المؤمنون اخوة) ولذلك انتشرت اللغة العربية في البلاد التي فتحها الصحابة بسرعة غريبة مع عدم وجود مدارس ولا كتب ولا اساتذة للتعليم واستمرت الحال على ذلك في زمن الامويين في الشرق والغرب وفي أول مدة العباسيين حتى صارت العربية لغة الملايين من الاوربيين والبربر واقبط والروم والفرس وغيرهم في ممالك تمتد من القاموس المحيط الغربي (الاتلاتيك) الى بلاد الهند فهل كان هذا الاخير اعظيماً تأخت فيه شعوب كثيرة وتعاونت على مدينة كانت زينة للأرض وضياء ونورا لاهلها ؟

ثم هذا المأمون في الشرق هفوة سياسية حركت العصبية الجنسية في الفرس فأنشأوا يراجعون الى لغتهم ويعودون الى جنسيتهم ، وجاء الاتراك ففعلوا بالعصبية الجنسية ما فعلوا ، فسقط مقام الخلافة وتمزق شمل الاسلام بقوة ملوك الطوائف . ولكن لم تصل الفتنة بالناس الى ايجاد قرآن أعجمي للأعاجم وابقاء القرآن العربي المنزل خاصة بالعرب بل بقي الدين والعلم عربيين وراء إمامها الذي هو القرآن فالواجب على دعاة الاصلاح في الاسلام الآن ان يجتهدوا في اعادة

الوحدة الإسلامية الى ما كانت عليه في الصدر الأول خير قرون الإسلام وان يستينوا على ذلك بالطرق الصناعية في التعليم فيجعلوا تعلم العربية إجبارياً في جميع مدارس المسلمين ويحبوا العلم بالإسلام بطريقة استقلالية لا يتقيدون فيها بآراء المؤلفين في القرون الماضية المخالفة لطبيعة هذا العصر في احوالها المدنية والسياسية. ولكننا نرى بعض المفتونين من سياسة أوربا وماونونها على تقطيع بقية ما ترك الزمان من الروابط الإسلامية بتقوية العصبية الجنسية حتى صار بعضهم يحاول إغناء بعض شعوبهم عن القرآن المنزل : : ألا إنها قتلة في الأرض وفساد كبير وقى الله المسلمين شره . فهذا ما أقوله الآن في ترجمة القرآن للمسلمين دون تفسيره لهم بلقتهم مع قائده إمامهم ودون ترجمته لدعوة غيرهم به الى الإسلام مع بيان ان المترجمين المعنى الذي يفهمه هو

سد بأجوج وماجوج

(س ٢) من أمين افندي الشباصي مهندسة عقبره (السودان)

فضيلة الاستاذ المرشد صاحب مجلة المنار الفراء

كنا في منزل يتلى فيه القرآن الكريم فلما جاء ذكر ذي القرنين وأجوج وماجوج والبد قال احد اخواني ان هذه القصة لم يظهر لها أثر تاريخي الآن مع انه صار اكتشاف ما على الارض من قبل ذلك العهد وبعده . قلت له يا اخي لعل هذا الاثر التاريخي يظهر فيما بعد ليكون معجزة للقرآن على عمر الايام كما حصل في قصة فرعون فانه وعد بأن ينحيه ليكون لمن بعده آية وقد تحقق ذلك في هذه الايام . فقال يا اخي ان كلامك هذا هو جواب عليك إذا ان فرعون وخلافه آثار صغيرة جداً مدفونة تحت الارض وظهرت والسد ليس كذلك وهذا وجه استفراي لأن سياق الآية يدلنا على انه بين جبين كبيرين ومن حديد ونحاس ومن دونه امة كبيرة لو فتح لها ذلك السد لدوخت العالم بأسره ؛ فأين هي تلك الأمة وذلك السد ورسم الكرة الارضية أمام نظري ألقب فيه فلا اجد تلك الأمة ولا ذلك السد . قلت يا اخي اني اظن ان هذه الامة هي أمة التار والسد هو سد الصين المشهور وقد خرجت واخرقت آسيا والهند ومصر واوروبا واخذت الملك من المسلمين وأتذكر

لني رأيت حديثاً في بعض الكتب لا اعرف صحته جاء فيه ما سنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً مع أصحابه ففرغ فلما سألوه عن السبب قال ويل لآمتي من السبل المنهل يشير الى قرب خروج يأجوج ومأجوج فلما خرجوا واخذوا الملك من المسلمين في عهد ملك التتر فسر علماء ذلك الوقت هذا الحديث بذلك. وبعد جدال كبير حصل بيننا وعدته بان أفيده عن يد فضيلتكم بالجواب القطعي فرجائي أن تهيدوا الجواب على صفحات المنار الاغرحتي يقتنع المشاغب كما هو المشهور في فضيلتكم من إيضاح الحقائق ولفضيلتكم الشكر اقدم

(ج.) سألنا هذا السؤال غير واحد من مصر وروسيا وغيرها من الاقطار ونقول قبل كل شيء ان دعوى معرفة جميع بقاع الأرض باطلة فان بقعة كل من القطبين لاسيما القطب الجنوبي لا تزال مجهولة. وقد استدلل بعض العلماء على ان السديني في جهة أحد القطبين بذكر بلوغ ذي القرنين الى موضعه بعد بلوغ مغرب الشمس مطلعها وليس ذلك الا جهة الشمال او جهة الجنوب. ولا يمترض على هذا القول بصعوبة الوسائل الموصلة الى أحد القطبين فان حالة مدينة ذلك العصر وحالة الأرض فيها غير معروفة لنا الآن فبني عليها اعتراضاً كهذا فإدرينا ان الاستطراق الى أحد القطبين او كليهما كان في زمن ذي القرنين سهلاً فكم من أرض يابسة فاضت عليها البحار ففقرتها بطول الزمان وكم من أرض انحصر عنها الماء فصارت أرضاً عامرة متصلة بغيرها او منفردة (جزيرة) وكم من مدينة طمست حتى لا يعلم عنها شيء ومن المعلوم الآن من شؤون المدينيات القديمة بالشاهدة او الاستدلال ما يجعل بعض اسبابه كالأ نوار والقوش والالوان وجر الاثقال عند المصريين القدماء فالقرآن يقول في ذي القرنين « فاتبع سبياً حتى اذا بلغ » كذا من مطلع الشمس ومغربها وبين السديني فما هي تلك الاسباب هل هي هوائية او كهربائية؟ الله أعلم بذلك

هذا ما يقال بالايجاز في رد دعوى معرفة جميع اجزاء الأرض التي بني عليها الاعتراض. ثم ان ما بني على هذه الدعوى باطل وان فرضنا انها هي مسئلة وذلك أنه يوجد في الأرض موضعان معروفان يحتمل ان السد كان فيهما أحدهما الموضع الذي يسمى الآن « جريند » بروسيا ومناه السدينية موضع يسمى « دوقوبو » اي باب الحديد

وهو أثر سد قديم بين جبلين يقال انه من صنع بعض ملوك الفرس ويحتمل ان يكون موضع السد . وقد ذكره مطبرون في جغرافيته بما يدل على ذلك (راجع ص ١٦ و ١٥ ج ٣) واخبرني مختار باشا الغازي أنه رأى خريطة جغرافية قديمة لتلك الجهات وفيها رسم ذلك المكان وبيان أن وراءه قيتين اسم إحداها « آقوق » واسم الثانية « ماقوق » . وتعريب هذين اللفظين يأجوج ومأجوج ظاهر جلي .
وأما الموضع الثاني فأننا نترجم ما جاء فيه عن بعض التواريخ الفارسية على غرابته وهو :
« في الشمال الشرقي من مدينة صنعاء التي هي عاصمة اليمن بعشرين مرحلة (متو بضعة فراسخ) مدينة قديمة تسمى الطويلة . وفي شرقي هذه المدينة واد عميق جداً يحيط به من ثلاث جهات جبال شاهجة متصبة ليس فيها مسالك معبدة فالتوقل فيها على خطر السقوط والهوي وفي الجهة الرابعة منه سهوب فيحاء يستطرق منها الى الوادي ومنه اليها وفجوة الوادي من هذه الجهة تبلغ خمسة آلاف ذراع فارسي (الذراع الفارسي متر واربعة سنتيمات) وفي هذه الفجوة سد صناعي يمتد من أحد صد في الجبلين الى الآخر وهو من زبر الحديد المتساوية المقدار فطول هذا السد خمسة آلاف ذراع فاما مسكه فخمسة عشر شهراً واما ارتفاعه فيختلف باختلاف انخفاض أساسه وارتفاعه لأن ارضه غير مستوية . في القرن العاشر للهجرة لما فتح سنان باشا القائد العثماني اليمن وصل الى قلعة تسمى تسام واقعة بجوار هذا السد فأمر بهد زبر الحديد المبني بها السد قصارى ما تيسر لهم عده منها تسعة آلاف . في طرفي هذا السد قلعتان عظيمنتان محكمتا البناء قديمتان تسمى إحداها قلعة العرصة والثانية قلعة الباحة اه
فهذا الوصف ينطبق على ما جاء في القرآن من وصف السد وبلاد اليمن هي فيما يظهر بلاد ذي القرنين لأن هذا القرب من القاب ملوك العرب الجيريين في حضرموت واليمن المعروفين بالاذواء (كندي يزن وذوي الكلاع وذوي نواس) ولكن ان صح وجود السد فأين يأجوج ومأجوج منهم التتر كما ورد في تاريخ السوريين قبل الإسلام أو السكيثيين الذين وصفهم حزقيال النبي بما ينطبق على وصفهم في تواريخ اليونان . ويفدهم النصارى رمزا لأعداء الكنيسة
ثم ان لم يكن السد المذكور في القرآن هذا ولا ذاك ولم يكن فيما بقي مجهولاً من

الأرض فلم لا يجوز ان يكون قد انك وزهد أمره من الوجود؟ ان قيل يمنع من ذلك ان انك كماه وخروج بأجوج ومأجوج من علامات الساعة اجنبا بجوايين (أحدها) ان قرب الساعة يمد ألوقا من السنين بدليل أن نينا نبى الساعة وقرب الساعة نسبي اي هو قرب بالنسبة الى ماضى من عمر الأرض وما يدرينا انه ملايين من السنين (وثانيها) ان هناك ساعة عامة وساعة خاصة اي ساعة هلاك امة معينة كما ورد في شرح بعض الأحاديث الواردة في الساعة . وربما عدنا الى التفصيل في هذه المسألة

﴿ حكم صور اليد والصور الشمسية ﴾

(س ٣) من الشيخ محمد بسيوني في (سبب برنيو)

حضرة علامه الزمان فريد العصر والاوان سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء نقضى الله بعلمه آمين

وبعد تقديم واجبات التحيات والاحترام فالمرجو من تفضلات سيدي الجواب عن السؤال الآتي صورته وهذا هو: ماقولكم دام فضلكم في صورة مشتغلة باليد وصورة متخذة بالفوتغراف هل الفرق بينهما متحقق ام لا؟ وما تقولون فيمن قال ان الصورة التي اتخذت بالفوتغراف ليس فيها فعل صورة بل هي حبس صورة كحبس الصورة التي في المرأة فلايحرم ولكن يحرم وضع هذه الصورة في البيت لمشابتها الاصنام فهل هذا القول صحيح ام لا أفيدوني سيدي ولكم من الله جزيل الاجر والثواب (ج) صانع الصور مصور سواء صنعها بيده أو بالآلة الشمسية (الفوتغرافية) . وصورة الشيء هي صورته سواء صورت باليد أو بالآلة لافرق بينهما شرعا ولا عرفا . واما قول من قال انه يحرم وضع الصور في البيت لمشابتها الاصنام فهو مبني على أصل صحيح وهو أن سبب النهي عن التصوير وعن اتخاذ الصور هو منع تلك الشعائر الوثنية أي تعظيم الصور أو عبادتها ولذلك أمر النبي (ص) عائشة بهتك القرام (الستار) الذي كان معلقا في بيتها لمشابهة الصور التي كانت في الكعبة فلما هتك واتخذت منه وسادة كان (ص) يستعملها ولا يرى في ذلك بأسا . وحديث القرام أخرجه البخاري في صحيحه وغيره . واذا كان القائل يعترف بأن علة تحريم التصوير واتخاذ الصور هي ما ذكر

فأي فرق يبقى عنده بين ماساه قبل الصورة وحبس الصورة؟ القصد من الأمرين واحد وفي كل منهما عمل اختياري للمصور فإذا فرضنا أن قوما عبدوا شخصا أو حيوانا أو غيره كما عبد بعض البايبة الرجل المتعب بهاء الله فهل يجوز عند ذلك القائل للمصور المسلم أن يصور لهم مبودهم بالآلة الشمسية لعظموها ويعبدوها بناء على أن فعله حبس تلك الصورة لأفعل لها؟ إن هذا قول لاوجه له فيما نرى والله أعلم

﴿الوقف على المساجد والمدارس﴾

(س ٤) مستفيد من سنا فوره

ما قول المنار المير في بناء المدارس للتعليم والوقف عليها وبناء المساجد للصلاة ولا يخفي عليكم ما ورد في فضلها فأبي الأمرين من البنائين أفضل أفيدونا

(ج) في المسألة تفصيل فإقامة الجمعة والجماعة في المساجد من شعار الإسلام إذا تركها أهل بلد وجب إلزامهم بها قال الفقهاء ولو بالقتال والمعلوم منها ما هو فريضة ومنها ما هو فضيلة ولا بد لأهل كل بلد منها فإذا وجد في بلد مسجد لإقامة الشعائر أو أكثر عند الحاجة فبناء المدارس والوقف عليها في ذلك البلد أفضل لا محالة بل لا فضل في بناء مسجد لا حاجة إليه لأن من أغراض الشريعة جعل المساجد على قدر الحاجة لما في كثرتها من تفرق المسلمين وإذا أمكن اجتماع أهل البلد في مسجد واحد فهو أفضل من تفرقهم في مسجدين أو أكثر بل ذهب الامام الشافعي الى وجوب أداء الجمعة في مسجد واحد ان أمكن في تفصيل سبق لنا الكلام فيه في أحد مجلدات المنار. وإذا وجد في بلد مدارس للتعليم ولم يوجد فيها مسجد لاقامة الجمعة والجماعة فلا شك ان بناء المسجد يكون حينئذ أفضل لتوقف اقامة الشعائر عليه وإنما تأتي المفاضلة في بلد لا مسجد فيه ولا مدرسة ويحتاج اهله اليهما معا وحينئذ يظهر انه يجب الابتداء بالمسجد ويمكن ان يصل في يعلم ما لا بد منه حتى ييسر بناء مكان للتعليم خاص به

وقد تبين مما تقدم ان بناء المدارس أفضل في البلاد التي فيها مساجد تقام فيها الشعائر وأكثر أمصار المسلمين كذلك فبناء المساجد فيها مع عدم الحاجة اليها مضاد لقصد الشريعة وهو لا يكون عن رياء أو جهل

السياسة الانكليزية الجديدة في مصر

نشر هذه المقالة بالامضاء الرمزي لكاتبها لما فيها من البشارة بالجلس النيابي :
كان عهد الدولة الانكليزية في عهد توفيق باشا يدير الأمر معه وما يتفقان
عليه ينفذ بهدوء وسكون ولكن توفيق باشا كان لضعف إرادته يوائي العميد فيما
يريد قلبا يراجعه في شيء فلما ولي العباس رأى منه ذلك العميد ما لم يكن يرى من
والده من المقاومات فكان يتهز فرصة كل حركة لتقوية نفوذ دولته في البلاد
فأكثر من المستشارين والمفتشين واقضاه وكبار العمال من الإنكليز وقفل ما فعل .
ثم ظهرت المقاومة في الجرائد وعلى السنة الناس حتى صارت تشريشاً مزعجاً . وقد كان
لورد كرومر يمتنى لو يتفق مع الأمير ولكن كان في طبيعة كل منهما وطبيعة الوقت
ما يحول دون ذلك حتى انها تكلموا غير مرة في أمر الوفاق وبعد التواطؤ بزمن
قصير أو طويل كان يعود التدابر كما كان أو أشد حتى قيل ان اللورد عزم في آخر مدته
على اقناع دولته بوجوب عزل الأمير ولكن جاء هذا الرأي في عهد وزارة الأحرار
الحاضرة وهي وزارة تميل الى التساهل في المستعمرات وما في معناها كعصر في عرفهم فلم
يتم اللورد ما يريد بل خرج هو من مصر وبقي أميرها فيها . ومما كان قد عزم عليه
الرجوع الى كبار الامة في معرفة مطالبها الحقيقية لانها ما يمكن منها مع الاعراض عن الأمير
ولا ننسى ما كان في آخر مدته من حملة الجرائد الانكليزية على الخديو
لا سيما بعد أن نشر مكاتب الطان عن الأمير ذلك الحديث الشهير فطالح الأمير
تلك الحملة عليه بحديث آخر عهد الى مستر ديسي الانكليزي بنشره في جريدة
الديلي تلغراف الانكليزية أهم ما فيه الاشارة الى رغبته في الوفاق فكان ذلك مقدمة
للسياسة الجديدة التي سنينها

وهناك مقدمة ثانية شرع فيها لورد كرومر وتكفل سر ألدن غورست بالمضي
فيها وهي اختيار الاكفاء من المصريين للوظائف الكبرى وتحميلهم «مسئوليتها»
وأول ما بدأ به الأول من ذلك جعل سعد باشا زغلول وزيرا للمعارف وأخيه أحمد
فحفي باشا وكيلاً للحقانية وآخر ما قرره الثاني جعل عبد الخالق ثروت باشا نائبا عموميا

وهناك مقدمة ثالثة جربها العميد الجديد فجات كما يراد وهي اعتماد انكثرا على الامير في سياسة البلاد العامة وعدم الالتفات الى مطالب الأمة وجرائدها فالسياسة الجديدة للانكليز في هذه البلاد هي أن يلقوا تبعه سياستها وادارتها على غاربها فلا يحملوا منها شيئاً في مصر بل يحملوها الامير وحكومته ومجلس نواب الأمة وما دونه من مجالس المديرات

ما هو مجلس نواب الأمة ؟ هل هو مجلس الثورى ام الجمعية العمومية ؟ وما معنى تحميله تبعه وهو لا يتبع رأيه ؟ لا لست أعني بمجلس النواب ما ذكر وانما أعني ان الحكومة البريطانية عزمت على ان تمنح مصر ما يطلبه بلسان جرائدها واحزابها من الدستور والمجلس النيابي وأن تجعل الفضل في هذا للامير فهو يكشفها بذلك وهي تظهر له الموافقة على رغبته بكيفية مخصوصة والامير ينفذها رغائبها بمصر

انا نعلم من مصدر رفيع ان الانكليز عزموا على ان يمنحوا مصر المجلس النيابي وأنه ليس للانكليز مقاصد في مصر تنافي السماح للمصريين بذلك بل يفتخر احرار انكثرا بذلك لموافقته لستهم في تحرير الشعوب وترقية الحكومات ويكتفون في الأمن على مصالحهم بمصر باستمرار الاحتلال والثقة بمودة أمير البلاد ولا يبالون بالجرائد والاحزاب بل يعتقدون أن سنسكن من نفسها وان خير علاج لها إهمالها هذا ما أرويه للقراء رواية لا يشوبها رأي ولا تخرص فما كان منه عن شئ مضى فهو مما يعرفه العارفون ، وما كان عن شئ يأتي فسيراها الناظرون ، وقد يقال من باب الرأي ان الانكليز مخطئون في ظنهم ان الحركة الوطنية سنسكن من نفسها فإن وراء مجلس النواب الذي سيكون محدود السلطة كلاما كثيرا في سلطته ووراء ذلك مسألة الاحتلال نفسها . نعم ان معظم حماسة الجرائد يمكن ان تتحول الى نقد الوطنيين الذين يحملون تبعه الادارة وتكون الحججة على المحتلين ضعيفة بل ظهرت بوادر هذا في كلام اللواء في أول مصري عريق حمل تبعه العمل في الحكومة وهو سعد باشا زغلول فان اللواء أشد عليه منه على مستشاره مستر دنلوب . فمن مثل هذا قد استنبط الانكليزان السياسة الجديدة التي شرعوا فيها ستعقبهم راحة من ضوضاء مصر وتشغل المصريين بانفسهم والله أعلم بما تأتي به حوادث الأيام (المكاشف)

القرآن والعلم

٢

﴿ تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب ﴾

في رد الشبهات التي يوردها الأفرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

﴿ المسألة الثالثة ﴾

﴿ ذوا القرنين ومطلع الشمس ومغربها ﴾

قال الله تعالى في قصة ذي القرنين (١٨: ٨٦) حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمة ووجد عندها قوماً إلى قوله (٩٠) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً

تقول العرب بلغ فلان مغرب الشمس أو وصل إلى المشرق إذا سار إلى أقصى ما عرف لهم من المسكونة في جهتي الشرق والغرب فكان الكلام على تقدير مضاف أي وصل فلان إلى أرض المغرب أو أرض المشرق ومعنى ذلك أنه وصل إلى آخر أرض تغيب عنها الشمس أو إلى أول أرض تشرق عليها بحسب علمهم وإلى الآن تقول جميع الأمم الراقية « بلغ فلان الشرق الأقصى أو المغرب الأقصى » إذا سافر إلى بلاد اليابان أو إلى بلاد أمريكا ويشمون هذه البلاد بلاد الشرق أو المشرق وبلاد الغرب أو المغرب ولا يعنون بذلك سوى أنها أول بلاد من الدنيا القديمة تشرق عليها الشمس وآخر بلاد تغرب عنها فعنى قوله تعالى « حتى إذا بلغ مغرب الشمس » أنه وصل إلى آخر أرض معروفة للعرب تغيب عنها الشمس ويسمونها المغرب . ومهما كان الإنسان عالماً فإنه لا يتحاشى أمثال هذه التعابير المهودة للبشر فكذلك القرآن الشريف

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي

فانه جري عليها وكذلك كل كتاب ولو كان في الفلك أو الجغرافيا الحديثة « وجدها تغرب في عين حمة » أي خيل له أنها تغرب في العين كما يخيل ذلك لكل من وقف على ساحل البحر وقت الغروب فانه يرى الشمس كأنها تغيب في البحر ولذلك نسب القرآن الامر إلى وجدان ذي القرنين فقال « وجدها » ولم يقل مثلا « حتى إذا بلغ مغرب الشمس رآها وهي تغرب في العين » أو نحوه مما يفيد أنها تغرب فيها حقيقة

والعين كل ماء جار كما في قوله تعالى (٢٦ : ٥٧ فأخرجناهم من جنات وعيون) أي أنهار جارية وكقوله في وصف الجنة (٨٨ : ١٢ فيها عين جارية) وقوله « حمة » معناه ذات طين أسود وفي قراءة (حامية) أي ساخنة ولعل سخونة الماء ناشئة عن وجود ينبوع حار خارج من جوف الأرض بمجوارها وإذا كان المراد مياه المحيط فقد تكون سخوتها ناشئة عن التيارات المائية الآتية من خط الاستواء كما هو معروف للمطلعين على علم الجغرافية فإن المحيط الاطلانطي ينطبق عليه هذان الوصفان وهو كونه ذا طين أسود وكون بعض مياهه ساخنة فلعل ذالقرنين وصل إليه بسيره إلى نهاية أفريقية من جهة الغرب فان تيار الخليج (Gulf Stream) الآتي من ساحل أمريكا عند خط الاستواء ينقسم وهو ذاهب إلى الشمال إلى قسمين قسم يصعد إلى أوروبا وقسم ينزل إلى ساحل افريقيا الغربي ولون مائه أسود وهو ساخن (فان درجة حرارته لا تقل عن ٨٥ بمقياس فرنهيت)

ثم قال « حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا » والمعنى أنه سار إلى أرض المشرق حتى وصل إلى أول أرض تطلع عليها الشمس أي بحسب ما تعرف العرب من المسكونة ولعل ذالقرنين وصل إلى جبل عال من جبال آسيا ظن أنه نهاية الأرض أو وصل إلى ساحل الهند الشرقي فظن أنه نهاية العالم فلما وصل إلى تلك الجهة التي تسميها العرب مطلع الشمس أو المشرق وجد الشمس أول ما تطلع تطلع على قوم عراة الأبدان ليس لهم من دون الشمس وقاية وهذا هو حال الأمم المتوحشة الساذجة

واعلم أن أمثال هذه السياحات أو الفتوحات الكبيرة معهودة في تواريخ القدماء

كالاكندر المقدوني وغيره وكان يتيسر لهم ذلك لعظم قوتهم وضعف الامم المجاورة لهم وبساطتهم وقلة عددهم بالنسبة لهم فكان يسير الفتح العظيم منهم بمجيئه الجرار ولا يجد في كثير من الجهات أدنى مقاومة أو إذا وجد تكون في الغالب ضعيفة والغالب أن ذا القرنين هذا المذكور في القرآن هو أحد ملوك اليمن الحميريين فان العرب لا يعرفون ملوك غيرهم من الامم وما كانوا يسألون النبي عليه السلام عنها و (ذو) لفظة عربية محضة وردت كثيراً في آثاب العرب أهل اليمن كذبي يزن وذبي كلاع وذبي نواس . وتقل عن ابن عباس أنه سئل عن ذي القرنين المذكور في القرآن فقال هو من حمير . وقال أحد شعراء الحميريين قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً علا في الأرض غير مفند بلغ المشارق والمغرب ينتهي أسباب ملك من كريم سيد وكل ذلك يؤيد ان العرب ما سألوا النبي إلا عن ذي القرنين هذا المعروف عندهم ونظرا لاندراس التاريخ القديم عموماً وخصوصاً تاريخ العرب الاقدمين ولعدم الثقة بأكثر ما جاء فيه من القصص ولعدم اهتمام الأمم المتأخرة بشأن أهل اليمن لم يشتهر أمر هذا الفتح الكبير بين الأمم الأخرى والمظنون أنه كان على زمن الخليل إبراهيم عليه السلام قيل إن اسمه الصعب بن الرايش وقيل إنه أبو كرب شمس بن عير بن أفريقش . وكان ملوك اليمن يلبسون تاجاً له قرنان الغالب انهم اقتبسوه من ملوك مصر . وأول من لبسه اشتهر بينهم بلقب ذي القرنين من أجل ذلك وفي التاريخ القديم آثار كثيرة يدل على أن أهل اليمن كانوا قد بلغوا شأواً كبيراً من القوة والعظمة وأنهم تغلبوا على أقاصي البلاد وغزوا بابل وبلغوا الهند وفتحوا بلاد الفرس ويسمى غزو العرب لبلاد فارس في أحاديث الفرس « غزو ذوحاق » وكان ذلك قبل الميلاد بأكثر من ٢٠٠٠ سنة وقد أغار أهل اليمن أيضاً على بلاد المغرب وفتحوا مصر واستوطنوها ويسمون فيها بالهكسوس . فلا يبعد ان يكون ذو القرنين المذكور في القرآن هو أكبر ملوكهم الفاتحين وقد بلغ ملكه أو سيره أقصى ما كان معروفاً إذ ذاك من بلاد المشرق والمغرب

وقد نبى سداً بين جبلين في جهة الشمال لا يعرف الآن موضعه لمنع يأجوج ومأجوج من التعدي على الأمم المجاورة لهم وهما قبيلتان شيرتان من القبائل القديمة المتوحشة وقد ورد ذكرهما أيضاً في كتب أهل الكتاب (تلك : ١٠ : ٢ وحز : ٣٨ : ٢ و٣) وإذا علم الانسان ان أكثر بقاع الأرض لم تطلها أقدام أحد من السائحين الباحثين أو الجغرافيين وإذا تذكر ما عرض لهذا السد عن التغيرات الطارئة عليه من الصداً ومن هبوب الرياح ونزول الامطار ورسوب التراب وغيره عليه بل ربما تغطي بأشياء كثيرة مما يحملها سيل المياه على الجبال إذا تذكر كل ذلك أدرك شيئاً من أسباب عدم عثور أحد على مثل هذا السد وربما إذا رآه أحد الآن لا يمكنه أن يميزه عن سائر الجبل فقد يكون منطى ببطقة حجرية مما أذابتها المياه وهملتها إليه فحفت عليه

فإذا جاء يوم القيامة اندك هذا السد كما تدك جميع الجبال كما قال القرآن الشريف (١٨ : ٩٩ فإذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقاً)

هذا ومن تذكر إغارة المغول (التتار) وهم نسل يأجوج ومأجوج في القرن السابع الهجري على بلاد المسلمين والنصارى وما أتوه من الأفساد في الأرض وما أوقعوه بالأمم المختلفة من القتل السبي والنهب أمكنه تصور حصول هذا منهم مرة أخرى قبل مجيء الساعة كما قال القرآن الشريف (٢١ : ٩٦ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ٩٧ واقرب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) ولا مانع من ان يكون ما حصل منهم سابقاً هو الذي أراده القرآن في هذه الآية ويكون قوله « واقرب الوعد الحق » كقوله (١٠٥٣ : اقربت الساعة وانشق القمر) على ان الانشقاق حصل في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وهو تعبير معهود في الكتب المقدسة إذا أنبأت عن الحوادث المستقبلية

﴿ المسألة الرابعة ﴾

﴿ يحيى بن زكريا ﴾

قال الله تعالى (١٩ : ٧) يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً) يقولون ان يحيى هو يوحنا عند أهل الكتاب ويوحنا هذا اسم شهير عند اليهودسي به كثيرون قبل ابن زكريا فكيف يقول القرآن «لم نجعل له من قبل سمياً»؟
وقول لانسلم باب لفظ يحيى في القرآن هو تعريب لفظ يوحنا عندهم لان يحيى من الحياة ويكتب في العبرية هكذا (יחי) وينطق يحييه وأما (يوحنا) فهو الصيغة اليونانية للفظ (يوحنا) العبري ومعناه «يهوه خون» أي الله خون. فهو اذا من الحنان لان الحياة وعليه يكون لفظ يحيى غير يوحنا ووجود شخص مسمى باسمين كثير جدا وقد يكون الاسم الثاني قبا له وأمثلة ذلك في كتب المهديين كثيرة جدا منها ان اسم بطرس سمعان واسم تداوس لباوس وهما من تلاميذ المسيح (راجع متى ١٠ : ٣ و٢) وكان النبي عليه السلام يغير كثيرا من أسماء أصحابه فيشتهرون بما ساءم به رسول الله وعند جميع الأمم يوجد اشخاص لم اكن من اسم. هذا اذا لم تقل ان تسمية ابن زكريا في المهد الجديد يوحنا هو من خطأ مؤلفي الانجيل باللغة اليونانية إذ يجوز انهم لم يحسنوا نقل اسمه الحقيقي «يحييه» الى لغتهم ويحتمل ان الاسم الذي بشر الله به زكريا هو (يحيى) ولما اشتهر عن يحيى الشفقة والحنان بالناس كما قال القرآن في وصفه (١٩ : ١٣) وخانا من لدنا) صاروا لقبونه بيوحنا حتى شاع بينهم ذلك اكثر من اسمه الاصل الذي سماه الله به وهناك وجه آخر في تفسير عبارة القرآن الشريف . وهو ان زكريا طلب من الله وارثا له من نسله خوفا من مواليه فبشره الله بان سيكون له ولد وسيكون اسمه يحيى وقال له ان هذا الاسم لم يسم به أحد قبله أي بينهم في أهله وعشيرته كما قال إنجيل لوقا ١ : ٦١ قالوا لها - أي لأمه - ليس أحد في عشيرتك تسمى بهذا الاسم» فقوله تعالى «لم نجعل له من قبل سمياً» أي في أهل زكريا الذين كان الكلام

معه في شأنهم والخطاب له فيمن يرثه منهم. هذا إذا سلم أن لفظ بجي هو عين يوحنا وأنه تعريب له

على أنه قد يكون المراد بالسمي السمي الحقيقي أي انه لم يسم أحد قبل يوحنا بهذا الاسم وكان مثله في صفاته العالية وأخلاقه الطاهرة فكل من سمي قبله به ما كانوا يستحقونه لأنهم لم يصلوا إلى درجته في الشفقة والرحمة والحنان وقد ورد لفظ السمي في القرآن بهذا المعنى أيضاً في سورة مريم التي منها هذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها فقال تعالى «٦٥ رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً» أي سمياً حقيقياً وإلا فقد اتخذ آلهة أخرى من دون الله كثيرون

المسئلة الخامسة

﴿السامري والمجل﴾

قال الله تعالى (٢٠: ٨٨) فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوارٌ فقالوا هذا الهكُم وإله موسى — إلى قوله — ٩٥ قال فما خطبك يا سامري ٩٦ قال بصُرتُ بما لم يبصروا به فقبضت قبضةً من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سَوَّلت لي نفسي « رجحنا في (مقالات الدين في نظر العقل الصحيح) أن لفظ السامري علم لشخص من بني إسرائيل يسمى بلغتهم شمري وهو اسم مشهور عند قدمائهم . انظر مثلاً سفر أخبار الأيام الأولى (٤ : ٣٧ و ١١ : ٤٥ و ٢٦ : ١٠) ولما عرب هذا الاسم أبدلت الشين المعجمة بالسين المهملة كما هي العادة في تعريب العبري وأدخلوا عليه أل كما أدخلوها على غيره من الأعلام المعربة كلفظ (الجودي) وهو اسم جبل ولفظ (السموأل) وهو علم لأحد نابغي شمراء اليهود من العرب . وتسمى زيادة أل في مثله زيادة لازمة كما يقول النحاة . وهو معرب من لفظ (شموئيل) والتفسير الذي حدث فيه كالذي حدث في لفظ (شمري) فأبدلت الشين سيناً وزيدت عليه أل مع تفسير طفيف في الكلمة . وهذه التغييرات شائعة في جميع اللغات في أسماء الأعلام المنقولة إليها فانظر الفرق بين لفظ مختصر وأصله .

(نبوخذناصر) ولفظ عيسي وأصله يشوع . وغير ذلك كثير جداً يعرفه المطلعون على بعض اللغات الأجنبية وما فيها التغيير والتحريف في الأعلام . واعلم أن لفظ السامري الوارد في القرآن كانت تكتبه العرب (السمري) وكذلك كتب في مصاحف عثمان التي أرسلها إلى الآفاق . ولعل في ذلك إشارة إلى أصله العبري الذي ذكرناه هنا وإن كانوا ينطقونه السامري . وليست الياء فيه للنسبة بل هي كالياء في لفظ الجودي بالتشديد وأصله جوردي بدون تشديد

قال تعالى (فأخرج لهم) أي صنع لهم السامري (عجلاً جسداً) أي تمثال عجل ولكنه جسد بلا روح فان لفظ الجسد يطلق غالباً على الحي إذا مات أو ما كانت صورته صورة الحي ولكنه جماد كهذا العجل الذي صنعه السامري من الخي وكتماثيل الحيوانات فانها كأجسادها بعد المات لا حياة فيها (له خوار) أي صوت يشبه صوت العجل ولعله توصل إلى ذلك بالصناعة مع الحيلة كأن يضع فيه ما يشبه المزمار ويسلط عليه آلة نافخة لا يشعر بها الناظرون

وأمثال هذه الخيل كثيرة يفعلها الدجالون في كل زمان ومكان

ثم قال تعالى (قال فما خطبك يا سامري) أي قال له موسى ما شأنك وما الذي حملك على ما فعلت (قال بصرت بما لم يبصروا به) أي علمت ما لم يعلموا وأدركت ما لم يدركوا (قبضت قبضة من أثر الرسول) أي أخذت بشيء من تعاليم هارون الذي استخلفه فيناواقفت أثره فيها فلم يبق لي شيء منها . وسمى هارون بالرسول لأنه هو وموسى كانا يسميان كذلك بين بني إسرائيل فان الله قال لما (٢٠ : ٧٧) فقولا إنا رسولا ربك) وعدم اعتقاد السامري بصحة هذه الرسالة لا ينافي أن يقول ذلك من باب التهم كما كانت قریش يتهمون على رسول الله ويقولون له (٧٥ : ٧٧) ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) ثم قال السامري (فبئسها وكذلك سوت لي نفسي) أي فرفضت ما أخذته من تعاليم هارون بعد تجمرتي له وهذا ما مالت إليه نفسي التي علمت ما لم يعلم غيري . هذا هو التفسير الصحيح الذي يتبادر من هذه الآيات ولا يمكن لأي عربي أن يفهم منها سواه لولا ما حشاه به أكثر

المفسرين من انحرافات وهو يقارب ما ذهب إليه محقق المفسرين أبو مسلم الأصفهاني وارتضاه منه فخر الدين الرازي وعزره

(٩٧ قال) له موسى (فأذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعد أن تُخلفه وانظر إلى إهلك الذي ظلمت عليها كفاً لتُحرقه) أي ليردنه ويويده قراءة « لتُحرقه » بفتح النون وكسر الراء وضما خفيفة (ثم أنسنفته في اليم نسفاً)

فإن قال قائل ما بالقرآن في الكلام على هذا العجل يأتي بما يحتمل أنه كان حياً وإن كان ذلك بعيداً من عبارته ؟ قلت جرت عادة القرآن في أمثال هذه المسائل العرضية البسيطة أن يأتي بالتعبير الذي لا يصادم اعتقاد الجمهور مصادمة لا تقبل التأويل حتي لا يكون ذلك صادراً لهم عن النظر فيه أو شاغلاً لهم عن البحث فيما أتى به من جوهر الدين كما هي طريقة الحكماء . فالظاهر أن أهل الكتاب من العرب كانوا يعتقدون أن هذا العجل صار حياً وربما كان عندهم من رواياتهم واحاديثهم ما يحملهم على هذا الاعتقاد فلم يرد القرآن ان يشتغل معهم بأمثال هذه التافهات فأتى لهم بما لو سمعوه لقبوه وما لو سمعه العلماء المحققون لأدركوه وفهموه ولذلك تراه مثلاً ينص على دوران الأرض بقوله (سنة ٢٧ : ٨٨ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) في سياق يحتمل أن يكون ذلك مما يحصل يوم القيامة وإن كان ظاهر الآية يبعد عن هذا الاحتمال الذي لا يزال مقبولاً عند الجهلاء حلّى أن معنى الآية الصحيح لا يخفى على العلماء . فإن القرآن قد أتى للعامة والخاصة والمنحطين والمرقبين فلذا تنوعت أساليبه وسحر بيانه عقول الجميع وبذلك لم يخطئ الغرض ، ولم يشتغل عن الجوهر بالعرض .

المسألة السادسة

(تكوّن الجنين)

قال الله تعالى (٢٣ : ١٢) ولقد خلقنا الانسان من سُلالةٍ من طينٍ ثمّ جعلناه نطفةً في قرارٍ مكينٍ ١٤ ثمّ خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغّةً فخلقنا

المُضَنَّفَةُ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لِحَاثٍ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكِ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ ١٦ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ

اشتملت هذه الآيات على جميع أطوار الانسان في حياته وما يمر به من التغيرات من أول وجوده الى يوم بعثه

(الطور الاول) « وقد خلقنا الانسان من سلاية من طين » أول الاحياء في هذا العالم لاشك في انه خلق من مادة الارض مباشرة ثم ارتقت الحال بعد ذلك فصارت الاحياء تتكاثر باقسام الخلايا ثم بالتلقيح الذي يعقبه الاقسام (ومنى التلقيح اختلاط عنصر الذكر بعنصر الانثى) فان الانسان في طوره الاول كان طينا واذا نظرنا الى الانسان من جهة اخرى وجدنا أن الحيوانات المنوية والبويضات التي يخلق منها الانسان مخلوقة من الدم والدم من الغذاء والغذاء من الحيوان والنبات وكلاهما من الأرض أي الطين

(الطور الثاني) « ثم جئناه نطفة في قرار مكين » النطفة الافراز تطلق على المني ولا مانع من اطلاقها أيضاً على بويضات المرأة التي يفرزها المبيضان (١) ولم يذكر القرآن بويضات المرأة صريحاً لأن ذلك غير معروف لجماهير الناس وهو لم يأت لتعليمهم أمثال هذه الاشياء وإنما هو يويد قضايها بما يعرفونه ولا يتكروته واكتفاؤه بذكر المني دون غيره في أكثر المواضع لا يدل على أن الانسان لا يخلق من شيء آخر معه إذ ليس في عباراته ما يدل على الحصر فالطور الثاني طور النطفة وهي من الرجل ما فيه الحيوانات المنوية ومن الأنثى ما فيه البويضات فاذا حصل التلقيح بدخول رأس الحيوان المنوي في البويضة استقرت في الرحم والمراد بالقرار المكين أعضاء الانثى الداخلة (البوقان والرحم) وهي التي يحصل فيها التلقيح ثم التكوين ولا شك أن حيوان الذكر وبويضة الانثى يسبحان قبل التلقيح وبعده في قليل

(١) المنار: النطفة في الاصل الماء أو كل سائل فيصبح اطلاقه على ماء الرجل الذي فيه الحيوانات المنوية وعلى ماء الانثى الذي فيه البويضات اذ كل منهما سائل

من سائل مخصوص ومجموع ذلك هو النطفة وهي التي تستقر في الرحم
(الطور الثالث) « ثم خلقنا النطفة علقة » وذلك بانقسام البويضة بعد
التلقيح بالحيوان المنوي إلى أقسام كثيرة تكون كتلة صغيرة تشبه العلقة وخلاياها
كلها متشابهة

(الطور الرابع) « فخلقنا العلقة مضغة » وهي قطعة أكبر من العلقة قدر
ما يوضع في الفم مركبة من عدة خلايا ناشئة من انقسام البويضة الأصلية بعد تنفيذها
في جدر الرحم وما أحيطت به من سوائل زلالية

(الطور الخامس) « فخلقنا المضغة عظماً » أي حولنا بعض خلايا المضغة
التي كانت كلها متشابهة إلى خلايا أخرى تصير بالتدريج بعد هذا التنوع عظماً

(الطور السادس) « فكسونا العظام لحماً » أي حولنا الجزء الباقي من المضغة
إلى أنسجة رخوة ذات خلايا مغايرة في شكلها للخلايا الأصلية وهذه الأنسجة
تكون كاسية للخلايا الآخذة في التحول إلى عظام فينما تجد بعض الخلايا يتحول إلى
عظام تجد البعض الآخر يتحول إلى لحم وشحم وغيره يكسو هذه العظام

(الطور السابع) « ثم أنشأناه خلقاً آخر » أي بعد تمام خلقته وولادته يصير
بالتدريج إنساناً عاقلاً مدركاً مفكراً بعد ان كان لا يعلم شيئاً كما قال تعالى (والله
أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار
والأفئدة) الآية فالشيء الذي كنت تراه لا يدرك وجود نفسه يصبح محيطاً
بالكون بعقله ويخترق الحجب بفكره « فتبارك الله أحسن الخالقين » . وعبرنا
بم لتراخي ذلك عن زمن تمام التكوين

(الطور الثامن والتاسع) « ثم إنكم بعد ذلك لميتون » ثم إنكم يوم القيامة
تبعثون » فهذه هي الأطوار الانسانية التي تستفاد من هذه الآيات الشريفة
ويجب الاعتراف هنا بأن هذه الآيات لم تصف هذه الأطوار بالتفصيل

كما يصفها الفسيولوجيون وإنما وصفها باجمال خال من الوهم والخطأ داع إلى التفكير
في قدرة الله والتدبر في أعماله وهو ما يريده القرآن الشريف ولا يريد تدريس
علم تكون الجنين للناس ولا غيره من العلوم الدنيوية فلذا لا ينتظر من مثل هذا

الكتاب العزيز ان يدخل فيما ليس من غرضه الاطئاب فه لأن الناس يصلون
اليه من غير طريق الوحي

المسألة السابعة

﴿ ميراث بني إسرائيل الأرض من بعد فرعون ﴾

قال الله تعالى (٥٧:٢٦) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥٨ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ
٥٩ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) ومن المعلوم أن بني إسرائيل من بعد
غرق فرعون وقومه لم يرثوا أرض مصر بل خرجوا منها فاما معنى هذه الآية إذا ؟؟
ذهب محققو المؤرخين إلى أن فرعون موسى هو منفتح بن رمسيس الثاني
وقد خضعت بلاد الشام لمصر في عهد رمسيس الثاني وكان من عادته ان يقي
فرقة من العساكر المصرية في البلاد التي يفتحها ليستوطنوها ولينشروا فيها عاداتهم
واخلاقهم فكانت بلاد الشام مستعمرة تابعة لمصر ومحتلة بجزء من جيشها وكان
المصريون ينجون من خيراتها ويتمتعون بها وبعضهم يذهب اليها ليقم فيها تحت
رعاية دولته كما يفعل الاوريون الآن في المملك التي يستعمرونها ودام الحال كذلك
الى عهد منفتح بن رمسيس هذا وفي عهده كان خروج بني إسرائيل من
أرض مصر

إذا علمت ذلك فاسمع تفسير ما قال الله في القرآن الشريف (فأرسل فرعونُ
في المدائن) التابعة له كبلاد مصر والشام (حاشرين) يجمعون إليه جيشه وقومه
المستوطن في هذه البلاد قائلهم (ان هؤلاء لسردمة قليلون . وانهم لنا لغائظون
وإنا لجميع حذر) ثم قال الله تعالى (فأخرجناهم) أي المصريين (من جنات
وعيون وكنوز ومقام كريم) في مصر والشام (كذلك وأورثناها بني إسرائيل)
أي أورثناهم ما كان يتمتع به المصريون من جنات الشام وعيونها وكنوزها ومقامها
الكريم فان ذلك قد آل إلى بني إسرائيل ولذلك قال تعالى في آية أخرى في
هذا الموضوع (٧ : ١٣٧) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ

الأرض ومغارها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسي على نبي اسرائيل (والأرض التي بارك الله فيها هي أرض الشام كما جاء في آيات أخرى كثيرة في القرآن الشريف كقوله (٢١ : ٧١ ونجينا ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) وقوله (١٧ : ١ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) فأنت ترى من هذا أن آيات القرآن في هذا الموضوع يفسر بعضها بعضاً وان المراد من ميراث نبي اسرائيل لما تركه المصريون هو ما كان لهم ببلاد الشام

(المسائل بقية)

باب المناظرة والمراسلة

٣

حجة تامة بحث النسخ

قال حضرة الدكتور: وإذا قشنا الأحاديث — الى ان قال — فالقرآن لا يجوز ان ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة وبه قال الامام الشافعي رحمه الله وليس فيه منسوخ مطلقاً كما قال أئمة بعض المفسرين كأبي مسلم الاصفهاني وكما دل على ذلك الاستقراء والدليل واتي بكلام ثم قال: « والذي نرامن ان العقل لا يستبفتح وقوع النسخ في القرآن الشريف اذا كان القرآن يبين لنا نصاً جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ او ان الرسول (ص) يبين ذلك بيانا ينقل متواتراً ويتفق عليه عملاً بين المسلمين الخ والمناظري باديء بدء بعد المقارنة بين كلام حضرة الدكتور ان قوله والذي نراه نحن الخ هو رجوع منه ونسخ لقوله فالقرآن لا يجوز ان ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة، لانه اذا كان النسخ هو كما ذكر ابطال حكم الى بدل او لغير بدل وجاز ان يقبل قول الرسول (ص) هذه الآية منسوخة لا الى بدل مثلاً في حق من علم صدور ذلك القول منه (ص) فما ذلك الا قول مجاوز نسخ القرآن بالسنة وهو

مناقض لقوله لا يجوز نسخ القرآن بالسنة فقوله الثاني لا محالة رجوع عن قوله الاول واعتراف بان القرآن ينسخ بالسنة المعالوم صدورها عن رسول الله (ص) وبذلك نكتفي عن الرد عليه في قوله بعدم جواز نسخ القرآن بالسنة وسيأتي لنا كلام على الاخبار التي يلزم الأخذ بها ويعلم صدورها عن رسول الله (ص) اما ما ذكره حضرة المذكور من اشتراط احد الامرين للنسخ إما تبين القرآن لنا نصا جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ او تبين الرسول (ص) كذلك وينقل متواترا الخ

فقول فيه ان حضرته ذكر ان النسخ لمقتضى لا يستقبح عقلا يعني انه جائز عقلا فهل ما اشترطه للنسخ واجب على الله وعلى رسوله (ص) عقلا فما هو؟ ام شرعاً - فإين هو؟ وهل يشترط ذلك فيما نسخ لفظه ومعناه لا الى بدل لان تعريف النسخ الذي ذكره اول الرسالة يشمل وليس هو داخل فيما انكر وقوعه من نسخ لفظ بلفظ او نسخ لفظ وإبقاء حكمه

وما معنى اشتراط التواتر فان النسخ انما كان يقع في زمان الرسول (ص) وقت نزول الوحي وذلك مضي واقضى والله تعالى ورسوله (ص) لم يلزموا الامة ولم يوجبوا عليهم ان يتقوا الدين الى من بعدهم بالتواتر ولم نرد ذلك ولا في موضع من كلامهما ولم يجعل ذلك شرطاً لا للتبليغ ولا للقبول وسيأتي مزيد بيان لذلك

ان اشتراط حضرته ذلك مع اشتراطه ان يتفق عليه عملا بين المسلمين مما لا يجوز عقلا لا متاع تأخر ما يلزم في وجود شيء عن وجوده كاسبابه وشروط وجوده والنسخ قد وقع بدليل قوله تعالى « ما ننسخ من آية » الآية والتواتر واتفاق عمل المسلمين انما هو بعد ذلك والله تعالى لم ينصب ذلك شرطاً لقبولنا ذلك او ان الحلال لا ينكشف لنا الا باحدها فظهر ان ذلك لا يصلح لان يكون سببا للنسخ ولا لبوغه اليان -

اما اشتراط حضرته في رسالته لبيان النسخ طريقة معينة مخصوصة وهي ان يقول الله تعالى او رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ناسخة وهذه منسوخة فهو التزام لما لا يلزم واكتفاء بما لا يكفي ولا يطرد في جميع المسائل فان النسخ مشترك لفظاً بصدق على معاني مختلفة وصدقه عليها مختلف فيه ثم هو في افراد كل واحد

من مصادقاته قد يكون عاما . ثم معرفة المراد منه قد يكون مجملا فاذا قيل هذه الآية منسوخة او هذه ناسخة فقط ولم يقرن ذلك بما يعين المراد احتل ذلك نسخ كل هذه الآية او بعضها او زيادة امر في الناسخ مع بقاء المزيد او رفع شرط أو قيد او زيادتها الى غير ذلك فتبين ان مجرد قوله هذه الآية ناسخة وهذه منسوخة لا يكفي في بيان المراد الا بانضمام ما يبين المراد مع ذلك مما يتبين به مورد النسخ المعين واذا كان الله أجاز النسخ في شرعه بجميع معانيه كما دل عليه كلام السلف او بعضها كما هو قول المتأخرين ففي الموارد المخصوصة أي ووقت البيان لا يجوز ان يوتى بما لا يتبين المراد منه الا مع ميين - والبيان اخراج الشيء من حيز الإشكال الى حيز التجلي فظهر بذلك ان معرفة الناسخ والمنسوخ لا يتوقف على خصوص ما ذكره حضرة الدكتور بل معرفته في كل محل بما يبين المراد هو الاولى وان لم يكن بلفظ ناسخ او منسوخ ومن ذلك ما ذكره العلماء في معرفة الطريق الذي يكون الناسخ بها ناسخا والمنسوخ منسوخا

وليت شعري ألا يكفي في الدلالة على النسخ تأخر التاريخ مع التعارض والتناقض بين الحكيم ككون الشيء في آية حلالا وفي آية بعدها متأخرة نزولا حراما والعكس؛ وقد ذكر علماء الاصول طرق معرفة النسخ والناسخ والمنسوخ وبينوا ذلك فارجع الى كتبهم ان شئت

ثم لا ندري ما الموجب لطعن الطاعنين واستهزاء الهازئين بعد ثبوت جواز النسخ عقلا وشرعا ووضعا ووقوعه في الشرائع فعلا كما اعترف بذلك حضرة الدكتور فليتأمل حضرته في هذا الموضوع وليعلم انه باذرا الى التهمك والتعريض بمخالفته الى استحقاقتهم أشد العذاب قبل اوانه اذ لم يتم حجة على ما قال ولم يحط علما بما لديهم من الحجج لا سيما معاصريه اذ لا يمكننا إنكار اطلاعه على ما هو مسطور في زبر الأولين وان كنا نستبعد امكان اطلاعه على الكل تقول ذلك قياسا على انفسنا وكما قال ذلك الكبار. وتقول أيضا اذا كان النسخ هو ما ذكرنا سابقا عن السلف (رض) وما ذكره حضرته وأنه يرى ان العقل لا يستقبله فلا محل للتشنيع على من قال بوقوعه في القرآن وعليه فالتقول بوقوع النسخ في القرآن او عدم وقوعه منحصر في الدليل القلي

وفي الاستقراء اي تتبع آيات القرآن فحضرة الدكتور استدل على عدم وقوع النسخ في القرآن بقوله تعالى « لا مبدل لكلماته » حيث قال فلا يجوز ان يبدله الله بعد وعده بعدم تبديله اذ النكرة (أي لفظ مبدل) في سياق النفي تعم وأقول قد اختلف في ان المتكلم هل يدخل في عموم خطابه أم لا والحق انه لا يدخل إلا بقرينة وليس هنا قرينة تدل على ذلك بل القرينة تدل على عدم دخوله

فالآية المذكورة ليس هي عندنا مما تبدل على منع النسخ بمعناه السابق وانما تدل على صيانة القرآن عن اتحال المبطلين وعبث اعداء الدين وان الله لا يجعل لهم عليه سبيلاً وذلك نظير قوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون » وقوله « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » وتقول أيضاً نفي الشيء فرع عن ثبوته ولا شك هنا ان المراد بنفي المبدل نفي جميع التبديل بجميع معانيه وأكثر معاني التبديل لا يجوز ان ينسب إلى الآله وعليه فلا يدخل في عموم المنفي كما خصص عموم قوله تعالى « ان الله على كل شيء قدير » بما سوى الواجب لاستحالة تعلق القدرة به — ويقرب من ذلك قوله تعالى « فلا يظهر على غيبه أحداً » فانه لولا الاستثناء لمن ذكره لوجب ان لا يطلع على غيبه أحد مطلقاً لكنه لا يجوز بحال ان يقال انه تعالى داخل في عموم المنفي

فبين بما ذكرناه ان التبديل المنفي في قوله تعالى لا مبدل لكلماته انما هو التبديل الذي يكون من البشر كما كان يفعل اليهود والنصارى في كتابهم اما التبديل بمعنى النسخ بان يبدل الله آية مكان آية أو ينسخ حكمها هو أو رسوله لا من تلقاء نفسه فهذا لا عيب فيه كما ذكر الدكتور والرسول (ص) معصوم عن التبديل من تلقاء نفسه وإذا كان النسخ هو ما ذكرناه عن السلف فإنكار وقوعه مكابرة ومخالفة لما هو ثابت في الواقع كما دل على ذلك الاستقراء إذ ما من عامٍ إلا وقد خص وما من مطلقٍ إلا وقد قيد إلا آيات التوحيد وما ضاهاها وأيضاً قوله تعالى « واذا بدلنا آية مكان آية » خاصة في معنى من معاني التبديل ومحله المين والفاعل معلوم فهي بلا ريب نص في جواز النسخ الذي لا عيب فيه عقلاً

اما قول حضرة الدكتور فما ذكرناه هنا وهناك يدل على ان تفسير الآية هكذا: واذا اتينا بحكم في الشريعة الاسلامية بدل حكم في الشرائع السابقة ووضعناه مكانه قالوا انما انت مقتر كذاب تختلق الاحكام وتنسبها الى الله الى آخر الآيات - وزعم ان القول بأنه مقتر في قوله تعالى « واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مقتر » انما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة الخ واقول ان قوله انما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة هو اعتراف منه بجواز ان تكون هذه الآية مدنية فاحفظه

ثم ان ما ذكرته حضرة وحمل الآية عليه غير صحيح لما قدمناه ولأن سياق الآية لا يدل عليه وانما يدل على خلافه فانه تعالى انما ذكر المشركين ثم حكى هذا القول عنهم ورد عليهم بان اكثرهم لا يعلمون لأنهم ليس معهم كتاب والمشركون هم الذين زعموا ان الفلام النصراني يعلم النبي (ص) اقراء وكذبا كما كذبهم الله في هذه الآية وغيرها ويدل على ذلك ايضا ان الله لما برأ رسوله (ص) من تهمة الكاذبة ذكر ان سبب تهجمهم واقدامهم على ما هو واضح البطلان انما هو ضلالهم وعدم ايمانهم بآياته فانه تعالى لا يهديهم وأكد في الرد عليهم بان المقتر في تبديل آيات الله انما يكون من لا يؤمن بها وهذا نص ايضا في ارادة المشركين فظهر ان القائل بانه مقتر انما هم المشركون ولأن الآيات قبلها وبعدها انما هي في ذكر مساوي المشركين وتحذير المؤمنين من التخلق باخلاقهم والافتداء بعاداتهم وعن الاصفاء والاتفات الى شبهاتهم عند نزول ناسخ او تبديل آية مكان آية لانهم لا يؤمنون بآيات الله فلم يهدم للصواب في الجدل فهم يستدلون على كذب الرسول صلى الله عليه وسلم بما يرون في كتابه من النسخ لاعتقادهم ان ذلك تناقض لعدم علمهم بما في ذلك من الحكم والمصالح

أما اهل الكتاب (اليهود) فلم يأت لهم ذكر حتى يعود الضمير اليهم وايضا فان الله تعالى قد عين هؤلاء القائلين بأنهم الذين لا يؤمنون بآياته وهذا لا يصح صدقه على اليهود اذا كان المراد بالآيات الاحكام وبالآية الواحدة الحكم لايمانهم بالتوراة وإن أريد بالآيات الجمل من الكلام المحدودة المنصوصة فان أطلقت

على عبارات التوراة فكذلك وان لم تطلق بطل حمل الآية المبدأة على شيء من عبارات التوراة فثبت بذلك ان المراد واذا بدلنا آية من القرآن مكان آية منه قال المشركون انما انت مقتروهم لا علم لهم بالتوراة ولا باحكامها

ثم نقول لو كان التبديل ابي النسخ ممنوعا في القرآن مطلقا وان الله لا يبدل آية مكان آية لما صح تقييده في جواب الكفار حين قالوا لرسول الله (ص) « انت بقرآن غير هذا او بدله » حيث امر رسول الله (ص) ان يجيبهم بقوله « قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي » فانه لا معنى للتقييد حينئذ وبذلك وهذا تبين عدم دخول المتكلم وهو الله تعالى في عموم لفظ « مبدل » من قوله « لا مبدل لكلماته »

ان من تتبع آيات الكتاب وجد فيه ما يلجته الى القول بوقوع النسخ فيه فعلا كما اخبر الله بوقوعه فيه مستدلا على جواز ذلك وحسنه بارتباط الشرع بالقدر أي تلازمها — لا ينكر ذلك إلا من كابر وجدانه وخالف ظاهر القرآن وخرج به عن حدود مرامه الذي فهمه رسوله (ص) وبينه لأصحابه (رض) الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل والتفسير والمراد من الخطاب لما بينهم الوقائع والأسباب فلا يجوز لمن لم يحضر الوقائع ولم يعرف الأسباب والموانع ولم يمارس محاورات أهل الشرائع ان يهجم على كلامهم (فضلاً عن كلام الله) ويؤوله بان يجعله على معاني يفرضها مع ترك ما سبق الكلام فيه وله . انما يختار هذه الطريقة المحرفون الخراصون كالقرامطة والملحدون من المتصوفة وسائر الطوائف المتبدعة الذين اذا تكلموا في القرآن يترامى للناظر في كلامهم انهم كأنما يتكلمون في دين جديد نزل عليهم ابتداءً وكأنه لم يكن نزل على رسول قديين حدوده وأوضح احكامه وفسر مرامه وكأنه لم تلقه أمة ولم تعمل به الطوائف حتى جاء هؤلاء بأرائهم السخيفة وأقوالهم الساقطة الضميمة — كل ذلك لم يقع من هؤلاء الا بتركهم السنن النبوية وهجرهم لطريق السلف وبالاخص آثار الصحابة (رض) ولتعد إلى ما كنا بصدده فنقول

قد تقدم لنا ان قوله تعالى « واذا بدلنا آية مكان آية » دليل واضح على جواز النسخ في القرآن كما انه جائز في سائر الأديان وانه لا تعارض بين هذه الآية وقوله تعالى « لا تبدل لكلماته » الآية

ومن الأدلة الناصة على جواز النسخ في القرآن بل على وقوعه قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » الآية وقد قدمنا كلام السلف في تفسير هذه الآية نقلاً عن تفسير ابن كثير رحمه الله

ودونك ما ذكره حضرة الدكتور في تفسيرها فإنه قال في رسالة له سابقة أدرجت في الجزء الثاني من المجلد التاسع من المنار الأغر بعد ان ذكر قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » ما نصه « الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الانبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى ما ننسخ من آية تقيمها دليلاً على نبوة نبي من الأنبياء أي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك نأتي بخير منها في قوة الاقناع واثبات النبوة أو مثلها في ذلك » —

ونحن ندعو القراء الكرام إلى المقارنة بين ما نقل عن السلف في تفسير هذه الآية وما قاله حضرة الدكتور فإذا كان لفظ آية يدل بالاشتراك اللفظي على معاني متعددة فهل يجوز لأحد كائناً من كان ترك المأثور عن العارفين بالمراد واختراع معنى آخر من عند نفسه بعد أكثر من ثلاث عشرة مائة سنة؟ وهل هذا التفسير بالرأي في مقابلة المأثور الذي توافرت الأدلة الشرعية على منعه والتحذير منه كما دل العقل على قبح تفسير كلام أحد على غير مراده —

وتقول أيضاً اذا كانت الآية هنا هي (المعجزة) كما يقول حضرة الدكتور فما معنى ازالتها وترك تأييد نبي آخر بها؟ فان المعجزات انما هي امور خارقة للعادة يظهرها الله على ايدي انبيائه لتدل على صدق دعواهم وقد انقضت بانقضاء الزمن المشروط لوجودها وليست هي جارية على سنن الكون المعتادة حتى تبقى ككل باق يرى تابها وخاضعاً لأسبابه ونواميس جريه في بقائه وتطوراته وأكثر المعجزات اعراض لا قيام لها بنفسها وانما هي واقعات تنقلها الامم كسائر الاخبار

انه لا يمكن تأييد نبي بمعجزة هي نفس معجزة نبي آخر والممكن انما هو ان يؤيد بمثلا لأنها ان كانت معجزة النبي الاول موجودة بين ايدي الناس فكونها معجزة الثاني ممتنع ولأفضى ذلك الى تحصيل الحاصل وان كانت قد فقدت فالأخرى انما هي مثلها والنسخ او الازالة او الترك لا يكون الا لما يجوز ان يظهر اولما هو موجود فاذا امتنع عقلا ان تكون نفس معجزة نبي متقدم هي نفس معجزة نبي متأخر لم يبق في تفسير الآية الا ان يقال هكذا : ما ننسخ من آية اي من مثل آية او ننسها نأت بغير منها او مثلها. ومؤداه ما ترك مثل معجزة الانات بمثلا. اليس هذا تناقضا يجب ان يتره القرآن عنه ؟ وتقول ايضا انه لو سلم جواز وقوع النسخ في المعجزات فانه لا يتصور وقوعه الا في القرآن حين امكان النسخ أي وقت نزول القرآن وقبل وفاة رسول الله (ص) فثبت الاستدلال بهذه الآية على جواز النسخ ووقوعه في القرآن حتى على تفسير حضرة الدكتور للآية بمعنى المعجزة فان القرآن من اعظم معجزات نبينا (ص)

وتقول ايضا ما ذكرناه عن السلف هو المتعين ويلزم الاخذ به لان هذا الدين انما جاءنا بتوسطهم فلا يجوز لنا ان نخرج عن جميع اقوالهم الا بحجة واضحة ومن المحال ان لا يوجد لاحد منهم قول موافق لها -

وايضاً لو كان هذا الكتاب نزل علينا ابتداء ولم يبينه مبين لنا لما جاز لنا ان نستبد بقولنا في مواطن الاشتباه وعدم وجود مرجح ومن هنا قالوا لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة

وفوق ذلك كله ان هذه الآية ذكرت في ذيل خطاب الله لعباده المؤمنين تسكيناً لم ودفعاً للشبه التي بينها بينهم اهل الكتاب والمشركون من قولهم ان محمداً يأمر بالشيء ويمنع عن غيره الى غير ذلك من تشكيكاتهم الكاذبة فرد الله عليهم وأعلم عباده المؤمنين بالحكمة في ذلك ونبههم على ان هذا انما هو حسد من أعدائهم ودونك الآية وما قبلها يتبين لك ان ما ذكرناه عن السلف هو المطابق لظاهر سياق الآية بعد ما عرفناك فساد تفسير حضرة الدكتور قال الله تعالى (٢ : ١٠٤) يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم

١٠٥ ما يورد الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ١٠٦ ما ننسخ من آية أو ننسها تأتي بخير منها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) فالآية دلت على أن الذين كفروا يكرهون نزول الخير على الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما كان النسخ انما هو زيادة خير وفضل من الله كنسخ بعض الاحكام الشاقة التي كلف بها بني اسرائيل وكنسخ ما فيه خير مما نزل على محمد (ص) الى ما هو أكثر خيراً منه ذكره تبارك وتعالى كالفروع من قوله «والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم» وأتبع الآية بقوله «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير» استدلالاً للصحة للنسخ لانه اذا كان من المقرر لديك ومن المسلم لدى اعدائك ان الله تعالى هو خالق الخلق واستعدادهم المختلف باختلاف الزمان والمكان فمن اللازم لذلك اذا وجد مقتضى نسخ بعض الاحكام والتعاليم الأهلية إلى ما هو انبى باحوال المكلفين وأكثر خيراً لهم وهذا ظاهر في تلازم الخلق والأمر — وقوله تعالى عقب ذلك (١٠٧) ألم تعلم ان الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) هو زيادة لا يوضح الحجة معناه انه اذا كان هو الخالق للاشياء فهو يعلم المناسب والاصح بها واذا كان هو الولي والملك فلا بد لكل ملك من احكام فاذا كان الملك ذا حكمة وعدل مختبراً أحوال الرعية فلا يليق بعله ترك ما فيه زيادة الخير والانبى باحوالهم لما هو أحوط منه مع علمه بذلك

اما قول حضرة الدكتور في رسالته السابقة بعد قوله تعالى (أو ننسها): ننسها الناس لطول العهد بها (يعني المعجزة) الى آخره — فيقال عليه ان الضمير في ننسها عائد على الآية وقد قدمنا فساد تفسيرها بالمعجزة لأننا نقول ان الله قد وعد في هذه الآية بانه اذا نسخ آية أو انسأها فهو لا محالة يأتي بخير منها أو مثلاً وعداً لازماً لتلازم الشرط والجزاء — فاذا أبى الدكتور تفسير الآية الا بالمعجزة فهل أتى الله بخير من كل معجزة انسيت أو أتى بمثل كل معجزة انسيت عن كل واحد من انبيائه؟ وما معنى قوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله) فهل كان يقرئه عدد معجزات الأنبياء قبله عليه وعليهم الصلاة والسلام

وأيضاً قد قرأ بعض القراء « ما ننسخ من آية أو ننسأها » بفتح النون وهمزة بعد السين ومعناه حينئذ نؤخرها وحضرة الدكتور ذكر ان معنى ما ننسخ ما نترك وعليه يكون المعنى هكذا : ما ننسخ أي ما نترك من آية أي معجزة أو ننسأها أي نؤخرها . وهو على ما فيه من الركاكة ومخالفة ما ذكرناه عن السلف لا يعطي ما أراده ذكر حضرة الدكتور في رسالته السابقة بعض الآيات المنسوخة ورد بزعمه على من قال بنسخها وحيث اني رأيت انما مال الى التاويلات الزائفة ومع ذلك هي لا تنتج مراده فلم أر للتطويل فائدة بالرد عليه لان ما ذكره بين البطلان بنفسه -

ويكفي في الجواب عليه عن ذلك كله حتى بعد تسليم تاويلاته ان يقال له بجواب مجمل : ان هذه الآيات التي زعمت انها ليست بمنسوخة كآية تقديم الصدقة قبل مناجاة الرسول (ص) وغير ذلك هل ترى انها محكمة بمعنى ان دلالتها حين نزولها وبعد نزول آيات التخفيف بعدها على السواء من كل وجه ؟ فان قلت نعم فطليك البيان بشرط عدم التاويل والخروج عن الظاهر لا تارى ان التاويل للمنسوخ على غير ظاهره وإبقاء الناسخ على ظاهره هو القول بالنسخ عندنا لا فرق الا في اللفظ والعبارة وان قلت بتغير الدلالة ولو من بعض الوجوه فقد قلت بالنسخ صراحة وواقفتنا وهو غاية ما تمناه

لم يقع خلاف بين المسلمين في جواز النسخ ووقوعه من غير فرق بين كونه في الكتاب او السنة حتى قيل انه مما اتفق عليه اهل الملل - الا اليهود فقد منعه للتوراة وقالوا انه لا يجوز ان يرسل الله رسولا بنسخ شيء من التوراة قالوا ذلك وجوزوا لأخبارهم نسخ ما شاءوا من التوراة - والا ما يحكى عن ابي مسلم الاصفهاني انه قال لم يقع شيء من ذلك في القرآن وهذا مما يعد من اكبر غلطاته حتى قال الحافظ ابن كثير بعد ان حكى قوله وقوله هذا ضعيف مردود ومرذول وقال السيد صديق حسن خان ولعله تقلاعن الامام الشوكاني : واذا صح هذا عنه فهو دليل على انه جاهل لهذه الشريعة المحمدية جهلاً قطعياً واعجب من جهله بها حكاية من حكى عنه الخلاف في كتب الشريعة فانه انما يتعد بخلاف المجتهدين لا بخلاف من بلغ في الجهل الى هذه الغاية انتهى

ولم أر احداً حكى قول الاصفهاني الا وأتى عليه باللوم . ونحن لا نرى في الطعن فائدة (١) لانا نعلم كثيراً انه مامن أحد غير انبياء الله ورسله الا ويؤخذ من قوله ويترك ومن تتبع الفططات ولو من كبار الرجال وجدها في كل شيء من الأشياء وامر من الامور ولا يبقى يديه شيء من الحق وذلك هو الحسبان المبين

اتان علي البرية

كتاب الترية

ألف علماء اوربا كتباً كثيرة في فن الترية فلما كتب في ذلك الفيلسوف سبسر كان ما كتبه ناسخاً لطريقة من قبله ولكثير مما جاؤا به وقدوة جديدة لمن عاصره ولمن يجيء بعده فهو الذي نبى قوانين الترية على أسس المنفعة وبين خطأ الناس في تقديم الزينة على المنفعة كما جرى عليه المتوحشون من اقدم زمن يعرفه التاريخ . وكتابه في الترية أشهر من أن يذكر فينوه به وقد ترجمه بالعربية محمد

(١) المئارج : قد أحسن الكاتب في عدم اقراره لصديق حسن خان على طعنه هذا بأبي مسلم وابن هو من ابي مسلم بل ابن منه شيخه الشوكاني في فهم القرآن ؟ اتان نجل الشوكاني ونعرف له فضله في علوم الحديث والآثار والفقه ولا نظن انه نبز أبا مسلم بالجهل ومحمد من صديق حسن اهتداه بكتب الشوكاني ومحاربه للتقليد وان كان في عامة أحواله مقلداً للشوكاني ولكننا لا نرى طعنه هذا في أبي مسلم الا هفوة من هفوات الغرور . نعم ان لابي مسلم غلطات ولكن اي عالم كتب او الف أو ابدى علماً وفيها فسلم من الغلط والخطأ ؟ ألم ينكر هو والشوكاني على الائمة المجتهدين وعلى من قبلهم من علماء السلف كثيراً من المسائل حتى بعض فروع مسألة النسخ ؟ ألم يحصر الشوكاني المنسوخ في بضع آيات ويخطئ المتقدمين في سائر ما عدوه منسوخاً ؟ فكيف يعد أبو مسلم من أجهل الناس بالشريعة ان وجد هذه البضع الآيات معنى ينافي النسخ بالمعنى الخاص الذي ينفيه ؟

افندي السباعي أحد محرري الجريدة وطبع في مطبعتها طبعاً حسناً على ورق جيد
فبلغت صفحاته ١٤٣ وجعل ثمنه عشرون قرشاً وهو يطلب من ادارة الجريدة

مجموعة الخطب

تمنى كثير من أهل العلم والأدب لو طبع الخطب التي تلقى في نادي دار
العلوم وكاشفوا رئيس النادي (حفي بك ناصف) بأمنيتهم فواقت رغبته رغبهم
وقرر مجلس ادارة النادي طبع الخطب التي يكتبها اصحابها . وقد طبعت المجموعة
الاولى فأوعت ثمانى خطب في موضوع اللغة والتعريب والترجمة فبلغت زهاء مئة
صفحة وجعل ثمن النسخة منها قرشان ونصف قرش وهي تطلب من النادي بشارع
عبد العزيز (نمرة ٥)

بلاغات النساء

كتاب لطيف من تأليف ابي الفضل احمد بن ابي طاهر المحدث المؤرخ (المتوفى سنة ٢٨٠
اودعه ما رواه عن النساء من خطبهن وطرائف كلامهن وملح نوادرهن واخبار ذوات
الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الاسلام فيه من الخطب خطب عائشة
ام المؤمنين في فضائل ايها وراثته وخطبها السياسية بالبصرة وخطبها لما بلغها قتل
عثمان . وفيه خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لما منعها أبو بكر ميراثها وغير ذلك
من خطب وكلام امهات المؤمنين ونساء الصحابة رضي الله عنهن وعن ازواجهن
وكلام غيرهن في السياسة والآداب والمدح والثناء ومن احسنه كلام كثيرات
منهن مع معاوية في تخطبته بما كان منه . وفيه كثير من كلام النساء في الازواج
مدحاً وذكماً ووصاياهن لبناتهن والتعير عن سائر أغراضهن شراً ونظماً . وليته
خلا من اخبار مواجهن ، واحاديث رفهن ، اذاً لكان الكتاب ، جديراً بعناية
الشبان والشواب ، لما فيه من روائع الآداب ،

طبع الكتاب احمد افندي الالفى طبعاً حسن على ورق جيد وشرح في هوامشه

٣٠٤ مطالع البدور . تحفة المدارس . الحمامات المعدنية (المنارج ٤١ م)

ما رآه خنيا من مفرداته حتى بعض كلم الرفث والمجون الذي كان اجدر بالخفاء منه بالظهور ، وقد بلغت صفحاته زهاء ٢٠٠ من قطع المنار وجعل ثمن النسخة منه عشرة قروش صحيحة ويطلب من المكتبات المشهورة

مطالع البدور في محاسن ربات الخدور

هو كتاب خاص بوصف محاسن النساء نظماً وثر جمع فيه واضعه محمد سليم بك ابو الخير الانسي ما اختاره ذوقه من كلام المتقدمين وما جادت به قريحته في ذلك ومثل هذا الوضع لا يحتاج الى من ينوه به ولا يرغب فيه . لذلك كتبنا عنه هذه الكلمات قبل مطالعة شيء منه وقد جعله جزئين لطيفين طبع أحدهما وشرع في طبع الآخر وثمان عشرة قروش وثمان الذي طبع وحده خمسة قروش ويطلب المكتبات المشهورة

تحفة المجالس وزمة المجالس

كتاب لطيف في المحاضرات يعزى الى جلال الدين السيوطي جله حكايات وأخبار في فضل العقل والعلم واخبار الأولين من الأنبياء والخلفاء والملوك والقضاة والمتلصحين والنساء والمشاق . طبعه الحاج محمد افندي دربال التونسي التاجر بسوق العطارين بالقاهرة وقد جعل ثمن النسخة منه خمسة قروش صاغ وهو مما يرجى رواجه لتوفر الرغبة في امثاله من كتب الفكاهات والمحاضرات عند جميع طبقات الناس ولرخص ثمنه

الحمامات المعدنية

رسالة موضوعها التداوي بالحمامات المعدنية في القطر التونسي وضعها الطبيب بيورف بلغة أجنبية وتلقاه عنه بالمرية الشيخ محمد بن حسين يرم في عهد محمد بن حسين باي ونقلها الى اللغة العربية ووضع لها مقدمة من عنده . وقد طبعها في هذه

(التاريخ ١١٤م) الاسلام والرد على كرومر - تقرير السير ألدن غورست ٣٠٥

الايام طابع كتاب تحفة المجالس وقد جعل ثمن هذه الرسالة قرشين ونصف قرش
فبحث القراء على مطالعتها لما فيها من الفوائد المتعلقة بالاستحمام بالمياه المعدنية ونخص
بالذكري اهل تونس لما فيها من الكلام عن حماماتها بالتفصيل

الاسلام - والرد على لورد كرومر

كتب أحد فضلاء المصريين مقالات دينية في الرد على لورد كرومر نشرها
في جريدتي المؤيد واللواء بتوقيع « أبقراط » ثم جمعها وطبعها على حداثها فبلغت
٦٤ صفحة . منها مقالة في المقابلة بين الإسلام والنصرانية ومقالة في (المرأة في
الإسلام والنصرانية) وسائر المقالات في الرق وتعدد الزوجات والطلاق والعبادات
والجنة والنار والجهاد . ولعل هذه المقالات أحسن ما نشر في الجرائد ردا على
كتاب لورد كرومر (مصر الحديثة) وثمان النسخة منها ثلاثة قروش

تقرير السير ألدن غورست

كان الناس يتظرون هذا التقرير انتظار من توقع شيئا جديدا في أمر عظيم لما
شاع وذاع ونشرته الجرائد في جميع البقاع من ان الانكليز غيروا سياستهم في
ادارة هذه البلاد منذ استقالة لورد كرومر ارضاء للمصريين الذين اظهروا السخط
من الادارة السابقة . وكان الكثير يظنون وهم لم يروا من السر ألدن غورست
المعتمد الجديد عملا جديدا يخالف طريقة سلفه اللورد أنهم سيقروا في تقريره
عن سنة ١٩٠٧ شيئا جديدا يستنبطون منه كنه السياسة الجديدة . وكانوا يظنون أن
من فروع التفسير في سياسة الوكالة البريطانية بمصر حرمان اصحاب المقطم من ترجمة
التقرير السنوي بالعرية وطبعه واهدائه الى المشتركين في جريدتهم وبيع طائفة منه
فلما جاء الموعد وظهر تقرير الصيد الجديد بمصر بالانكليزية والعرية في وقت
واحد كالعادة قالوا « ما أشبه الليلة بالبارحة » ورأوا صدق قول لورد كرومر « يذهب
انكليزي ويحيى انكليزي » فقد نسج غورست على منوال كرومر ورمى عن قوسه
قالوا إلا في مسألة الصلة الشخصية بالامير فان هذا يحاسنه بقدر ما كان ذلك يخاشنه

وصرح بعض الاحزاب بان هذه المحاسة تخشى ولا ترجى ويقول آخرون غير ذلك وسترينا مصداق أحد القولين حوادث الايام ، لاسيا بمد زيارة الأمير الملك الانكليز في هذا العام ، ومهما قيل في هذا التقرير وما قبله من حيث السياسة فلا خلاف في ان هذه التقارير تواريخ رسمية ، لادارة البلاد المصرية والسودانية ،

كلمات لقاسم بك أمين

كان قاسم بك أمين الذي نعيه الى القراء في منار الشهر الماضي يكتب بعض ما يسمح له من المعاني التي فيها عظة وحكمة وما يعين له من الآراء والخواطر او يراه من غريب المناظر . وقد أتى الى ادارة الجريدة ما كتبه من ذلك فطبعته وأطلقت عليه هذا الاسم « كلمات لقاسم بك أمين » فكان زهاء ستين صفحة مثل صفحات كتاب الاسلام والنصرانية وجمعت ثمنه عشرة قروش صحيحة تعظيماً لقيمه المعنوية وانا نقل من فرائد تلك الكلمات أحسن نموذج للقراء وهو :

الحرية الحقيقية تحتل ابداء كل رأي ونشر كل مذهب وتروج كل فكر

ان الذي يمدحك بما ليس فيك إنما هو مخاطب غيرك

وب كلمة يتجرعها الحليم غخاقة ما هو شر منها

اذا استشارك عدوك فأخلص له النصيحة لأنه باستشارتك قد خرج من عداوتك

ودخل في مودتك

تعصب أهل الدين وغرور أهل العلم هما منشأ الخلاف الظاهر بين الدين والعلم وليس بصحيح ان يوجد بينهما خلاف حقيقي لا في الحال ولا في الاستقبال مادام موضوع العلم هو معرفة الحقائق المؤسسة على الاستقراء فهما كثرت معارف الانسان لانملاً كل فكره — بمد كل اكتشاف يتحققه العلم يبحث عن اكتشاف آخر وفي نهاية كل مسألة يجلبها تظهر مسألة جديدة تطالبه بحلها . الآن وغدا يشغل عقل الانسان بالعلم أي بمعرفة الحوادث الثابتة ولا يمنعه ذلك من التفكير في المجهول الذي يحيط بها من كل طرف . هذا المجهول الذي كان ويكون بمد الذي لا قرار له ولا حد لا في الزمان ولا في المكان هو دائرة اختصاص الدين

القلد في إيمانه مقصر يحمل عقيدته كما تحمل الوردة في عروة الملابس ، والمنكر مجازف جاوز حد العقل والعلم ، وأبغض منهما من يخادع بدينه فيقول ان كان الله غير موجود ما خسرت اكثر من غيري وان كان موجودا رحمت مع الراجحين لذلك اومن به . هذا هو المحتال الذي لا يصابن أحد حتى الاله من نصبه أتس البرية انسان ضاع إيمانه يدس الموت بسسه في حياته فيفسد عليها لذتها وينقص عليها شهوتها
وسنشر بعض آرائه في أهل عصره

شقاء المحبين

قصة في جزئين من وضع اسكندر دوماس الفرنسي الشهير وترجمها بالعربية حنا افندي المنحوري الشاب الدمشقي الذي نبغ في آداب هذه اللغة في سن الصبا نبوغاً قلما قار به في مثله احد من المشهورين بالترجمة والكتابة في هذا العصر ولولا ان فاجأته المنية في نحو الثامنة والعشرين من سنه لرأينا من آثار قلمه ما يعد من آيات حياة العربية قلما رأيت ترجمة لاحد من الكتاب المعروفين كترجمة هذه القصة تكثر فيها فرائد اللغة التي هجرها الكتاب لقله اطلاعهم وتزين بالامثال والاقباس والتضمين وحل المنظوم من كلام الشعراء الاولين المجيدين ونقل فيها الاغلاط الشائعة الآن طبع القصة ابراهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في جزئين واهدى لنا نسخة منها وعهد لنا ان لا نكتب عنها شيئاً الا بعد قراءتها قلنا لا بد لهذا من سبب فلما قرأنا صفحات منها علمنا انه عهد لنا بذلك لعلمه باننا نعرف قيمة هذه الترجمة البليغة . وثمن الجزئين معاً عشرون قرشاً وهي تطلب من طالبها

﴿ القطر المصري ﴾ مجلة سياسية أسبوعية تؤيد سياسة الحزب الوطني بمصر انشأها أحمد افندي حلمي اشهر محرري جريدة اللواء في عهد مؤسسها واذا كان من مروجي جريدة اللواء بقلمه كما هو معروف فلا غرو أن تروج مجلته وهي كبيرة الحجم قليلة الثمن اذ قيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً في السنة

الفصل الخامس (*)

« مقام خديجة » عند قومها

ما كرم هذا المقام، واني بليغ لا تأخذه الهيبة اذ ادعي لتصور هذه المنزلة،
سيده بطولتها الفخامة والشرف يتجيان، والجمال والكمال يتأتقان،
ومزايا كازهر قفلاً وطياً وكزهر السما بهاماً ونورا
من شرف حسب، الى كرم محدد، الى سوؤد قبيل، الى عز عشيرة،
الى جمال ذات، الى كمال صفات، الى فضل حجبى، الى طهارة نفس، ذلك
ما كانت تزين به سيدتنا « خديجة » وذلك ما كانت تحمل به بين قومها في
المكانة العالية والمقام الكريم

هذه المزايا ليست بالبدع من الاشياء، ولا نبأها بغريب من الانباء،
بل هي معروفة في كثير من النسوة، ومع ذلك لم يكن لاسمهن نصيب
بغير الخمول، قد طويت اعلامهن، ولم ينشر ذكركهن، ولم يدعى في
اقوامهن مقامهن، فكيف تسمى اسم « خديجة » وطت منزلتها؟

انما كان لخديجة ذلك الشرف بشيء آخر غير مزاياها. ذلك الشيء
هو ارتقاء مدارك قومها وسلامة اذواقهم وحسن انتظام مجتمعهم. وليس
يكافى لتعالى امرىء ان يكون كاملاً بل بدمع ذلك من احاطة قومه
طلباً بفضائله ووجود ميل فيهم للفضائل والكمال ومن المشهور ان الحجارة

الكرامة عند من لا يعرف مزيها لا قيمة لها وهي عند عارفها فوق القيم
فالحق ان ارتقاع من يستحق الرقمة في قوم ليس دليلاً على فضله وسعادة
جده وحده بل هو دليل ايضاً على فضل اولئك القوم وسعادة جدم ،
فقد ربح قوم كان للافاضل منزلة كريمة لديهم ، وخسر قوم لا يعلو بينهم
الا من استعان بجيش من الحيل والخداع ، وحواشٍ من النقائص المتطلبه
على الطباع ،

واذا كنا معجبين بالسيدة « خديجة » لوفرة مزاياها الشريفة فنحن
بقومها الذين شرفوا هذه المزايا أشد إعجاباً . وليست « خديجة » وحدها
هي التي نالت مقاماً كريماً في قريش بل كثير من فضليات نسايتهم نلن المقام
الكريم فيهم وكان لكثير منهن آثار مشكورة في مساعدة الاسلام الذي
نقل العرب وغيرهم الى أعلا مما كانوا فيه ولم يستطعن ذلك الا بالهن من
القدر الذي يليق بانسان ذي رأي مهود، وعقل مذكور ، ونفس مشابهة
وحسبك من هذا ان ذلك الرجل العظيم عمر بن الخطاب ابا العدل و ابا
الفتوح و ابا السياسة والادارة لم يكن اسلامه الا بمحاورة سيدة من اولئك
السيدات القرشيات هي اخته فاطمة زوجة ابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
نحن نعلم أن أكثر الناس يمرون بالمزية يهدون أمثالها فلا يلتفتون اليها
مالم تكن رائحةً وفوق ما اعتادوا وهذا عندنا صار لان فيما يهدونه ايضاً
ما يستحق الالتفات اليه ، ويفري بالانتفاع منه ان كان مفيداً ، والانتقال
عن الانسان المفيد اذا لم يكن فوق العادة يوصل الى الحرمان البتة من ذلك
الرائع المنشود ، والسامي الذي هو فوق المهود

ولا يشكن القارىء في ان كثيراً من الاشياء التي صرفنا الألفة
عن إجلال شأنها هي في جلالة الشأن عند الإيمان فوق ما تصور . وفي
كثير مما لا تفكر فيه منها ما تخر الافكار صاغرة أمام زاخر فوائده
وباهر أسراره فلذلك أحيانا ان نمر بقارئنا سرّة في تفصيل جملة تلك
المزايا التي شرفها قوم «خديجة» حتى كانت بها كريمة المقام فيهم لانهم بما
اختلف في صدره التعجب من إكبارنا شأن مزايا معبودة في كثيرين وقد
يكون قارئنا من حزب الاكثرين الذين لا يبالون بالمهودات ، ولا
يطربون بنير الغرائب

نعم ، نعم نحن لم نظرف بما فوق المهود ، ولم نُهد ما وراء المشهود ،
ولا عدنا بمبتدعات التصور ، ولا لذنا بغرائب الحوادث ، وشواذ المصادفة
وخوارق العادة ، ولم نمت الى افئدة القراء الا بمعروف له أمثال ، ومآلوف
لا تضيق بتصديقه الافكار ، ولكن الامر عندنا في هذه المهودات
على ما قلنا . واذا بنا اليها بنظر الإيمان غير وسناة عين بصيرتنا ألقينا فيها
عند سأم النفس من لذة الحس ، أعظم ما تنوق اليه من لذة التصور
وفائدة الإدراك

واذا كانت الحياة واحدة كان جديراً بنا ان نقف متذكرين هذه
الوحدة ابداً أمام كثرة اختلاف المظاهر وشدة احتجاب الاسرار ولم
يكن حسناً بنا ان ننسى أحاسن ما تله لنا هذه الامم من الصور التي لا نحصى
انا بتذكرنا من نادوا وشادوا ، وبتذكرنا من صلحوا وأصلحوا ،

بتذكرة منا أوجدوا وابتدعوا - تذكر تاريخ أماننا الحياة وترتاح نفوسنا
باعتجاء أحسن صورها، وتوارد عليها اللذة باشتيائها إلى نصيب من
زوة تلك الأم التي جادت بمقادير منها عظيمة على اخوتنا أصحاب تلك
المظاهر ولا يسي تلك الصور، ولم لا تتوق إلى حديث ذلك التراث وهو
يلا كنوزاً ان عجزت أفكارنا ان تحيط بكنهه جواهر مخبراً فهي لا تسجز
ان تأتينا بلذة من التأمل في بديع كيانها والامل بلوغ ما تميل إليه
النفوس منها

الفصل السادس

فضائل « خديجة » والفضائل عند قومها

تبارك واهب الحياة، فقد أبدع لنا في «خديجة» المثال الاسنى منها،
وأطلع لنا في شخصها زواهر الانسانية الفضلى، وبنور هذه الزواهر رأينا
مدارك قريش في الافق الأعلى، وتربيتهم الادبية والعقلية في المنزلة العليا
نحن مشربني الحياة متفاوتون كثيراً في قوى النفوس وأكثرا في
الحقيقة منبوز الحظ، منقوص النصيب من القوى التي تكون بها الحياة هنيئة
شريفة مسعدة لصاحبها وغيره وتليل منا من رزقوا فضلاً من هذه القوى
النافعة الآتية بالنبطة والجور. ولدى التأمل نجد استعداد فطرة الشخص
هو الاساس في حسن الحظ من هذه القوى النافعة ثم للتربية دخل كبير
فاذا اجتمع في الشخص استعداد حسن وتربية حسنة كان حظه عظيماً من

فضائل النفس وقد اجتمعتا في «خديجة» فرأينا في سيرتها ذلك المثال السني،
والكمال السمي

عرفنا حسن استعدادها لان الترية وحدها لا تقبل شيئاً في جوهر
النفس اذا كان غير صالح لفظها كما لا يصلح الماء، لان تطبع فيه ما نشاء،
وعرفنا حسن تربيتها لان الاستعداد وحده لا يسير بصاحبه الى المرغوب
في المجتمع

ومن حسن استعداد هذه السيدة وحسن تربيتها عرفنا شيئاً آخر
جديراً بالتنويه وقلما رأينا من نوره به او التفت اليه فلذلك عيننا به نحن
كثيراً في صدد هذه السيرة وهو ارتقاء قوم «خديجة» ارتقاء عظيماً فان
الترية الشخصية مقبسة في الغالب من الترية العمومية . والمجتمع غالباً
اشبه بالمرآة يرينا من الاشياء مقبولاً ومردوداً ومسكوتاً عنه . وتشتهر
المقبولات حتى يطلق عليها اسم المعروف ، والمردودات حتى يطلق عليها
اسم المنكر ، ويضطر الناس الى تقرير ترية عمومية هي اذ لا يخالف المعروف
ولا يوافق المنكر، ويبقى للناس سبغ في المسكوت عنه من الاشياء حتى
يرى كل منهم رأيه فيها فهذا يستحسن شيئاً حتى يوجهه على نفسه، وذاك
يستقبح شيئاً حتى يجرمه عليها . وأعتل الناس في هذه الاشياء المسكوت
هنها من جعل المعروف والمنكر معياراً لها فكل ما قرب من المعروف كان
حسناً ويكون وجوبه على حسب درجة قربه من المعروف، وكل ما قرب
من المنكر كان مسترذلاً ويكون حظره على حسب درجة قربه من المنكر .
والاصل في المنكر هو الاذى والمدوان وعليه تيسر الاصل في المعروف
قياس الضد فالاصل فيه العدل والاحسان

فلى هذين الاصليين تقوم دعامة النظريات في التربية وعاليتها ماشاد
الاعمال فيها

وأي باحث لا تأخذه هيبه اذا اطاع على ما كان تقوم «خديجة» من التمتع
في دقائق هذا الفن من حيث النظر، وعلى بدائع النتائج فيه من حيث العمل،
أي والله ان هؤلاء القوم انزلين في ذلك البلد الصنير البعيد، واخوانهم
الآخرين الضارين في تلك النياقي، يدهش المتعالم بايرادهم من الباع الطويل
في فن التربية على مقتضى مجتمعهم ذلك. فترهم مثلاً لما كانت السامة
ضرورية ولا سيما لتلك الاجماع جعلوها في المنام الاول ولم يأوا
بطبعها في النفوس حتى نبغ فيهم أجواد بنقوا بهمهم في الجود الكواكب
وازيت الارض بمنقوب همهم، وايار اخيمم الانسان على انفسهم، كما فعل
كعب بن مامة الذي آثر رفته بانه ومات هو عطشاً

ولما كانت الشجاعة ضربة لازب لكل شخص وكل جماعة في كل زمان
وكل مكان تجدهم جعلوها شمار المحامد وتاج المناقب وسيروا فيما ضروه
من الامثال قولهم «الشجاع موقى، والجبان ملقى» وكانوا يتهاجون بالموت
قتلا ويتهاجون بالموت على الفراش ولما بلغ عبدالله بن الزبير - وهو ابن
أخي خديجة - قتل أخيه مصعب فخطب فقال « ان يقتل فقد قتل أبوه
وأخوه وعمه. اننا لانموت خنفاً ولكن قطعاً بأطراف الرياح وموتاً تحت
ظلال السيوف. وان يقتل المصعب فان في آل الزبير خنفاً منه» ذلك لانهم
كانوا يكرهون الحياة اذا لم تشرف ويرون الحياة الرذيلة معرضة للمدمم أكثر
من الحياة الشريفة ومثل هذا يقول علي ابن أبي طالب «بقية السيف أنمي

عدداً، وأطيب ولداً، وتقول الخنساء وهي إحدى الشهيرات في العرب:
 نهين النفوس وبذل النفوس من يوم الكربة أبقى لها
 لا يستكرن أحد اذا قيل له ان الشجاعة هي السجية التي لا ترقى
 الام اذا خلت منها كانت في العرب من الاخلاق الفاسية التي لا يمتدون
 بأحد منهم ما لم تكن فيه وقد سهل على نفوسهم انطباع هذا الخلق فيبالان
 أكثر شيء كانوا يتناقلونه هو حديث الشجمان واقدامهم في الشدائد
 حتى فضلوا، والجبناء واحجامهم فيها حتى رذلوا، وهناك من الشعر في
 الشجاعة والشجمان ما يفمل في النفوس فمل السحر فيستنزلها من الخوف
 على الحياة والهرب بها الى الخوف على الشرف حتى تهون النفوس في
 سبيله كقول عنزة وهو أحد مشهور شجماهم:

بكرت تخوفني الخوف كأنني أصبحت عن معرض الخوف بمزل
 فأجبتها ان النية منهل لا بد ان أسقى بكاس المنهل
 فاقني حياء لا ابالك واعلمي أني امرؤ سأموت ان لم أقتل
 وقد يظن ظان ان شجاعة العرب وبأسهم لم يكن الا فيما بينهم ومثل هذا
 الظن من قلة الاطلاع على جملة أخبارهم فنحن لا زبدان تأتي بآية على
 شجاعتهم مما فعل هؤلاء القوم بعد اسلامهم فان ذلك مشهور ولكن حسبنا
 ان نذل القاري على ما كان من بأس العرب يوم ذي قار اذا أراد كسرى
 أن يوقع سواد بني بكرين وائل لسبب لا محل لتفصيله فجهز عليهم
 جيشاً كثيراً ليهلكهم به وبلغهم خبره فتجهزوا له واعانهم قبائل أخرى
 فتوافوا بواد اسمه ذوقار وكانت الهزيمة على جيش كسرى حتى تبعهم
 العرب الى داخل البلاد الفارسية وهي واحة مشهورة كثرت فيها الاشجار،

وظهر فيها ما للشجاعة من الفضل في كسب الفخار، وحمى الدمار، واتقاء المار،
وفي هذه الواقعة يقول الاعشى اعشى بني بكر:

وجند كسرى غداة الخو صبجهم
لقوا مللمة شهباء تقدمها
فرع نمته فروع غير ناقصة
فيها فوارس محمود لقاؤهم
لما رأونا كشفنا عن جماجنا
قالوا البقية والهندي يحصدهم
لو ان كل ممدٍ كان شاركنا
لما أمالوا الى النشاب أيديهم
اذا عطفنا عليهم عطفة صبرت
بطارق وبني ملك مرارزة
من كل مرجاة في البحر أحرزها
كأنما الآل في حافات جمهم
مافي الحدود صدود عن سيوفهم

وفي هذه الواقعة يقول العديل بن الفرغ العجلي:

ما أوقد الناس من نار لمكرمة
وما يمدون من يوم سمعت به
جئنا بأسلابهم والخيل عابسة

الا اصطلينا وكنا موقدي النار
للناس أفضل من يوم بذى قار
لما استلبنا لكسرى كل أسوار

وفيه يقول شاعر آخر من بني عجل

ان كنت سانية يوماً ذوي كرم
فاستي الفوارس من ذهل بن شيبان

واسقي فوارس جاءوا عن ذمارهم وائلي مفارقهم مسكاور مجانا
وهي واقعة شهيرة ظهرت فيها الشجاعة العربية أكل منظر وكان
الندم لهم بنية كسرى وعزيمه لقيط الاياي اذ كتب الى بني شيبان
ينجدهم بذلك في شعر مشهور غاية في البلاغة والتحميس واستثارة المزاج
وفيه يقول:

قوموا جميعاً على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا قد ينال الامن من فرعا
وقلدوا أمركم لله دركمو ربح الذراع بأمر الحرب، مضطاماً
لا مترفاً ان رخاء العيش سائده ولا اذا عض مكروه به خشماً
ما زال يحلب هذا الدهر أثطره يكون متباً طورا ومتباً
حتى استمر على ثزرد مريرته مستحکم الرأي لافحها ولاضرعاً (*)
وليس يشغله مال يثوره عنكم ولا ولد ينفى له الرفا

فيلي مثل ما ذكرنا كان نصيب العرب عامة وقبيلة خديجة خاصة من
الشجاعة التي لا تقوام الامم بدونها وكانوا لا يتدنون بالجواز ولا يعدونه
شيئاً، ذتورا، يبنك بذلك قول احد شعرائهم

خرجنا نريد مفاراً لنا وفينا زياد ابوصصة
فسته رهط به خمه وخمسة رهط به أربعة

ثم لم يكن نصيب قوم «خديجة» في فقه النفس والحكمة والمعارف
بأقل من نصيبهم العظيم في الشجاعة فقد كانوا يتناقلون المعارف ويتدارسونها
من غير كتب وكان لهم المام قبل بحركات الكواكب والانواء التي

(٥) الميزة طاعة الجبل والجبل الشديد البتل . والشرد اقتل عن اليسار
والهني استعكم امره ونوبت شكيته . وانفحم ازجل الهرم وانضغ الضعيف

تبعها . وهو يقتضي شيئاً من معرفة الحساب وكان لهم معرفة غير قليلة
بالطب وحفظ الصحة سواء كان طب الانسان او طب الحيوان . والطب
يقتضي ايضاً نصيباً من علم الخواص التي اودعها الباري في الممذون والنبات
والحيوان . اما معرفتهم بالاخبار اي التاريخ فحدث عنها ولا حرج وكانوا
يعبرون عن هذا العلم بعلم النسب فان علم النسب في الحقيقة ليس عبارة
عن معرفة نسب الاشخاص والقبائل فان هذه معرفة بسيطة لا تستحق
ان تسمى علماً وإنما كانت النساء يعرفون اخبار اولئك الاشخاص
واخبار تلك القبائل وهذا هو التاريخ وربما كان اليب في اشتراك هذه المعرفة
باسم علم الانساب ان تارفي الاخبار كان اليهم المرجع في معرفة الانساب
التي من أهم نواتها معرفة تقربم القبائل والخطى القربى بأصولها على
شدة البمدين الاصول وتلك القروع أحياناً . وقد كان منهم اختصاصيون
بهذا العلم يلقون منه على من يتعلقون حولهم . قال رؤبه بن الحاج
قال لي النسابة البكري « يارؤبه امالك من قوم ان سكت عنهم لم يسألوني
وان حدثهم لم يفهموني » يعيب بذلك على الذين لا يرغبون في تاقى هذا
العلم حق الرغبة قال رؤبه فقلت له : انى أرجو ان لا اكون كذلك . قال
فما آفة العلم ونكرته وهجته ؟ قلت : تخبرني : قال « آفة العلم النسيان ،
ونكرته الكذب ، وهجته نشره عند غير أهله »

وأما الحكمة والآداب والبيان فقد ابع فيها هذا الشعب العربي من
الانصباب على حفظها ودراسة الكلام الجوامع فيها مبلغنا عظيماً ويمكنني
ان أقول انها من أشهر ما اشتهر عنهم .

وهل يجد الباحث في من المعاني التي يخطر للنفس فيها الاستحسان

أو الاستهجان إلا ومجد لهم الشافي الوافي من البيان في تصويره وإبرازه بأبداع حلة ولا ينبئك ببعض ذلك شيء كالمأثور من كلمهم الجوامع التي سارت مسير الأمثال، وكانت كالدرر الفرائد بين سائر الأقوال، ولا نستطيع أن نأتي هنا بقليل من ذلك الكثير لكيلا نهدم بالتاريخ عن سياق السيرة ولكننا نذكر خبراً واحداً يدل على مقدار عناية العرب بتذكار الحكم والآداب، وصياغتها بأبداع البيان، ومقدار ما وسعت منها تلك الأفكار. ذكروا أن عمرو بن الظرب المدوناني وحمزة بن رافع الدوسي اجتماعاً عند ملك من ملوك حمير فقال: تساءلنا حتى اسمع ما تقولان. فقال عمرو لحمزة أين تحب أن تكون أيديك؟ قال «عند ذي الرتبة المديم، وعند ذي الخلة الكريم، والمسر المديم، والمستضعف الجليم» قال: من أحق الناس بالمت؟ قال «الفقر المختال» والضعيف الصوّال، والفني القوّال، قال فمن أحق الناس بالمنع؟ قال «الحرص الكاند، والمستמיד^(١) الحاسد، والمخلف الواجد» قال من أجدر الناس بالصنعة؟ قال من إذا أعطي شكر، وإذا منع عذر، وإذا مُطل صبر، وإذا قدم المهدي ذكر» قال من أكرم الناس عشرة؟ قال «من إذا قرب منعه، وإذا ظلم صفع، وإن ضويق سمح» قال من ألام الناس؟ قال من إذا سأل خضع، وإذا سئل منع، وإذا ملك كنع^(٢)، ظاهره جشم، وباطنه طبع»^(٣) قال فمن أجل الناس؟ قال «من عفا إذا قدر، وأجل إذا اتصر، ولم تطفه عزرة الظفر» قال فمن أحزم الناس؟ قال «من أخذ رقاب الأسود بيديه، وجعل

(١) المستيدهو المستطي (٢) معنى كنع هنا انكسر (٣) الطبع فتحسين

العواقب نصب عينيه ، ونبذ التهيب دبر أذنيه « قال فمن أخرج الناس؟ قال من ركب الخطار، واعتسف المثار، وأسرع في البدار قبل الاقتدار^(١) » قال من أجود الناس؟ قال « من بذل الجهود، ولم يأس على المفقود » قال فمن أبلغ الناس؟ قال « من حلى المعنى العزيز، باللفظ الوجيز، وطبق المفصل قبل التحزير » قال من أنم الناس عيشاً؟ قال « من تحلى بالعفاف، ورضي بالكفاف، وتجاوز ما يخاف، الى ما لا يخاف » قال فمن أشقى الناس؟ قال « من حسد على النعم، وسخط على القسم، واستشعر الندم، على ما أنتم » قال من أغنى الناس؟ « قال من استشعر اليأس، وأظهر التجميل للناس، واستكثر قليل النعم، ولم يسخط على القسم » قال فمن أحكم الناس؟ قال من صمت فاذكر، ونظر فاعتبر، ووعظ فازدجر » قال من أجهل الناس؟ « قال من رأى الخرق مغنياً، والتجاوز مغرماً »

وما ذكرناه من جهة معارف القوم الذين نشأت منهم هذه السيدة كاف في الدلالة على انه كان من جملة ما يعنون به من التربية ثقيف ناشتهم بما عندهم من المعارف على الطريقة التي أتقوها وتمودوها في التعليم وهي الطريقة الطبيعية الساذجة الخالية من الاصطلاحات والتعاريف والتفاصيل التي يحتاج اليها نفر قليلون ويستغني حلبيها الآخرون. ولكل فرع أهله الذين بهم استعداد لا تقاطه بسهولة ولا يكاف البليد في شيء ان يكبد في تفرمه مدرسته، أو ينضي في حفظه ذا كرتة، أو في توسيمه مخيلته

ثم قد كان مما عني به المقالة من رهط خديجة التربية على العدل ولقد اسلفنا شيئاً عن ولعهم به وحرصهم على حماية المظلوم ووقاية المهضوم

٣٣٥ اصول الفضائل عند العرب أعدتهم للإسلام (الذارج ٤ م ١١)

وكذلك وانما بمدح النفاق وتشريف الاعضاء والمناقب، واجلال الطهارة وأهلها وكان من أكرم أئمتهم وأجلوا لقب الطاهر والظاهر وقد حازت السيدة « خديجة » هذا اللقب الشريف باسحقاق اذا كان يقال لها « الطاهرة »

فإذا عرف المظالم الكريمة ان هؤلاء التوم حظاً كبيراً من هذه الاشياء التي هي اصول الفضائل نفي السباحة والشجاعة والحكمة والآداب والبيان والمدل والتعفف كان جديراً به ان لا ينظر الى صغر شأن ذلك المجتمع اذا قورن ببلاد الحضارة فان الفضل الانساني المنوح من يد القاطر المدع لا يتوقف على زخرف البيوت وكثرة الدهر في البلدان او احدي بل يصل ذلك الفضل بإرسال وباني من يده سبحانه الى الترات الصغيرة التي في الأدمنة ويختص به سبحانه أفراداً ممن عنوا بتوجيه القول والقلوب الى تصفية النفس وتركها من التناقص وتخليتها بالفضائل ممن لم يجملوا أكبر همهم تجويد المأكل والملبس والسكن والنراش . فاذا تشر من هؤلاء الافراد في أمة ظهرت وان حل الخفاء بهم ، واستوفت وار بنحس الوزن لهم ، ولم يكن الافراد الذين تلو اعدية الفضل الانساني من الاحسان الرباني قليلين في قوم « خديجة » الفاضلة بل كانت كثرتهم خير مقدمة لخير نتيجة هي ظهور ذلك الرسول الكريم الذي كان من أكبر مميزات جماعته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، او تلك الذين واقام الوحي بينهم بنام أمهه قائلاً « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَرَأْسُ بَاقِي »

بوقت الحكة من بشاره من وقت الحكة قد أوتي
فيها كبريا وبلد كبر الا اولو الابواب

الله
١٣١٥

بغير جادى التي يستمر القول فيقول
أولئك الذين صدقوا واولئك هم اولو الابواب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و منارا و كثار الطرى

(مصر - الاثنين ٣٠ جمادى الاولى ١٣٢٦ - ٢٩ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٨)

المسلمون والقبط

سبق لنا قول في هاتين الطائفتين بمصرينا فيه ان المسلمين من حيث هم افراد ارقى من القبط في كل علم وان القبط من حيث الاجتماع والتعاقد الملى ارقى من المسلمين فلم مجلس ملي وجمعيات وجراند دينية تبحث دائما في مصالحهم العامة من حيث هم قبط وهم يتعاونون ويتحدون في المصالح . وهذا ماحدثهم واحمدهم عليه واتمنى لو يوفق المسلمون لمثله وان كنت أعلم انه لو أنشأ المسلمون جمعية للرابطة الاسلامية كجمعية الرابطة المسيحية لما وجدوا في القبط مثل احمد بك زكي يقوم فيها خطيا ويحمل عنوان خطابه « مصريون قبل كل شيء » بل يخشى ان يقوموا كما تقوم اوروبا ويقول الجميع ان المسلمين في مصر يحبون التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية ويدعون الى ارتباط بعضهم ببعض لمقاومة النصارى في مصر بل في جميع الارض

لم تكذ تهر شقيقة احمد زكي بك من دعوة المسلمين في جمعية الرابطة المسيحية الى توثيق عقد الاخوة بينهم وبين القبط ويقنهم بالادلة الدينية والتاريخية ان الاسلام في هديه وسيرة سلفه يوجب عليهم المودة للقبط حتى قام بعض الكتاب من القبط يكتبون في بعض الجرائد القبطية وغيرها ان حقوقهم مهضومة بين المسلمين وانهم يطلبون المساواة بتعيين المديرين ومأموري المرا كز منهم فواقفتهم جرائد المسلمين الكبرى في مطالبهم فلم يقنهم ذلك بل تبادوا في الكتابة حتى جعلوا انفسهم اصحاب البلاد وجعلوا المسلمين من قيل المحتلين بغير حق واغظوا القول للواء والحزب الوطني فكتب الشيخ عبد العزيز شوايش رئيس تحرير جريدة اللواء قولا ثقلا في الرد على بعض كتابهم سخر فيه منهم وهزى بهم

واقترع عليهم فكان ذلك جل ما يفتون من حركتهم الجديدة (۱) قامت قيامتهم ولم يكتفوا بما يكيلون كل يوم للشيخ عبدالعزیز من الصيغان الكثيرة في مقابلة صاعه بل انشأوا يكتبون في جرائدهم ان المسلمين يريدون تعصبهم الديني استئصال القبط وجميع النصارى من مصر وانه يجب عليهم ان يوفدوا الوفود الى أوربا للاستغاثة بدولها واممها المسيحية قبل ان يبدهم المسلمون التعصبون او يضطروهم الى الجلاء عن بلادهم والهجرة الى بلاد أخرى يأمنون فيها على انفسهم من المسلمين ثم هم يطلبون ايضا معاقبة الشيخ عبد العزيز شاويش الذي أهانوه أضعاف ما أهانهم وان يرد عليه ويتبرأ منه كبراء المسلمين ، ويعقدون الاندية والسهام للبحث في هذه النازة ويكتبون بالاموال لها

من علم ان القبط في القطر نحو نصف مليون في نحو أحد عشر مليوناً من المسلمين — وان العمال والمستخدمين منهم في الحكومة أكثر من المسلمين — وان المسلمين قاموا منذسنيين يدعون الى الرابطة الوطنية فكان لهذه الدعوة من التأثير في

(۱) مما كتبه من التحرش باللواء والحزب الوطني قبل مقالة الشيخ عبد العزيز التي جعلوها تكأتمهم في اثبات ذلك الخطر المزعوم من تعصب المسلمين على النصارى ماجاء في العدد ۳۶۹۸ من جريدة مصر الصادر في ۹ يونيو الماضي وهذا نصه :

اللواء والاقباط

« انا بالنيابة عن جميع الاقباط في كافة انحاء القطر تقابل ماجاء بصحيفة اللواء امس من الوقاحة والسفاهة بالازدراء والاحتقار . فانه اذا بلغ المرء مبلغ اللواء من قلة الادب والحياء نحو شعور امة برمتها لم يجد من الناس من يصغى الى قوله او يلتفت الى وقاحته بل يبنذ نبد النواة ويترك يندج نذج الكلاب وليس من يسمع له قولاً » ثم استشهدت جريدة مصر على ان القبط كلهم على هذا الرأي بالتلغرافات الكثيرة لما كتبه وعبرت عنه بقولها « في خدمة الوطنية والحق الذين خلق (أي اللواء) لها عدوا ليخزي هو واتباعه (أي الحزب الوطني وسائر محبي اللواء) اذا كان من القوم المدركين » ولم يكن اللواء كتب شيئاً بلسان الحزب الوطني ولا بلسانه

نفوس القارئين والسامعين، والاساتذة والتعلمين، أن صار يفضل كثير منهم القبطي، على المسلم الشامي والحجازي ٠٠٠، بل سمعت غير واحد من المعلمين والتعلمين يقول لا فرق عندي بين ان يكون أمير البلاد مسلماً أو قبطياً - وان المسلمين جعلوا أحزابهم وأنديتهم شرعاً بينهم وبين القبط - وان القبط يتعصب بعضهم لبعض في كل مصلحة وكل عمل حتى في القضاء - وان المسلمين على شدتهم في انتقاد حكاهم قلماً ينتقدون القبط فهم ينتقدون وزير المعارف المسلم على إحسانه في عمله بحجة انه لم يكن فيه مرغماً للانكليز ولا معانداً لهم أو انه يجب عليه ان يعمل أكثر مما عمل ولا ينتقدون وزير الخارجية القبطي الذي هو الصق بالمحتلين وبالاتفاق معه ستلخ لورد كرومر السودان من ملك الدولة العلية وملكه للانكليز وكان رئيس محكمة دنشواي التي ظلت الجرائد الاسلامية تعير وتب العضو المسلم فيها ولم تذكر رئيسها بسوء - من علم هذا وأمثاله تعجب أشد التعجب لهذه الثورة المعنوية التي أثارها القبط في الوقت الذي بالغ فيه المسلمون في موادتهم وتوثيق عرى الاخاء بينهم وبينهم - حتماً ان في الامر مثارا للعجب، وقلماً رأينا من بحث في حقيقة السبب، يقول بعض الناس تبعاً لبعض الجرائد أن قبطي الرحا لهذه الحركة اخنوخ افندي فانوس رئيس جمعية الرابطة المسيحية وجمع الاصلاح القبطي وصاحب جريدة مصر اللذان يسمى كل منهما الجعل ولده مديراً فهما اللذان أيقظا هذه الفتنة لحظ شخصي فكانت فتنة جنسية او طائفية باتباع الجمهور لها - ومن رأيي أنها بريتان من هذه التهمة ولو كان ذلك هفوة لهما، لما خفي على جمهور طائفتها الخازمة اليقظة، بل يئلب على ظني ان هذه الطائفة تجل عن أن تتوسل الى تقرير جعل المديرين منها بهذه الوسيلة لان ربح مدير لا يوازي خسارة مودة المسلمين لهم، ودعوتهم الى مساواتهم ومواخاتهم - هذه الخسارة التي تعرضوا لها الآن، بمتى ما عندهم من الجرأة والإقدام والراجح عندي ان القوم شعروا بالتغير الجديد في السياسة وعلم بعض كبارهم بالنيا الذي نشرناه في الجزء الماضي قبل ان نعلم به - وهو عزم الانكليز على السماح لأمير البلاد بإنشاء مجلس نيابي - ومن البديهي ان جمهور القبط لا يرغبون في ان يكون في مصر مجلس نيابي ولا أن يقلل المحتلون من سيطرتهم على البلاد - فلما علموا بذلك

رأوا أنه لا سبيل إلى تحويل الانكليز عن هذه السياسة الجديدة إلا باقناع امنهم بانفجار بركان تعصب المسلمين على القبط وسائر المسيحيين ليقولوا ان هؤلاء اذا جعل لهم رأي نافذ في سلطة بلادهم يهضمون وهم الاكثرون حقوق الاقلين . وانني لمعظم تقدرهم بهذا الظن ومعتقد فيهم الحزم والتكاتف وان ترجح عندي انهم ربما أخطأوا في اجتهادهم ، وجاء الأمر على خلاف مرادهم ، وحينئذ يكون شر هذه الحركة اكثر من خيرها ، وإثمها اكبر من نفعها ،

سما غير واحد من أهل الفهم والرأي يقولون إن تعصب القبط بعضهم لبعض وتعاونهم على مصالحهم الملية يعد من الأمور الطيمية في الاجتماع فان الفئة القليلة إذا لم تعصم بعروة التعصب فانها تنوب وتفتي في الأمة الكبيرة التي تعيش معها فالقبط معذورون في سيرتهم التي هم عليها لأنها طبيعية لا بد منها

وتقول نعم إن ذلك طبيعي وبديهي ولكن ما كان كذلك يجب الاعتراف به ويستنكر وجوده فبالك بادعاء ضده . ثم انه ليس من الطبيعي البديهي أن تكون الفئة القليلة في الأمة الكبيرة مهاجمة في جهادها الاجتماعي فتطلب ما تبغي بالطريقة التي جرت عليها القبط في هذه الأيام الا إذا كان لها حدث جديد ، أو أوتيت الى ركن شديد ، يعبرون عن أنفسهم في مقام مطالبة المسلمين بما يطلبون بالأمة القبطية ويبدأون بأنهم أصحاب البلاد ، لأنهم سلالة فرعون ذي الاوتاد ، ويجهرون بأن المسلم فيها أجنبي محتل ، وأن ائوي معتد ، وينكرون على المسلمين أن يكون لهم فيها حق من حيث هم مسلمون فاتحون ، ولا ينكرون على أنفسهم أن يدعوا الحقوق فيها من حيث هم قبط مسيحيون ، وهم في الحقيقة رعايا ذميون ، فما هو الحدث الجديد الذي أنطقهم بهذا اللسان ، وما هو الركن الشديد الذي يأوون اليه الآن ،

لا يظهر لنا حدث غير ما بيناه من تغير السياسة الانكليزية في البلاد وعزمها على السماح للأمبر بتأليف مجلس نيابي فيها يشترك معه فيما يسمونه مسؤولية إدارتها . ولا نعترف لهم ركناً فيما صمدوا اليه الا رغبة السياسة الأوروبية عامة والانكليزية خاصة في نزع نهضة المسلمين بالنعصب الديني — فهذا ما رأوه من موقع الضعف في المسلمين والقوة لهم ، لهذا جعلوا قول الشيخ عبد العزيز شاويش وهو على رأيهم دخيل في مسلمي

« مصر برهاناً على ان في مصر تعصباً إسلامياً لا يلبث ان ينفجر بركانه فيدفن القبط وسائر النصارى معهم تحت مقذوفاته النارية . وقد طلبوا من الحزب الوطني ان يتبرأ من هذا القول ففعل ومن العجب انهم لم يرضوا . ويقال انه قد تجددت لهم صلة ودية برئيس أساقفة الكنيسة الانكليزية ، وأنه رغب اليهم في الرجوع اليه ، والتعويل في رغائبهم عليه »

ولكن فاتهم على حذقهم أن السياسة (لا سيما الانكليزية منها) اذا قررت أمراً أنفذته لا محالة لا يصدحها عنه مراعاة فئة صغيرة ولا كبيرة ، ولا مسألة اختراعية كمسألة التعصب الاسلامي ، او حقيقة كإزالة السلطة الشخصية وحماية الحرية القومية ، فنشرهم بأن السياسة الجديدة التي بينها المنار في الجزء الماضي واقعة ما لها من دافع . وأمر مجلس النواب في هذه البلاد صار موكولاً الى ارادة أميرها باختيار المحتلين ورضاهم أو كاد . فان نجحت الحركة القبطية فقصارى نجاحها ان تكون سبباً في تأخيرها عاماً أو أكثر وما ذلك بالربح الكثير في جنب ما ينحسرون من مودة المسلمين بما اشتملت عليه مقالاتهم من التهم بمجد الاسلام الاول والشماتة بزواله كالتصير عنه « بالمعظمة البالية » ورمي المسلمين السابقين بظلمهم وظلم غيرهم ، واللاحقين بالتعصب عليهم وعلى أهل دينهم ، وبمطالبة جميع كبراء المسلمين وكتابهم بأن يقتدروا لهم عن مقال الشيخ عبد العزيز وان كانوا هم البادئين بالعدوان وقد أصرّوا عليه بجعل ذنب الشيخ عبد العزيز ذنباً لجمهور المسلمين ، وبالسعي في جمع كلمة نصارى السوريين والروم والأرمن اليهم لمقاومة المسلمين كما روي لنا ويؤيده ما يكتبون في الجرائد ، وترجمة الأقوال السيئة التي يكتبونها ويكتبها الآخرون باللغات الأوربية ، لا يهيام أوربا ان في البلاد تعصباً ربما يفضي الى ثورة دينية ،

أول خسارة خسروها بهذه المغاضبة هي اعتقاد المسلمين ان دعوة الوطنية التي قاموا بها في هذه السنين قد كانت خساراً عليهم وربحاً للقبط وحدهم . فان دعاة هذه الوطنية من المسلمين كانوا يبغون بها ان يتحدوا بالقبط ويتعاونوا معهم على مقاومة السلطة الاجنبية ولذلك رضوا بأن يساووهم ويؤاخوهم مع العلم بأن الحكومة في صفتها الرسمية إسلامية تابعة لخليفة المسلمين باتفاق الدول ، بل غضوا النظر في الغالب عن

رجحانهم عليهم لهذا الغرض . فبين لهم ان القبط لا يرضون بهذا الاتحاد من كل وجه بل يستفيدون منه ويحولون دون استفادة المسلمين شيئاً منهم ، حتى نفي التعصب عنهم ، ثم يبنون أعمالهم كلها على أنهم أمة ممتازة لا عضو في جسم الأمة المصرية او الشعب المصري - وانهم لا يرضون بمقاومة الاجنبي ولا يودون استقلال البلاد دونه - وانهم اذا وجدوا فرصة لمواثبة المسلمين واثبوم من أضعف جانب فيهم كبتزهم بقبب التعصب ومعاداة النصارى في هذه الأيام . فاذا كانت نتيجة دعوة المسلمين الى الوطنية المصرية بلسان جرائدهم وخطبائهم واحزابهم وعند القبطي أخاهم ، والمسلم غير المصري « دخيلا » فيهم ، ان تقوم عليهم جرائد القبط وجمعياتها الدينية ، وأنديتها القومية ، ترميهم بالغلو في التعصب والتواطؤ على إبادة النصارى فأى فائدة لهم في هذه الوطنية ؟ بل أي غائلة شر عليهم منها ؟؟

أقول إن في هذا خساراً للقبط لأنه ربما يغري المسلمين بمناظرتهم والتشبه بهم في جمعياتهم الدينية وترجيحهم لأبناء ملتهم في جميع الأعمال والمصالح . واذا دب في المسلمين الشعور بوجوب ترجيح المسلم على القبطي كما تفعل القبط فان ذلك يثر حرمان ألوف من القبط من موارد الرزق السائفة في دوائر المسلمين الخاصة بل ربما يعوزهم معه - اذا تمادى وعظم - اقيام باستغلال أرضهم كما يستغلونها الآن بمساعدة المسلمين . دع عنك مصالح الحكومة التي أكثر عمالها من القبط ولولا تساهل المسلمين وعدم عنايتهم بالمسابقة والمناظرة لكان الامر على غير ما هو عليه الآن وناهيك بالخسارة المعنوية التي هي عند أهل الآداب العالية شر من خسارة المال وهي ما يخشى ان يكون من التقاطع والتدابير بين العشاء والخلطاء والجيران والأصدقاء

فالرأي عندي للقبط أن لا يفتروا بترجيح بعض الجرائد الأفرنجية لأصواتهم في الشكوى من المسلمين والقول بتعصبهم ولا من سرور بعض الانكليز به - ان كان ما قيل من ذلك حقاً - فانهم مهما أصابوا من تعصيدي مشاقة المسلمين فهو لا يكون خلفاً صالحاً لمودتهم فيما أرى . فأنصح لهم أن يتوبوا مما فعلوا ويعتذروا عنه ويعودوا إلى سابق شأنهم أو إلى خير منه ان استطاعوا والمسامون تغلب عليهم سلامة القلب فلا يلبثون

ان ينفروا لهم ، وينسوا ما كان منهم ، ففي حديث أبي هريرة عند أبي داود والترمذي « المؤمن غرير كريم » أي ليس بندي نكر ولا مكر ولا خداع . ولولا اني أحب الوفاق لما نصحت لهم بهذا فاني أعلم ان هذه المشاقة لا تزيد المسلمين الا قوة في رابطتهم الاسلامية التي أدعو اليها ، وحفظا لحقوقهم التي أغار عليها ، ولكنتي أفضل أن يكون تبيينهم لذلك بغير هذا ، أحب ان يقتصموا بحبل الله جميعاً ولا يفرقوا وان يكونوا مع ذلك على وفاق ووثام مع من يعيش معهم ، وأنصح للمسلمين ان لا يكتبوا شيئاً في الرد على القبط — ولولم يكتبوا في الماضي ما كتبوا لكان خيراً لهم أحسن إطفاء لتلك الفتنة وخذلاناً لموقفها - ولكن لا بأس ببيان عدد الموظفين منهم في كل مديرية وذكر الوجة في تعصب بعضهم لبعض ، وتعاونهم المالي الخفض ، من باب بيان الحقيقة والاعتبار بها ، بشرط ان يتحرى الصحيح ، ولا تمزج الرواية بشيء من التأييد والتجريح ، فضلاً عن المهجر والتقيح ،

ومما يحسن البحث فيه ايضاً بيان ان القبط لا يتازون بحق رسمي على غيرهم من النصارى المتجندين بالجنسية المصرية من السوريين والأرمن والروم ومن اليهود ايضاً وانما ميزهم المسلمون في مقالاتهم وخطبهم التي يجعلون فيها المصريين عنصرين فقط ويدون القبط إخوانهم دون غيرهم من الذين جعلوا مصر وطناً لهم ويعدهم القانون المصري مصريين لولادتهم بمصر او لا قامتهم فيها ١٥ سنة او أكثر فالنسب القديم ليس شرطاً للوطنية ولا للجنسية عند أحد من الامم ولا في شيء من قوانينها . فاذا كان من الحق مطالبة القبطي بأن يكون مديراً كان من الحق ان يكون السوري الذي تجنس بالجنسية المصرية مديراً ووزيراً ، فالحق انه لا فرق بين ابن اخنوخ افندي فانوس ، وابن يعقوب افندي صروف ، فالوطنية الحقيقية هي المساواة بين جميع العناصر التي تقيم في البلاد وتحكم بقوانينها . الا أن يكون للطائفة الحاكمة بعض المزايا في القوانين العامة وطبيعة الحكومة

فما يبحث فيه هنا طبيعة الحكومة المصرية ودينها الرسمي فاذا كانت لا تزال حكومة إسلامية خلافاً لما يقول بعض القبط علم ان طلب هذه الطائفة مساواة المسلمين في كل شيء في غير محله . واذا كانت قد خرجت عن كونها إسلامية وعن كون

أميرها وكيل خليفة المسلمين فيجب البحث في تعيينه للقضاة الشرعيين ، ولادارته لأوقاف المسلمين ، وتعيينه للخطباء وأئمة المساجد ونحو ذلك من المسائل الشرعية هل هي مع ذلك حقوق شرعية له ام هو لا يملكها الآن الا بالتغلب والقوة المستمدة من القبط وغيرهم دون ولاية الشرع لان البلاد خرجت عن كونها دار إسلام ؟؟ بهم المسلمين جدا ان يعرفوا ذلك لانه يترتب عليه احكام شرعية كثيرة منها ما هو ديني محض وما هو مدني شرعي

نسمي القبط ما تطلبه الآن مساواة بالمسلمين وهو مساواة من وجه وامتياز عليهم من وجه آخر . فاذا كانت حكومة مصر غير اسلامية وكان المسلمون فيها لا يمتازون بشيء قط فلماذا تكون أمورهم المالية انحصاراً كالحكام الشرعية والاقواف والمدارس الدينية تحت سلطة الحكومة المشتركة وتكون امور القبط المالية وأوقافها في أيديها ؟ اليس يكون هذا من امتياز القبط على المسلمين ؟

يقول علي ظني ان زعماء الحركة القبطية اذا فكروا في الأمر من جميع وجوهه فانهم يفضلون السكون والسكوت على التمادي في هذا العدو والصياح الا ان يكون الركن الشديد الذي يأوون اليه قد ضمن لهم ان يكونوا هم الرابحين بمشاققتهم للمسلمين وإثارتهم لسخطهم وتعرضهم لمقاومتهم

لولا أنني اظن صدق الخبر الذي اوردته في الجزء الذي قبل هذا عن السياسة الانكليزية الجديدة بمصر لقلب علي ظني ان الركن الذي تأوي اليه القبط في هجتهم هذه هي السرالدين غورست نفسه والوزارة الانكليزية من ورائه أما وانا مصدق لذلك الخبر فلا يبعد عندي ان يكون ركنهم بعض المحافظين من الانكليز ورئيس اساقفة كنيستهم (كنتربري) والا كانت القبط طائفة حقاء وما عهدتها الا طائفة كياسة وروية ، وحزم وتدبر ، وستزيل لنا الايام ، بين الحقائق والأوهام ،

فاذا فازت القبط في سعيها فامتنع الانكليز عن السماح للامير باثناء المجلس النيابي وتقرر بالفعل انه لا فرق بينهم وبين المسلمين في الحكومة - وما ذلك بمحال -

فانني اشهد للقبط بأنها أرق طوائف الشرق الادنى في السياسة والاجتماع وجميع مقومات الحياة المليية لا أقرن بها تركيا ولا عريا سوريا ولا غير سوري ولا أرمنيا بل ولا يهوديا . ويتبع هذه الشهادة انها تكون احق في الواقع ونفس الامر بالحكم في البلاد ، وتُعذر في التشوف الى الاستقلال ، وتكون مصيبة في تسمية نفسها « امة » ، وحقية بان تكون في المستقبل ذات دولة ، ويقال انها تطمع في ذلك فان صح ما قيل كان برهاناً على علو هممها وثقتها بنفسها في وحدتها

وخلاصة القول ان طائفة القبط قامت تطلب مطالب لنفسها من حيث هي امة ومن حيث هي صاحبة الحق في حكم البلاد وظهر انها فيه متكافئة متضامنة متحدة فناقشها افراد من المسلمين بصفتهم الشخصية لا باسم حزب من الاحزاب ولا جمعية من الجمعيات ووافقها بعض آخر كما وافقها الاحزاب وهي مع ذلك تنسب مناقشة الفرد الى الحزب او الى الامة . وقد استعمل بعض الكاتبين من الفريقين المهجر والسباب ، والتناز بالالتقاب ، فكانوا فيه سواء ، الا ما هو من صناعة البلاء ، ولكن القبط تطلب ان يعتذر لها الجميع عن الافراد ، وهي لا تتندر للجميع عما تقول بلسان الجميع ، فاذا قلنا ان الفريقين قد تعادلا في الاهانة فتساقطا فليس لاحد حق في ذلك على آخر بقي معناه انه ليس في البلاد وطنية حقيقية ، وأنه لا يزال يطلب على الفريقين نزع الرابطة الدينية ، (وان تنصل من ذلك كل منهما) وأن هذه الحركة أضعفت ما قام بعض الأحزاب والافراد ، من الدعوة الى المساواة والاتحاد ، وان القبط أعرق في النزعة المليية ، وابتعد عن حقيقة الوطنية ، اذ من مقتضى الوطنية ان لا يطلبوا لأنفسهم شيئا من حيث هم قبط وان لا يسموا انفسهم امة وأن لا يتعصب بعضهم لبعض في المصالح والاعمال ، كما يعرف كل احد منهم الآن ، وأن يرضوا بما تختاره الحكومة من التدرج في نقل البلاد من حال الى حال ، أو يكتفوا بيبث رغائبهم الى وزيرهم الناصح لهم ، الغيور عليهم ، المتفاني في ترقيةهم ، وهو لا يدع فرصة يتمكن فيها من اعطائهم حقا جديدا الا ويتهزها اتبازاء ، ويجعلها سيفا في يده لا عكازا

واذا كان الأمر كذلك في الوطنية ، وفي هذه الحركة القبطية ، فما هو تأثيره

في رغبة المسلمين وهي المجلس النيابي وفي رغبة القبط وهي نيل ما بقي من أعمال الحكومة بين الوزارة والقضاء كالمديرية ومأمورية المركز ؟؟
اما الأول فمن الجلي الواضح ان ضعف الوطنية ، لا يقتضي ان تبقى حكومة البلاد استبدادية ، لأن حكومة الشورى أبعد من الحكومة الشخصية المطلقة عن الظلم غالباً ، ولذلك فرح مسلمو روسيا بإنشاء مجلس النواب (الدوما) في حكومتهم على قلوبهم في جانب الروس المشهورين بالتحصب . على انه إذا فرض ان الحكومة الشخصية المطلقة خير للقبط من جهة التمتع بالوظائف فان ذلك الحظ الذي يصيب افراداً من فئة قليلة في الأمة الكبيرة لا يصلح مرجحاً لعدم ترقية حكومتها لأن ذلك ترجيح للأفراد القلائل على الجمهور الكبير فهو من قبيل ترجيح المصلحة الخاصة على المصلحة العامة

وأما الثاني فإذا فرضنا ان حكومة مصر خرجت عن كونها إسلامية والبلاد عن كونها دار إسلام فمن السياسة والحكمة في الإدارة ان لا يكون القبطي الآن مديراً في مديرية فيها مئات الألوف من المسلمين وليس فيها إلا آحاد الألوف أو المئين من القبط وان ينتظر في ذلك تكون الوطنية الحقيقية ، التي تبرز فيها جميع العناصر المصرية ، فلا ينزع احد منها الى الامتياز بجنسه ونسبه ، ولا بدينه ومذهبه ، فان استعجلنا فجعلنا القبط مديرين لامور المسلمين ، والخال على مانع منهما ، او ما يدعي كل منهما ، فاننا نكون قد أثرنا العدوان ، وأرثنا الأضعاف ، ووضعنا في طريق الوطنية سداً لا يندك ولا يظهر ، وعقبة لا تزول ولا تقهجم ، او قدمنا النتيجة على المقدمات ، وطلبنا الثمرة ، قبل خروج الشجرة ،

فالمعقول إذا ان تكون حركة القبط الجديدة مبعدة لهم عن مطلبهم الظاهر ، ولكن ربما لا تكون مبعدة عن غرضهم الباطن ، والله أعلم بالسرائر ، وانما نحن نحكم بالظواهر ، وهذا ما رآه الكاتب فيه من الصواب ، فإن تبين له انه مخطئ فيه يادر الى المتاب ، واستغفر ربه وخزراً كما وأتاب

فَسَاءَ الْمَبْتَلِينَ

فدعنا ههنا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاءه ، واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالباً ورمنا قد منّا ثم اذرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لكل هذا ولن يرضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا حظ صحيح لافضاله

بحث ما ومن وتفسير سورة الكافرين ١٠٦

(س ٥) من محمد حبيب افندي عامر وكيل تلغراف (بليس - شرقية)

حضرة العلامة المفضل صاحب المنار

بعد السلام والتحية نرجوكم ايضاح معنى لفظة « ما » وما تشير اليه في قوله عز وجل - لا اعبد ما تعبدون ولا اتمتع بعبادون ما اعبد - فإني إن أعطيتها حكم غير العاقل كفاعتها النحوية استحال ذلك على المولى سبحانه وتعالى وان اعطيتها حكم العاقل فالأصنام وما كانوا يعبدون ليست بذني عقل أفيدوني مأجورين والسلام

(ج) قالوا ان لفظ « ما » هنا أريد به الصفة اي «المعبود» واذا أريد بها الصنة تطلق على العاقل وغيره . وجوز بعضهم ان يكون اطلاقها على الله عز وجل بعد اطلاقها على الاصنام من قبيل المشاكلة لاجل التناسق في التعبير . ولعل السائل يعلم انه قل عن سيويه وغيره ان كون « ما » لما لا يعقل أغلي لا مطرد والشواهد عليه من التنزيل وكلام العرب معروفة . قال الزمخشري في الكشف : «وما» عام في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن وكفاك قول العلماء « من لما يعقل » اه اي فاطلقوا « ما » على العاقل في نفس القاعدة التي ذكروا فيها ان « من » خاصة بالعاقل . وفي حاشية الامير على المقفي بعد ذكر عبارة الكشف : قال الفتازاني اي بصح اطلاق ما على ذي العقل وغيره عند الابهام لاستفهام او غيره فاذا علم ان الشيء من ذوي العلم والعقل فرق بمن وما فنخص « من » بالعاقل و « ما » بغيره . وبهذا الاعتبار يقال ان ما لغير العقلاء . واستدل على اطلاق « ما » على ذوي العقول باطلاق

أهل العربية على قولهم « من لما يعقل » من غير تجوز في ذلك حتى لو قيل « لمن يعقل » كانت لغوا بمنزلة ان يقال : الذي عقل عاقل . فان قيل كان الواجب هنا ان يفرق بما ومن لان ما يعقل معلوم انه من ذوي العلم . قلنا نعم لكن بعد اعتبار الصلة أعني « يعقل » . واما الموصول نفسه فيجب ان يعتبر معها مراداً به شيء ما ليصح في موقع التفسير بالنسبة الى من لا يعلم مدلول « من » وليقع وصفه يعقل مفيداً غير لغو . ومحصله انك ان لاحظت العاقل من حيث انه عاقل استعملت فيه « من » وان لاحظته من حيث انه شيء ما استعملت فيه « ما » كما تقول : ما لانسان ؟ اه وانت تعلم ان (ما) في السورة ليست لبيان ان مدلولها عاقل او عالم بل لبيان انه شيء معبود فاستعمل فيه اللفظ العام الذي تفسره الصلة هذا . انني رأيت بعض الناس لا يفهمون معنى السورة وقد سألتني غير واحد بالمشافهة عن معنى ما فيها من صورة التكرار فأجبت ان اورد هنا ما كتبه الاستاذ الامام في تفسيرها تمة للفائدة وهو :

«الكافر هو المعاند الجاحد الذي إذا رأى ضياء الحق أغمض عينيه ، وإذا سمع احرف من كلمته سد أذنيه ، ذلك الذي لا يبحث في دليل بعد عرضه عليه ، ولا يذعن بحجة إذا اخترقت فؤاده ، بل يدفع جميع ذلك حجاباً فيما وجد نفسه فيه مع الكثير من حوله ، واستند في التمسك به إلى تقليد من سلفه ، فهذا الصنف هو الذي قال الله فيه (٢٢: ٨) ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ٢٣ ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) . بعض هذا الصنف بل الغالب من أفرادهم يقول للداعي إلى الحق أو يحدث نفسه ليلهيها عن فهمه : الام يدعوننا ؟ إلى الله فنحن نعتقد به ؟ إلى توحيدهم فنحن نوحده ؟ وغاية ما في الأمر نتخذ شفعاء إليه ، نسأله بحقهم عنده أو بمكاتبهم لديه ، إلى عبادته فنحن نركع ونسجد له ؟ وغاية ما عندنا زيادة على ذلك أننا نعظم أولياءه وأهل الشفاعة عنده ونتوسل اليهم ليتوسلوا إليه . هذه وساوسهم وهذه أمانيتهم فأراد الله سبحانه أن يقطع العلاقة بينهم وبين ما عليه الداعي إلى الحق صلى الله عليه وسلم بأصرح ما يمكن أن يصرح به فقال له (١) قل يا أيها الكافرون ٢ لا أعبد ما تعبدون) أي ان الاله الذي تزعمون

أنكم تعبدونه ليس هو الذي أعبده لأنكم إنما تعبدون ذلك الذي يتخذ الشفاء أو الولد أو الذي يظهر في شخص أو يتجلى في صورة معينة أو نحو ذلك مما تزعمون وإنما أعبد إلهاً منزهاً عن جميع ما تصفون به إلهكم (٣) ولا أتم عابدون ما أعبد) أي انكم لستم بعابدين إلهي الذي أدعوا إليه كما تزعمون فانكم زعمتم أن الذي تعبدونه يتقرب إليه ، بتعظيم الوسائط لديه ، فتوسلتم بها إليه ، وتعتقدون أنه يقبل توسطها عنده ، فهذا الذي تعبدونه ليس الذي أعبد فلماذا لا تعبدون ما أعبد بل تمصونه وتحالفون أمره . ثم لما كانوا يظنون أن عبادتهم التي يؤدونها أمام شفعاتهم ، أو في المعابد التي أقاموها لهم وبأسماهم ، أو يؤدونها لله في المعابد الخاصة به أو في خلواتهم ، وهم على اعتقادهم بالشفاء - عبادة لله خالصة وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضلهم في شيء ، نهي أن تكون عبادته مماثلة لعبادتهم وأن تكون عبادتهم مماثلة لعبادته فقال (٤) ولا أنا عابد ما عبدتم) فما هذه مصدرية وليست بالمتصلة مثل التي تقدمت أي ولا أنا عابد عبادتكم (٥) ولا أتم عابدون ما أعبد) أي ولا أتم عابدون عبادتي . فمقاد الجملتين الأوليين الاختلاف التام في المعبود ومقاد الجملتين الأخريين تمام الاختلاف في العبادة فلا معبودنا واحد ولا عبادتنا واحدة لأن معبودي ذلك الإله الواحد المنزه عن الندب والشفيع ، المتعالي عن الظهور في شخص معين ، أو المحابة لشعب أو واحد بعينه ، الباسط فضله لكل من أخلص له ، الآخذ قهره بناصية كل من نابذ المبغين الصادقين عنه ، والذي تعبدونه على خلاف ذلك . وعبادتي مخلصه لله وحده وعبادتكم مشوبة بالشرك مصحوبة بالغفلة عن الله تعالى فلا تسمى على الحقيقة عبادة فأين هي من عبادتي (٦) لكم دينكم) دينكم مختص بكم لا يتعداكم إليّ فلا تظنوا اني عليه أو على شيء منه (ولي دين « د ») أي ديني هو دين خاص بي وهو الذي أدعوا إليه ، ولا مشاركة بينه وبين ما أتم عليه ، ولا يخفى أن هذا المعنى الذي بيناه هو ما يهدي إليه أسلوب السورة الشريفة خصوصاً هذه الآية الأخيرة « لكم دينكم ولي دين » فانها صريحة في ان المراد نفي الخلط المزعوم . وما دلت عليه السورة هو ما دلت عليه آية (٦ : ١٥٩) ان الذين فرقوا

(٥) لفظ « دين » مضاف الى باء المتكلم المحذوفة لاجل الوقف

دينهم وكانوا شيعياً لست منهم في شيء) أي لآعلاقة بينك وبينهم لآفي المعبود ولا في العبادة. وأما ما قيل من غير ذلك فإن صح شيء مما ورد فيه فأحمله على معناه مستقلاً عن معنى السورة ولا تعتز بكل ما يقال فأفضل ما تفهم هو أقرب ما يفهم والله أعلم اهـ

❦ النقوط ❦

(س ٦) ومنه :

حضرة العلامة المفضل صاحب المنار الفراء . بعد السلام والتحية — أرشدونا أرشدكم الله : « هل ما يسمى (النقوط) المتعارف والمستعمل بين أفراد الأمة المصرية في الأفراح وما شابهها سواء كان ذلك بال نقدية أو ما يقوم مقامها محلل أم محرم وما الدليل أفيدونا مأجورين » :

(ج) كل ما يندل من لمال بالرضا والاختيار تبرعاً فلا حرج على باذله ولا على المبدول له إلا ان يقصد به الاعانة على عمل محرم كالفسق والفساد في الأرض والنقوط لا يقصد به شيء من المحرمات فيما نعلم وإنما هو إكرام من قبيل الهدية والاصل في جميع التصرفات المالية الإباحة فالقول بها لا يحتاج الى الدليل وإنما يستدل على المحرم لأن التحريم خلاف الاصل

❦ حديث من زار قبر والديه يوم الجمعة ❦

(س ٧) من الشيخ احمد شرف الدين بالازهر

حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا المحترم

سلام على حضرتكم ورحمة الله. اما بعد فقد جمعتي وجماعة من اكابر علماء الازهر الشريف مجلس فسمعت منهم حديثاً لم اسمعه من قبل وحيث لم ار عليه بلاغة سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم ولحضرتكم سعة اطلاع على السنة الصحيحة اردت عرضه على مسامح سيادتكم حتى اذا كان صحيحاً أيدتموه ونشرتتم ذلك بمناركم المفنيء وان كان ضعيفاً او غير حديث اوضحتم سبيله ولكم الفضل والحديث هو (قال صلى

الله عليه وسلم من زار قبر والديه يوم الجمعة فكأنما حج ومن زار احدهما فقد أتى بعمرة) واذا صح هذا فلا لوم اذا على مزاحمة النساء للرجال في زيارة القبور لان كلا يريد ان يحج

(ج) الحديث ظاهر الوضع ولم أر من خرج به هذا اللفظ وقد علمت ان من علامات الحديث الموضوع بناء الثواب الكبير على العمل القليل . وقال في الفوائد المجموعة حديث « من زار قبر والديه او احدهما يوم الجمعة غفر له » في اسناده وضاع وله شاهدي في اسناده ضعف . وروي « من زار قبر ابيه او أمه او عمته او خالته او احد اقاربه كتب له حجة مبرورة » ولا أصل له اه

ولعله يعني بحديث الشاهد « من زار قبر والديه او احدهما في كل يوم جمعة غفر له وكتب براء » لما فيه من الزيارة عزاء في الجامع الصغير الى الحكيم الترمذي عن ابي هريرة وعلم عليه بالضعف وفي اسناده محمد بن النعمان مجهول وشيخه يحيى بن العلاء الرازي البجلي متروك بل قال الامام احمد انه كان يضع الحديث فهو موضوع لضعيف ولا شك عندي في ان كل ما روي في هذا المعنى موضوع اختلقه المخلقون بعد اعتياد الناس زيارة قبور الاقربين في ايام الجمع ولم يكن ذلك من سنة النبي ولا اصحابه في شيء

زيارة الحرم النبوي واستئذان ملك الموت على النبي (ص)

(س ٨ و ٩) من محمد افندي حلي الكاتب الاول لمركز المسلية (السودان)

حضرة سيدي الحبيب النسيب الفاضل الاقم العلامة الكامل السيد محمد رشيد رضا حفظه الله . عليكم منا السلام والرحمة والبركة والاكرام وبعد فأرجو من فضلكم وكرم اخلاقكم المشهورة الاجابة على السؤالين الآتين وارجو ان كان سبق لسيادتكم التكلّم عنهما في مجلدات غابرة ان نجيبوني عليهما واكون ممنونا جداً لو تفضلتم وتكرمتم بدرجتهما في أول عدد لاهية لزومها عند الجمهور خصوصاً في هذه الاصقاع ولا خلاف بأن فضيلتكم أصبحت مشهورين بالعلم والفضل في جو علوم العربية بل صرتم لنا من اركان الاسلام والله على ما أقول وكيل وهو حسبي ونعم الوكيل

(المنار ج ٥ م ١١) زيارة المسجد النبوي . استئذان ملك الموت بوفاة النبي ٣٥٣

س « ١ » هل زيارة الحرم المدني سنة وهل كل احد مكلف بزيارته بعد الحرم المكي

س « ٢ » هل ملك الموت قد استأذن سيدنا محمداً في قبض روحه الشريفة وكيف كان ذلك وهل صح انه لم يسبق له أن استأذن على أحد قبله كما يزعمون او يذيعون؟ هذه هي استئني ياسيدي وقد افقت المجادلين لي في السؤال الاول تھلا عن اغائة الھفان للامام الحجة ابن القيم فلم يقنعوا واما السؤال الثاني فلم اتكلم عنه بشي لعدم معرفتي حقيقته ولم اعثر في الكتاب المذكور على شي بخصوصه وجميع المجادلين لي ابوا ان يقتنعوا حتى ينظروا جوابكم بالمنار لا اعتقادهم فيه وهم من الاهالي والمستخدمين . ومن المستخدمين مشتركون في مجتكم الزاهرة ولكن كلفوني أن اكتب انواعي اي حال فاننا ممنونين وتجدنا متظرين بفارغ الصبر افندم

زيارة مسجد الرسول (ص)

أما الجواب عن الاول فهو ان زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم مندوب اليه لا مفروض على المسلمين كالحج كما يتوهم العوام . وحسبك في الرغبة فيه قوله (ص) « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام » رواه احمد البخاري ومسلم وغيرهم من حديث ابي هريرة . واحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر وغيره . وقوله « لا تشد الرجال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » رواه احمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن من حديث ابي هريرة وابي سعيد الخدري . ورواه غيرهم عنهما وعن غيرها

استئذان ملك الموت على النبي (ص)

وأما الجواب عن الثاني فهو أن الحديث في ذلك لا يصح ولا عبرة بسكوت بعض أهل السير عليه ولا بذكره في بعض الخطب التي قلما تخرى أصحابها الصحاح من السنن والآثار بل أولع أكثرهم بالواهيات والموضوعات

(المنار ج ٥) (٤٥) (المجلد الحادي عشر)

روى حديث استئذان ملك الموت على النبي صلى الله عليه وسلم وتخيره بقبض روحه الشريفة الطبراني في المعجم الكبير عن جابر وابن عباس في حديث طويل قال المحدثون انه منكر في إسناده عبد المنعم بن ادريس البجلي القصاص عن أبيه عن وهب بن منبه . قال الامام أحمد كان يكذب على وهب بن منبه . وأبو إدريس متروك أيضاً قاله الدارقطني . ورواه أيضاً من حديث الحسين بن علي وهو منكر أيضاً في سنده عبد الله بن ميمون القداح قال البخاري ذاهب الحديث . وقال أبو حاتم متروك

الرد على كتاب اللورد كرومر

صاحب الحق لا يسكت عنه وان طال عليه الامد وانا سنشر في المنار بعض ما كتبه في دفع هجمات اللورد فيما كتبه عن الاسلام ونودع جميع ما كتبه في مصنف خاص . ونعتمد في أقواله على ترجمة المؤيد (مع تنقيح ما في العبارة) فنبداً بعبارة ثم تقسم القول وزرد على كل قسم منه بالتفصيل

﴿ القسم الثاني ﴾

« كلامه في الاسلام والمسلمين »

قال اللورد في سياق الكلام في المقابلة بين الانكليزي والمصري ما ترجمته :
« قلت فيما تقدم ان التقاليد الدينية هي من جملة الموانع الكائنة بين الانكليزي والمصري فان الانكليزي على كونه أحد أفراد العائلة الأوربية من جهة التمدن العمومي . يحاول أكثر من كل أوربي آخر أن يصل الى اسمى درجات الرقي من التمدن المسيحي أي انه يحاول أن يدخل نظام آداب مسيحي صريح (في المعاملة) ويجعله قاعدة للعلاقات بين الرجل والآخر . يحمله على ذلك تلك المبادئ القديمة التي جاءت من أسلافه والدم البيوريتاني الذي لا يزال يجري في عروقه .
دومن الجهة الأخرى يرى المصري متمسكاً كثيراً بدين الاسلام وهو التوحيد الشريف الذي ينوب فيه الايمان الى درجة قصوى عن الوطنية في البلدان الشرقية

وهو وسيلة للاتحاد العام بين جميع المسلمين من دلهي الى فاس ومن الاستانة الى زنجبار اذ يتحولون للصلاة نحو منبع دينهم وهو قبلتهم .

« فما هي القواعد الاساسية لهذا الدين الذي اثر تأثيراً عظيماً في الجنس البشري؟ انها مبينة في القرآن الشريف وقد شرحها العلماء من جميع الامم بلغات كثيرة ولكن عظمتها الاصلية وسهولتها لم يبيننا بأكثر بلاغة مما بينها به اتباع النبي الاولين الذين انطرحوا عند قدمي ملك الحبشة المسيحي يطلبون حمايته لهم من اعتداء عرب قريش إذ قالوا « أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأثي الفواحش وتقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه واماته وعقابه فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع (أي نترك) ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الأحجار والأوثان وأمرنا ان نعبد الله وحده أمرنا بالصلاة والزكاة والصيام وأمرنا بصدق الحديث واداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزر وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصداقناه وآمانا به واتبعناه على ما جاء به »

« هذه هي قواعد الدين الاسلامي . ان العمل بهذه القواعد قد أفاد مئات الملايين من الذين اعتنقوا الاسلام - وخصوصاً الفقراء بينهم - عزاء روحيا فضلا عن النعم المادية من خيرات هذا العالم وأمل الخلود في العالم الآتي . ولا ريب أن الهيئة الاجتماعية الاصلية تستفيد كثيرا من اعتناق الدين الاسلامي . وقد قال السيرجون سبلي عما عرفه بقوله « قوة الدين التي تنشئ الممالك » ما يأتي

« أينما وجدت قبيلة بربرية قد رفعت نفسها يوما ما حتى ارتقت عن حالها الهمجية ونالت بعض التقدم تجددتها فعملت ذلك عادة بواسطة اعتناقها الدين الاسلامي » اه
« ولسوء الحظ نرى ان المصلح العربي العظيم الذي قام في القرن السابع (يريد به محمداً صلى الله عليه وسلم) قد اضطرته دواعي مركزه يومئذ الى القيام بأكثر من تأسيس دين . انه حاول ان يوجد نظاماً اجتماعياً . فكانت النتائج لهذا النظام هي التي وصفها المستر ستالي لاين بول - وهو الرجل الذي راقب مراقبة دقيقة مافي الاسلام من

وجوه القوة والضعف - إذ قال « ان الاسلام عظيم من حيث كونه ديناً وقد علم الناس أن يبدوا لها واحداً عبادة طاهرة وقد كانوا من قبل يبدون آلهة كثيرة عبادة غير طاهرة ولكن الاسلام اخفق اخفاً كاملاً بصفته نظاماً اجتماعياً »

قال لورد كرومر : ان الاسباب التي اوجبت فشل الاسلام من حيث هو نظام اجتماعي متعددة (أوطا) وأعظمها مكانة ان الاسلام يجعل المرأة في مركز منحط جدا . (ثانيها) ان الاسلام بمراعاته التقاليد المحيطة بالقرآن أكثر من القرآن نفسه جمع بين الدين والشرع فجعلها جزءاً واحداً غير قابل للتفريق او التغيير فتج عن ذلك ان تلاشي من النظام الاجتماعي ما فيه من المرونة . فان المصري حتى الآن اذا لجأ الى الشرع في امور الوصاية فان قضيته يحكم بها بمقتضى المبادئ الضيقة التي وضعت لما يوافق احوال الهيئة الاجتماعية الاولى في شبه جزيرة العرب في القرن السابع

« ومنذ سنوات قليلة أي سنة ١٨٩٠ أوضح مفتي الديار المصرية الاكبر كيف تعاقب عصابات اللصوص التي ثبت ارتكابها الجريمة الاعتداء بالسلاح لئلا على احدى القرى فقال انه يمكن ان يعاقب المجرم على ستة وجوه مختلفة فإما ان تقطع يده ليمنى ورجله اليسرى ثم يقطع رأسه او يشوه جسمه كما تقدم ثم يصلب بعد ذلك او ان يقطع رأسه فقط او ان يصلب فقط أو أن يقطع رأسه اولاً ثم يصلب بعدئذ . وأفاض المفتي في تقريره عن كيفية صلب المجرم وهو ان يربط الرجل الى صليب في شكل معين ثم يوخز بجرمة في الجانب الايسر وتبقى الحربة وهي تحز في محل الجرح الى أن يموت

« ثم ان بعض المسلمين قد عمدوا بنية حسنة الى تشويه الشرع المقدس . اذ اقلقوا خواطرهم في اختراع وسائل يريدون فيها ان يبينوا ان مبادئ القرن السابع الشرعية ونظامه الاجتماعي يمكن تطبيقهما على مجرّبات القرن العشرين المدنية ولكن العادة المبنية على القانون الديني مؤيدة بالمغالاة في اكرام الشارع الاصلى قد قيدت جميع المتعلقين بالاسلام بقيد من حديد لا سبيل الى النجاة منه . ولقد قيل « ان الانسان عاش في القرون الوسطى ملفوفاً بقلنسوة الكاهن » فالمسلم الصحيح في الايام الحاضرة ملتف بالشرع اكثر من التفاف الناس بالقلنسوة في القرون الوسطى .

(ثالثها) ان الاسلام لا يشجع على الرق ولكنه يتساهل في الاسترقاق . فقد قال السيد (امير علي) « إن محمدا وجد تلك العادة سارية بين الوثنيين من العرب فحفض من هذا الشر » ولكنه عجز من الغائنه تماما أما أتباعه فقد تناسوا عدم تشجيعه واجمعوا على اباحة الرق وجعله عنوانا لسلوكهم . ويليق بنا ان نقول في هذا المقام ان من الامور التي توجب الخجل على المسيحي انه لم يكتف قبل الآن بان يستعبد العبيد بل ارتكب اقبح من ذلك فكان يتخطفهم على ان الديانة المسيحية لم توافق مطلقا على الرق . « وقد اشهر أخيرا ان الاسلام دين خال من التسامح وهي شهرة صحيحة من بعض الوجوه ولكن لا بد من تحديد وايضاح لهذه المهمة العامة . نعم ان اتباع النبي شهبوا الحرب على الذين اعتبروهم من الكافرين وقد علمهم دينهم انه يجوز استرقاق غير المؤمن متى اخذوه اسيرا في الحرب وزد على ذلك أن الخصاص الطائفي كان كثيرا فقام السنيون في وجه الشيعيين واضطهد السنيون الوهابيين بدون شفقة — على أن الخروج عن الاسلام يعاقب عليه بالموت وقد كان هذا العقاب ينفذ فعلا منذ سنوات غير كثيرة . ويزى من الجهة الأخرى أن توريخ الاسلام لم يشوهها شيء من مثل تاريخ ديوان التفتيش وزد على ذلك ايضا أن المسلم اذا لم تؤثر في نفسه طوارئ خاصة مثيرة لعواطفه فهو لا يتأخر عن أن يعامل اليهودي والمسيحي بتساهل يشوبه شيء من الاحتقار . ففي قرى الصعيد لبث الهلال والصليب والجامع والكنيسة جنبا إلى جنب سنوات كثيرة

ومع اذلك نرى الاسلام يميل الى بث روح عدم التساهل وانماء الحقد والاعتقار لا للمشركين فقط بل يشرك معهم جميع المؤمنين الذين لا يقولون إن محمداً هو رسول الله (ثم أخذ يصف الاسلام فقال) : « ان المسلم منذ قرون كثيرة ما برح يؤمر ان ينتقم لنفسه من أعدائه وأن يضرب من يضربه عينا بعين وسنابن وعليه مجدان الاسلام يختلف عن النصرانية في انه يغرس في العقول ان الانتقام والكره يجب أن يكونا أساسا للعلاقات بين الرجل والآخر بدلا من المحبة والاحسان . ثم ان الاسلام يحدث بعضا خاصا للذين لا يقبلون الدين الإسلامي . يقول القرآن (٤٧ : ٤) فاذا لقيم الذين كفروا فضرب الرقاب حتي إذا انختموهم فشدوا الوثاق ٧٠٠ يأبىها الذين

آمنوا ان تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ٨ والذين كفروا فتعسأ لهم وأضل أعمالهم ... ١٢ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم)
وقد علق اللورد على الآيات في ذيل الصحيفة قوله - « ومن الجهة الأخرى نجد في سورة البقرة قوله (٢ : ٢٥٦ لا إكراه في الدين) فالأقوال المتناقضة الكثيرة وغير المتلائمة الموجودة في القرآن لا يمكن التوفيق بينها ولعل السبب في ذلك هو ان تعاليم محمد كانت مبنية في الأكثر على الحوادث الجارية وعلى أحوال شخصية في حياته » نعم ان محمدا انما أشار في طعنه على الكافرين بوجه خاص الى الوثنيين الذين أقاموا في زمنه في شبه جزيرة العرب ولكن الذين فسروا القرآن بعد ذلك جعلوا تلك المطاعن موجهة الى المسيحيين واليهود وهذا الذي يفهمه الآن جم غفير من المسلمين . أتدست كلمة الغازي وهي لقب يطعم باحرازه أي ضابط في جيش السلطان معناها : من يحارب في سبيل الاسلام والبطل الشجاع الذي يذبح كافراً ؟ ألا نجد ان كل عالم ألقى الخطبة في الجامع يستنزل غضب الله على رؤوس غير المومنين بصراحة واضحة في كل زمان وبصراحة تزداد كثيراً عند وجود ظروف تضرم شعلة التعصب ؟ . ألا يجب أن تعتبر كل بلاد غير اسلامية ودار حرب ، فتي علمنا ان مثل هذه المبادئ ما برحت تفرس في أذهان المسلمين كل القرون الماضية لا نجد باعثاً على الدهشة من نموروح عدم التساهل فيهم »

ثم قال بعد الامتنان على المصريين باعطاء الانكليزي لهم ما لا طينهم وترقيته لعقولهم وآدابهم :

« ومع ذلك فان المسلم المصري - مع انه يكره الباشا التركي ويخافه الى حد أنه يدرك الفوائد التي أجزلها له الانكليزي ويعترف بسمو مداركه وكفاءته - فهو على كل ذلك لا يقدر أن ينسى ان الانكليزي يلبس على رأسه برنيطة وهو يلبس طربوشاً أو عمامة . ومع انه يقبل المنافع بمزيد الارتياح فهو يذكّر دائماً ان اليد التي منحها ليست يد مسلم وهذا الأمر يؤثر في نفسه أكثر من كون الانكليزي

أجنيباً عنه . مها بنذل الانكليزي من وسائط التودد والعقل فهو عاجز عن هدم هذا الحاجز الحصين - (وهنا نقل اللورد قول المستر باري) «الاسلام هو كل شيء للفلاح وهو يعتبر غير المؤمنين فئة قليلة حقيرة ولا يمنعه عن الفتك بهم وإعلان ميزة الاسلام الاحقية مكذرة له هي أنه ليس في الامكان الفتك بهم الآن»

«وليس هذا وحده الخائل بين الفريقين . فانظر إلى البدع الرئيسية وحوادث العبادة الإلهية المقارنة للاسلام وما يعارضها في النصرانية . وابحث في النتائج التي تلي تحقير المرأة وقابل بين الشرقي الاسمر والغربي الايض في القوى العقلية والادبية والعادات والفنون وعلم البناء واللغة والملبس والاذواق تجد أن الفرق بين الفريقين أبعد مما بين الخاطئين . حتى انك لتجد في أقل الامور شأناني اعمال الحياة باعثة غير محسوس ولا يعرف سببه من شأنه ان يدفع الشرقي إلى جهة مشاقته للغربي مع اتفاق أحوال الفريقين . فالمسيحي يتعلق باهداب أمل ان يلقى في السماء أولئك الذين راقهم في الارض وهذا الأمل من جعل مظاهر دينه وأكثرها عزاء له وأما اعتقاد المسلم بالخلود فيختلف اختلافا تاما عن اعتقاد المسيحي لان الحوريات اللواتي يرجو المسلم نيلهن في الجنة لم يسبق لهن وجود في هذا العالم . والمسيحي يصلي طالبا الحصول على بعض أمور أو ان يتمكن من اتمام أغراض معينة واما المسلم فهو على العموم يلفظ صلاة مرتبة معينة ويندر أن يطلب في صلواته طالبا معيناً

«المسيحي يصلي صلاته اليومية في الخفاء وأما المسلم فإنه يصلي جهارا بين الناس وليس لديه شيء من الخجل الكاذب دون اعترافه جهارا انه معتمد على الله في جميع أعماله وأموره . قال المطران ستانلي بعد ان درس الاديان الشرقية «ان الله موجود عند المسلمين وجودا ينذر مثله عندنا في وسط العجلة الغربية وما يشوبها من الارتباك»

«ومتى صام المسيحي فهو يعمل باعتدال نهارا وينام ليلا واما المسلم فهو في صيامه يقطع عن الاكل والشرب والتدخين ولكنه اذا جاء الليل تمتع بكل ذلك بدون ضابط

ثم ان الديانة المسيحية تنشط الفنون وتستفيد منها وأما الديانة الاسلامية فانها تكسر الصور والتماثيل وهي تحرم الصور وصناعة النقش والنحت اذا كانت تمثل شخصا حياً واما الموسيقى فلا يسمع لها صوت في جامع
«قد يكون المسيحي نظيفاً بعض الأحيان اعتقاداً منه ان النظافة نافعة لصحته وراحته وعنده ان النظافة نبي التقوى ولكنه لا يوجد جامعة بين الامرين وأما المسلم فهو نظيف على شكل معين لان دينه يأمره بذلك

«ثم انظر الآن الى صفات الفريقين العقلية والادبية تجد الفرق بينهما ظاهراً»
ثم بين فروقا أخرى بين المصري والأوربي والغربي والشرقي تحتل المناقشة ولكنه لم يستنبطها من الدين فتركها له الا قوله في انصاف الاسلام :

«وعلى ذكر الشرقي وصفاته ورقة قلبه أقول ان ما يزعم السائح في مصر من معاملة الحيوانات بقساوة لا يزيد على ما يروونه في جنوبي أوربا ولعلها كما قال «لاين» في سنة ١٨٣٥ ليست غرساً منتظماً النمو ولكنها ناشئة عن معاشره الطبقات السافلة من الأوربيين فان الدين الاسلامي يوصي بالحيوان خيراً فقد قال بوسورت سميت : لا يوجد دين اهتم بحياة الحيوان أعظم من اهتمام الدين الاسلامي به فقد ورد في القرآن (٣٨:٦ وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون)

وكما انصف في هذه جار وظلم في أخرى بعدها لكن عن سوء فهم لا سوء قصد فقد ذكر قدرة الأوربي على التنظيم واخضاع الحوادث ومناقشة الرؤساء ثم قال :
«قابل هذه المزايا بما في الشرق من الضعف في التنظيم واعتقاده بالقضاء والقدر الذي يجعله قابلاً لما لا بد منه . وكذلك خضوعه لكل سلطة تتولى اموره»

ثم استشهد على ذلك بمثل حادثة «منتحجي» سكة الحديد التي ذكرناها في اول القسم الاول من الرد عليه . وذكر ايضاً انه سأل شيخ الأزهر هل يعلمون الطلبة فيه ان الشمس تدور حول الارض ام العكس فاجاب بانه لا يدري . قال اللورد «وقد منعه أدبه الطبيعي عن التصريح لي برأيه في الكافرين كيلر وكوبرنكوس وتعاليمها» الخ

القرآن والعلم

٣

﴿ تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب ﴾

في رد الشبهات التي بوردها الأفرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

﴿ المسألة الثامنة ﴾

﴿ موت سليمان ﴾

قال الله تعالى « ٣٤ : ٤ فلما قضينا عليه الموت (أي على سليمان) ما دهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » إعلم انه كثيرا ما يحدث ان الانسان إذا لحقه الموت فجأة عقب انفعال عصبي ومجهود جسماني يحصل له تيبس في الحال في جميع اجزاء جسمه بحيث يحفظ بعد وفاته هيئته وشكل جسمه قبل المات ويبقى على هذه الحالة من بضع ساعات الى يومين فأكثر وخصوصا اذا كان الجو باردا وتسمى هذه الحالة في كتب الطب باللغة الانكليزية Cadaveric Spasm اي تيبس الموت

ولذا يشاهد في بعض الحروب ان بعض العساكر يموت ويبقى واقفا مستندا على بندقيته كأنه حي الى ان يبدأ التعفن في الجثة فنزول يوستها وتسقط فالظاهر ان سليمان عليه السلام كان واقفا بعد مجهود جسماني عقلي مستندا على عصاه (منسأته) ففاجأه الموت فحصل له ما يحصل لغيره وبقي قائما كأنه لم يموت

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صديقي

(المجلد الحادي عشر)

(٤٦)

(المنارج ٥)

فشاهدت الجن انه لا يبدي حراكا ولا يظهر عليه أنه يتنفس لعدم تحرك صدره فداخلهم شك في حالته وربما اجتمع على وجهه الذباب فلم يطرده عنه فازداد شكهم ثم دخلت فأرة (وهي من دواب الأرض) وأخذت تلعب حوله وأخيرا بدأت تقرض عصاه والجن الى ذلك ينظرون فيتعجبون ولكنهم خافوا أن يتركوا أعمالهم المكلفين بها أو أن يظهروا شكهم في حياته ولبثوا على هذه الحالة مترددين بضع ساعات او يوما او يومين

فلما حركت الفأرة العصا التي أخذت تقرضها عن موضعها قليلا اختل التوازن فسقط على الأرض وبذا أيقنت الجن أنه كان ميتا وان اشتباههم كان في محله . ولو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا لحظة بعد وفاته قائمين باشغالهم الشاقة ولعرفوا الوفاة حين حدوثها بلا تردد . ولفظ لبث يستعمل في الزمن القليل والكثير كقوله تعالى (٢ : ٢٥٩ قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام)

فهذا هو التفسير الصحيح لهذه الآية الذي ينطبق على العلم ولا يوجد في تاريخ

سليمان ما ينافيه

﴿ المسألة التاسعة ﴾

(الجسد الذي ألقى على كرسي سليمان)

قال الله تعالى (٣٨ : ٣٤) ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم اناب ٣٥ قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي إنك أنت الوهاب » معنى هذه الآية ان سليمان لما ورث أباه داود في ملكه سأل الله ان يرزقه ولدا ليرثه من بعد موته وليبقى الملك في نسله فاختره الله تعالى ولم يجب دعاءه في اول الامر الا باعطائه ولدا ناقص الخلقه (كأن يكون لارأس له ولا منخ أو نحو ذلك مما يحصل أحيانا لبعض المولودين) ولما كان هذا المولود أقرب الى الميت منه الى الحي المدرك سماه الله جسدا كأنه لا روح له فلما وجد سليمان أن من رزقه الله ليخلفه في كرسيه عدمه خير من وجوده ضجر وتألم ولم يشكر الله على كل حال

ولكنه لم يلبث الا قليلا ورجع الى الله يستغفره على ما فرط منه ويرجوه العفو عن عدم رضائه بما قضاه تعالى وقال « رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي » اي حيث إنك لم ترزقني بمن يرثني في هذا الملك فوسعه علي وزدني سلطانا ومتعني بما لا يصل اليه أحد من الملوك بعدي حتى تعوضني بذلك ما حرمتني من النسل الصالح فاستجاب الله دعاءه وسخر له الريح وسلطه على الجن والانس والطير وبعد ذلك رزقه الله تعالى أيضا بمن يرثه (وهو ابنه رجعم) ولكنه كان ضعيف العقل سيء التدبير رديء السياسة حتى خرجت عليه عشرة من اسباط بني اسرائيل ووقع الاتقسام بينهم في عهده

فما تقدم تعلمه أن قوله تعالى « وأقمنا على كرسيه جسدا » معناه ذلك المولود الناقص وهو أول من رزقه وقال أقمناه على كرسيه لأنه بمنزلة ولي عهده كما يقولون الآن وتقول العرب « أقمي الليلة على كرسى الفرس مولود » مثلاً اذا رزق كسرى بالواد الذي يرثه في ملكه ويجلس على كرسيه من بعده

وهذا التفسير هو الذي كان يفهمه العرب من هذه الآية ولذلك ورد في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيها ما يقرب منه ولو لا حشو مفسرينا الاسرائيليات في تفسير الكتاب العزيز ما فهم أحد منها خلافه فاحذر مما قالوه ولا تعبا به فانه مثار لشبهات كثيرة

﴿ المسألة العاشرة ﴾

(اللؤلؤ والمرجان)

قال الله تعالى (٥٥ : ١٩ رَجَّ البحرين يلتقيان ٢٠ بينهما برزخ لا يبغيان ٢١ فبأي آلاء ربكما تكذبان ٢٢ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) فقال كثير من الناس إن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحر المالح ولا يوجد منهما شيء في البحر الحلو واعلم أن اللؤلؤ يخرج من كثير من الأنهار ويوجد في بلاد أستراليا أنهار مشهورة باستخراج الصدف واللؤلؤ منها وهالك اسماؤها بعضها :

نهر هنتر Hunter وكلارنس Clarence وكوك Cook's وكليد Clyde

وغيرها وهي موجودة في ولاية ويلز الجنوبية الجديدة New South Wales من أستراليا

﴿ المائة الحادية عشرة ﴾

(السماء في القرآن)

السماء من سما أي ارتفع فالسما في اللغة كل مرتفع فسقف البيت سماء والسحاب سماء والكواكب سماوات والفرع اللانهاي الذي فوق رؤسنا هو سماء أيضاً وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الشريف بعدة معاني تعرف من السياق وتفسر في كل مقام بحسبه وإن اشتركت كلها في معنى الارتفاع والسمو . وكذلك يوجد في اللغة العربية ألفاظ كثيرة تستعمل في معاني مختلفة لا يعينها إلا السياق . مثلاً لفظ نجم يستعمل في الكوكب وفي النبات فتال الأول (١٠:٥٣ والنجم إذا هوى) ومثال الثاني (٦:٥٥ والنجم والشجر يسجدان) والمقام هو الذي عين كلام من المعنيين ويسمى هذا النوع من الألفاظ بالمشترك

إذا عرفت ذلك فاعلم أن لفظ السماء إذا ورد في القرآن يجب أن يعرف معناه من المقام ويجب أن لا يحمل في جميع المقامات على معنى واحد مثلاً في قوله تعالى (١٠:١٦ أنزل من السماء ماء) معناه السحاب . ولذلك قال في آية أخرى (٤٣:٢٤ ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق (أي المطر) يخرج من خلاله) الآية وفي قوله (١٥:٢٢ فليمدد بسبب إلى السماء) يعني سقف البيت وفي قوله (٧:٥٥ والسماء رفعتها ووضع الميزان) معناه الكواكب والألف واللام هنا للجنس وكذلك في قوله تعالى (٦:٥٠ أفأبصر وأبصروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) أي جعلنا أجزاء كل منها متماصكة ثم هي في مجموعها متجاذبة بعضها إلى بعض كالبنيان يشد بعضه بعضاً (وزيناها) بأن جعلنا أشكالها جميلة مستديرة وان بعضها مع بعض لها منظر بهيج ثم أضأناها بالأنوار الذاتية أو المنعكسة عليها من غيرها (ومالها من فروع) أي شقوق فلا ترى كوكباً منها به كسور أو منشقة أجزاءه أو متفرقة فهو كئنا كيد لقوله بنيناها وفي قوله تعالى (٥:١٧) وقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) السماء الدنيا معناها الجو

أو الفراغ المحيط بنا القريب منا وهو المزين بالكواكب وأما ما وراءه من الفراغ اللانهائي فليس به زينة ولا شيء وجعلناها رجوماً للشياطين باقتضاض الشهب منها لا هلاكهم كما في قوله (٣٧: ١٠) إلا من خطيف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وهذه المسألة لا يوجد في العلم الطبيعي الآن ما يصدقها ولا ما ينفيها وغاية الأمر أنها غير معروفة له فنحن نصدقها لإتيان النبي الصادق بها وقد ثبتت نبوته عندنا بالبراهين القاطعة كما أوضحناه في مقالات الدين في نظر العقل الصحيح

وقوله (٦٧: ٢) خلق سبع سماوات طباقاً) المراد به الأجرام السبعة العلوية المشهورة التي كانت تعرفها العرب وتراها بأعينها وهي القمر وعطارد والزهرة والشمس والمرج والمشتري وزحل . وإنما خص هذه السبعة بالذكر لأنها أكبر ما تعرفه العرب وأكبر ما تشاهده وإلا فالأجرام السماوية العظيمة أكثر من سبعة

وليس في القرآن الشريف ما يدل على الحصر . على أن بعض علماء اللغة قالوا إن العرب إذا أرادت المبالغة في العدد تأتي بلفظ سبعة وما ركب منها كالسبعين والسبعائة واستشهدوا على ذلك بنحو قوله تعالى في وصف جهنم (١٥: ٤٤) لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) فإن المقام مقام تهويل لا يناسبه إلا ذكر العدد الكبير . وإن لم يكن لجهنم سوى هذه الأبواب السبعة اقتضى انقضاء المقام عدم ذكر العدد هنا بالمرة لقلته فلو لم يكن لفظ السبعة يستعمل عندهم في مطلق الكثرة لما ذكره هنا ولذلك قال أئمة المفسرين في مثل هذه المواضع إن العدد لا مفهوم له ومثل ذلك قوله تعالى (٣١: ٢٧) ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله)

قد يقول قائل ما بالذكور هنا في تفسير السموات السبع القمر والشمس مع أن القمر تابع للأرض والشمس هي مركز العالم والسيارات تدور حولها ومنها أرضنا هذه . ونقول إن هذه المسائل الفلكية لم يتعرض لها القرآن هنا في مثل هذه الآية وغاية ما ذكره أن الله خلق سبع سموات طباقاً وقلنا إن الأجرام التي خلقها الله هي عالية بالنسبة لنا فهي سموات وهي سبع طباق بعضها فوق بعض بالنسبة لنا أيضاً فلا دخل

لذلك في كون بعضها تابع لغيره (١) فإن هذه المسائل لا علاقة لها بتفسير الآية كما لا يخفى على ذي عقل

ويستعمل لفظ السماء في اللغات الأخرى أيضاً في عدة معاني مختلفة فهي الانكليزية لفظ Heaven قد يراد به السحاب أو الجو أو الذات العلية أو الجنة أو غير ذلك والمقام هو الذي يعين هذه المعاني المختلفة كما هو المهود في اللغة العربية

(المائة الثانية عشرة)

(الأرض والجبال)

قال الله تعالى (١٢:٦٥) الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلين ينزل الأمر ينهن) وقال (١٥:١٦) وأتني في الأرض رواسي أن تميد بكم) وقال (٧:٧٨) والجبال أوتادا)

لم يذكر في القرآن أن الأرض سبع الا في الآية المذكورة هنا ولم يذكر فيه مطلقاً لفظ الأرض بالجمع ولا في الآية السابقة . بخلاف السماء فاتها ذكرت بالجمع في أكثر المواضع فالظاهر أن الأرض شيء واحد ولكنها ذات طبقات سبع فلذا قال هنا « ومن الأرض (بالافراد) مثلين » أي في المدد وهي كونها سبعة وفي كونها طباقاً ويجوز أن تكون طبقاتها أكثر من سبع وإنما خص هذه بالذكر لكونها الطبقات الاصلية أو الاساسية فان الآية لا تدل على الحصر فلا مانع من أن يكون بعض هذه الطبقات الاصلية مركبا من طبقات أخرى وقد يكون لفظ سبع لا مفهوم له ومستعمل هنا للدلالة على الكثرة فقط كما يناد سابقا في مسألة السموات وقوله « وأتني في الأرض رواسي أن تميد بكم » تميد من ماد الت سفينة أي

(١) حاشية - من تذكر أن لكثير من السيارات توابع كالتصوير بالنسبة للأرض وهذه التوابع أو الاقمار تضيئها فيهم معنى قوله تعالى (وجعل القمر فيهن نورا) فان الألف واللام هنا تصحح أن تكون للجنس لا للعهد والمعنى أن الله جعل الاقمار أنوارا تضيئ بها السموات

مالت واضطربت ففني الآيات أن الله أثقل الأرض بالجبال لمنعها من الميدان والتزلزل الدائم وذلك أن الجبال بوجودها في بعض الجهات جعلت ثقل الأرض في جميع الجهات متساويا بالنسبة الى المركز فاذا دارت الأرض حول مركزها لا يحصل أدنى اضطراب فيها ولو كان بعض جهاتها أخف من البعض الآخر لشعرنا بالاهتزاز يوميا من حركة الأرض حول محورها . وأيضاً فإن الجبال بتقائها العظيم على الأرض وبما امتد من قواعدها من الشعب الصخرية كونت طبقة حجرية عظيمة تقي ما بين الجبال من الوديان من انفجار باطن الأرض الملتهب ونسف قشرتها أو زلزالها الدائم ولا ينبغي أن أغلب الأراضي المسكونة إنما هي في الحقيقة وديان بين جبال . فلو لا الجبال لتوالت الزلازل ، ولما هدا للبشر جميعا بال ، ولما كان حدوث الزلازل نادرا كما هو الآن وحاصلا لبعض البشر دون بعض

وقوله « والجبال أوتادا » هو كقوله بعده « وجعلنا الليل لباسا » أي كاللباس في الستر . فلعنى أن الجبال كالأوتاد المغروسة في الأرض واذا لاحظنا أن الأرض تجذبها من جميع تقطعا الى مركزها كما تشد الأوتاد بالجبال المربوطة بها أدركنا ما بينهما من الشبه العظيم وفهنا نكتة هذا التشبيه . وكما شبه الله تعالى الجبال هنا بالأوتاد كذلك شبه الأهرام المصرية بها في قوله « ١٩ : ١٠ وفرعون ذي الأوتاد »

﴿ المائة الثالثة عشرة ﴾

(تفسير آيات عدم صلب المسيح)

قال الله تعالى (٤ : ١٥٧ وقولهم - أي اليهود - انا قتلنا المسيح) قالوا ذلك نهكاً والمسيح معناه عندهم الملك لانهم كانوا يمسحون ملوكهم بالزيت عند توليتهم وسمي عيسى مسيحا لانه كذلك روحاني استولى على قلوب الناس ونفوسهم وخلصهم من عاداتهم الرديئة ومن أسر التقاليد والأوهام والمقائد السخيفة ورفق نفوسهم وأصلح أمورهم فهو كالملوك العظام الذين كانوا يأتون اليهود فيخلصونهم من الأسر والبلايا ويرقون شؤونهم ككورش ملك فارس الذي تقدم ذكره وكانوا يسمونه هو وغيره من الملوك النافعين لهم بالمسيح وكانوا يتوهمون ان المسيح سيأتي ويرد

لهم ماقدونه من المجد والسلطان (عيسى) تريب لفظ يشوع ومعناه المخلص وهو علم مشهور عند اليهود وسمي به كثيرون قبل المسيح بينهم كيشوع خليفة موسى عليها السلام وكانوا يتفاءلون بهذا الاسم ويرجون ان يكون لهم بشرى خير لخلاصهم مما كانوا فيه من الرزايا والمصائب (بن مريم . وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) أي اشتبه عليهم الأمر فأخذوا واحدا يشبهه ظاهرا أنه هو المسيح وصلبوه وقتلوه . واعلم ان وجود اشخاص متشابهين في الخلقة أمر مشاهد معروف وقد يكون الشبه تاما بحيث يندع به اهله وذووه فما بالك اذا كان القابضون على المسيح ما كانوا يعرفونه ولا الذين حاكموه ولا الذين حضروا تنفيذ الحكم فقد فرّ تلاميذه من حوله وهربوا وكل ذلك صريح في نصوص العهد الجديد .

ويوجد في كتب الطب الشرعي حوادث كثيرة في باب تحقيق الشخصيات دالة على انه كثيرا ما يحدث للناس الخطأ في معرفة بعض الاشخاص ويشتهون عليهم بغيرهم وقد ذكر «جاي» و«فرير» مؤلفا (كتاب اصول الطب الشرعي) في اللغة الانكليزية حادثة استحضر فيها ١٥٠ شاهد المعرفة شخص يدعى «مارتين جير» فجزم اربعمون منهم بأنه هو هو وقال خمسون انه غيره والباقيون ترددوا جدا ولم يمكنهم ان يبدوا رأيا ثم اتضح من التحقيق أن هذا الشخص كان غير مارتين جير واتخذ به هؤلاء الشهود المبتون وغاش مع زوجة مارتين محاطا باقاربه وأصحابه ومعارفه لمدة ثلاث سنوات وكلهم مصدقون أنه مارتين ولما حكمت المحكمة عليه لظهور كذبه بالدلائل القاطعة استأنف الحكم في محكمة أخرى فأحضر ثلاثون شاهدا آخرون فأقسم عشرة منهم بأنه هو مارتين وقال سبعة انه غيره وتردد الباقيون وقد حدثت هذه الحادثة سنة ١٥٣٩ في فرنسا وأمثالا كثير

وقد بلغ شبه بعض الاشخاص لغيرهم أن وجد فيهم بعض ما يوجد في غيرهم من شابههم من الكسور او الجروح او آثارها وغير ذلك حتى تعسر تمييز بعضهم عن بعض ولذلك جدّ الاطباء في وضع مميزات لاشخاص البشر المختلفين

فاذا كان الأمر كذلك فهل في حادثة المسيح ادنى غرابة ؟

ثم قال تعالى (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع

الظن كما في الحادثة التي سبقت ولذلك اختلف طوائف النصارى قديماً وحديثاً في هذه المسألة واختلف فيها ما وجد عندهم من الكتب كإيناه في موضع آخر . ولو كانت حادثة الصلب يقينية لما وقع فيها ما وقع من الاختلاف بينهم

(وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه) أي إنه لم يقتل ولكن توفاه الله ورفع روحه إليه وأسكنها عنده في جنات النعيم كما قال في آية أخرى (٥٥:٣) إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا) وكقوله تعالى حكاية لقول المسيح عن نفسه في الآخرة (١١٧:٥) فلما توفيتي كنت أنت الرقيب عليهم) فالرفع هنا روحاني معنوي وكذلك ورد الرفع في القرآن في مواضع كثيرة في الأمور المعنوية . قال تعالى (٢٥٣:٢) ورفع بعضهم درجات) وقال (١٧٦:٧) ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فغى الآية أنهم لم يقتلوه ولكن الله هو الذي قبضه إليه بدون أن تصل إليه أيدي الأعداء بالسوء ورفع روحه إلى جنته واسكنه بمجواره وذلك كله على حد قوله في مواضع أخرى (١٦٩:٣) ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) أي تتمتع أرواحهم في الجنة . وقوله (٥٤:٥٤) إن المتقين في جنات ونهر ٥٥ في مقعد صدق عند مليك مقتدر) فكل هذه العبارات « كمنه الله » و « رفعه الله إليه » ونحوها مستعملة في معانيها المجازية لا الحقيقية

فالظاهر أن المسيح عليه السلام ذهب إلى جهة من الجهات أو جبل من الجبال فتوفاه الله هناك ولما ذهبوا ليقبضوا عليه وجدوا شخصا يشبهه فاغترروا به فأخذوه وقتلوه وصابوه . ولعل هذا الشخص هو يهوذا الاسخريوطي وكان يقصد خيانة المسيح وإن يقبض عليه ويسلمه فوقع فيما كان يدبره لسيدته فاشتبهوا فيه وأخذوه أخذاً ويلاً وأما المسيح فكان قد توفاه الله وأنجاه من مثل هذا العذاب وذهاب بعض الأنبياء إلى بعض الجبال ووفاتهم بها امر معروف كما وقع لموسى عليه السلام (راجع سفر التثنية ٣٤ : ١ - ٦)

ثم قال الله تعالى (١٥٨ : ٤) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) أي أن كل شخص من أهل الكتاب لا بد عند

وقاته ان تتضح له الحقيقة فيؤمن بالمسيح كما جاء به القرآن وليس معناه أنهم يؤمنون به عند نزوله يوم القيامة كما هي عقيدة النصارى فان الآية صريحة في أن كل شخص منهم سيؤمن به وأما عند نزوله فلا يؤمن به الا الذين يحضرونه وهو خلاف نص الآية واعلم أن المسلم لا يجب عليه الايمان بانه سيحيى يوم القيامة والظاهر أن هذه عقيدة سرت من النصارى إلى المسلمين . ولم يأت بها القرآن . والأحاديث لا يؤخذ بها في العقائد الا اذا تواترت وليس في هذه المسألة حديث متواتر

واما قوله تعالى (٤٣ : ٦١) وإِنَّ لَعَلَّ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا) فمعناه إنه لدليل على قدرة الله على البعث فان الذي خلقه بلا أب والذي أحيا الموتى على يديه قادر على احياء الموتى يوم القيامة . وهذه الآية كقوله (٢١ : ٩١) وجعلناها وابنها آية للعالمين

وقائل ان يقول إذا كان المسيح مات وتفرق تلاميذه من حوله بسبب أعمال اليهود وكانوا قليلي العدد فما معنى قوله تعالى (٦١ : ١٤) يا ايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) . وتقول اما في عصر المسيح عليه السلام فقد كانوا مؤيدين بقوة اليقين والايمان ظاهرين على أعدائهم بالحجة والبرهان وبما يظهره الله تعالى على يده من المعجزات والآيات البينات وأما بعد وقاته فقد سلط الله الرومانيين على اليهود فشتوهم في اقطار العالم وخربوا مسجدهم المقدس ولم يصب المسيحيين في أثناء ذلك أدنى أذى ثم صاروا ينتشرون في الارض ويزداد عددهم شيئاً فشيئاً حتى دخل قسطنطين في المسيحية وصارت دياتهم هي الديانة الرسمية للدولة الرومانية وبذلك تم لهم الظهور على أعدائهم اليهود ولا يزالون كذلك الى الآن كما قال تعالى (٣ : ٥٥) وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) وانما عبر تعالى بالفاء في قوله (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) مع ان ظهورهم الماضي لم يظهر الا بعد مضي سنين طويلة لان سنيننا هنا هي عند الله كالحضات (وان يوهما عند ربك كالف سنة مما تعدون) (انهم يرونه بعيدا ونراه

قريباً) وغلو المسيحيين في بعض معتقداتهم وتأليههم لبيهم لا ينافي انهم مؤمنين به فلذا وصفهم الله تعالى بالايان في هذه الآية كما وصفهم به في آيات أخرى كقوله تعالى (٥٧ : ٤٨) يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) الآية . فلا منافاة بين الغلو في العقيدة وبين اصل الايمان ، (للمسائل بقية)

باب المناظرة والمراسلة

٤

﴿ بحث العمل بالحديث وبحث التواتر ﴾

يقول حضرة الدكتور : أنا لا أذكر ما الأحاديث من الفوائد ثم قال ولكن ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين ولا يوجبها بالقرآن الشريف الذي يكفر منكره شيطان القرآن وما تواتر عن النبي (ص)
وتقول ان الله جل شأنه ارسل رسلا اوجب على عباده تصديقهم واتباعهم في كل ما أرسلوا به وليس من شرط الرسول ان يأتي بكتاب من عند الله وبعبارة أخرى لم يقل احد من العقلاء بعد ثبوت رسالته انه يجب على الله ينزل عليه كتابا يقرأه او كلاما يتلوه بلفظه — بل عرفوا الرسول بأنه بشر أوحى اليه بشرع وامر بتبليغه سواء كان التبليغ والبيان بالقول ام بالفعل على ان القول مقدم على الفعل ومعرفة الشرع بالقول اكثر منه بالفعل والله جل شأنه لم يخصص طريقا ولا طرقا معينة لحملة الشرائع في تبليغها الى من نأى وبعد مكانا او زمانا ولم يذكر في موضع ما من اي كتاب من كتبه ان من رد ما بلغه من الدين بغير تواتر معذور ولم يقل ذلك احد من رسله او ممن يعول عليه من أتباعهم بل لم يشترط ذلك احد من البشر في شؤون دنياهم الاجماعية

وانما مدار ذلك والله اعلم هو حصول التصديق بالنسبة الى خصوص من بلغه خبر ولم يقصر في البحث عن صحته وصدقه فيمن تصديقه لا يجوز له رده وهذا هو

الذي دل الشرع والعقل عليه وعليه اتفق اهل الملل قاطبة وهذا مما أنجل حضرة الدكتور عن مخالفته

بعث الله رسوله مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس عليه حجة وهو لا يأمر بالمحال ولا يكلف نفساً الا وسعها فلو أوجب على الامم تبليغ كل مسألة من شرعه بالتواتر وعلى المبليغين رد غير التواتر لكان ذلك تكليف ما لا يطاق مستلزماً للملاشاة الأديان، ومعطلا لسائر المواصلات ومعاملات نبي الانسان، والله منزه عن ارادة ذلك فبطل اشتراط التواتر لقل مسائل الدين

دل القرآن على ان من جاءته الحجة عن الله بتوسط رسوله ووردها جحداً أو مكابرة أو بماشا كل ذلك وداناه فقد كفر بالله وبرسوله واستحق العقاب وشديد العذاب ومن بلغت الحجة عن رسول من رسوله حين وجوب طاعته في خصوص تلك المسئلة من طريق لا يرددها في جميع شوؤونه ولا ينكر صحتها بعد البحث والتقيب ثم ردما جاء عن الرسول بتلك الطريق تشبيهاً فلا شك انه معاند ومكابر ومنازلطاعة ذلك الرسول وسواء كانت هذه الطريق متواترة او آحادية

فقول حضرة الدكتور ولكن ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين يعني الأحاديث الصحاح الآحادية ولو كانت مشهورة ومستفيضة ثم قوله « الدين الذي يكفر منكروه شينان القرآن وما تواتر عن النبي (ص) » يدل بل هو ظاهر في ان من انكر واجباً من الشرع فهو كافر ولذلك احتاط في انه لا يكون الشيء واجباً الا اذا قل بالتواتر. والحق ان التواتر ليس شرطاً في وجوب الخبر كما ان من أنكر ما دل عليه التواتر قد لا يكفر في بعض الصور بل قد لا يكفر من انكر بعض الواجبات عند غيره كما قد عرفت ان الحصر الذي ذكره غير مسلم وذلك لأن الشيء قد يكون متواتراً عند شخص دون شخص وقد يختلف معنى التواتر وشرائطه عند أناس دون أناس بل التواتر عند بعض الناس لا يفيد العلم وعند بعضهم في بعض صورته وعلى قول الجمهور يمكن ان يوجد تواتر في أمر ما ويصير على بعض الناس معرفته وتحقق وقوعه في ذلك الأمر بل يمكن ان يوافيه حمامه قبل ان يبلغ من ذلك مرامه، والحق ان من انكر ما عرف وجوبه من دين الاسلام وصار ذلك معلوماً له ولو بخبر

الآحاد كفر وكذلك من أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة ولم يكن قريب عهد
الاسلام او نشأ بعيداً عن العلماء كفر وان لم يكن منقولاً بالتواتر المعروف عند التواترية
نحن لا ننكر ان بعض أنواع التواتر يفيد العلم ولكن ننكر انحصار العلم الخبري
فيه أو فيما باشر الشخص سماعه كما اننا لا نسلم ان ما هو متواتر عند اناس يلزم ان
يسلم تواتره الآخرون .

ان من رمى التقليد جانبا وتبرأ من التعصب المشوم وجعل الحق مطلبه
والانصاف رائده ونظر في أقوال العقلاء من هذا النوع البشري نظر الناقد البصير
علم علماً لا يمتريه شك ان كل ما وجد عندهم من الحق فهو مطابق أو مأخوذ مما
جاء به المعصومون عليهم الصلاة والسلام ، عن الخلاق فاطر الأنام ، وحيث كان غرضنا
في هذا المقام تحقيق الخبر المسند الى رسول الله (ص) وما يجب قبوله وما لا يجب تقوله

العلم والطرق المؤدية إليه

الناس تكلموا على العلم وعلى الطرق المؤدية اليه فمنهم من شدد وضيق فلم
يجعل إلى العلم سبيلاً غير ما أدركه بأحد حواسه وهذا مع كونه اهمالاً لأفضل ما امتاز
به الانسان في اعلام مدارج انسانيته هو تعطيل لجميع الارتفاقات والتعاون على تحصيل
أنواع العلوم المختلفة المواضيع اذ من المحال ان يقوم الفرد بتحصيل جميع العلوم التي
قد حققها وعرفها جميع البشر — فهؤلاء المضيئون غاية معتقدتهم تعرية الانسان عن
أكثر العلوم والقضاء عليه بالوقوف دون مصاف كثير من الحيوان والبهائم لما
عرف من ان إحساس بعضها أقوى من إحساس الانسان . ومن نتائج مذهبهم
المشتم ضياع وانحلال عرى التضامن الاجتماعي وارتفاع الوثوق من بين افراد
الناس في أشد ضرورتهم — ولذلك ترى هؤلاء المضيئين من أكثر الناس
تناقضاً في علومهم وأقوالهم وأفعالهم لأنه من المستحيل عليهم التزام مذهبهم الفاسد
ومن تتبع علومهم وأقوالهم وأفعالهم في جميع شؤونهم وجدتهم على جانب بعيد وفي
غاية لمناقضة لما أصوله مما ذكرناه عنهم
ومن الناس من وسع بعض التوسعة لكنه أنكر حصول العلم من طريق الوحي

وهؤلاء هم الزنادقة المنكرون لوجود واجب الوجود أو المنكرون للنبوت وهؤلاء يؤول انكارهم الى تقيصه تعالى شأنه المؤدي إلى نفيه المؤدي الى الحال في الضروريات والتدح في المشاهدات وكون الشيء فاعلا لنفسه أو مفعولاً لغير فاعل ومن الناس من طلب الحق وتبين له فساد قول هؤلاء وهؤلاء واجتهد في طلب الصواب فسلم بأكثر الطرق المؤدية الى العلوم لكنه أهمل بعضها لاشتراطه لها شروطاً يصر أو يتعذر وجودها وهذه عدوى سرت اليه من مخالطة من تقدم ذكرهم من الملحدين السابق ذكرهم

فمن اشترط في وجوب قبول الوحي أي الشرع أو اعتبار الاخبار مطلقاً المشافهة والسمع أو بلوغه بالاجماع عملاً أو التواتر قد نصب في طريقه العقبات ، واقام دونه سد المحالات ، وشرع في الدين ما لم يأذن به الله ، ونحن نسأل حضرة الدكتور هل تشترط ذلك في جميع العلوم التي يشتغل بها الناس وفي جميع ما يتعلق بشؤونهم الاجتماعية أم لا تشترط ذلك إلا بخصوص بلاغ الاحكام والمسائل الدينية ؟ انا لا أظن انه يلتزم ذلك في الأول ولئن التزمه فالواقع والمشاهدة ترده وهي أعدل حكم بل يلزمه من التناقض ما لزم المضيقين السابق ذكرهم إذا بطل في الأول اشترط ذلك ففي الأديان كذلك ! اقدمنا من تلازم القدر بالشرع فلا فرق يعتد به

وعليه فالذي دلت عليه الكتب والشرائع السماوية وهو ما عليه عامة البشر « فطرة الله التي فطر الناس عليها » - هو أن من ثبت لديه بخصوصه صحة خبر وصدقه وجب عليه قبوله وهو في حقه علم حين تصديقه (١) اللهم الا ان يكون الخبر ينتج ضرراً على احد الخبر معلوم فسقه فيجب التبين والتروي حتى يظهر وينكشف حال ذلك الخبر وكذلك من بلغه الخبر عن لا يعلم حاله والامر ما ذكرناه وجب عليه التقيب فان صح لديه ذلك الخبر من الطرق الذي يصحح بها مثله وجب عليه قبوله كما انه

(١) هذا ما قررناه في الرد على الدكتور صدقي (ص ٩٢٦ م ٩) وقد ذكرناه منذ ايام في ذلك قرأنا ما مال الى ترك اشتراط التواتر لان النبي كان يرسل الآحاد دعاة وعمالا فيقبل الناس منهم

يقبله في بقية شؤونه الدنيوية ولا يجوز له اتباع هواه والتشهي والترجيح بلا مرجح
لم يوجب الله علينا مشر المسلمين التقيد بما أسس بعض الناس بل نهان عن
التقليد واتباع الآباء وأوجب علينا النظر فما وافق ديننا الذي هو الدين المستحيل
مخالفه للعقل الصحيح قبلناه وليس من العدل ان نترك ما لدينا من الحق وتقتصر على
مادى المخالفين وان دل عليه ديننا اماما خالف ديننا فلا شك انه مخالف للعدل والعقل
وليس في الدين ولا في القرآن ولا في الحديث الصحيح ما يناقض ما دل العقل
الصحيح عليه (١) ومن زعم ذلك فعليه البيان نعم في الدين اشياء لم تستعد بعض
العقول لإدراكها وسببه ما قدمناه من تضيق بعض الناس وسد أكثر ابواب
الطرق المؤدية الى العلم فاذا كل لبعض الناس استمداده العقلي وصار انسانا بالمعنى
الذي خلق لاجله فلا شك انه يدرك معلومات لا يكمل العقل الا بادراكها فغلب من
لم يأت هذه البيوت من أبوابها ان يسأل اهل العلم (الكلام بقية)

شكر المنار على تأين ذكاه الملك

رسالة جاءتنا من العالم الاديب بدائع نكار ميرزا فضل الله اليهقي مدرس
العلوم الادبية في مدرسة طهران السياسية . ورغب اليها ميرزا محمد علي خان نجل صديقنا
(رحمه الله) ذكاه الملك ان نشرها في المنار فنشرناها شاكرين للاديبين فضلها وهي

هو

جدير ان يوذّن في المنار معارف عنوت في المنار (٢)
وكذا في محاق الجهل دهرا بفرته سلخنا من سرار
سأجل شكر منشأ دثاري واجعل مدحه ابدا شعاري

(١) المنار: صرح بهذا شيخنا الاسلام ابن تيمية وابن القيم وتصديا لبيانه
بما كتبه الثاني في اعلام الموقعين من التفصيل البديع (٢) لعل الاصل « معارف
عنوت باسم المنار » او « عنوت في ذاه المنار » فسقط لفظ « ذا » سهوا

وما أنا في رفع خبري الى حضرة مولاي أدام الله بقاءه ابتداءً ونصيب وجوه
 أملي لشمول عواطفه رجاءاً ، قبل التعرف اليه ببعض المعارف ، والتقرب اليه بطرائف
 اللطائف ، الا كطالب الأيناس قبل الأباس ، والماتح بلا اسباب وامراس ،
 ولكني اجل سيدي من ان يحتاج العبد الى تقربه بالوسائل ، ويمت اليه بذرائع
 القبائل ، لان داعي فضله على المنارجهارا ، بدعونا الى نار قراره ليلا ونهارا ، فلا ألام
 على ذلك الاقدام ان ليت دعوته ، وصلت قبلته ، وأتيت ناره ، ويمت داره ،
 قَبِيلٌ بِمَبِجِ مَأْوَاهِ وَنَائِلُهُ فِي الشَّرْقِ يَسْأَلُ عَنْ نَيْلِهِ سَيْلًا
 على اني من آل داود ، ومن عاملي الشكر معدود ، وكيف لا أشكر من
 هو لاي نعمه التي أحيت القلوب ، واماتت العيوب ، وحسن منا الاخلاق ، وعلق
 علينا الاعلاق ، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء ، ورداه عنهم برد الثناء ،
 « ولو سكتوا اثنت عليه الحقايب »

قد وقفت على خاتمة الجزء الثاني عشر من المنارج في مدرسة السياسة من طهران ،
 بعد ما وقفت على فائحة المجلة في خراسان ،

تورنهما من أرض طوس واهلها يئرب أدنى دارها نظر عالي
 وقفت على تأين التقيد الفريد ذكاء الملك اطاب الله ثراه فأخذني من
 الأسف. ماجربي إلى التلف

فقدنا ذكاء الملك لا بل سماءه وما حال ملك زال عنه ذكاؤه
 فقدناه لو ان يقندي لفديته ولكن قضاء الله حتم مضاهوه
 مضى رحمه الله وأصمى على قلوبنا سهام الموموم ، وأحى على اكبانا مكاوي
 الغموم ، فلولاً خلفاه الصالحان ، وفرعاه الباسقان ، وثمراه اليانغان ، وقرراه الطالعان ،
 لما صبرنا على هذه الرزية ، بل هلكننا من سطوات تلك البلية ، ولكن بحمد الله ومنه
 وفي الحي باليت الذي غيب الثرى فلا الملك مغبون ولا الموت غابن
 فيها انا مع عقدة لساني ، وعجمة يائي ، وضيق باعي ، وقلة متاعي ، وتقصان
 بضاعتي ، وكلاله يراعتي ، أشكر من مولاي أدام الله بقاءه ، تأينه على فقيدنا ذكاء
 الملك طاب ثراه ، واسأل الله ان يديم ظلال عواطف مولاي على رؤس أهل الأدب ،

ويقيم على تثقيف الأود من العجم والعرب ، وأن يجعل كتابي هذا عنده مقبولاً ،
لامردود علي مبدولاً ، وأنهى الى تلك الحضرة العلية من أدينا ذكاء الملك بن
الذكاء ، أركمى وأوفى الثناء ، اختتم كتابي مقتدراً بذلك الخطاب
لا تنكرن وان اهديت نحك من علومك الفرو وأدائك التقا
فقبم الباغ قد يهدي لمالكه برسم خدمته من باغه التحفا
العبد فضل الله بن داود البيهقي المدعو بدائع نكار
للسدة السنية العلية والعتبة البهية الرضوية على راقدها آلاف الثناء والتحية

حجج البرهان الصريح ، في بشارت النبي والمسيح

(عليهما السلام)

فيه تعالى من نشر كتاباً فيه بشارت النبي والمسيح عليهما السلام منها لذي عليه
السلام وأمه من نبوة اشعيا ص ٤٠ عدد ٣ وص ٤٠ عدد ٢٥ و ٢٥ عدد ٤٢ عدد ١٦ نبوة
دانيال ص ٢ و ٧ و ٩ الوارد فيها ختام انبوة والحساب من حرب ادريانوس ملك
الرومان لليهود سنة ١٣٢ وانتهاء المدة سنة ٦٢٢ وهي سنة الهجرة والاذن الفتح
والجهاد ، وتبين فيه صحة الترجمة في مواضع من في التكوين بشأن سيدنا اسماعيل ص ١٦
عدد ١٢ « انساناً وحصياً » قال العالم الامرائيلي الترجمة انسان بري (يسكن البرية) يده في
الكل ويدالكل فيه ولفظه العبراني يرى آدم أي آدم بري ويده في الكل المراد به سيدنا
محمد عليه السلام لانه من اسماعيل ، وفي مزمو ر ١٠ عدد ١٧ وابن آدم الذي اخترته
أي نبينا ابن اسماعيل عليهما السلام لانه سمي اسماعيل آدم ، وفي التكوين من قول الرب
للخليل ص ٢١ عدد ١٣ وابن الجارية أيضاً اجعله أمة لانه نسلك والاصل العبراني
ان نسلك هو ولفظه « كي زر عخاهو » اي انه هو زرعك وفي المسيح عليه السلام « وخلق
الرب له من غير اب » من نبوة ارمياص ٣١ عدد ٢٢ خلق الرب شيئاً حدثاً في الارض
انتي تحيط برجل وفي الشروح ان هذا في المسيح وتأيد نبوة ارميا هذه في القرآن
الشريف من سورة آل عمران وفي نبوة اشعياص ٤٩ المختصة بالمسيح يحكى بالوحي
ما يكون للمسيح وفيها ان له مجيئين والاصل العبراني لها عدد ٥ قال الرب جابلي من

(المارج ٥) (٤٨) (المجلد الحادي عشر)

البطن عبداً له لاوجاع يعقوب فيضم اليه اسرائيل ومن ترجع بني اسرائيل كما في عدد ٤١ اما انا فقلت عبناً ولحيته الثاني عدد ٦ قال سهل ان تكون لي عبداً لتقيم اسباط يعقوب ورد محصورى اسرائيل واجمك نوراً لآلم لتكون خلاصى الى أقصى الارض ثم أكد ذلك في عدد ٨-١٣ وفي عدد ٦ « واجمك » قالوا بدلها فقد جملك . وما ذكر في اعمال الرسل ص ١٢ عدد ٤٧ خلاف الاصل العبراني أيضاً لان رسالته كانت لبني اسرائيل ونبوة ميخا ص ٥ عدد ٣ و ٤ تؤيد ان له بعينين كنبوة اشعيا هذه ص ٤٩ وتؤيدها أيضاً نبوة اشعيا ص ١١ التي هي لحيته الثاني لان فيها يرفع رواية الامم ويجمع بني اسرائيل من اربعة اطراف الارض وهذا معنى ماورد في نبوة اشعيا ص ٤٩ عدد ٦ لتكون خلاصى الى أقصى الارض اي خلاص بني اسرائيل كما في ص ١٢ من نبوة اشعيا أيضاً المنتمه لـ ١١ وهذا في آخر الايام كما في نبوة هوشع ص ٣ عدد ٥ ونبوة اشعيا ص ٤٩ تؤيد مجيء المسيح بعينه الاول قبل انتهاء تسلط اليهود على الشعب في ارض فلسطين كما في عدد ٧ والرب يحميه منهم كما في عدد ٢ « في كناته اخفاني » وعدد ٨ « وحفظتك » وقد قلمت اليهود من ارض فلسطين سنة ١٣٢ ثم لما دخل الاسلام صاروا في حماه .

ومنها في نبوة اشعيا ص ٥٣ عدد ٨ « انه ضرب من أجل ذنب شمي » والاصل « ضربة لهم » ونفظ لهم بالعبراني « الاموا » لان الكلام في الشعب الذين اخذوا بالباطل وحضروا منها واتبعي ارميايين كثيراً منه في صرائيه وفي عدد ١٠ « فسر » والاصل فارادوني عدد ١٠ أيضاً « ان جعل نفسه ذبيحة اثم يري نسلا » ولم يكن في الاصل العبراني لفظ ذبيحة والكلام في الشعب لانه ذكر يري نسلا وفي مز مور ٢٢ عدد ٦ : « قبا وبدي » والاصل « كأديدي » مع انهم اعترفوا في كتبهم باعتماد الاصل العبراني والمسيح ايد نبوات الانبياء كما في انجيل متى ص ٥ عدد ١٧ ولم يؤيد التواريخ ونيين في الكتاب بعض الآثار المصرية والاشورية التي تؤيد التواريخ الاسلامية الصحيحة وقد ذكر نبذة في فضائل الاسلام ونطلب منه تعالى العون في البدء والختام

(تنبيه) في نبوة اشعيا ص ٤١ عدد ٢٥ « أمهته من الشمال » وقبل وضع الحركات التي وضعت بعد قرون كان ينطق بها « أمهته من مخباء » وهو النار وعلى وضع الحركة قام نبينا « ع م » من الشمال وهي المدينة شمال مكة ودخل مكة شرقاً والكلام في مساكن قيدار كما يأتي وفي ص ٤٢ عدد ١١ ذكر مساكن قيدار وفي عدد ١٣ « خروج الرب كرجل حروب » اشارة للجهاد وقيدار ابن اسمايل كما في التكوين ص ٢٥ عدد ١٣ « يا خت حارون » ورفانهم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم حديث صحيح

وفي نبوة حزقيال ص ٣٧ عد ٢٤ سهي المسيح داود ونبوة زكريا ص ١٢ و ١٣
 تمت في يهوذا المكابي واخيه يوناثان
 وموجود بلد اسمها سمره «شمر ون بالمبراني» قبل دخول بني اسرائيل الارض كما
 في سفر يشوع ١٢: ٢٠ وفي آثار تومس الثالث وجود يهود بفلسطين قبل دخول
 بني اسرائيل
 احمد ترجمان

باب الاقتصاد والارباب

نادي دار العلوم

لا يجمل أحد من المتعلمين في مصر، ان أهل نادي دار العلوم هم عماد النهضة
 العلمية العربية في هذا العصر، وسيكونون بعد اجتماع شملهم بهذا النادي أنفع
 للبلاد، واقدر على القيام بأعباء التعليم والارشاد،
 فتحوا باب البحث في التعريب والترجمة فأفادوا ما افادوا. ثم فتحوا باب
 البحث في مسألة الربا عند ما اشتدت العسرة المالية وزعم كثير من الناس أن
 المسلمين لا يمكن ان يحفظوا ثروتهم ويجاروا غيرهم في الارتقاء الا اذا تعاملوا بالربا
 وانشأوا المصارف (البنوك) المالية. وان الدين اذا كان يمنهم من كل ما يعرف
 عندهم بالربا فهو لا يوافق مصالحهم الاقتصادية والسياسية في هذا العصر.
 خطب غير واحد من اعضاء النادي وهم غيرهم في الربا فكانت خطبهم ينابيع
 للفوائد الثمينة والاجتماعية والاقتصادية. وقد سلك كل واحد منهم مسلكاً انار فيه
 المسألة من بعض جهاتها كما فعلوا في مسألة التعريب والترجمة ولم يتصد منهم أحد
 للكلام فيها من جميع الوجوه الا الرئيس في خطبة الختام. وقد ألقى صاحب هذه
 المجلة (المنار) كلمات وجيزة في ذلك أدمجناها في التفسير من هذا الجزء ولم يكن
 بحث كل خطيب في الموضوع من بعض الوجوه عجزاً عن سائرها وإنما كان ذلك
 هو الجلي للمسألة والمترب للصواب من الافهام
 ثم بحثوا في مسألة الزواج والعادات في الخطبة والاحتفال في العرس فأجادوا وافادوا

البدع والتخرافات

وَالْبَقَا لِيَدِّ بْنِ الْعَجَّالَا

اقتراح بناء مدفن لعطاء الرجال بمصر

نشر في « الجريدة » اقتراح بناء مدفن لعطاء الرجال بمصر تنقل اليه عظام من مات منهم ويدفن فيه من سيموت من بعد
نشر هذا الاقتراح بتوقيع « باحثة بالبادية » وما هو الا خيال باحث في الحاضرة
او تمنى متفرج في العاصمة قد استعجل جداً بهدم تقاليد قومه الدينية وتعلم من مبادي
التقاليد الأوربية الى غايتها

لا أنكر ان بعض العمال التي بني عليها الاقتراح له وجه نظري معروف لثاته
وضعت الامم الوثنية من قبل التماثيل والنصب و بنت القبور وشرقها، وعظمت هذه
الآثار المائلة حتى عبدتها ولكن كان إيمانها اكبر من نفعها، وشرها اكثر من خيرها،
ولذلك هدمها الاسلام وحرم نصب التماثيل وتشيد القبور وتشريفها كما في حديث علي
كرم الله وجهه في صحيح مسلم وغيره « لا تدع تماثلاً الاطمسته ولا قبراً مشرفاً الا سويته »
ربما قات باحثة البادية او باحث الحاضرة ان الاسلام ما فعل ذلك الا ليطمس
رسوم الوثنية حتى لا تنازع التوحيد في سلطانه على النفوس وهذه العلة مأمونة في
هذا العصر «عصر المدنية والنور وعصر المادية والعلوم» واذا اتفت العلة اتفت المعلول
تعد قل مثل هذا القول أحد طلاب علم الحقوق من أولاد علماء الدين ونشره
في نيويورك رد على من انكر نصب تماثيل لمصطفى باشا كامل وسكت له الجمهور
على ذلك ولكنهم لم يكونوا يكوتهم مدعين

ما سهل تقويم هذه الشبهة على الاعتراف بصحة ما قيل من سبب تحريم الاسلام
للتماثيل والنصب والقبور المشرقة الا اني بان أقول ان هذه شعائر وثنية منع الاسلام
سورته لأنها تذكر معانها و هو مدح من هو يخشى ان تعيد روح الوثنية الى نفوس

المستعدين ، فلا نعيد هذه الصورة وان أمنت العلة الآن ، سدًا للذريعة ولو في مستقبل الزمان ، بل أقول أيضا ان العلة غير مأمونة في هذه الأيام ، لا سيما عند جماهير العوام ، فلونصبت التماثيل وبنيت الهياكل الخاصة لبعض القبور ، فاتها لا تلبث ان تصبغ بالصبغة الدينية بمصر وتبرك بها او يعبدها الجمهور ، وأستدل على ذلك بأقوال دعائها وفعالهم جاء في مقال « باحثة البادية » ما نصه

«والعامّة من أهل مصر بل بعض الخالصّة لهم ولع فائق بزيارة الاضرحة واعتقاد راسخ بنفع اصحابها حتى انك لو دفنت حماراً وبنيت له ضريحاً وقبة لزاره عدد من الناس يتبركون به وهم يعلّمون انه حمار فاذا كان الأمر كذلك في الحمار فكيف به في الرجال وكيف به في عظمتهم » اهـ

ونحن نقول مع الباحثة ان عطاء الرجال يكونون أجدر بهذا التعظيم والتبرك وهذا ما يحرمه الاسلام ويحده معارضاً للتوحيد

ذكر باحثة البادية من الرجال الذين تقترح نقل عظامهم للمدفن الجديد محمد عبده ومصطفى كامل وقاسم أمين فتقول كيف نأمن ان تعظم اضرحتهم تعظيماً دينياً بعد ان يتخذ لها مكان خاص يقصد بالزيارة والاول منهم إمام من أئمة الدين وداع من دعاة القرآن ومحام عنه وعن السنة ، واقوى خاذل في عصره للبدعة ؟ كيف نأمن ذلك والثاني منهم على كونه ليس من رجال الدين في العلم ولا في الارشاد ، وليس له مقالة تؤثر في الكتاب ولا في السنة ، ولا في الدفاع عن أصول الاسلام وعقائده ، - قد نحلّه أشياءه جميع الالفاظ التي يعظمون بها أئمة الدين وأولياءه كقولهم : فقيد الاسلام ، رضي الله عنه ، قدس الله سره ، قدس الله روحه . بل قرن بعضهم ذكره بذكر الانبياء ، وكاد بعضهم يفضلهم عليهم . وذكر أخوه الصغير في مناجاة ناجاه بها ان روحه مشرفة على العرش يعني انها فوق عرش الرحمن ! : وذكر أخوه الكبير من أنباء ولادته نحو ماروي في ولادة النبي صلى الله عليه وسلم من أنه ولد طاهراً مختوناً ، وجمله بعضهم ثاني النبي (ص) في عظمته وكلامه كالانجيل والقرآن . وقال فيه شوقي شاعر الامير

او كان الذكر الحكيم بقية لم تات بعده رثيت في القرآن
هذا وهو يعلم ان القرآن الحكيم لم ينزل منه شي ، في رثاء الانبياء والصدّيقين ،

بل كل ما قال في شأن موت من أنزل عليه وهو خاتم النبيين ، (٣٩ : ٣٠ انك ميت وانهم ميتون ٣١ ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) أي انك يا محمد تموت وهؤلاء المشركون الذين قالوا (٥٢ : ٣٠ تر بص به ريب المنون) يموتون أيضاً وتختصمون جميعاً عند الله تعالى . وقال (٣ : ١٤٤ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ؟) الآية وقد نزلت عندما قتل بعض المسلمين فانهزموا في وقعة أحد اذ صاح صائح « قتل محمد »

أفرايت من يغلو فيه الناس ذلك الغلو الذي أشرنا الى قليل مما قرأناه فيه ونحن لم نقرأ الا أقل ما كتب - وسكتنا عما سمعنا من بعض غلاة المارقين وما روي لنا عن بعضهم من مثل قولهم انه كان افضل من الانبياء وانه فعنا اكثر مما فعنا الاسلام! - أيستغرب ان يعظم تمثاله وقبره تعظيماً دينياً ؟ ؟

فيا أيها المتفرنجون أربعوا على ظلمكم وخففوا السير واتندوا بهذه الأمة المسكينة فان مصابها عظيم والخطر الذي يحيط بها أعظم فلا تستعجلوا بهدم ما بقي لها من العقائد والآداب والاحكام الدينية وأتم لم تنبوا لها ديناً ولا شريعة أخرى أحسن مما جاء به الاسلام ، ولا تستطيعون ان تحفظوا بقية المالك التي فتحها لكم الاسلام ، إذا فرضنا ان ما ترمون اليه بالتماثيل ونقل عظام الموتى الى أضرحة عظيمة يزيد في تعظيم أصحابها والتبرك بهم والافتداء بسيرتهم هو ما يفيد في ترقيتها وفرضنا انه لا يقوي نزعة الوثنية فيها فدعوه الآن لمجرد نصوص أئمة المذاهب التي تنتمي اليها الأمة في تحريم نبش الموتى وتحريم نصب التماثيل مطلقاً وخذوا بالأمة الى أسباب العزة والقوة التي لا خلاف فيها شرعاً ولا عقلاً وهي كثيرة لا يكاد يدعوا اليها داع ، وكلما يجمع لها مال أو يؤلف لها اجتماع ، ليست المدارس العلمية والدينية ، والكتب التاريخية والفنية ، والجمعيات الخيرية والدينية والادبية ، هي انفع من القبور والتماثيل الوثنية ، فلماذا لا تبدلون لها المال ، وتدعون الى تعميمها في البلاد ، ليست مدرسة مصطفى كاهل افضل ما يعزى اليه من الاعمال ، فلماذا لا تبدلون ترقيتها ما جتمتم للتثال ، ليست آثار الاستاذ الامام ، في اصلاح حال المسلمين والاسلام ، هي افضل ما يجبا به ذكره ، ويرغب في التأسى به ، فلماذا لا تبدلون المال لشرها ، وتعميم النفع بها ؟ ؟

الفصل السابع*)

جمال خديجة والجمال عند قومها

الجمال محبوب لذاته عند الطبع ، ومحبوب لفائدته عند العقل ، ومع
كثرة ما ألقت العيون رؤيته ، والآذان سماع أحاديثه ، لا تزال أسرار
موضوع التفكير ، ولا تزال دقائق تأثيراته محل الإعجاب ، كيف لا وهو
السر الأعظم في جذب الانسان الى مقاماته العلى من الابداع ، والسبب
الاكبر في ايمادما بينه وبين الحيوان في مراقب الوجدان والادراك . فشرفه
مجمع عليه عند بني آدم بغير خلاف بينهم . واما قوم حرموه فقد باؤا بجرمان
عظيم . ولذلك لم نجد بداً من ذكر هذه المزية الاخرى لقوم «خديجة»
فانها منزلة جدرة بالذكر لا سيما بعد ان اشتهر عند من لم يعرف هؤلاء
القوم انهم كانوا لا حظ لهم من الجمال ، ولا ذوق لهم في الحسن ، ولا
نصيب من توجه النفس الى الاحسن .

كبرت سبة ان يكون قوم «خديجة» على ما يظن هؤلاء الذين لا يتألف
في ذهنهم ان يكون القوم سكان اقليم حار وذوي شظف من العيش ثم
يكونوا مع ذلك ذوي خلقة جميلة وصورة بديعة

وكبرنا تقصيراً ان لا نين في هذا الباب ما هو من جملة مناقب
هذه السيدة وقومها فان استغرب قوم لم يبيروا اسرار الخليقة نظرة
تخصيصنا فصلاً لهذا الموضوع فانهم سيرونه فيما بعد مكيناً في موضعه
على انه سيجد فيه المتفكرون صاحبهم الانيس ، ويحمدونهم أهله الكرام

ان العرب قد تناسبت أجزاءهم، وتناسقت أوضاعهم، واعتدلت أشكالهم، بياضهم جميل، ليس فيه بهق بمض الاجيال، وأذمتهم لطيفة، ليس فيه حلكة بمض الاقوام، ولعل من فازت من حسانهم بخط عظيم من الجمال تقل نظائرها في حسان الآخرين، وتكون آية المتهى في جمال العالمين،

والمشهور ان الجمال يختلف في أذواق الناس ولكل جيل قياس في الحسن لا يأتي عليه قياس جيل آخر ولكن من أمن بما يتناقله الكل من صفات الحسن يجد ثمة جهة جامعة ومقياساً واحداً تنفق معه المقاييس كلها وذلك ان الحسن الذي لا خلاف فيه ليس هو بلون الاديم وإنما هو باعتدال القامة، واستواء الهامة، وتناسب اجزاء الوجه ومقاطعته، وحلاوة المبسم، وملاحة العينين، ولطف الحاجبين، ورقة الشفتين، ونعل هذه المذكورات تكثر في العرب حتى ندر ان نجد غير موصوف او موصوفة بالحسن من مشهورينهم ومشهوراتهم. واذا اضيف الى ما ذكرناه بياض الاديم وتشربه بحمرة او صفرة كان ذلك فضلاً في الجمال، قد يبلغ به متهى الكمال، ولم يكن هذا اللون قليلاً في العرب عامة وقوم خديجة خاصة

والعرب لم يكثروا في كلامهم من شيء بمقدار ما أكثروا من وصف الجمال وقدراً ينالهم يستحسنون هذين اللونين كثيراً: البياض المشرب بحمرة او البياض الضارب الى صفرة. قال ذو الرمة احد شعرائهم:

بيضاء صفراء قد تنازعا لونان من فضة ومن ذهب

وهذا اللون هو لون اللؤلؤ وقد جاء في القران المجيد تشبيه حسان

الجنة بالؤلؤ المكنون ولا يختلف أحد الى عهدنا هذا في أن هذا اللون هو الذي تكون صاحبه أقرب الى الكمال في الجمال اذا أخذت بحظ من تناسب بقية الاوضاع ، فانه عندما ينطبع فيه الاحمرار لسبب من الاسباب تكون حرته أطف من الحمره الملازمة لبعض البيض وعن مثل هذا عبر عدي بن زيد أحد شعراء العرب بقوله :

حمره خلط صفرة في بياض مثلما جاك حائك ديباجا

ولكثره البياض اللطيف في العرب شبهوه بالصبح واشتقوا من الصبح لونا فقالوا للابيض صبيح ، واشتقوا من الزهر لونا فقالوا للأبيض المشرب بحمره أزهره وتشبيهم بورد الحدود دليل على كثرة هذا اللون فان هذه الحمره لا تنطبع الا على أديم أبيض ورأيناهم يشبهون الاعناق كثيرا بأباريق الفضة كما قالت قرية بنت حرب أخت أبي سفيان في أعمامها وأخوالها

وليس عجيب بمد أن كان الجمال الرائع من جملة خصائص العرب أن نجدهم مغرمي القلوب بجمالي تجلياته ، منصرفي الوجوه الى مشارق أنواره ، ثم لا بدع بعد ذلك اذا وجدنا حب الجمال قد لطف أذواقهم ، وعودهم على الاستحسان ، ونقلهم من حال الى حال ، الى أن تهبأوا لقبول الدعوة التي رقت بهم من هذا الجمال الى أعلى ، ومن هذا الغرام الى ما هو أولى ، نقلهم الى تصور الجمال الالهي مصدر كل جمال ، وركت بهم الى عشق الكمال المعنوي الذي هو فوق كل كمال ، فلم يصعب على أولئك

الذين شغفهم الجمال المحسوس، ان يفهموا الجمال المقبول، وان يزدادوا
نصيلاً منه مع نصيبهم من ذلك ولم يمزّ عليهم ان ينتقلوا الى العالم الجديد
الذي دعوا اليه لانه تبتدى لهم أجل مما كانوا عليه

ونحن اذ نرى للعرب الحفظ الاوفر من الشغف بالحسن
والاستعسان يزيد قدرهم في اعتقادنا ونرى من غير تردد انهم كانوا
لذلك المهدي من أرقى الاجيال الراقية على بعمهم عن الزخرف، وعدم
تطعمهم بكل أسباب الحضارة، ولطنا اذا بحثنا عن المؤثر الاعظم في وفرة
جمال هذا الجيل نجد ذلك لانهم خصوا بأخذ المتبدل من المعاش، والتقل
في المتبدل من الاقاليم، وحبب اليهم المتبدل من المهن والاعمال، وأضافوا
الى ذلك انهم لا يتزوجون من غير رؤية غالباً وللاختاب دخل كبير في
تحسين الجنس وتجويد النسل.

وان بدا لأحدهم أن يتزوج بمن سمع بجمالها سماعاً تجده لا يقصر في
البحث والتدقيق بواسطة من يثق بحسن ذوقهن، وجودة امثالهن،
والحكاية الآتية تدلنا على مقدار حرصهم على اختيار الجميل وعلى مبلغ هذا
الشغف من الجمال:

أراد ملك من ملوكهم (هو عمرو بن حجر ملك كندة جد امري)
القيس) أن يتزوج ابنة عوف بن علفم (الذي يقال فيه لا حرّ بوادي عوف
لا فراط عزّه) وكانت ذات جمال فوجه اليها امرأة يقال لها عصام لتتقر
اليها وتمتنع ما يلته عنها فلما رجعت قال لها الملك « ما وراءك يا عصام »
قالت: رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة زينها شعر حالك، ان أرسلته خلف
السلاسل، وان مشطته خلفه عناقيد كرم جلاه الوابل، ومع ذلك حاجبان

كأنها خطا بقلم ، أو سودا بحجم ، قد تموسا على مثل عين البهيرة ، التي لم
 يرعها القاص ولم يدعها تسورة ، بينهما أنف كنداليف المصقول ، لم يخس
 به قصر ولم يمض به طول ، حفت به وجتان كالأرجوان ، في بياض محض
 كاللجان ، شق فيه فم كأنه فم ، لذيذ البتسم ، فيه ثيابا غرور ، ذوات أشرة ، يتقلب
 فيه لسان ، ذو فصاحة وبيان ، يزين به عقل وافر ، وجواب حاضر ، يأتي
 بينهما شفتان حراوان كالورد ، يجلبان ريقا كالشهد ، تحت ذلك عنق كالبريق
 الفضة ، ركب في صدرها تمثال دمية ، يتصل به عضدان ممتلان لحما ، مكتران
 شعرا ، وذراعان ليس فيها عظم عيس ، ولا عرق يحس ، ركبت فيهما كفتان
 رقيق قصبة ، تعقدان شئت منهما الا تامل ، تأني ذلك الصدر ثديان
 كالرمانين بحر فإن عليها ثيابها - الى أن قالت حين انتهت الى وصف ساقيها -
 وشيتا بشعر أسود ، كأنه حلق الزمرد ، يحمل ذلك قدمان ، كعدو
 اللسان ، - فبارك الله مع صنرها ، كيف يطبقان حمل ما فوقهما ،
 ووصفهم الحسن والجمال في الشعر مشهور كتقول بعضهم من قصيدة
 ويزين فوديتها اذا حسرت صافي الندائر فاحم جعد
 فالوجه مثل الصبح مبيض والفرع مثل الليل مسود
 وجبينها صلت وحاجبها شخت المخط أزج ممتد
 وكانها وسى اذا نظرت أو مدف لما يفتق بعد
 فهذا مثال من أمثلة الجمال العربي الذي كان لهط خديجة حظ منه
 كبير ولم يكن حظها هي منه قليلا

الفصل الثامن

تراؤها والنزاهة عند قومها

وكان للسيدة « خديجة » مع ما آتاه الله من الجمال وفضائل النفس حظ من الثراء أيضا وراؤها في حياة أبها وكانت تاجرة وامل آباها محلها رأس المال باديء بدء

لم يكن اشتغال سيدتنا هذه بالتجارة شيئا يجب منه في قومها فاتهم كأدوا يكونون كلهم تجارا . تضي بذلك طبيعة مقامهم في ذلك البلد، وشريفة تربيتهم على طلاب المجد واتساع السؤود، ومنافسة الاقرب والأبعد، ولولا شفقتهم بهذا لما سمعنا بصدى همهم في التجارة من بين إخوانهم الآخرين . ولولا هلاستعابوا من العيش ما استطاب ذلك الاعرابي الذي سئل عن طعامهم في البادية فقال لسائله : « بخ عيشنا عيش تملل جاذبه، ^(١) وطعامنا أطيب طعام واهنؤه وأمرؤه، القت ^(٢) والهيد ^(٣) والصلب ^(٤) والعلز ^(٥) والذآنين ^(٦) والمراجين ^(٧) والضباب ^(٨) واليرابيع ^(٩) والقنافذ ^(١٠) وربما أكلنا والله القد ^(١١) واشتوينا الجلد،

(١) تملل من التملل وهو الشرب بعد الشرب «٢» القت القمصنة وهي الرطبة من علف الدواب «٣» الهيد الحنظل يكسر ويستخرج حبه وينقع لتذهب مرارته ويتخذ منه طبيخ يؤكل عند الضرورة «٤» الصليب الودك يستخرجونه من العظام بعد أخذ اللحم منها «٥» العلز قراد كبير ونبات ينبت في بلاد بني سليم وطعام يتخذ في الجماعة من الوز والدم. (٦) الذآنين جمع ذؤنون نبات طويل ضيف له رأس مدور (٧) المراجين جمع عرجون العود من النخل (٨-٩-١٠) الضباب اليرابيع والقنافذ حيوانات معروفة «١١» القد جلد السخنة

فما نعلم أحداً أخصب مناعيشاً، ولا أرخصي بالاً، ولا أعمراً حالاً، أو ما سمعت
قول شاعر وكان والله بصيراً برقيق العيش ولذيذه :

إِذَا مَا أَصْبَنَا كُلَّ يَوْمٍ مَذْيِقَةً^(١) وَخَمْسَ تَمِيرَاتٍ صِفَارِ كَوَائِرِ
فَنَحْنُ مَلُوكُ النَّاسِ خَصِيْبًا وَنِعْمَةٌ وَنَحْنُ أَسْوَدُ النَّاسِ عِنْدَ الْمَزَاهِرِ
وَكَمْ مَتْنٍ عَيْشِنَا لَا يَنَالُهُ وَلَوْ نَالَهُ أَضْحَى بِهِ حَقَّ فَائِزِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا بَسَطَ مِنْ حَسَنِ الدَّعَاةِ ، وَرَزَقَ مِنَ السَّعَةِ ، وَإِيَّاهِ
نَسْأَلُ تَمَامَ النِّعْمَةِ «

هذا ما استطابه الاعرابي وحمد الله عليه هذا الحمد . وما
الاعراب الا بشر قد يستطيب غيرهم من البشر ما يستطيعون اذا اخلصوا
الى مثل معيشتهم ومارسوها لكن من الناس من لا يطلبون في الحقيقة
ما يقبم مادة البدن فقط كما تطلبه سائر الحيوانات بل يتسابقون الى ما به
الغبطة من المتنيات والذخائر، ويتبارون في ما به التمايز من المستحسنات
والبدائع، ويمثل هؤلاء يزيد الله الانسان بسطة من المعارف، وقوة
في المدارك

وقريش كما عرف القارىء كانوا ممن أعدم الله لعمل عظيم في
الارض ولا يتم ذلك بحسب سنته سبحانه ما لم يكن في سابق تربيتهم
وطرق حياتهم ما يلائم الطريق الذي سيستأقونه وما أمأهم الا المفاصرة
في السيادة على شعوب العالم بقدر ما يستطيعون فلم يكن لا ثقاً بمن هم
عتيدون لمثل ذلك ان يجمعوا في بلدهم ولا يعرفوا العالم، ولا تميل نفوسهم
الى خيرات السماء والارض الفائضة في ملك الله الواسع، بل اللائق

(١) المذيقه تصغير مذقة وهي شرقة من اللبن المزوج بماء كثير

يهو لاء أن يكون كل واحد منهم أنطق حاله بقول ذلك الشاعر من
أبناء ملوك العرب (امرء القيس)

فلو أن ما أسى لأ ذنى مميشة كغاني ولم أطلب قليل من المال
ولكننا أسى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل امثالي

وحقا كانت حال القرشيين ناطقةً بمثل هذا الكلام، وكلّ منهم له
في المجد أرب، فلا بدع إذا انصرفت أقسهم الى تحصيل المال فإنه أعظم
أدوات هذا المطلوب وقد نجح فيه منهم كثيرون ونفعوا بالثني قومهم
عند الشدائد منهم عبدالله بن جدعان الشير بجفته التي كان يقدمها للفقراء
والمساكين من زوار مكة وأهلها وقد أمد قومه بالسلح في حرب حاربوها
وسلح مئة كمي من غير قومه ممن حارب معهم وفي هذه الحرب قتل
أحد اخوة السيدة « خديجة » العوام ابو الزبير ^(١) ومنهم أمية بن خلف
ابن وهب وابنه صفوان الذي أُرعن النبي (ص) انه قال فيه « ان صفوان
بن أمية قنطري الجاهلية وقنطر أبوه » أي بلغ ماله القناطير ^(٢) وكثيرون
غير هؤلاء

فيالله ما أشبه قريشا الضارين في أنوار رمال العرب وأنجادها نقل
المتاع من هذه البرية وإليها على سرا كهم سفن البر ، بالفينيقين الضارين

« ١ » تحاربت في هذه الحرب قريش وهوازن وكان عمر النبي (ص) فيها اربعة
عشر عاماً وحضرها مع اعمامه يحيى لم النبل . وعبدالله بن جدعان سري شهيد ومث
كبير وهو من نخذ بني جمح

« ٢ » أمية بن نخذ بني جمح أيضاً وقد قتل في وقعة بدر وكان مع أعداء النبي
« ص » اما ابنه صفوان فاسلم بعد فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم

في أكباد تلك المياه وأطرافها لنقل البضائع من هذا النهر الى ذاك على
مراكبهم قلائص البحر . فلئن كان لا بناء تلك السواحل رحلتا شتاء
وصيف بين زثير الامواج ، ومماركة الامواد ، فلا بناء هذه البراري أيضا
رحلتا شتاء وصيف بين عواء السباع ، ومعالجة الرمال

لعمر الحق قد أدرك القوم ان الخير كل الخير لا قسمهم ولجيراتهم
انما هو في أن يفتحوا للتجارة لانها في الاعم أقوى الاسباب المقربة من
البدائم ، المبعدة عن الحياة الوحشية ، فقاموا بهذا المرغوب غير كسالى
فكان لذلك ربحهم عظيماً من المال ومن ملكة الاختلاط بالاقوام في
ذلك العصر السحيق والمكان البعيد . وكان بلدهم على هذا البعد عن العمران
المتصل وسطاً صالحاً للتجارة في تلك البرية بواسطة الحج الذي كانت
تجبه العرب الى البيت المعظم الذي فيها وجددير ببلدة يحج اليها العرب
ذلك الحج ان تكون للامن داراً ، وانما تنسق شجرة التجارة في رياض الامن .
وكانوا يقيمون من حولها أسواقاً موقفةً في العام قبيل أيام الحج
وينفدون اليها ليبيعوا ويشروا . أشهرها سوق عكاظ كانت تقوم في أول
يوم من ذي القعدة « وعكاظ » بين مكة والطائف ومن أسواقهم هذه
« ذوالحجاز » وهو عند عرفات و « مجنة » وهي موضع باسفل مكة
و « بدر » وهي بين مكة والمدينة

ولقد كان لسوق عكاظ من خطير الشأن ان النعمان بن المنذر ملك
الحيرة على اتصاله ببلاد الحضارة وبعده عن مكة كان يمت كل عام الى
سوق عكاظ جمالاً محملة بزاً وطيبواً لتباع في هذه السوق ويشري له

بمنها من آدم الطائف^(١) ما يحتاج اليه ولم يكن يرسلها في هذا الطريق البعيد التي تمر فيه على قبائل شتى حتى يجيرها له شريف من شرفاء العرب وهذا يدلنا على ان تلك البلاد لم تكن تأتي بالحصلات من غيرها فقط بواسطة التجارة بل كانت تخرج الى غيرها حاصلاتها أيضاً ومع ان الشام مشهورة بأعناؤها وفواكهها كان تجار مكة يأخذون اليها من زيب الطائف ذلك الزيب الذي أدهش حسنه وكثرته سليمان بن عبد الملك لما رأى يبادره فقال : لله در قيس في أي عش أودع فراخه : يريد بقرى تقيفاً فكذاك كان اسمه وحسبك ان النعمان بن المنذر كان يرسل يأخذ من آدمها

فتجار مكة لم يكونوا يذهبون فارغى الاجمال الى الشام والى غيرها أحياناً بل كانوا يذهبون ببضاعة حجازيه مما تخرج تلك الارض من نبات ومعدن ويرجعون ببضاعة شامية او غيرها مما تخرج الارض وتصنع الايدي . وآخرون مقيمون غير ظاعنين ليقيموا السوق الدائمة في تلك البلدة « أم القرى »

ولا يستريح القارئ حتى يعلم ماذا كانت تخرج تلك الديار الى غيرها من الاشياء فانه كلما تصورها غير زراعية وغير صناعية يضيق ذهنه عن معرفة ما يصلح ان يخرج منها وله العذر في ذلك اما نحن فنذهب حيرته ببيان وجيز لا يسعنا اكثر منه لثلا ينقطع الحديث فنقول ان تلك البلاد في نفسها رأس مال طبيعي كسائر البلاد. ذلك بما تشتمل عليه من معادن ونباتات برية يصلح بعضها للصبغ وبعضها للديبغ وبعضها للطب وبعضها

« ١ » آدم بضمين وفتحين الجلود المدبوغه والواحد آدم

الطيوب وبمضها للتطيف فاذا أضفت الى ذلك ما كانوا يجففونه من ألبان الحيوانات وما يستخرجونه منها من الزبد ومن أصوافها وأوبارها وجلودها وما كانوا يجففون من التمر والزبيب وغيرها تجدبضاعة غير يسيرة يحمل مثلها الى أطراف بلاد الشام مما هو الى الحجاز أقرب بل ربما راج بعضه في العواصم

نحن اليوم لا نتصور مجتمعاً حضرياً الا بأن يكون فيه أمير مسيطر وجندله حافظون، وزراع وصناع وتجار للمعاش ضامنون، وقد رأى القارىء ان مجتمع «خديجة» قام بغير مسيطر وجندله فعسى ان لا يقبس على استغناؤه عن سيطرة الامير استغناؤه عن الزراعة والصناعة والتجارة كلاً فان هذه الثلاث لا قوام لقوم بدونها. ونحن اذا ذكرنا ما كان من النصيب لقوم «خديجة» منها لا نقصد به عدّة مفاخر لهم الا من جهة أنهم تطبوا بدار كرم وهممهم على كل ما كان يحول بينهم وبين المفارقة في إدراك شأوا الأمم والابتعاد عن البداوة من بعد ان أو شك جوار البادية ان يجذبهم اليها كما جذب إخوانهم الآخريين

فهم تحضروا في ذلك البلد بين أهل البادية وفي منقطع عن العاصرة وأعطوا الحضارة حقها على صعوبة الوفاء لها بهذا الحق. وترام مع هذا لم يخالفوا سنن العرب فيما يأتون منه ويرفعون عنه فأقاموا ما احتاجوا إليه من الصناعة في بلدهم ولكن على أيدي عبيدهم لان العرب كانت تأنف من بعض الصناعة وكذلك أقاموا ما احتاجوا اليه من الزراعة على أيدي عبيدهم ولم تكن الزراعة كثيرة في بلدهم ولكن لم يكن خالياً

منها البتة فهناك اودية يجرود فيها الزرع والفراش وتجري فيها العيون . وما الطائف عنهم بعيد وهو أبو الزراعة

اما التجارة فلم تكن العرب تأتف منها فلذلك باشرها القوم بأنفسهم كما باشر بعضهم بعض الصناعات التي ما كانوا يأتقون منها . فمنهم من كان يبيع اللباس ، ومنهم من كان يبيع الادهان ، ومنهم من يبيع اللحم ، ومنهم من يبيع الاداة والماعون والسلاح ، ومنهم من يبيع الرقيق خاصة . وبالجملة كان فيهم باعة لكل الاشياء التي تدور عليها حاجة الإنسان المتحضر من صنوف الاكسية المعتادة ، وضروب الاطعمة والاشربة المهدودة ، وصنوف الماعون والاداة اللازمة ، والعتاير المعروفة ، والحيوانات المتداولة ، والأسلحة الشائمة . ولم تكن سوقهم تلك خالية من السماسرة ويقال ان عمر بن الخطاب الخليفة الثاني الشهيد كان زازاً ويقال انه كان سمساراً كما ان أبا بكر الخليفة الاول كان زازاً (رضي الله عنهما)

ومهما كان ذلك المجتمع أقل تشبهاً بالزخرف وأبعد عن التسابق الى المتاع الزائد عن الحاجة نرى ان حاجاته التي تحتاج الى عمل التجار لم تكن قليلة وورى أنها وحدها كافية لان يكسب بعضهم بواسطتها كثيراً من المال فالتجارة ولا شك هي السبب الاول في ثراء قريش وكثرة الثريين منهم لاننا لم نصلهم الى ذلك الصدد وجها من وجوه المراجيح ونماء المال أعظم منها

وأصناف الاموال التي كان الثراء بها عندهم هي الذهب والفضة ، والابل ، والرقيق ، والاراضي للزرع والفراش ، والاراضي للمعدن ، أما الذهب والفضة فهما الواسطة المنطوق في تبادل العروض والايان

ومن مطالعة أخبار القوم يظهر انه كان لديهم منها شيء كثير . من شواهد ذلك قول النبي (ص) « ان صفوان بن أمية قنطر في الجاهلية وقنطر أبوه » ومن شواهد ذلك انه بعد ان ظهر الاسلام وانقسموا قسمين أحدهما مع النبي (ص) في دار هجرته (المدينة) والآخر عدو له في وطنه (مكة) أدت تصاريف المداوة الى اشتعال حرب بين الفريقين في الحبل المسمى بيدر بين مكة والمدينة فكان الظفر لاصحاب النبي (ص) ووقع في أيديهم من عشيرتهم سبعون أسيراً اقتدوا أنفسهم ووزوا في فدية الواحد أربعة آلاف درهم فتكون الجملة نحو مائتين وثمانين ألف درهم أي نحو عشرين قنطاراً مصرياً من الفضة ولم يحدث في ذلك البلد الصغير أقل ضيق من هذا المقدار الذي وزن أهل كل أسير منه ما عليه . وما هو بالمقدار الكبير ولكنه يدل بالجملة على وفرة هذه الدراهم وتيسرها عند القوم . ومنها ما ورد من انهم اتفقوا على حرب النبي في أحد ربح العير التي جاء بها يوسفان من الشام وقدره خمسون الف دينار

وكانت النقود التي يتداولونها من ضرب الروم غالباً وبعضها كسروي ولكن لم يكونوا يتداولونها الا بالوزن ولعل ذلك لعدم اتقان ضربها على وتيرة واحدة وقد ظلت النقود الأجنبية الى أيام عبد الملك بن مروان فهو الذي أحدث النقود المكتوب عليها بالعربية

وأما الابن فهي أوفر أصناف أموالهم والابن مال كثير البركة لصاحبه فالقليل منها فيه الفنى والغناء، والنعمة والهناء، من درّها الغداء، ومن أوبارها الكساء، ومن جلودها الماعون والحذاء، ومن بعرها الوقود

للاطببخ وكشف الظلماء، وظهورها صرا كب للاظمن والحمل والنجاء،^(١)
 وبطونها أعظم بها واسطة للنماء، فبميشك أيها المطالع! في أي صنف من
 أصناف الاموال الحضرية يجد أحدنا مثل هذه البركة، التي لا تحتاج الى
 شيء عظيم من الحركة؟

وأما الرقيق فقد كان في ذلك العهد يعدُّ مالا في جميع جهات الأرض
 وكان هؤلاء القوم من أغنى الناس في الرقيق واذا صرنا النظر عن استرجان
 هذه المادة نرى ان لاشيء أنفع من عمل الآلة المتحركة بنفسها، النامية
 بطبيعتها، المدركة بخلقها،

وأما الاراضي للزرع والفرس فكان فيهم أفراد يملكون منها كثيراً
 ومن متمولي قريش من كان يملك اراضي في الطائف كتبة وشيبة ابني ربيعة
 (من نخذ بني عبد شمس) وغيرها

وكان نظر القوم الى الزرع والضرع أعظم من نظرم الى الذهب
 والفضة فقد سئل بعضهم عن الذهب والفضة فقال «حجران يصطكان إن أقيمت
 عليهما مقدا، وان تركتهما لم يزيدا، ان أفضل المال برّة سمراء، في ربة غرباء،
 او عين خراة، في أرض خوارة»، أشار بهذه الكلمات القليلة الى ان
 الموجب لنماء الثروة هو العمل في استخراج الخيرات الطبيعية من الارض
 التي هي اول رأس مال اما الذهب والفضة المتداولان فواسطة لوزن
 حركات دولاب الاعمال فقط. وهذا هو الأس الصحيح في علم ثروة الامم
 واما أراضي المدن فالظاهر أن بعضها كان مشاعا وبعضها كان مملوكا
 اما كون بعضها مشاعاً فناخذ من عادة العرب في جاهليتهم من انهم لم

يكونوا خاضعين لمثل سنن البلاد التي فيها ملوك . والمعادن إنما يجعل لها
حسي وحرما الملوك الذين يبدونها من جملة الاموال العمومية التي هي
حق للخزاة العمومية خزاة المملكة . واما كون بعضها كان مملوكاً
فمنتهيه مما قرأناه عن ملك بعضهم لبعضها كالحجاج بن علاط السلمي^(١)
الذي كان يملك معادن بني سليم . وكانهم اشبوع ملك بعض الناس ببعض
المعادن كان من الناس من يطلب من النبي بعد الفتح ان يقطعه شيئاً منها
فقد طلب بلال بن الحارث ان يقطعه معادن القبلية (منسوبة الى قبل فتحتين)
وهي ناحية من ساحل البحر بينها وبين المدينة خمسة ايام فأقطعه اياها
وأقطعه جبل قدس للزرع

هذه هي أصناف الاموال التي كان بها ثراء هؤلاء القوم يضاف
اليها العروض والامتنعة التي كانت تتداول في التجارة والى مثلها يؤول
اليوم كل ثراء فاز ملك الارض والمعادن لا يزال ايضا ينبوعاً ثوراً
للثروة ، واستخدام الفعلة بأجر بخس نوع من الاستعباد والاسترقاق
اعني ان فائده المادية كفائده ، والنقود لا تزال كثرتها وقتها ايضا مياراً

« ١ » الحجاج بن علاط ليس قريشي بل هو من بني سليم ولكنه كان متزوجاً
من قريش « من بني عبد الدار وهط خديجة » وكانت أمواله تستثمر في مكة وكان
مكثراً من المال . أسلم يوم فتح خيبر ثم جاء الى النبي « ص » فقال له ان لي ذهباً عند
امرأتي « في مكة » وان تعلم هي وأهلها باسلامي فلا مال لي فاذن لي لأمرع السيد
واخبر أخباراً اذا قدمت أدراً بها عن مالي ونفسي فأذن له النبي « ص » وقدم مكة
وأخذ أمواله بحيلة

« ٢ » جبل قدس معروف في جوار المدينة

عظيما ثروة الامم، وعلی مقدار ما تقدم كاه يكون محور التداول للعروض والامته والااث والرياش .

وقد كان من لا يستطيع ان يباشر التجارة بنفسه او السفر من أجلها يعطي من ماله الى آخر على ان يتجر به ويكون الربح بينهما أو يعطيه بالربا وكان معروفاً فيهم او يستأجر آخر ليقوم له بتجارته والامانة هي الغالية فلم يكن بأس على المال بتسليمه الى من يتجر به بالموأجرة او المضاربة فلذلك لم تصعب التجارة على السيدة «خديجة» التي كان لها ما النساء قومها من الاستقلال في أموالهن ولم يكن لبيها ولا اخوتها سلطان في ذلك المال الذي كانت تبعث به الى التجارة مع ذوي الامانة ذاهبا وآيا

وفي إيثار هذه السيدة إرسال أموالها في التجارة على الأتجار بالنقود في مكة كما يفعل المرابون دلالة على بمد نظرها، وعلو همتها، وعظيم عطفها وخانها على وطنها فان الأوطان تسمى باقدام أرباب أموالها على نشر اسمها في العالم بالبيع والشراء واظهار صنوف الثراء، ولا يكون لها مثل ذلك بشيوع المتاجرة بالنقود

الفصل التاسع

زواجها قبل النبي صلى الله عليه وسلم

تزوجت خديجة قبل النبي (صلى الله عليه وسلم) مرتين تزوجت
أبا هالة النباش بن زرارة وتزوجت عتيق بن عابد المخزومي. وكان الزواج
المرضي في الجاهلية كالزواج في الاسلام أي ان الرجل ينخطب الى الرجل
بنته او من له عليها ولاية ويقدم صداقها فيزوجه ، واما ما يذكر من
أنواع أنكحة الجاهلية الاخرى فهو من باب السفاح لا من باب الزواج
المرضي ولم يكن السفاح والمخادعة من فعل الشرائف والكرائم، وانما يفعله
اغلب ذلك الإماء والحقائر

وولدت هذه السيدة ولداً من ابي هالة وسماه «هنداً» على عادة العرب
اذا كانوا يضمون للذكور احياناً اسماء الإناث فمند هذا هو ريب النبي (ص)
أخو فاطمة لامها عليهما السلام وقد عاش وأدرك الاسلام وأسلم. روى
عنه ابن اخته الحسن بن علي حديث وصف النبي (ص) المشهور في الثمائل
وكان هند وصافاً وحديثه هذا أبلغ ما وصف به النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قتل هند مع علي يوم الجمل

سيعجب القارىء من زيادة تعريفنا لابنها هذا ونحن لانكتمه
السبب وذلك اننا نحب ان لاندع شيئاً مما يتعلق بسيرة هذه السيدة مغفلاً
ومهمللاً ولا سيما بعد ان رأينا أن كثير الذين كتبوا في سيرتها لم يتعرضوا لذكر
ولدها هذا فكاد يضيع ويختفي الأعلی المتقنين في بطون الاسفار الواسعة وعذرهم

في ذلك انهم انما يتعرضون لسيرة هذه الفاضلة على الغالب منذ تشرفها
بزواج النبي (ص)

وان لنا - والحق يقال - حقاً على هؤلاء الناس الذين يريدون أن
يعرفونا بشخص ممن مضى فيسكون أنفسنا بالشيء من أخباره ثم يقطعونه
ويجذبونها الى شيء آخر

على اني لا أنكر انه اذا سطعت الشمس لا يبقى لبعض السراج
مكان. فن ذا الذي يعلم ان هذه السيدة اتصلت بشمس الهدى « محمد »
صلى الله عليه وسلم وولدت منه « فاطمة » الزهراء أمّ الحسين ثم يرجع
باحثاً عن ابنها ذاك من زوجها الاول ابي هالة ؟

لعمرك اذا وصلت يد يرتها الى هذا المقام تضاءلت امام نظرك كل
ما تسمع عن أيامها الماضية واستشرفت نفسك الى الاطلاع على هذا الشأن
الجديد الذي سيكون لهذه السيدة مع هذا الزوج الكريم الذي رن الكون
كله باسمه الشريف

فن هنا بدء الحياة العالما لهذه السيدة ، ومن هنا بدء خلود اسمها
في نوح الوجود ، وبدء إشراق مواهبها في سماه السمود ، أمامها الآن
الشمس بلا حاجز ، فليستمد جوهرها القابل ، وليفيض نوراً وسناء ،
وليتبارك كلاً وبهاء

الخاتمة

﴿ في ذكر آيات علمية من القرآن ﴾

قلنا إن القرآن الشريف لم يأت لتعليم الناس شيئاً من العلوم الطبيعية ولكن مع ذلك لم تخل آياته من التعبيرات الدقيقة العلمية ولا من الإشارة إلى حقائق كثيرة من المسائل الطبيعية مما يدل على أنه تنزيل العليم الحكيم فان هذه المسائل ما كانت معروفة لأحد في زمنه ولا يمكن لعربي أمي في ذلك الوقت أن يقف عليها لولا وحي الله . ولندكر هنا شيئاً من هذه الآيات المشتملة على التعبيرات الدقيقة والمسائل العلمية الطبيعية

(١) قال الله تعالى (٧: ٥٧) وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقاه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) وقال أيضاً (٢٤: ٣٠) ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤثف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار ء ء يقرب الله الليل والنهار إن في ذلك لعلبة لاولي الابصار) وفيه إشارة إلى أن البرق يتولد من السحاب وقوله (من جبال فيها) هو تشبيه لقطع الحساب العظيمة بالجبال لما بينهما من التشابه في الشكل وعدم الانتظام وعظم الحجم كاشبه أمواج الماء بالجبال في قوله (وهي تجري بهم في موج كالجبال)

(٢) قال تعالى (٢٨: ٨٨) وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفاعون) وهو صريح في حركة الأرض . وليس ذلك في شأن القيامة فان قوله (تحسبها جامدة) لا يناسب مقام التهويل والتخويف وقوله (صنع الله الذي أتقن كل شيء) لا يناسب مقام الاهلاك والابادة . وقال أيضاً (٩١: ١) والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها) وهو أيضاً يشير إلى حركة الأرض

(٣) قال تعالى (٣٠:٣٠) أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) وهو صريح في أن الأرض والكواكب كانت شيئاً واحداً ثم انفصل بعضها عن بعض وهو كقول العلماء الطبيعيين إنها كلها أجزاء انفصلت عن الشمس وكانت ملتهبة فصارت تبرد شيئاً فشيئاً وإلى ذلك يشير القرآن بقوله أيضاً (٤١:١١) ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) أي وهي ذات دخان لا تهاب أجزاءها ولكون أكثرها في الحالة الغازية

(٤) قال الله تعالى (١٣:٣) ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) وهو صريح في أن الثمرات جميعاً فيها الذكر والأنثى وهو أمر لم يعرف إلا من عهد قريب . والقرآن نفسه هو الذي فسر الزوجين بذلك في آية أخرى بقوله (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى)

(٥) قال الله تعالى (١٥: ٢٢) وأرسلنا الرياح لواقح) أي ملقحات للأشجار
 (٦) قال الله تعالى (١٧: ١٢) فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) وهو يشير إلى أن القمر (وهو آية الليل) مظلم لذاته

(٧) قال الله تعالى (٣٦: ٣٧) وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ٣٨ والشمس تجري مسروراً لما ذلك تقدير العزيز العليم ٣٩ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ٤٠ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)

(٨) قال الله تعالى (٣٩: ٢١) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض) الآية

قل لي بأبيك أي عربي أمي يعرف هذه المسائل أو تخطر له على بال وخصوصاً في تلك الأزمان التي كان فيها أعلم العلماء في أرقى البلاد يجمل بعض هذه الحقائق المذكورة في القرآن كدوران الأرض وكون جميع السيارات منفصلة عن أصل

واحد وأنها كانت دخانا . وأن الثمرات جميعاً فيها الذكر والأنثى وأن الرياح هي التي تلقحها إلى غير ذلك من دقائق المسائل العلمية الطبيعية . وكلها دلائل على أن هذا الكتاب ليس من صنع البشر بل هو تنزيل من الله العليم الحكيم
الدكتور محمد توفيق صدقي

باب المناظرة والمراسلة

٤

﴿ بحث العمل بأحاديث الآحاد والحديث المتواتر ﴾

ولنعمد فنقول التواتر هو وان كان من الطرق المفيدة للعلم اذا وجد الا انا لا نحصر افادة العلم بالأخبار فيه كما انا لا نلزم به كل أحد قبل ان يعرف انه متواتر اذا لم يقصر في الطلب او كان معذورا لبعده عن أهله
قال حضرة الدكتور لم يتواتر من اقواله (ص) الا القليل الذي لا شئ فيه من احكام الدين

اقول ما ذكره غير مسلم والتواتر هو ما نقله جمع عن جمع يبعد تواطؤهم على الكذب أي عن محسوس وقد اختلفوا اختلافاً كثيراً في تعيين هذا الجمع . وبناء على تعيين الجمع فيما نظن قال بعضهم بندرة وعزلة التواتر في الاحاديث النبوية . وهذا اول ما يقال في الاعتذار عن ابن الصلاح في قوله بذلك

قال السيوطي نقلاً عن شيخ الاسلام ان قول ابن الصلاح نشأ عن قلة الاطلاع على كثرة الطرق واحوال الرجال وصفاتهم المتقضية لا بعد العادة ان يتواطؤوا على الكذب او يجعل منهم اتفاقاً — قال ومن احسن ما يقرر به كون التواتر موجوداً وجوداً كثرة في الاحاديث ان الكتب المشهورة (أي المتواترة عن مؤلفيها) بأيدي الناس شرقاً وغرباً المقطوع عندهم بصحة نسبتها الى مؤلفيها اذا اجتمعت (اي او اجتمع بعضها كما قال ذلك جمهور اهل الحديث) على حديث وتعددت طرقه تعدداً

تجمل العادة تواطؤهم على الكذب افاد العلم اليقيني بصحته الى قائله . قال ومثل ذلك في الخُتب المشهورة كثير . اهـ

واقول أيضاً ان من تجرد عن التعصب والتقليد لا تخفى عليه الحقيقة المنشودة في هذا الباب . وبما قدمناه وما يأتي يظهر للمنصف مكانة الخبر الذي ينقله آحاد ثقات قد عرفوا بقوة الحفظ والذكاء والعدالة والورع والتقوى وعرفوا ان الكذب على رسول الله (ص) ليس ككذب على احد وان من كذب عليه متعمداً يتبوا مقعده من النار اعتقدوا ذلك وهم بالصفات التي عرفت وتحملوا من الرواية ما اعتقدوا وجوب العمل به ثم وجوب تأديته لغيرهم كالأمانة وقد علموا ما في الخيانة من الوعيد والترهيب عن كتم العلم

فاذا إتصل سند الخبر بمثل من ذكرناه فهو فيما نعتقد مفيد للعلم اي يعيد ! يمنع العقل عن مثل من نعتاه الكذب عادة ورب رجل يعدل رجلاً — فان قيل سلمنا ان من كان مثل هذا يعد منه الكذب عادة الا انه لا يؤمن عليه النسيان قلت قد علم من عادة المحدثين كتابة ما سمعوه وعلى الاقل للمراجعة الى وقت التأدية وهم لا يعتمدون على المكتوبات الا ما كان موثوقاً به ومحفوظاً بغاية الاحتياط ولا يقبلون المكتوبات التي لا يدري حالها وان كان كاتبها ثقة — وهذا اكبر دليل على ان ما عندهم من الاخبار اصح ما وجد من الاخبار في العالم بعد كتاب الله — وانما كان تواتر القرآن مقدماً على كل خبر لانه نقل بمثل هذه الاسانيد يقينية متواترة — على انا نستبعد عادة ان الراوي الذي ذكرنا صفاته يحدث بما نسيه اذ لو فعل ذلك لم يكن بالمرتبة التي ذكرناها لا سيما في احاديث الاحكام والاعمال لشدة حاجته وحاجة معاصريه الى العمل بها . على أنه اذا نسي ذلك لا يحدث به وان حدث فانه يذكر اللفظ بالشك . ويبعد كل البعد ان ينسى نسيانه لذلك وابعد من ذلك ان لا يوجد هذا الحديث عند غيره

على انه لو فرض وقوع ذلك وهو غاية الندور فلا نسلم ان ذلك يضر في الدين اذ قد اغتفر ذلك أي النسيان والخطاء فيما حجة الناس اليه اكثر وفيما وجب فيه زيادة الاحتياط وهما فيه اشد ضرراً وفيما هو سبب للضرر بلا واسطة وذلك

في القضاء لان أحد الخصمين قد يكون ألحن بحجته من الآخر فلي يضر الحاكم ان يحكم بخلاف الواقع في هذه الحالة اذا لم يقصر فلأن يتفر ذلك في الرواية اولى لكون الضرر منها ان وجد لا يكون هو السبب المباشر للضرر غالباً . فبين بذلك ان ماعسى ان يطعن به في الرواية التي وصفناها مع كونه لا يضر في الدين هو بناء شاذ على شاذ على شاذ كل منها يعده وقوعه عادة — بل هو اولى بالوثوق من خبر الجمع الفسقة غير الموثقين الذين يقال في خبرهم يمنع او يعده العقل تواطؤهم على الكذب عادة . فبمد الكذب عن ذكرناه اكثر من بعده عن جمع التواتر الذي ذكره وحيث كان الاصل في جميع العلوم سواء كانت تصورية او تصديقية هو ما ادركه الشخص بأحد مشاعره الظاهرة أو الباطنة أو ما دل العقل عليه أو الوحي السماوي وهذا الاخير لا يكون الا علماً حقاً دائماً وما تقدمه يتفاوت الناس فيه تفاوتاً لا يحصره حد فقد صح لدينا عن المتقدمين وشهدنا ورأينا ما لا يحصى في زماننا انه قد تصحح الجماعات ما يعدونه علماً لديهم بتطبيقه على معلومات فرد واحد بل قد يتبين فساد معتقدهم في جانب معلومات الفرد الواحد — وذلك دليل واضح على ان الفرد الواحد الممتاز بالكمال في صفاته وعاداته يعادل بل يرجح بالافراد الكثيرين من نبي نوعه

ونحن ايضاً نرى الشخص المنصف قد يتهم نفسه فيما سمعه بأذنه اذا خالفه فيه من يعتقد انه احفظ منه فمثل هذا المنصف اذا اتهم نفسه فيما سمعه بأذن نفسه وقدم على ذلك خبر الممتاز الذي ذكرناه قد يعده كل البعد ان يقدم على خبر سمعه بنفسه خبر الكثيرين غير العدول — وهل يمكن ان يقال ما علمه الانسان وسمعه لا يسمى علماً لجواز زواله بالنسيان؛ فبين بطلان الخبر أو العلم بعد اعتقاد ثبوته هو عندنا يضارع زوال العلم بالنسيان

وايضا احتمال النسيان في الخبر مع الذهول عنه كما انه لا يضر الخبر وهو علم في حقه ما لم يتذكر انه نسيه فكذلك لا يضر الخبر بالفتح اذا كان الخبر بالكسر بالصفات التي ذكرناها

ان خبر الآحاد قد اتفق على اعتباره جميع البشر كما هو مشاهد واعتبرته

الكتب السماوية في شرائها وانبياء الله ورسله في التبليغ عنه والله ورسوله امر الأمة أن يلفوا عنهما جماعاً وفرادى وبعبارة أخرى كل فرد فرد من الأمة مأمور بالتبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكلم الله موسى بن عمران عليه السلام ترك بلد من أمره الله بانذارهم وخرج من بين أظهرهم الى مدين معتمدا على خبر الواحد . وأثنى الله على من احتج بخبر الواحد كؤمن آل فرعون الى غير ذلك مما لا يكفي لبسطه المجلدات .

كل ذلك معلوم بالضرورة ولا ينكره الا مكابر فكيف يصح قول حضرة الدكتور لا يجب العمل بخبر الآءاء مطلقاً ومن ثم قال الامام احمد رحمه الله إن خبر الآءاء الصحيح يفيد العلم وبه قال داود الظاهري والكرائسي والمحاسبي وحكي هذا عن مالك بن أنس .

فان قيل ان الجمهور قائلون بأن خبر الآءاء يفيد الظن . قلنا أولاً اذا كان غرض الباحث مقصوراً على طلب الحق وهو ضالته فلا محل لهذا الاعتراض من أصله على انه يحتمل ان يكون قولهم « خبر الآءاء يفيد الظن » قضية مبهمة أي وهي في قوة الجزئية (١) وبهذا الاعتبار يكون بعض أخبار الآءاء قد يفيد العلم

وأيضاً المعروف من مذهب الجمهور ان المشهور والمستفيض لا يجري فيه الخلاف وذهبوا أيضاً الى ان خبر الآءاء يفيد العلم اذا تلقته الأمة بالقبول بحيث يكونون بين عامل به ومتأول له لأن التأويل فرع القبول وجعلوا من هذا القسم احاديث الصحيحين - بل أكثر احاديث ما صنف فيما يحتج به من الكتب التي صفت في الصراح والحسان لأنخبار الحسان بتعدد الطرق - ولا يهولنك ما قد تسمع به من التفرقة بين رجال الصحيح ورجال الحسن فان شرائطهم في رجال الحديث الحسن ربما لا يلفها من وسم بأعلام الفضل والعدالة في زماننا هذا - يدلك على ذلك ما عرف عنهم من أقوالهم في الجرح حتى انهم قد يعدون احاديث من

(١) النار : أي هي بمعنى بعض خبر الآءاء يفيد الظن . وفيه ان المتبادر من

الإضافة العموم الذي هو بمعنى الكلية وكلامهم صريح في هذا

سمع في بيته الفناء موضوعة - فان قيل ان هذا افراط قد يؤدي الى ضياع كثير من السنن. قلنا لكنه يدل على أن ما في أيديهم مما وسموه بالصحة والحسن منقذ ومبرأ من كل احتمال يؤدي الى عدم قبوله - على أننا لا نسلم انحصار وجود ذلك عند من تركوه بل يجوز وجود ذلك عند غيره من الثقات ان كان هو من السنة في نفس الأمر وان كان مكذوباً فلا حاجة لهم ولا لنا به

ان أحاديث الكتب المشهورة عن مؤلفيها فيما يحتاج به من السنن النبوية قد عرفت الأمة بأسرها صحتها أو حسناتها تعدد الطرق وصارت مقبولة عند الكل وأكثرها قد جمعت ودونت في عهد التابعين أو تابعيهم أما مجرد الكتابة بلا ترتيب للعمل أو للحفظ فقد كان في زمن الصحابة (رض) كما ثبت ذلك من طرق عديدة وعليه فما قرروا صحته فقد اتفقت الأمة على قبوله اذ كانوا بين عامل به ومتأول وهو يفيد العلم لان سكوتهم عن الطعن فيما هو كهذا بل قبولهم له يدل على معرفة كل واحد من العاملين به أو المتأولين له بصحته وهم في كل طريق وطبقة عدد كثير لا يجوز العقل تواطهم على الكذب عادة -

وأيضاً يدل ذلك على ان هناك طرقاً معضدة كثيرة ألتجأهم الى عدم الردولها نرى من لم يلتزم ذلك بالعمل عدل الى التأويل - وان ما هذه حاله لا يبعد ان يقول انه اعلا من بعض أنواع المتواتر - وما ذكرناه معلوم ان عرف حال المحدثين واحتياطهم في رواية السنة -

الاراهم قد عمدوا حتى الى جميع ماشاع على السنة العوام مما نسب الى النبي (ص) ثم صرحوا بتزييف الزائف وما له أصل رده الى أصله فما بالك وما رأيك فيهم اذا وجدوا مالا يصح مكتوباً في كتب الهداية؟ اراهم يسكتون عليه وقد عرف من عاداتهم ان ما في اسناده ولو مجهول واحد لا يحتاج به عندهم؟ ان أهل الحديث لا يعتبرون رواية من انحطت درجته عن مرتبة رجال الحسن لا اعتقادهم ان كثرة الكذابين ونحوهم لا يزيدون الخبر الا وهناً -

لو كانوا يأخذون برواية كل من روى حتى الكذابين والفسقة والكفار كما هي عادة التواترية لبلغ رواية كل حديث من أحاديث الاحكام في كل طبقة إلى

حد الكثرة التي يعتبرها التواترية - فان كان أحد يشك في قولنا فليتبمع كتب الصحاح والحسان وكتب الأحاديث الضعيفة وكتب موضوعات الحديث وغيرها من كتب السير والمغازي والتواريخ المسندة والتفاسير وغيرها - انا لا أشك انه يجد أسانيد متعددة لكل حديث فاذا لم يتقيد بطريقة أهل الحديث في شرائط الرواية وجرى على طريقة التواترية فهو يجزم بان رجال هذه الأسانيد بعد توطؤهم على الكذب - لا سيما اذا لاحظ من عمل بكل حديث من العلماء من عهد النبي (ص) الى حين كتابتها في كتب الحديث -

يقول التواترية ان خبر الآحاد يفيد الظن وقد قدمنا فساده ويرتبون على ذلك كبرى قياس من الشكل الأول وهي فكل ظن أو كل عمل بالظن فهو مذموم بنص القرآن وقد عرفت فساد الصغرى (١) والحق ان بعض الآحاد يفيد العلم

وأيضاً نحن لانسلم الكبرى كلية لأن القرآن انما ذم الخرص وبعض الظن لقوله تعالى «ان بعض الظن إثم» وأيضاً ما ذكره الله من الظن المذموم انما هو الظن في تأسيس الشرائع بلا اعتماد على بينة من الله في ذلك ومن تتبع آيات القرآن في ذلك وجده انما يذم هذا النوع من الظن أو ما هو في معناه كما قال تعالى قبل ذلك «هل عندكم من سلطان بهذا» وقوله «ما أنزل بها من سلطان» وقد يذمهم الله بمعارضتهم ما أنزل من الحق بهذا الظن الفاسد الذي لا يستند الى أصل صحيح كما يرد عليهم تعالى شأنه في قوله «ان الظن لا يبغي من الحق شيئاً» وهذا لا يصدق على الاحاديث الصحاح ولو كانت آحاداً ولا على من يعمل بها ولو كان يعتقد ان ذلك من الظن اذ لا يصدق ولا نسلم انها من الظن المذموم اذ هؤلاء لم يعارضوا بها المقطوع اليقيني غاية ما في الباب ان بعض أهل الحديث أو أكثرهم قد جوزوا نسخ القرآن بأحاديث الآحاد الصحاح وقد قدمنا ان جمهورهم يقول ان بعض الآحاد تفيد العلم ومن كان هذا قوله فلا يراد عليه واما من يقول بان ذلك يفيد

(١) المناج: اي قولهم ان خبر الآحاد يفيد الظن . وهي المقدمة الأولى من

مقدمتي القياس اي الدليل

الظن فكذلك لا يراد عليه لانه يقول ان بقاء الحكم ظنياً والحكم المتأخر عنه في الحديث الصحيح أقوى وأرجح فهو انما أجاز نسخ الظن الضعيف بالظن القوي .
ان من قال بأن جميع أخبار الآحاد تفيد الظن وان كل الظن مذموم عند الله وفي كتابه القرآن الكريم — لزمه ان القرآن متناقض متخالف وانه من عند غير الله لان الله أمر وأوجب الحكم بنجبر الآحاد وسماه عدلاً في قوله واذا « حكمت بين الناس ان تحكموا بالعدل — وكون الشيء هناك مذموماً وهنا عدلاً تناقض وخلف وهو في القرآن محال وما اتج المحال فهو مثله فلزم ان الذم لا يتناول خبر الآحاد حتى على التسليم بانه ظن فعلي كل تقدير خبر الآحاد الصحيح عدل واجب العمل به على كل من عرف انه صحيح والله أعلم

وايضا اطلاق الظن مقابلاً للعلم انما هو اصطلاح حادث مخالف لاصطلاح القرآن وعادته في محاوراته لان الله جل وعلا قد اطلق على العلم اسم الظن في مواضع كثيرة من القرآن كما قال تعالى حكاية عن الجن — وانا ظننا ان لن نعجز الله . وقوله اني ظننت اني ملائق حساية — وظنوا انهم احيط بهم — وظنوا انهم قد كذبوا — فظنوا انهم واقعوها الى غير ذلك مما اطلق فيه لفظ الظن والمراد به العلم فكذلك حملة القرآن من العلماء لا يبعد ان يطلقوا على العلم لفظ الظن كلهم او بعضهم

فمن يقول منهم ان بعض الاحاديث الصحاح تفيد الظن يمكن ان يحمل قوله على ما ذكرنا على انا قد قدمنا انه لا تصدق على ذلك تلك الآيات الواردة في بعض الظن لعدم العلة الجامعة — وفوق ذلك تقول ان عملهم بالاخبار الصحاح انما هو من باب الاختبار والعمل باحسن الامرين او الامور التي انحصر الحق فيها وما ذلك الا لمرجح علموه لا ظنوه كما قال تعالى « اتبعوا احسن ما انزل اليكم — تتقبل منهم احسن ما عملوا — فيتبعون احسنه » الى غير ذلك فاذا تعارضت ادلة ولا سبيل للخروج عنها كلها لا انحصار الحق فيها — والحالة ان الاتباع فرض لازم كما قال تعالى « قل ان كنتم تحبون الله ورسوله فاتبعوني يحببكم الله » فيجب على العالم ان يجتهد واذا رجح احدها فهو انما يرجح بمرجح علمه لا ظنه فلا يصح ان يقال ان هذا عمل بالظن حتى يقال انه مذموم

ثم قول للتواترية ان كل ما الزتم به متبعي حديث الآحاد الصحيح هو لازم لكم في تواتر كم بمعناه عندكم وزيادة على ذلك تتركبم شاعات وفضائح لا يلتزمها الا من نفى يديه من دين الاسلام بل من سائر الاديان ونحن نرى حضرة الدكتور عن التزام ما يؤدي الى ذلك لما عرفنا من كتابته السابقة التي اعلن الرجوع عنها فنقد انه انما يجب الحق واظهاره وانه عند تجليه له لا يتوانى عن قبوله بغاية السرور والبشاشة بل يظهر للملأ رجوعه وان ذلك لما يزيد عند كل منصف اجلالاً

﴿ بحث التواتر ﴾

ماهو التواتر؟ — هو غير معروف عند السلف من المسلمين وانما يعبرون عما كثرت روايته او ماروته المجموع بالمشهور وهو عندهم كغيره لا بد من رواية الثقات له والا لم يكن مقبولاً

اما من عرف عنه التواتر فقد اختلفت عباراتهم في تفسيره اي حده ففهم من قال هو ما نقله جمع يحصل العلم بروايتهم ضرورة — ومنهم من قال خبر جمع عن محسوس يتمتع تواطؤهم على الكذب عادة من حيث كثرتهم — ثم اختلفوا هل يمكن تعيين جمع يكون اقل نصاب جمع التواتر فقال بعضهم اقله اربعة وقيل خمسة وقيل عشرة وقيل اثنا عشر وقيل عشرون وقيل اربعون وقيل سبعون وقيل ثلاثمائة وبضعة عشر وقيل اربع عشرة مائة وقيل جميع الامة وقيل بحيث لا يجوزهم بلد ولا يحصرهم عدد والمرجح عند التواترين عدم تعيين عدد مخصوص وانما مداره عندهم على حصول العلم من حيث كثرة العدد تارة ومن حيث القرائن اخرى

اقول من احاط علماً بما ذكرناه من اختلافهم في هذا التواتر وفي شرائطه تحقق ان هذا شيء ليس من عند الله اذ لا يمكن القطع به ولا يمكن طرده ولا تطبيقه علي كل ما في الاعيان من الوقائع طرداً على وتيرة واحدة بحيث يتفق عليه كافة الناس ويكون قاعدة يصح المرجع اليه لفصل النزاع —

يوضح ذلك انه يمكن على معتمد التواترية وقول جمهورهم ان يكون خبر اهل البلدة العظيمة متواتراً كباريس مثلاً واذا كان خبر الثلاثة والاربعة او الخمسة يصح

ان يكون متواترا بمعنى انه يتمتع تواطؤهم على الكذب عادة والامتناع هذا يكون تارة لمجرد الكثرة اي بلا اعتبار قيد من القيود المعتبرة في الرواية عند اهل الرواية كالبوغ وكمال العقل والاسلام والعدالة الى غير ذلك . واذا كان الامر كذلك فاذا اخبر خمسة من الفجرة بخبر مثلا فنحن نناشد الله كل ذي عقل وبصيرة هل يحصل له العلم الضروري بخبرهم وهل يتمتع عنده تواطؤهم على الكذب لكونهم جمعا حتى لو كانوا كفارا فجرة اخبروا مرة دفعة واحدة ؟ فان كابر وقال نعم قلنا له وهل يجب ان يحصل لكل احد مثل علمك من خبر هؤلاء ؟ وهل تعد من خالفك مكابرا بدلا عن تكون انت المكابر ؟ نحن نستبعد ادعاء عاقل مثل هذه الدعاوي الباطلة

وكذلك قول ان كل جمع يفرضه التواتر مفيدا للعلم من جهة انه جمع فقط لا بد ان يرد عليه ايراد صحيح يقضه الا انه في بعضها ايبين واظهر من بعض الا ترى ان اعلى ماثلوا به لذلك هو قولهم كأن يخبر اهل باريس بقتل او موت كبيرهم مثلا قالوا ان هذا يفيد العلم بسبب كثرتهم . ونحن نقول في الجواب عن ذلك هذا مثال واحد ولا يمكن وجود مثله دائما حتى يصح طرده في كل موضع مما يتنازع الناس فيه . ويقال فيه ايضا يمكن ان يكون افادة الخبر العلم في مثل هذا المثال انما كان اقتران ككونهم اي اهل باريس ونحوهم لافائدة ولا تقصان ولا مضرة عليهم من اظهار مثل هذه الواقعة فصدقهم هنا انما هو لاقتران لا الكثرة لانا نجد الفرق بين مثل هذا المثال وبين خبر اهل باريس انفسهم فيما اذا كانوا محصورين بهساكر الانكليز مثلا فاخبروا بقدوم عساكر الروس الى بلدهم لامدادهم فهل خبرهم والحالة ماذكرنا يفيد المساكر المحاصرة العلم الضروري بحيث لا يتشوفون الى صحته ؟ وهل يمكن كذبهم والحالة هذه ام لا ؟ نحن لا نستبعد الكذب فضلا عن عدم امكانه حينئذ

فان قيل نحن نرى انفسنا مطمئنة لا يتازعها شك في وجود البلدان النائية التي لم نرها ولا نرى سببا لذلك الا ما تواتر اليها من الاخبار بوجودها قلنا نعم والامر كذلك لكن لا يستلزم ان يكون سبب هذا العلم مجرد الكثرة

وان كانوا كفارا او فسقة فجارا بل لعل ذلك من الكثرة مع انضمام القرائن فان القرائن انواع واصناف لا يكاد يحصرها حد أو عد بل القرائن قد تقارن خبر الواحد الكاذب المعروف بكذبه وفسقه فيفيد خبره العلم اذا قارنته وايدته وهي تختلف باختلاف اماكن المخبرين وزمانهم ككونهم اخبروا دفعة او متفرقين وباختلاف حالهم من خوف وأمان وعسر ويسر وحب الاوطان والاقدام والفخر وارهاب ورجاء الى غير ذلك مما يعود على الافراد بفائدة او نقص ولو بتوسط فائدة او نقص طوائفهم واممهم واقوامهم واطنائهم

ولما ذكرناه واضاف اضعافه مما لم نذكره وتوسع ذلك لو سلم صحته ولان تكليف العباد به تكليف لما لا يستطيع بل التزامه وحصر العلم الخبري فيه تعطيل لا كثر معارف البشر وإلغاء لا كثر الاحكام الديانات ان لم تقل لكلها واحراج للناس في جميع معاملاتهم ومعاشاتهم وموجب لتقاطعهم فردا فردا كالبهايم لم يجعل الله ذلك اصلا ولا قاعدة ولا مناطا لتحقيق شيء من الامور الدينية ولا الدنيوية ولا نبه عليه احد من انبيائه عليهم الصلاة والسلام ولم نعرفه عن احد من السلف الصالح لا الصحابة ولا تابعيهم باحسان

فالحق عندنا ان اخبار الجموع لاتفيد العلم الا اذا ايدتها القرائن او شاركهم التقات - وخبر التقات التواتر هو اعلاها كتواتر القرآن الكريم - ثم خبر الاحاد الأثبات الضابطين بشر وطهم يفيد من عرف حالهم او حال من وثقهم العلم ويجب على من بلغه خبر عن المعصوم (ص) ان يبحث عن حاله وحال رواته فاذا وجدهم بالشروط المتبعة فلا يجوز له اهمال ذلك الخبر لاجل كونه لم يتواتر ما عرفت مما قدمناه كما هو اجماع المسلمين والله المستعان (لرسالة بقية)

اهم الاخبار والآراء

(إعادة القانون الاساسي ومجلس المبعوثان في الدولة العلية)

في صبيحة يوم الجمعة المبارك ٢٥ جمادى الآخرة صدرت الإرادة السلطانية بإعادة « مجلس المبعوثان » والأوامر من مقام الصدارة الى الولايات بالانتخاب. فشمّل الفرح والسرور جميع العثمانيين في دار السلطنة وجميع الولايات وفي جميع أقطار الأرض وعدوا هذا اليوم العظيم عيداً عاماً للأمة العثمانية على اختلاف مللها ومجتمعاتها. أما سبب نيل هذه الأمنية التي تشوف إليها العثمانيون من نحو ثلث قرن بعد ما سلبت منهم فهو التدبير العظيم الذي قامت به جمعيات الأحرار العثمانيين في أوربا ومصر بعد اتحادها ودخول كبار ضباط الجيش المستعدين فيها أوربا في ذلك في وقت آخر وما كاد نبأ البرق يوافي مصر بهذه البشرى حتى انبث فيها بين العثمانيين من الترك والسوريين والأرمن وغيرهم فأنشأ يهنيء بعضهم بعضاً والبشر يتدفق من وجوههم. ثم طاف جمهور منهم في الشوارع الكبيرة بالقرب من الأزبكية وهم يهتفون بالأناشيد العثمانية

ثم اجتمع مئات منهم في رحبة قهوة « اسبلند دبار » وطفق يترنم بعضهم بالأناشيد والآخرون يصفقون لهم. وقام غير واحد منهم فخطبوا بالتركية وقام صاحب هذه المجلة فخطب بالعربية خطبة وجيزة صفق لها الجمهور من حملة الطرايش والبرانيط بهجة واستحساناً. كان موضوع الخطاب ان هذا اليوم عيد لجميع العثمانيين على اختلاف مذاهبهم وأديانهم واجناسهم وان الفضل في نيلنا الدستور عائداً لمساخي أحرارنا وجمعياتنا السياسية، وضباطنا ذوي البسالة والحمية، وانه يجدر بنا معشر العثمانيين ان نفاخر جميع الأمم بنيل الدستور من غير ثورات داخلية تراق فيها دماء الالوف ويهلك فيها الحرث والنسل : وانه ينبغي لنا ان ننسى الماضي وان نعمل للمستقبل فنظهر للأمم كلها اننا أهل لهذا النوع الرافق من الحكومة فيجب ان يتحد الأتراك والعربي والرومي والأرمني وسائر الاجناس العثمانية ويقوموا بالأعمال التي ترفع شأن البلاد على قواعد المحبة والمساواة ...

ومما قلته ايضاً انا نشكر للحضرة السلطانية المبادرة الى اجابة طلب الضباط
الناطقين بلسان احرار الامة . فبطل التصفيق او قل عند ذكر السلطان وأشرك كثير
من الترك والأرمن اشارات الانكار

وفي يوم السبت التالي اجتمع في دار رفيق بك العظم جمهور عظيم من فضلاء
العثمانيين المختلفين في الجنس المتحدنين في العثمانية لأجل المذاكرة في تنظيم مظاهرة
باعلان السرر وإرسال برقيات الشكر الى جمعيات الاحرار في أوروبا والى الاستانة
وقد كانت جمعية الشورى العثمانية قررت في يوم الأربعاء الماضي جمع اكثر هؤلاء
الاحرار للمذاكرة في شؤون الثورة ومطالبة الصد الاعظم سعيد باشا بأن يختم
تاريخه بمساعدة الامة على اعادة الدستور وجمع «مجلس المبعوثان» فلما بشرنا بالبرق
في مساء يوم الجمعة بصدور الارادة السلطانية بذلك تحول مقصد الاجتماع الى ما ذكرنا
اقترح الجمهور ان ترسل تهنئة برقية الى الامير صباح الدين داماد (ابن اخت
السلطان) رئيس جمعيات الاحرار بباريس يشكر له فيها سعيه وسعي الاحرار ويكلفه
فيها ان يبلغ نيازي بك رئيس الضباط الذين اظهروا الثورة العسكرية في مكودونية
وإخوانه كنوري بك وانور بك شكرهم وسرورهم . ورسالة اخرى الى الصدر الأعظم
فاقترح صاحب هذه المجلة إرسال رسالة خاصة الى السلطان . قلت : ان
ضباطنا واحرارنا طلبوا والسلطان أعطى فنشكر له أنه قدر الحال حق قدرها وبادر
الى الاجابة ولم يضطر الجند الى سفك الدماء . فواقفتي على هذا الاقتراح من حضر
من السوريين اكثرهم بالقول وبعضهم بالسكوت . وعارضني اكثر الترك والأرمن
وقال واحد من اشهر احرار الترك : انه لم يجب الطلب فضلاً واحساناً ولكنه اجابه
بعد ان أشرعت في وجهه مئة وخمسون ألف حربة (سنكه) وقال بعض المعتدلين
منهم لا بأس بأن يذكر في تاغراف الصدر الاعظم تبليغ السلطان سرور العثمانيين
وبعد طول البحث انتخب الجمهور لجنة منهم لتقرير ما يجب وجعلوا رئيسها اسماعيل
حقي بك القائمقام العسكري (لان الدستور رجع بقوة الجند) قررت ان تحتفل
في احد دور التمثيل احتفالاً يخاطب فيه العثمانيون بالتركية والعربية والفرنسية
(المارچ ٦) (٥٩) (المجلد الحادي عشر)

والارمنية والرومية . وان يعرض على الجمهور المحتفل صورة رسالتين برقيتين إحداهما
للأمير صباح الدين افندي والثانية للصدر الأعظم وترسلان بعد اقراره عليهما . وقد
بذل الحاضرون ما يلزم من النقود لاجل ذلك بغير اكتاب بل بمجرد الأريحية .
وفي مساء ذلك اليوم اجتمع جمهور من المصريين في حديقة الأزبكية لاطهار السرور
بنيل العثمانيين للدستور ومجلس النواب (المبعوثان) حضرنا هذا الاجتماع في اثنا عشر واقترح
علينا حسين بك تيمور الذي دعا الى الاحتفال وبعض العثمانيين ان نخطب بالحاضرين
خطبة تناسب المقام وكان جل اقوالهم إطراء للسلطان بأنه تفضل وتكرم بالدستور اي
بغير علة ولا سبب ، ولا ثورة ولا طلب ، وان جيوشه منتشرة من منابع النيل الى
سيلان !!! ثم رأينا الجرائد كتبت عن هذا الاحتفال فوصفته الجريدة والمقطع
كما حصل وذكر اللواء عنه نبذة صغيرة معظمها كذب . وهذا ما جاء في الجريدة

مظاهرة في حديقة الأزبكية

اعلن حضرة حسين بك تيمور - انه سيخطب في حديقة الأزبكية نحو الساعة
السادسة بعد ظهر أمس لاطهار السرور بمنحة الدستور لآخواننا العثمانيين . فبناء على
هذا الاعلان توافد الناس من خاصة وعامة الى حديقة الأزبكية ولما وافت الساعة
السادسة التفوا حول كوشك الموسيقى فافتتح الخطابة حضرة ربيع افندي المدرس
بالمدرسة التحضيرية فبسط كلمة عن فوائد الدستور ثم قال اننا نوئل البلوغ الى
غايتنا من نيل المجلس النيابي وان طال علينا الامد . ثم اختتم خطبته بالدعاء لجلالة
السلطان والامة العثمانية والجناب العالي . وتلاه شاب يدعى الشيخ حسين الغزي
من طلبة العلم في الازهر الشريف فحذا حذو الخطيب الاول في الموضوع ثم تلاه
حضرة الشيخ صادق عمران فتلا قصيدة يمدح بها جلالة السلطان والامة العثمانية
ثم طلب جماعة من رجال الصحافة والادب الى حضرة الاستاذ العلامة السيد رشيد
رضا صاحب مجلة المنار أن يتكلم في الموضوع كلمات تروي القليل فأجاب دعوتهم
وارتقى مكان الخطابة فقال ما خلاصته

« هذا اليوم هو عيد للعثمانيين عامة وعيد المسلمين خاصة فنه عيد بحكومة

الشورى التي يتمتع بخيرها العثمانيون كافة من جميع الملل والاجناس . وحكومة الشورى التي قررها الاسلام بقوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » وقوله « واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو رده الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلهم الذين يستنبطونه منهم »

مسائل الأمن والخوف من الامور العامة المتعلقة بسياسة الامة وإدارتها ولم يفوض القرآن الامر فيه الى الرسول (ص) وحده وهو الامام المعصوم وصاحب الشريعة ومبلغها بل جعل الامر فيها اليه والى أولى الامر من الامة يديرونها بالشورى بينهم من هم أولوا الامر ؟ زعم بعض المخرفين أو المخرفين ان أولى الامر هم الملوك والسلاطين وهو زعم ظاهر البطلان فان الرسول لم يكن معه حين نزلت الآية ملوك وسلاطين وانما كان يستشير أولى الرأي والمكانة من الامة فهم أولوا الامر بغير نزاع أفرايتم هذه الهداية الى حكومة الشورى وسلطة الامة . هل يوجد عناية وتأکید في شريعة ودين أبلغ منها ؟ اذا كان رب العالمين لم يرض ان يكون خاتم رسله مستقلاً بادارة الامور العامة دون أهل الرأي من أمته فكيف يرضى أو يشرع لغيره ممن هو دونه بذلك ؟

مع هذا كله لم تلبث حكومة الاسلام بعد اخلفاء الراشدين ان صارت شخصية استبدادية ولا نخوض في الكلام عن الماضي فانما غرضنا الكلام عن الحاضر تقلب الزمان ودالت الدول ودخل العالم الانساني في طور جديد فسبق غير المسلمين الى حكومة الشورى وكانت حكومة دولتنا العلية وهي شخصية على خطر بين الحكومات النيابية الشورية المجاورة لها ففكر بعض أصحاب العقول الكبيرة فيها من نحو نصف قرن في جعل الحكم بيد الامة وانفذوا ذلك من نحو ثلث قرن فوضعوا القانون الاساسي وأنشأوا « مجلس المبعوثان » الذي تعبرون عنه بمجلس النواب ولكن لم تلبث السلطة المطلقة ان استردت هذه المنحة أو هذا الحق منهم لو كانت الامة العثمانية في ذلك الوقت مستعدة للدستور استعدادها اليوم لما أمكن أخذها منها ولكنها لم تنله باستعداد الجمهور بل باستعداد أفراد من نابغي وزرائها أصحاب الادمغة الكبيرة والافكار البعيدة والغيرة الشديدة كمدجت باشا واخوانه

لم يكن العقلاء في الامة العثمانية يعدون على الاصابع فيموت الدستور بموتهم بل كان في الامة كثير من أهل الترية العالية والمعارف السامية ولكنهم لم يكونوا منبئين في الامة كلها ولا مشتغلين باشراب روحها معنى الحكم الذاتي

فلما رأوا أنفسهم قد سلبوا ما فيه سعادة الامة وعزة الدولة وانه لا سبيل الى استرجاعه من الاعلى كما جاء أولاً بتدبير مدحت باشا وحسين عوني باشا وإخوانهم رأوا ان يطلبوه من جانب الامة بتوجيه نفوس المعلمين اليه فانشأوا الجمعيات السرية التي ظلت تسمى وتدأب وتصارع الصعوبات حتى اتبح لها الظفر الآ نونالت ما تمناه « ولما بلغ هذا المقام من البيان التاريخي المفيد كبر على أناس لم يفقهوا قوله فحدث شيء من الشغب واتقطع الخطيب عن الخطابة اه كلام الجريدة

وأزيد على ما ذكرته الجريدة ماجاء في بعض الصحف وهو ان بعض المصريين صاح ليحي السلطان . لتسقط تركيا الفتاة . او حزب تركيا الفتاة . فصاح بصياحه جمهور من الحاضرين فاستاء من كان هناك من فضلاء الترك وغيرهم من العثمانيين وقال قائل منهم : يا شيخ رشيد لا تتكلم على هؤلاء الذين لا يفهمون . فما زادم ذلك الاصيحا بسقوط تركيا الفتاة اي الامة العثمانية في حياتها الدستورية الجديدة!!! وظنوا الجهلهم ان من لوازم حب السلطان ان يعيش على شيخوخته وضعفه عمر اطويلا بغير امة او بامة ميتة وجودها كالعدم فكذا يكون الاحتفال بالدستور!! اما العثمانيون الاخير فقد جعلوا موعد احتفالهم مساء يوم الثلاثاء غرة رجب وأن لا يذكر الخطباء فيه اسم السلطان بدم ولا مدح ولا تهنته ولا شكر عملا برأي السواد الاعظم وخلافا لرأي اكثر السوريين وهم العدد الاقل في جمهور المؤتمرين بالاحتفال وسند كر شيئاً عن الاحتفال في الجزء الآتي

أرسل اليها كثير من المحيين رسائل التهاني بنيل أمتنا للدستور لعلمهم بما أصابنا من الاستبداد منها ما طار به البرق ومنها ما عدا به البريد، منها ما هو بعزوانا الخاص ومنها ما هو بوصف جمعية الشورى العثمانية . فنشكر لجميع المهتئين عاطفتهم الشريفة ونخص بالذكر لجنة الشورى العثمانية في البرازيل وربما تنشر شيئاً مما فيه العبرة والمائدة من تلك الرسائل

الفصل العاشر)*

محمد (عليه الصلاة والسلام) قبل تزوج خديجة

وإذا العناية صاحبت مرءاً فلا تكثر سؤالك فيه كيف ولم وما
ودع التردد إن أتاك حديثه مهما حوكة مهما نما مهما سما
لاتسأل كيف أبدع الإنسان من فتق الكواكب من رتق موادها،
وقدر مدارات لحرارتها، ونظامات لتقابلها، وأنشأ منهن المقسمات ليلنا
ونهارنا، المدبرات صيفنا وشتاءنا، الناظيات في أحشائهن شملنا، الماديات
بنسائهن نسائنا، وبأرواحهن كياننا، ولاتسأل لم خلق لنا الأرض جميعا
نشرح أحشائها، ونقطع أوصالها، ونستخرج أفلاذها، قد حصرناها
على عظيمها في يدنا، وحشرنا كل ما فيها في ذرات صغيرة من دماغنا، ان
شئنا نرفع من شأنها بما نركب من أجزاءها، فيأتي منها من البدائع ما يدهش
الباين، ويسحر أبصارنا، وان شئنا لم نبدأ بها، واستشرقت نفوسنا الى
غيرها، فاطلنا الى مصادر الأرواح ومواردها، ومشارك الأسرار
ومنازلها، وارتفعنا الى ينابيع الكوان ومظاهرها، وتلمسنا عمه حياة لا
نحتاج فيها الى ماء الأرض وهوائها، وترايبها ونارها

ولا تسأل كيف تقاربت صورنا معشر الإنس وتباعدت حقائقنا،
ولم طالت آمالنا وأعمالنا، وقصرت آجالنا وأعمارنا، ولم جشمت نفوسنا
بتكثير الصور ثم شغقت كل نفس بأواع منها، وتخالقنا في تمييزها وترجيح

بعضها على بعض، وتدابيراً في مناهج طلابها، وتقاطعا في سبيل اكتسابها،
ولم هذا البون في أنصباتنا، والفرق في صرامينا، والبعد في مدارجنا،
والغبين في معارجنا،

ولماذا منا أناس مع الكواكب مداركهم ساجحة في أفلاك الحقائق،
وبروج الرقائق والدقائق، ومع الأنوار سيرهم منتشرة في سابق الدهور
ولاحقها، وبادي الشعوب وحاضرها، وآخرون مع الديدان مشاعريهم دابة
بين أوراق الآجام وأحطابها، أو تحت دخان القفار وقعبها، ومع العصف
صورهم منطوية في احشاء الأواكل، ومندرجة في الأواخر مع اخواتهم
الأوائل

لاتسأل عن هذا كله ان كانت نفسك قد وقفت عند مطمأنها من
معرفة الاول الآخر، الظاهر الباطن، ذي الحياة الازلية الساري
مرها في الاكوان والوجودات، البادي خط جلالها وجمالها على لوح
الآيات البينات، من الاشكال والتنوعات، ومن آياته أن خلقكم من
تراب ثم إذا أنتم بشرٌ تتشرون * ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم
أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً ان في ذلك لآياتٍ
لقومٍ يفكرون * ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم
واللوانكم ان في ذلك لآيات للمالئين * ومن آياته منامكم بالليل والنهار
وابتغواكم من فضله ان في ذلك لآيات لقومٍ يسمعون * ومن آياته يريدكم
البرق خوفاً وطمئناً وينزل من السماء ماءً فيحيي به الارض بعد موتها
ان في ذلك لآيات لقومٍ يعقلون * ومن آياته أن قوم السماء والارض
بأسره ثم إذا دعاكم دعوةً من الارض إذا أنتم تخرجون

إذا وقعت نفسك عند هذا المطمان من المعرفة فلعلها تصل بك إلى معرفة
أن ذا الحياة الأزلية ذو حكمة ليس في وسع استمدادنا أن نحيط بأسرارها
خبراً مهما حامت حولها آمال مدار كنا، ومهما طافت في سوح قدسها
صوافي سرائرها، فأخلق بأحدنا أن يتذكر في هذه المساجح الفكرية عجز
أجنحة عقولنا عن أن تصل بنا إلى مادون هذا السر الأعظم، ووقوتها بنا
في كثير من أشراك الأوهام في الوجودات التي هي تحت حسوسنا،
وفي جوار جسومنا ونفوسنا

وعسى أن ترقى بك هذه المعرفة إلى الإذعان بأن هذا الحي الأزلي
الحكيم ذو عناية ربانية لا يحاسب على ما يختص بها ممن يشاء فله الأمر
كله فيما يبدى، ويصور، وله الحكمة فيما يتوع ويميز، منه كل شيء
والله المآب

وإن كنت في ريب من الحكمة الأزلية، والعناية السرمديّة، فدع نفسك
واقفة ماشاءت في عمة النبي، أو دائرة في سجن الشك، أو طائفة في
جو الوم لا قرار لها. وإنما نحكي هنا للذين هم بربهم يؤمنون



سبق في العناية الأزلية أن تكون هداية شموب كثيرة إلى أقوم
سبل الحياة على يد رجل من العرب يرتفع به اسمهم في العالمين وكان من
هذا الشرف الذي أعتده الله للعرب أعظم نصيب لعبد المطلب الذي
أخرج الله إنسان هذه الهداية من أولاده

كان عبد المطلب^(١) من كبار أشرف قريش ورزق عشرة أولاد

(١) اسم عبد المطلب شيبه وتسميته بعبد المطلب حكاية وهي أن أباه هاشمياً

من الذكور وكان ابنه عبد الله أحبهم إليه فزوجه شريفة من شراف
فريش من بني زهرة تدعى آمنه فحملت منه وقبل أن تضع حملها توفي فلما
وضعت كفل وليدها جده وكان هذا الوليد المبارك «محمدًا» صاحب القرآن
فما أسعدك يا عبد المطلب أ كنت تدري وأنت في أبواب أبرهة
الجيشي تتطلب منه رد ذلك القليل من الإبل الذي لك مما استاقه من إبل
مكة أن سيولد لك في هذا العام حفيد تشي أعناق الملوك في الاجيال المقبلة
خاضعةً لذكركه

أ كنت تفكر اذ قصارى أملك حفظ مقامك بين قومك المنقطعين
في تلك البرية ان اسمك سترن به المحافل في الامصار النائية والشعوب
المختلفة على مدى عصور كثيرة كلما ذكر نسب حفيدك العظيم الذي أعتده الله
لنصب يتبعه من أجله العالم ويبقى ذكره فيهم الى الابد
أخطر على قلبك أن بلدك المقدس الذي لم يكن يحج اليه الا العرب
ستحج اليه كل شعوب الارض اتباعاً لما جاءهم به حفيدك من الهداية
أجاء في خلدك ان كنتك آمنه الزهرية انما ولدت من يشرف الله
به قومك ويجمع به كلمتهم ويعلي سلطانهم وينشر لغتهم ويقيم لهم مجداً مع
الدهر مذكوراً، وفي كتاب العالم مسطوراً

= كان قد تزوج أمه من بني النجار في « يثرب » (المدينة) فلما ولدته تركه عندها
حتى كبر وكان هاشم تاجراً نخرج تجارة الى الشام فأت في « غزة » فذهب أخوه
المطلب بن عبد مناف ليأتي بابن أخيه فأبى والدته أن تعطيه إياه حتى أقامها بأن انامته
في بلده وبين قومه وعشيرته خير له ولا جاء به كان مردفه خافه على بغير فظنت
فريش انه عبد ابتاعه فقالوا عبد المطلب وقال لهم المطلب ويحكم انما هو ابن أخي
هاشم قدمت به من المدينة ولكن ذاعت كلمة عبد المطلب فاشتهر بها وصارت كأنها علم له

هل كنت ملها اذ سميت محمدًا؟ وكنت على رجاء كبير بأن يقيم له
المالون تحميداً لا ينقطع، وتحميداً لا يزول؟
أعرفت أنك بحفظك هذا اليتيم وكفالتك إياه وعنايتك به إنما
كنت تحفظ للعالم كله التحفة التي آتاهم الله من كرمه، والوديعة القدوسية
التي اختص الله بيتك لظهورها، وقومك لا تتشاربها نورها
فأنت بما أوتيت من هذه السعادة الخالدة جدير أيها المخصوص بعناية
الحي الأزلي، فليدم ذكرك جلالاً للمحافل واسمك سامياً مع اسم حفيدك
نبي الشعوب وبركة العالم

كانت ولادة محمد في القرن السادس من ميلاد المسيح عليهما
الصلاة والسلام أي حوالي سنة سبعين وخمسة مائة منه وحوالي السنة الثامنة
والأربعين من ملك كسرى أو شروان . ولم يكن قومه يعرفون سني
الأمم وتواريخها ولا سني انفسهم وانما كانوا يحفظون الأعمار ويوقتون آجال
الأشياء بالوقائع الشهيرة والحوادث العظيمة كما هو شأن الأميين إلى عهدنا
ولدعام الفيل وهي سنة اشتهرت بهذا الاسم لوقوع حادثة فيها عندهم تدور
صفوة حكايتها على حزن فيل القائد النجاشي وابائه المسير لقاء مكة لذلك سميت
بهذا الاسم . وحادثة الفيل شديدة الشهرة ويصح ان نقول انها من التاريخ
المقدس عند المسلمين أي انها ذكرت في القرآن ولكن على أسلوبه في
القصص التي يذكرها لاجل العبرة فقط لا على أسلوب المؤرخين ونقله الاخبار
وقد أعطي لرضعة على عانة قريش في اعطائهم الأولاد للمراضع
من القبائل النازلة قرب مكة ابتغاء ان تتربى أجسامهم في البادية حيث
الأرض النظيفة قد كسيت من الأزاهر أبدع المأرق الطبيعية، والنسائم
(المآرج ٦) (٦٠) (المجلد الحادي عشر)

متحملة من ذلك المير تهديه الى النفوس راحة وغادية

اذا بزغ رأس النهار أرسل الى أفئدة أهل النشاط روحاً مبشراً بطيب
عقبى العمل، وسوء منقلب الكسل، وكان بينه وبين سكان البراري وساسة
الأنعام عهداً أن لا يقبل بطلته الباسمة الا وهم مستقبليه بالتحيات الطيبات
من مباسم همهم، وتغور اجتهادهم، ورافقون اليه آيات الشكر على ماله من
الايادي البيضاء في اخضرار عيشهم، وايضا وجوه آمالهم

بزغ الفجر يوماً تلى نسمتين في أباطح تهامة قد أسفر عليهما
البشر، وتقدت النبطة من أعماق جوانحهما الى أسارير وجهيهما، ولم يكن
ذلك الانس والبشر لما حولهما من مجالي عرائس الطبيعة لان السماء كانت
شحيحة عليهم تلك السنة فلم تترع حياضهم، ولا أوقفت رياضهم، ولو لم يكن
الوادي لهم القليل مما أغشوا به مرة لقتلهم الظأ - ولا لما حولهما من وافر الرزق
وسابغ النعم لانهم لم يكونا يملكان الا فتيات قد جارت عليها السنة، وقتلها الجود
والجدب، ولكن كان ذلك السرور بنعمة جديدة أصاباها فلاتهما فرحاً،
وأشبهتهما ابتهاجا، ولم يكونا يفترا عن هذا الحديث الذي كانا يتفديان به
صباح مساء، ويجددان به شكر آتلي هذه النماء، وهذا ما كانا يتحدنان به :

- حقا يا حليلة انك قد جئتنا بتحفة سنوية ونسمة مباركة

- أي والله يا حارث وانظر ما أجمله، انظر الى هذه الاشجار الهدب،
انظر الى هذه العيون الدعج، انظر الى هذا الجبين الازهر، انظر ما أبهى
انعكاس هذا الضياء المقبل من الشرق على مرآة هذا الجبين

كان هذا الحديث يجري بين امرأة وزوجها من قبيلة بني سعد صديحة
يوم كانا قبله في مكة وكانت هذه المرأة هي التي جاءت بحفيد عبدالمطلب

لترضعه وقد حدثت هي حديثها كيف جاءت به وكيف رأت من بركته قالت
خرجت مع زوجي وابن لي صغير على أتان لي قراء^(١) معنا شارف^(٢)
لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا من
بكاؤه من الجوع ما في ثديي ما يقببه ، وما في شاربنا ما يقببه ، ولكننا كنا
نرجو الفيت والفرج ، فخرجت على أتاني تلك فلقد أذمت^(٣) بالركب
ضعفاً وعجزاً حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء فإنا امرأة إلا وقد عرض
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم وذلك إنما
كنا نرجو المروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم وما عسى أن تصنع
أمه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت
رضيعاً غيري فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي « والله اني لا أكره أن
أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيعاً والله لا ذهبين إلى ذلك اليتيم فلا خذنه »
قال لا عليك ان تقلمي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة ، قالت فذهبت
إليه فأخذته وما حملني على أخذه إلا اني لم أجد غيره . قالت فلما أخذته
رجعت به إلى رحلي فلما وضعت في حجرى أقبل عليه ثدياي بما شاء من
ابن فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما وما كنا ننام
معه قبل ذلك . وقام زوجي إلى شاربنا تلك فاذا انها حافل^(٤) فحلب منها ما
شرب وشربت معه حتى انهينا ربا وشبعنا فبينا بخير ليلاة قالت . يقول صاحبي
حين أصبحنا تلمي والله يا دليمة لقد أخذت نسمة مباركة قالت فقلت
والله اني لا رجو ذلك . قالت ثم خرجنا وركبت أتاني وحملة عليها معي فوالله

(١) القمرة بالنم لوزن إلى الحضر . أو ياعر فيه كدرة . حمار أقره أتان قراء

(٢) الشارف النقة المسنة «٣» أذمت بالركب أي حبستهم لا تقطاع سيرها من

خلفها أي هزلها وضمها «٤» حافل كثيرة اللبن

لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حرم حتى ان صواحي ليقان لي
«يا ابنة ابي ذؤيب ويحك اربعي علينا»^(١) أليست هذه انا انك التي كنت
خرجت عليها؟ فأقول لمن بلي والله انها لمي . فيقن «والله ان لها لنا
قالت ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أنلم أرضاً من أرض
الله أجذب منها فكانت غنمي روح على حين قدمنا به معنا شباعاً ابناً
فحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان
الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي
بنت ابي ذؤيب . فتروح أغنامهم جياً ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي
شباعاً لبناً فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته
وكان يشب شباعاً لا يشبه الغلمان»

فيا لك من سميدة يا حليلة اذ كتب لك ارضاع اليتيم الذي تربيته العناية
الخاصة ولم يكشف لك من آثارها الا هذه البركة التي ملأت يديك وويلك ان ابنتها
المراضع النقيات المرضات عن اليتيم التماساً لرضاء الذين لهم آباء . لقد فاقن
الحظ وما الحظوظ بالاختيار ، وعزاه لكم ايها اليتامى فقد عاش محمد العظيم يتيماً
* * *

بمدان ربي «محمد» (ص) في بني سعد عند السيدة حليلة جيه
به الى أمه فذهبت به وهو ممتلي قوة وهو ابن ست سنين الى المدينة
لتزيره اخواله من بني عدي بن النجار وفي عودتها الى مكة توفيت في مكان
يسمى الأواء . وكان عبد المطلب شديد العناية بحبيده وتوسم فيه خلوة
الشأن فلما بلغ الثامنة من عمره ودّعه ، فارقاه ذم الدار وأودعه في الجنب
الالهي الذي من لدنه وارادات البر والبركات والهدى والهدى والهدى والهدى

وقام مقامه ابنه ابو طالب شقيق عبد الله ابي النبي (ص) فأدخله
في آل بيته وتمهد تربيته وتثيقه
وكان أبو طالب امراً نبياً شهماً صادق المروءة، ماضي العزيمة، نصيراً
للعدل والانصاف . عرفنا كل ذلك فيه من تكليفه نفسه أقصى ما يمكن
ان تكلف النفس في حماية ابن اخيه لما قام بالدعوة . ومن مواقفه أمام قريش
في نصره والذود عنه . وقد خلف ابو طالب أباه عبدالمطلب في المقام السامي
بين قومه فكان ابن عبد الله يتنقل في بروج العز والسؤدد والسعادة في آفاق
الشرف الهاشمي ، وتنطبع في جوهره الكريم صور البر والعدل والاحسان
على مثال الخلال الشريفة التي كان يجلي بها ذلك الرجل السامي الترية (أبو طالب)
نحن قد رأينا من آثار العناية الازلية بذلك اليتيم العزيز ما يصح
القول معها انه كان مستغنياً عن تربية أحد ولكن لماذا لا نقول ان اعداد
ذلك المفاضل لتربيته في الصغر كان من جملة آثار العناية الفائقة به
أما تربيته اياه الترية الجسدية فقد كانت على غاية ما يتصور علماء
الصحة ولذلك جاء من آثارها قوة جسدية لهذا المبارك لانظير لها وصار
على صورة من الجمال كانت تجمل الذين يرونه يقولون لم تر مثله . ولا يتم
الجمال الا بصحة البدن وهي انما تم بحسن الترية الجسدية
واما تربيته اياه الترية العقلية فكانت جديرة أن يسجد أمامها فلاسفة
النفس وأساطين العقل وهناك من آثارها قبل النبوة ما يجعلنا في حيرة من
أمر هذه القبيلة الصغيرة المتعددة في دارها عن مناشي ، الارتقاء العقلي ، ومناجم
الإشراق التكري ، لا كتب يدرسونها ، ولا قوانين للمعارف يرتبونها ،
ولا شيء الاغرائطية يتوارثونها ، وقواعد عامة يتناقلونها ، وحصافة أوتوها

في نقش أصح التجارب في المدارك، والاحتفاظ بأثبت الفوائد في الدواكر، وكذلك يفعلون في التربية الاخلاقية ينشئون القرية على دروس المشاهدة في مدارج العمل، ودروس القصد والاعتدال في ممارج الأمل، فيأتي من تلك السلائل التي لم تحتمها عدوى الاجيال الفاسدة نوابغ في العقول والاخلاق، أفذاذ في الهمة والاعمال، بطبع من المربين، ونقش من المثقفين، وذلك كان شأن أبي طالب ودأبه مع ابن أخيه العزيز، وريبه النجيب، نشأ « محمد » (صلوات الله عليه) في أمثل التربية بأنواعها كلها على يد ذلك الفاضل العظيم جاء منه رجل أحسن الناس خلقاً وخلقاً، أذكاهم عقلاً، وأزكاهم نفساً، وأصدقهم لساناً، أنداهم في العرف يداً، واثبتهم في الأزم قلباً، أرحمهم للضعيف، وأشجعهم على القوي، أبرهم للقريب، وأعد لهم للبعيد، أقربهم الى المعروف سمماً، وأبعدهم في الامور نظراً، أسداهم رأياً، وأشداهم اقداماً، ألينهم للصاحب جانباً، وأكرمهم للخير صاحباً، وحسبك انه عرف منذ صباه بالأمين وما زال على هذا المنوال حتى أكرمه الله بذلك المنصب العظيم فزاده جمالا وجلالا وكالا والله أعلم حيث يجعل رسالته

نشأ ذلك المربي على كل ما يزين الرجال من الاعمال فلما كان ابن اثنتي عشرة سنة سار به الى الشام وكان أبو طالب تاجراً فأوقفه في هذا السفر على ما تسكن الارض وتعلمن من طبائع الاقاليم المتغيرة، وأحوال العالم المتحولة، فني طريقهم من مكة الى الشام منازل أمم كانت فبانت . كانوا على وجه الارض جمالاً لها فلما فسقوا عن السنن التي تحياها الامم شالت نعماتهم طراً، وطارت نعمتهم جميعاً، وأصبحوا كأن لم يكونوا « فقلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا، وفي رؤية أمثال هذه المنازل الخاوية

أو المنتقلة الى غير أهلها عبرة عظيمة هي أجل ما في السفر من الفوائد. ولقد كان فيما أوحى الى هذا المنعم عليه بمدان صار نبيا قوله سبحانه «أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأناروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»

وفي طريقهم هذه أوقفه عمه على قرى الشام ودساكرها، ومزارعها ومصانعها، ومتاجرها وحكومتها، وأراه كيف يكدرح الناس جميعا ليأكل ثمر منهم خبزه بعرق جبينه، وليتمتع ثمر آخرون بشمات تلك الارض الطيبة، ونفائس ما تممله تلك الايدي الثقفة، وكيف يعمل هذا لهذا في الاجتماع ليم قوامه، ويحفظ نظامه

ومر به على الاديار والصوامع حيث ينقطع ثمر آخرون عن المزاحمة في هذا الحطام الزائئ، متوجهة نفوسهم الى الوطن الذي يليق بالروح الغربية في هذا الهيكل الجسماني، غير ممدودة أيديهم الى شيء من هذه الارض الا الى ما يقي البدن من جوع وعري وذلك يتيسر ببعض حبوبها وأعشابها، وبمض أصواف حيوانها وأوبارها

في بعض تلك الاديار في «بصري» وقف به على الراهب «بحيرا» وكان على حظ عظيم من علم الفراسة أو الكهانة فأبأه بما سيكون لابن أخيه من الشأن العظيم وأوصاه بمزيد العناية به

وفي هذه السفرة مر به على أساليب التجارة، وأطلعه على ضروب البضاعة، وصنوف الاداة والماعون التي يتعاطى التجار تبادلها وكيف يحمل كل منهم من بلده ما لا يكون في غيره ثم يحمل الى بلده ما ليس فيه وكيف

يكون لهؤلاء الوسطاء في نقل حاج الناس من الفضل العظيم في ترقية
البدائع الانسانية ما ليس لغيرهم

فناهيك بما ملأ به أبو طالب ذهنه في هذه السياحة التجارية من
صنوف المعارف وأنواع التجارب وفي درس كهذا من فوائد التربية العملية
ما ليس في ألف درس من التربية الكتابية أو النظرية

ولما كان ابن أربع عشرة سنة أحضره معه في حرب الفجار وهي
حرب هاجت بين قريش وبين قيس فرأى في هذه الواقعة كيف تعبأ
الصفوف، وتقابل الأبطال، وكيف يصبر الشجعان وان أودى بهم الصبر
الى حتفهم، وكيف تكون نتائج الصبر وحسن التدبير في الحروب، وكيف
عاقبة الذين تنقطع قلوبهم جبناً، وتخور عزائمهم جزعاً

ولم يباشر في هذه الحرب قتالاً وانما كان ينبل على أعمامه أي يناولهم
النبيل أو يرد عنهم النبيل . وكان ذلك كافياً لتمرنه على مواطن النزال، ومواقف
النضال، وليس يخاف ان الاخذ بيد الناشيء الى ممالك أبطال المبايات،
ثم ممالك أبطال المقابلات والمقاتلات، هو أعظم الوسائل التي تجعله أهلاً
للمقامات الملي بين الرجال، حتى اذا أتاه الله للاخذ بقوم الى سوح العز
والسؤدد والصلاح والفلاح، كان نعم الدليل الهادي، ونعم السائق والحادي
فلما بلغ خمساً وعشرين سنة عرضت عليه سيدتنا « خديجة » ان يخرج
في تجارة لها الى الشام وتمطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار وأشار
عليه عمه بقبول ذلك وطلب له أضافاً فرضيت وسار بتجارتهما مع الركب
الى الشام ومعه عبد لخديجة اسمه « ميسرة » فلما رجع بالبضائع اليها باعها
فربحت أضافاً وكان هذا بدء تاريخ جديد للسيدة « خديجة » معه